الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية.

خصائص المنهج اللغوي في التفسير

حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

رسالة ماجستير في علوم اللغة العربية.

إعداد الطالب
عزيز كعواش.

إشراف
الأستاذة الدكتورة عبد الله بوخلخال.

السنة الجامعية

1420 - 1421هـ / 1999 - 2000م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الهادي من استهداه، والصلاة والسّلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن والاه.

وبعد...

إن القرآن الكريم كان ولم يزل محور الثقافات الإسلامية، والحركات الفكرية، وسائر النشاطات العقلية. وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، والضمان الربّاني للحفاظ على اللغة العربية ونشرها. وظل على مر الدهور قبلة المؤمنين، يدرسونه ويفسرونه ويشرحون جوانبه الكثيرة.

والعربية في وضعها المقنن أحد هذه الجوانب من أصول التّفسير المعتبرة، فالعلم بمعاني كتاب الله ومقاصده، والوقوف على أسراره وفصاحته لا يتأتى إلا بتحقيق المعرفة بهذه اللغة. لأنها مدخل العلوم ومنبع الفوائد ومرآة المعاني. وكذلك كانت دراسة العربية في بادئ أمرها لفهم النص القرآني والاستفادة بكل طاقاته.

وتتناول هذه الرسالة البحث في أحد مجالات اللغة والتفسير وهو موضوع التفسير اللغوي وما امتاز به من خصائص وقواعد منذ نشأته المبكرة إلى أن وصل إلى مرحلة النضج والتمام خلال القرن الثالث الهجري، فتحول إلى منهج في تفسير القرآن الحكيم له ما يميزه عن غيره من مناهج التفسير وخاصة المنهج الأثري الذي ظل مسيطرا على عملية التفسير منذ بدايتها. لأجل ذلك اخترت لهذا البحث عنوان « خصائص المنهج اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري ».

وهذا موضوع يحتاج كاتبه إلى أن يدرس فيطيل الدرس لأنه موضوع واسع وظف فيه أصحاب هذا المنهج كل علوم اللغة التي توصل إليها المسلمون وليس فرعا بعينه وعلى رأسها علم النحو والتصريف والإشتقاق ومفردات اللغة خدمة للتّفسير.

وحمل لواء الاتجاه اللّغوي في التّفسير علماء لم يحظوا بوصفهم بالتّفسير قدر وصفهم بأنهم علماء لغة وأدب كأبي عبيدة والكسائي والفراء والأخفش وابن قتيبة وغيرهم من أصحاب المعاني الأفذاذ الذي تقدمت بهم المعرفة واختصهم الله بمواهب ممتازة. ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل جهود هؤلاء العلماء الأجلاّء الذين قضوا حياتهم في محراب العلم وفي خدمة اللغة. ومما لا شك فيه أن جهود النحويين واللغويين في وضعها المقعد قد أصبحت مادة ضرورة للتفسير تُعتَمد عليها في تحليل التركيب القرآني وبيان مواقع المفردات بعضها من بعض. وقد شارك كل من النحاة وأهل اللغة في وضع البرامج المحكمة لتفسير القرآن، فكتب الفراء وأبو عبيدة والزجاج وأبو جعفر الرؤاسي والأخفش وأضرابهم أوائل التفاسير اللغوية حيث كانت تُفَسِّرُ النصوص القرآنية تفسيرًا لغويًا بحتًا، وتبين معاني ألفاظ القرآن وإعرابها ووجه القراءة فيها، فكوّنُوا الحركة الأولى للتفسير بهذا المنهج التحليلي بعد التّفسير بالمأثور. فكان هذا الاتجاه جديرا باتساع دائرة التّفسير والخروج به عن ضروب المأثور.

ولم يكن البحث في موضوع المنهج اللغوي في التفسير ترفا علميا، تدفع إليه قلة الموضوعات المطروحة للدّراسة، ولكني رأيته ضرورة دعت إليها حاجة المكتبة الإسلامية إلى مثل هذه الدّراسة. فالتّفسير اللّغوي ليس دراسة لغوية صرفة، وإنّما له بالنص المقدس علاقات وروابط ينتهي إليها معناه ومراده. ولقد شدّ انتباهي منذ السنوات الأولى من دراستي الجامعية تلك العناوين اللغوية التي جعلت القرآن الحكيم موضوعا للدرس والتحليل، مثل كتب معاني القرآن ومجازه ومشكله وغيرها، ولم أتشوق إلى شيء كما تشوقت إلى معرفة علاقتها بالقرآن. وكم حيرني جواب أساتذتي، فلأمر ما هي عندهم دراسات لغوية صرفة لا علاقة لها بتفسير أو بيان وإنّما جعلوا القرآن كسائر النصوص اللغوية الأخرى للاستدلال على صحة القواعد والمذاهب. وتمعنت رأيهم في أناة وعناية وتنبه فلم أجد له معنا ذا خطر، وجعلت أبحث وأستقصي وأنقب في المكتبة العربية بين كتب تاريخ التّفسير ومناهجه، وتمعنت في أسفار المعاني، وتصفحت بعض كتب اللغة والنحو، وطالعت ما ألف في تطور البلاغة التماسا لجواب آخر غير ما سمعت..فكانت الإجابة مجموعة في هذا البحث. وقد كنت أوازن فيه بين الجديد الذي توصلت إليه، وما أوحي إلي من تلك الأفكار القديمة.

وقد يقول ناقد: إن العربية هي لغة القرآن، وهي من الأدوات الأولى في التّفسير خاصة، فلماذا تفرد بالحديث حتى يُصطنعُ لها منهج أو اتجاه خاص في التّفسير، أليست هي من جملة العلوم الضرورية لفهم القرآن وحسب؟

إن هذا الاعتراض يومئ إلى سطحية في التفكير، خاصة ونحن في زمن البحوث العلمية المتخصصة التي تنقبُ عن أصول المعارف الإنسانية، فكيف والبحث موضوعه القرآن! فلابد من خدمته واستقصاء الحقائق عنه بمزيد من الجهود المتكاتفة. ثم إن المنهج اللّغوي في التّفسير عُرِفَ كحقيقة ثابتة من بين مناهج التّفسير، واستقلت به المدرسة اللغوية في مطلع القرن الثاني الهجري حتى عرفت بمدرسة التّفسير اللغوي، ولم نغال في هذه التسمية لأنها حقيقة تاريخية ثابتة، فقد كان أصحابها جماعة من اللغويين المفسرين يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة القرآن دراسةً لغويةً تقوم على مبدإ واحد. ولهذه المدرسة الرائد الذي رسم الخطة وحدد المنهج، والتابعون الذين اقتفوا الخطى وتبنوا هذا المنهج وعملوا على تطويره والدفاع عنه، وقد استمر هذا المنهج عبر السنين، وهو استمرار ضروري كي يستحق اسم المنهج أو المدرسة، وقد كان ذلك للمدرسة اللغوية الأولى فلم يصبها الوهن واستمر الدرس اللغوي مرورا بالزجاج في القرن الرابع والراغب الأصبهاني في نهاية القرن الخامس وابن عطية في القرن السادس، وأبي حيان في القرن الثامن، وانتهاءً بمجمع اللغة العربية في العصر الحاضر.

وإذا كُنتُ في مواضع شتى من البحث أنسب لأحد أعلام اللغة تبنيه للمنهج اللّغوي وأذكر صراحة رؤساء هذا المنهج وأعلامه، فإني لا أريد أن التسمية عينها كانت معلومة عند السلف، أو أن هذا المنهج كان منفصلا عن غيره من المناهج، كلا! وإنّما شأن هذا المنهج شأن غيره من مناهج التّفسير، فلم يكن المنهج الأثري يعرف بهذا الاسم، ولا المنهج العقلي ولا الكلامي ولا التاريخي ولا غيرها تعرف حينها بهذه التسميات. وإنّما كان ذلك بعد تطور البحث الأكاديمي في عصرنا الذي ارتأى التمييز بين هذه المسميات لحاجة الباحثين لذلك، فإذا ما استطعنا تمييز أصول هذا المنهج وقواعده عن غيره من المناهج، وتبني علماء السلف لتلك الأصول والقواعد، وتطبيقها في مباحث مؤلفاتهم، فللباحث المعاصر الحق في تسمية هذا المنهج وفق ما قرره مجموع الدارسين.

أما طبيعة تناولي لهذا المنهج في هذه الرسالة فهو طبقا لمفهوم المنهج اللّغوي السائد في الفترة محل الدّراسة، لا المنهج اللّغوي الحديث المعروف في عصرنا، مع جواز الاستفادة والمقارنة. لذلك لا فرق بأن يوسم هذا البحث بالمنهج اللّغوي في تفسير القرآن، أو التّفسير اللّغوي للقرآن، لطبيعة الدّراسة المتناولة.

ولعل الجديد في بحثي هذا هو فيما جمعته من أقوال متفرقة ومختلفة للغويين والنحويين والقدامى حول عملية التّفسير اللّغوي وتطبيقاتهم الفعلية حول النص القرآني، وفي المقارنة بين هذه

الأقوال، وفي ذكر ما كان بينهم من خلاف. ويمكن أن أضيف إلى ما ذكرت أنـي تتبعت التطور الحاصل في خصائص هذا المنهج التّفسيري منذ ظهر إلى نهاية القرن الثالث الهجري. وبينتُ المعالم والأسس التي تقوم عليها المدرسة اللغوية في التّفسير، وإظهار الصلات الوثيقة والترابط الشديد بين آليات هذا المنهج، وقيمة التّفسير اللّغوي داخل الحركة التّفسيرية حينها. ومن الواضح أن مقصدي من هذا البحث ليس تأريخا للعلوم اللغوية وإنّما القصد هو تبيان المنهج الذي سار عليه اللّغويون في تفسير نصوص الكتاب العزيز.

ولقد ألزمت نفسي بعدم الانسياق وراء كل رأي إلا بعد التحري والتدقيق، ولم آخذ بحجة واهية كي أبني عليها أحكاما معينة إلا بعد مراجعة نصوصها في مراجعها الأولى القديمة. ولم أتناس الدراسات الحديثة بل استعنت بها وإن كانت معالجتها -في جلها- تأخذ زوايا معينة ولا تنصب كلية على الموضوع ذاته.

وقد سعيتُ إلى البحث عما إذا كان أحد من السابقين قد طرق هذا الموضوع، أو تعرض لأهم أجزائه، فكان كل ما كُتِبَ مراجع تشير إلى جانب من جوانب البحث، ولم تكن مراجع مباشرة، فكتب تاريخ القرآن والتّفسير قد يشير بعض منها إلى هذا المنهج بصفة عامة، كذكر أعلامه، وبعض خصائصه، ووجوهه وخاصة جانب إعراب القرآن، أما كتب الدراسات اللغوية فقد كانت تتطرق إلى الموضوع الواحد في شتى الأبواب والفصول مما يعسّر عملية الاستفادة منها. ومع ذلك فقد تنوعت مصادر ومراجع البحث ولا سيما كتب مناهج التّفسير والدراسات القرآنية وكتب الإعجاز والبلاغة والمعجمات وكتب أخرى في النحو والتراجم. ومن بين الدراسات الأولى التي كانت تزخر بالمادة العلمية الخصبة، وكانت عونا لي على اكتشاف آفاق أخرى للبحث أذكر على الخصوص:

- « مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى، و« معاني القرآن » لأبي زكرياء يحي بن زياد الفراء، و« معاني القرآن » لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، وهذه الكتب الثلاثة الشائقة هي مصدر إلهامي، ومنبع مادة بحثي، وحولها دارت الدّراسة، لأنها تمثل مرحلة النضج من حياة المنهج اللّغوي في التّفسير، حيث استطاع أصحابها أن ينهجوا نهجا موضوعيا في شرح الآيات القرآنية وتفسيرها وفق قواعد اللغة وطاقاتها، وجعلُ النحو خاصة صلب المنهج التحليلي في تفسير النصوص، وأنشؤوا نظريات وقواعد تحدد العلاقة بين القوانين النحوية وما ترمي إليها من معان ودلالات، فالنحو عندهم ليس صناعة تتلقى ولا رياضة عقلية ولسانية بقدر ما هو أساس لتحليل النص اللّغوي وبيان وجوه إعجازه كما سيأتي بيانه في صلب البحث.

– الدّراسات اللغوية للإمام جلال الدين السيوطي، فقد كانت بحق دراسات رائدة كبيرة الشأن في المجال اللّغوي القرآني، والسيوطي صاحب باع كبير في هذا المجال سجل له الدارسون البراعة والمهارة والفطنة والذكاء، ولا سيما في كتابيه: « المزهر في علوم اللغة » و « الأشباه والنظائر في النحو»، حيث طرق فيهما كثيرا من المباحث التّفسيرية ذات الارتباط باللغة أو النحو، وإن لم يكن تطرقا مباشرا فقد أعان كثيرا على إبراز هذا الجانب في كتابيه من خلال نصوص نقلها عن الأئمة أو تعليقات أعقبها تلك النصوص، كحديثه عن الغريب والمشكل والمشترك والأضداد، أو اختلاف الإعراب عند أصحاب المدارس النحوية، والتعليل لذلك الاختلاف وخاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم، وأثر الاختلاف في الإعراب على المعنى العام للآية.

– « دراسات في القرآن » للدكتور سيد أحمد خليل. وهي دراسة قيّمة حول تاريخ التّفسير وأهم مناهجه، وقد تطرق صاحبه في مبحث من مباحث الكتاب إلى التّفسير اللّغوي طبيعته وأهدافه، وأطال المؤلف الوقوف عند هذا الاتجاه التّفسيري الذي هام به وأنصفه في كثير من جوانبه. فكانت إفادتي منه عظيمة، خصوصا لما برهن الكاتب على قوة هذا المنهج وقدرته على الغوص في أعماق النصوص القرآنية، واستخراج ما فيها من تلك المعاني الضخمة التي تبين أدق خصائص الإعجاز القرآني. وبرهن المؤلف في دراسته مصداقية المنهج اللّغوي في التّفسير، وأنه أحسن ما يُؤوّلُ به النص الجليل، لأنه يبعد كل تأثير أو سيطرة للفلسفات والنزاعات الثقافية للمفسر. إلا أن دراسة الدكتور كانت مختصرة جدا، وعباراته مجملة، جاءت على غير ما رأيته في عملي. ولكني توسعت إلى جوانب أخرى جمعت فيه شتات هذا المنهج من بطون المدونات وبرهنت على وجوده وتأثيره في عملية التّفسير، بل سيطرته على كثير منها بالأدلة والنصوص من مضانها الأولى.

أما منهجي في البحث فكان متعدد الجوانب، إذ أنه جمع بين مناهج الاستقراء والتحليل والاستنتاج، إذ الدّراسة اللغوية كثيرا ما تعتمد على الاستقراء في استخراج القواعد. وفي سبيل النتائج التي توصلت إليها استقريت العشرات من كتب التّفسير وعلوم القرآن والحديث والسير. لذلك سأعرض من خلال التدرج الطبيعي لنمو هذا المنهج اللّغوي في التّفسير أبرز خصائصه، وما استطعت الوقوف عليه من مميزات كل مرحلة من مراحله، وسأحاول جاهدا تبويب هذه الدّراسة كما يقتضي المقام أن أفعل.

والمنهج السليم في دراسة مناهج العلوم والمدارس يقتضي الدارس أن يبدأ بدراسات تتعلق بالنشأة من حيث أصول هذا المنهج اللّغوي ومن حيث مميزاته وخصائصه الأولى أثناء ذلك النمو.

لأن معرفة التكوين الأول لمنهج ما هو أساس لفهمه في صورته النهائية. فإذا ما انتُهِيَ من معرفة ذلك كان قد مهد لدراسة التّفسير اللّغوي وخصائصه أثناء التطور الثاني الذي تحول منه إلى منهج تـــام، ودراسة هذه الخصائص تقوم على دراسة العناصر الجديدة التي كان لها دور فـــي بنائـــها، كدخـــول عنصر اللغة وما لها من ظواهر في العملية التّفسيرية، وتقوم أيضا على عرض لأهم المحطات العلمية لاولئك الأعلام رؤوس هذا المنهج وبالأخص كتبهم التي شملت التحليل اللّغوي مع التّفســـير، وتقـــوم أيضا على ملاحظة الفوارق بين تلك الخصائص الجديدة، كالخصائص اللغوية والنحويـــة والصرفيـــة وغيرها. فإذا ما انتُهِيَ من معرفة ذلك كان قد أوضح السبيل إلى دراسة الأثـــر النحـــوي واللّغـــوي في عملية التّفسير، وهي تقوم على دراسة علاقة القراءات بالنحو كتـــأثير النحـــو فـــي القـــراءات، وعلى ذلك يكون التوجيه الإعرابي للآيات القرآنية، مع ملاحظة العملية الإعرابية وأثـــر المـــدارس النحوية في إعراب القرآن. كما تقوم أيضا على البحوث اللغوية وأثرها في وجوه هذا التّفسير كبحوث الغريب والمشكل والأضداد، وقيمة ذلك في التّفسير اللغوي.

ويمكنني الآن أن أحاول تصنيف خصائص المنهج اللّغوي حتى نهاية القرن الثالث الـــهجري بحسب ما تناولتُها في موضوعات وفق مرحلتين، فنعقد لكل مرحلة منها فصلا، ونخصـــص الفصـــل الثالث للحديث عن مقومات هذا التّفسير، وهذا تفصيلها.

الفصل الأول : نشأة التّفسير اللغوي.

المبحث الأول : التّفسير اللّغوي في عهد النبوة والصحابة.

المبحث الثاني : التّفسير اللّغوي في عهد التابعين.

الفصل الثاني : التّفسير اللّغوي من عصر التدوين إلى نهاية القرن الثالث الهجري.

المبحث الأول : حركة التّفسير اللّغوي وأعلامه في عصور التدوين.

المبحث الثاني : أثر حركة التّفسير اللّغوي في بيئة المفسرين.

الفصل الثالث : مقومات التّفسير اللغوي.

المبحث الأول : الدراسات النحوية وأثرها في التّفسير اللغوي.

المبحث الثاني : البحوث اللغوية ووجوه التّفسير اللّغوي .

والهدف من الفصل الأول أن أبين جذور المنهج اللّغوي الممتَدة إلى عصر الصحابة والتابعين، فليس هو وليد التغيرات الفكرية التي طرأت في المجتمع الإسلامي بعد عملية الفتوح، بل كانت نشـــأة هذا اللون من التّفسير تعود إلى العصر الأول، عصر النبوة والصحابة والتابعين. وقد أَلِفَ الدارســون حين يتحدثون عن التّفسير اللّغوي للقرآن أن يتعدوا الفترة الأولى من صدر الإسلام إلى ما بعدها حين تهيأت الأسباب العلمية إلى الحديث الاصطلاحي عن مسائل اللغة ظنا منهم أن عصر الفطرة لم يتـــح بعض النظر اللغوي. ولكن الواقع الملموس يدل أن القوم إذ ذاك قد درسوا القرآن دراسة من يعـــرف مناحي القول المختلفة، وإن لم يعربوا عن تلك المصطلحات اللغوية والنحوية التي هيأ لها تتابع الزمن فيما بعد فلم يفتهم في شيء جوهر هذه المصطلحات، ونقل عنهم في ذلك ما يصلح أن يكـــون بـــذرة التّفسير اللّغوي للقرآن. وإذا ألممنا اليوم ببعض الحديث عنه فلم أتكلف القول في شيء بل إننا لا نصل إلى مكان النبع لنرى كيف تدفقت مسائل التّفسير اللّغوي طافية من مصدرهـــا الأول حيـــث تفرعـــت جداوله وتنوعت فروعه.

وفي هذا السياق يهمنا الوقوف عند مرحلتين من أبرز مراحل نشأة المنهج اللّغوي في التّفسير: الأولى، التّفسير اللّغوي في عهد النبوة والصحابة، والثانية، التّفسير اللّغوي في عهد التـــابعين وهي نفس مراحل نشأة التّفسير عامة.

والصحابة لم يفسروا القرآن فيما لم يصلهم عن النبي ﷺ إلا من طريق اللغة، وهم بذلـك أول من سنّ طريقة التّفسير من جهة اللغة، ورسموا اتجاها لغويا فيه كل خصائص لغة عصرهـــم. وفـــي عصر التابعين حافظ هذا الاتجاه على مسيرته وفعاليته، وأخذ يشق طريقه وسط المنهج الأثري السـائد عصرئذ، وبدأ يضم إليه ألوانا أخرى من علوم اللغة ضمن مدرسة تفسيرية ضخمة، وهي المدرســـة المكية وفيها تبلورت بذور هذا المنهج، وأخذت تتجمع آلياته في شكل اتجاه لغوي منظم في التّفســـير، فهيأت المدرسة المكية جميع ظروف النشاط التّفسيري اللّغوي.

ولكن هل الضرورة ملحة هنا لعقد هذا الفصل قبل تناول التّفسير اللّغوي في مرحلة النضـــج والعطاء، وهل العودة إلى الحديث عن تاريخ التّفسير اللّغوي أمر حيوي في هذا المقام؟ إنه بغير هـذه العودة لا يمكن في نظري فهم حقيقة التّفسير اللّغوي والحكم عليه أو حتى الفصل بينه وبين التّفســـير الأثري، وبغير هذه العودة أيضا لا نستطيع إدراك حقيقة هذا المنهج من جهة الأصل ومراحل التطور. إذ هذا التناول مما تقتضيه عملية التحليل هنا، ليتبين من المنهج التّفسيري العام للصحابـــة والتـــابعين طبيعة اجتهاداتهم، ومقدار الجوانب اللغوية فيها إلى غاية تبلي علماء اللغة بعد ذلـــك لـــهذا الجـــانب من التّفسير.

ونتناول في الفصل الثاني التّفسير اللّغوي من عصر التدوين إلى نهاية القرن الثالث الهجري ومقصد المباحث التالية هنا أن تُبين تبيانا مفصلا على أي وجه من النجاح حقّقه التّفسير اللّغوي ضمن حركة التّفسير، لاسيما بعد التوجه إلى اللغة وما سايرها من حركات في التطور إلى أن صارت مجالا مقبولا لفهم النص القرآني، والكشف عن حقائقه وروائعه ودقائق إعجازه.

وقد بدأت هذه المرحلة بمحاولات القرّاء وكانوا لغويين بارعين في توجيه القراءات وشرحها، وبيان الصحيح منها الموافق لروح العربية. ثم انتهت هذه البحوث إلى اللغويين، وكانوا من أوائل الدارسين الذين لفتوا المفسرين وتبهوهم إلى الاعتماد على اللغة لاسيما والقرآن الكريم نزل بهذه اللغة للإعجاز، ثم أخذ اللغويون في تؤدة وروية وأناة يوجهون جهودهم إلى البحث في الآيات القرآنية وتفسيرها من الناحية اللّغوية والصرفية دون التعرض لمأثور، أو ذكر لسبب النزول، وإنّما سخّروا العلوم التي انتهت إليهم، وما أضافوه هم إليها، لتحليل النص اللّغوي من القرآن الكريم. ومن ثمّ شقت تفاسيرهم اللغوية طريقها نحو العلوم الأساسية، فكانوا بحق موضع افتخار أجيال المسلمين عبر العصور، وهؤلاء الدارسون هم رؤوس المنهج اللّغوي التّفسيري، وهم مدار بحثنا في هذه الرسالة، فنبين مقدار مساهمة كل شخصية في وضعها للبنة جديدة في صرح هذا البناء الجديد، ونكاد نحصر البحث حول شخصيات معينة وهي: أبي عبيدة، والفراء، والأخفش الأوسط ، وهؤلاء الثلاثة هم أعظم حظا من النجح والتوفيق مقارنة بأقرانهم. فنطلع على خصائص الدرس اللّغوي في القرآن عند كل شخصية.

إلا أن ميدان التّفسير من غير طريق الأثر يظل عسيرا جدا، لأن الدارس ليس بصدد نص لغوي وضعي يسمح له بالخطأ، لذلك جعل العلماء لهذا المنهج أدوات وضوابط وشروطا يجب التزامها لمن يتعرض للتفسير من هذا السبيل، كي تحصل مشروعيته داخل الحركة التّفسيرية، وتأثيره على سائر التفاسير ومختلف المناهج. وقد انتشر المبدأ اللّغوي في تفاسير القرون الثلاثة، وصارت له أهمية عظمى وأثر فعال وعميق داخل البيئة الثقافية لعصور هذه الأزمنة الثلاثة الأولى، وإنه ليكفي أن أذكر هنا أن البحث في التّفسير اللّغوي أمد الأصوليين والمفسرين بكثير من القدرات النافذة لاستغلال طاقات اللغة في استنباط المعاني والأصول التشريعية التي يمكن أن يواجه بها المشرع سير الحياة وتطورها.

ولكن بالموازاة مع هذا التطور وهذا النماء للمبدأ اللّغوي في التّفسير كانت المذاهب العقدية من الفرق الإسلامية الناشئة المنقسمة على نفسها قد استغلت هذا العامل القوي في التّفسير، ووظفته

لخدمة معتقداتها، وأوّلت النصوص بما يتلاءم وتوجهاتها الفكرية، وخاصة من المعتزلة، فقد كان لهذه الفرقة علماء جهابذة حُذّاق في علوم العربية، يطوعون النصوص القرآنية لصالح مذهبهم. وفي المقابل نشط علماء السنة، وتزودوا بما للمعتزلة من علوم وفلسفات ردوا بها ما ظهر لهم فاسدا من تلك التأويلات اللغوية لنصوص الكتاب العزيز. وهكذا أشتد النقاش بين الطوائف، وكثرت موضعات العبث التي يلقيها بعض الكتاب إلى بعض وتعددت الآراء في أغلب المسائل الاعتقادية، فلم يكن لشيء أن يبطل لغط المعاندين، ويبين وجه الصواب وسط تلك الفلسفات العقدية، إلا العامل اللغوي، ولهذا كله حديث يطول في المبحث الأخير من هذا الفصل.

وفي الفصل الثالث خضت في الحديث عن مقومات التّفسير اللّغوي وهو شرح مفصل ومدقق لتلك الخصائص العامة والخاصة الواردة في الفصل الثاني، فيتناول أثر الدراسات النحوية واللغوية في المنهج اللّغوي التّفسيري. وبدأت في المبحث الأول بذكر علاقة النحو الشديدة بالقرآن، وكيف كان النحاة أول الدّارسين الذين لفتوا إلى الاعتماد على اللّغة في التّفسير، وبينوا ما للنحو من دور في ضبط النص القرآني، والتعليل لهذا الضبط، ومقابلته بما روي عن العرب من الآثار الأدبية، فكانوا بذلك قد ساهموا بشكل كبير في تيسير قراءة القرآن، ورفع الإلتباس على بعض القراءات، لاسيما من حيث صحة القراءة وشذوذها. ورأوا من واجبهم أن يتصدوا لقراءاته بالنقد والتمحيص، ليبينوا كل ما عسى أن يشوبها من ضعف الرواية أو شذوذ اللهجة.

ثم تعرضت في هذا المبحث لأحد أكبر فروع التّفسير اللغوي، وثمرة البحوث النحوية في القرآن وهو الإعراب. وإعراب القرآن هو بيان ما تحتمله الآيات من أوجه إعرابية وقد تكثر هذه الأوجه للآية الواحدة تبعا لاختلاف فهم التراكيب، وأيضا للاختلاف في تطبيق قواعد النحو على حسب مقتضيات كل مذهب، ومن ثم أصبح إعراب القرآن ميدانا واسعا لعلماء العربية، فتعرض له كثير من النابهين في علوم العربية استجلاء لحقائقه وفهم معانيه. وهذا الحديث يقودنا إلى وجه آخر من وجوه البحث وهو التوجيه الإعرابي للآيات القرآنية التي قرأت بأكثر من وجه إعرابي، وهنا نشير إلى أن الإعراب هو أكبر مظاهر الاختلاف بين المدارس النحوية ومن ثم كان الاختلاف في التوجيه الإعرابي للآيات القرآنية على حسب الأصول والأحكام لتلك المدارس.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تناول أثر البحوث اللغوية في التّفسير اللّغوي ووجوه هذا التّفسير. ونجد أن التّفسير اللّغوي قد اتصل بكل ما وصل إليه من علم اللغة والأدب ومن بحوث سخرها لفهم ألفاظ القرآن وتراكيبه بغية الوقوف على أسرار بلاغته التي تعد أهم وجوه الإعجاز،

أما من الناحية الفنية فلقد أثبت في صلب الرسالة مكان الآيات القرآنية فبينت السورة حسب ترتيب المصحف ورقم الآية منها برواية ورش. وعرّفت في إيجاز الأعلام الواردة أسماؤهم في صلب البحث، كما أشرت إلى تخريج الأحاديث النبوية، والتنبيه إلى نسبة الأبيات الشعرية، ولقد حرصت على ربط موضوعات هذا البحث بأماكنها من كتب التّفسير واللغة والأدب، ونقلت من الآراء ما دعت إليه ضرورة البحث. وكان قصدي في ذلك إما تعضيد رأي، أو تفصيل مجمل أو توضيح مبهم، أو الإشارة إلى مصدر فكرة ليكون القارئ على بينة مما يذكر في الرسالة فصار للبحث ستة فهارس وضعتها خدمة للقارئ وهي: فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث، فهرس الأشعار، فهرس الأعلام، المصادر والمراجع، الفهرس التحليلي.

ولا شك أن هذا العمل كسائر عمل بني آدم، فيه النقص والقصور، ويعجبني قول العماد الأصفهاني: « إنّي رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا فكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ». فهذا وصف معبر لحالي ورغم اعتقادي بما ذكر فقد توخيت أن أكون على أشد ما استطيع دقة وصوابا.

وقبل أن آتي على نهاية هذه المقدمة أريد أن أوجه إلى الأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال المشرف على هذه الرسالة من شكر دائم واعتراف بالفضل والجميل على ما أجهد نفسه في تصحيح هذا البحث، الذي ما فتئ يقدم لي الإرشاد والعون طوال مدة إعداد البحث، وبما أجهد نفسه في الإطلاع عليه، وإجراء كثير من التهذيب والتعديل والتغيير إلى أن ظهرت الرسالة على هذا الشكل

وأشكر جامعة الأمير عبد القادر بما أدبتني من أدب مفيد. وأحمد الله لكل من أعانني على توفير المصادر والمراجع لإنجاز هذا البحث فلهم مني جميعا الشكر والثناء المحمود.

وأسأل مولانا سبحانه أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسّلام على أشرف أنبيائه، وأعز أوليائه سيدنا محمد وعلى آل وصحابته.

شلغوم العيد في 01 محرم 1420 الموافق 05 أفريل 2000

الفصل الأول

نشأة التفسير اللغوي

المبحث الأول: التفسير اللغوي في عهد النبي ﷺ والصحابة

المبحث الثاني: التفسير اللغوي في عهد التابعين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التفسير اللغوي في عهد النبي ﷺ والصحابة

أولا : التفسير اللغوي في العهد النبوي

كان التّفسير في هذه المرحلة يأخذ الطابع العملي، فلم يكن عِلما قائما بذاته، وإنّما كان سلوكه ﷺ هو الصورة العملية التطبيقية والتّفسير الحي للقرآن الكريم. وأول ما بدأت دراسات القرآن وتفسيره كانت في هذا الزمن المبارك، ففي عهده ﷺ دُرست نصوص الكتاب، وفُسّرت تفسيرا مختصرا بيّن وجه الغموض. فهو التّفسير الذي كان ينزل على النّبي بوحي السّنة كما كان ينزل بوحي القرآن ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان 33]،فأثبت الحقّ سبحانه وتعالى أنّ التّفسير النبوي أتم تفسير أسند إلى كتاب الله عز وجلّ،ويقول الحق في موضع آخر: ﴿...كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة 151].

وتحدث الرّسول الكريم عن نفسه بهذا المعنى فيما أورده أبو داود (275هـ) في سننه : « أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ »[1]. قال أبو سليمان الخطابي (388هـ) في معنى 'أوتيت الكتاب ومثله معه': « أنّه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي أذن له أن يُبين ما في الكتاب، فيعم ويخص، ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن الكريم »[2].ونقل الأوزاعي (157هـ) عن حسان بن عطية : « كان الوحي ينزل على

(1) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ت: أبو اسماعيل إبراهيم أطفيش، مصطفى السقا. ط:2. (1380هـ-1961م). ج1 ص37. وانظر مقدمة تفسير ابن كثير. أبو الفدا إسماعيل بن كثير. بيروت: مط دار الفكر، (1407هـ-1986م). ص4. الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. بيروت: مط دار المعارف. ج2 ص225.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص38.

رسول الله ﷺ، ويحضره جبريل بالسّنة التي تُفسر ذلك »[1]. وذكر الإمام أحمد (241هـ): « السّنة تفسر الكتاب وتبّينه »[2]. فالسّنة في شتى أبوابها ما هي إلا تفسير وبيان للقرآن الكريم . وإن أحد أوجه هذا التّفسير بيان معنى لفظ قرآني أو مُتعلّقه، فالناظر لكتب السّنة يجد لتفسير رسول الله ﷺ أبوابا خاصة، وقد يشرح فيها لأصحابه ما خفي عليهم من معاني كلمات القرآن، روي عن التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السّلمي[3] (105هـ) أنّه قال: « حدّثنا الذينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا القُرْآنَ: كَعُثْمَانَ بْنُ عَفَّانَ، وعَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُود، وَغَيْرِهِمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ، قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ وَالعِلْمَ وَالعَمَلَ جَمِيعًا »[4] فظاهر الرواية يشير إلى تلقي تلك الطبقة المختارة عن النّبي ﷺ بعض العلم بالمعاني اللّغوية ومشكل القرآن وغريبه. وفي هذا المعنى أورد الحاكم (405هـ) في مستدركه[5] على الصحيحين: « أنّه ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، يقول تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل 44] فهو يتناول هذا وهذا ».

ولعل قول الحاكم هنا لا يؤخذ على إطلاقه، فقد يريد بقوله: ' كما بيّن لهم ألفاظه ' تبليغ كلمات الوحي، أو يريد تفسير معنى اللفظة القرآنية، ولكن بعيدا عن طريقة اللّغويين المعجمية التي عرفت بعد هذا العصر. فالقرآن الحكيم نزل بلغة العرب، وعلى مقتضى سننهم في القول، وأساليبهم في البيان، وقد كانوا لعصر نزوله يعلمون ظواهره وأحكامه، ولم تكن العرب في حاجة إلى شرح لغوي مفصل من النّبي ﷺ. قال الإمام الأزهري (370هـ) في كتابه « تهذيب اللّغة »: « نزل القرآن الكريم والمخاطبون به عرب أولوا بيان فاضل وفهم بارع، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون

---

(1)(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص39.

(3) أبو عبد الرحمن السّلمي: هو عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي القارئ ، تابعي جليل قرأ على عثمان ﷺ ، و« أقرأ القرآن أربعين سنة.» طبقات الحفاظ. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ط:2. ت: علي محمد عمر. القاهرة: مط مكتبة وهبة، (1415هـ-1994م). ص210.
قال الذهبي في تذكرة الحفاظ. شمس الدين محمد الذهبي. المصحح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي. بيروت: مط دار الكتاب العلمية. ج1 ص58 :« مقرئ الكوفة وعالمها عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وسمع منهم ومن عمر وتصدر للإقراء ».

(4) الطبقات الكبرى. ابن سعد. بيروت: مط دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، (1376هـ-1957م). ج6 ص172. جامع البيان عن تأويل أي القرآن. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. مط بيروت لبنان، (1405هـ-1984م).ج1 ص28. وورد بلفظ مقارب عند ابن كثير في مقدمة تفسيره ص4. مقدمة في أصول التفسير. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية. ت: عدنان زرزور. ط:3. بيروت: مط دار القرآن الكريم، (1399هـ-1979م). ص36.

(5) أصول التفسير وقواعده. خالد عبد الرحمن العك. ط:2. بيروت: مط دار النفائس، (1406هـ-1986م). ص35.

فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله، وغريب ألفاظه حاجة المولدين النّاشئين، وبيّن النّبـي ﷺ للمخاطبين من أصحابه ما عسى الحاجة إليه من معرفة بيان لمجمل الكتاب وغامض متشابهه »[1].

وتقتضي الأمانة، قبل القول بأنّ المنهج اللّغوي في التّفسير من صنع علماء ما بعـد عصـر النبوة، وأنهم أرسوا قواعده ودعائمه، التنبيه إلى أن بذورا من هذا المنهج قد ألقاها الرّسـول ﷺ [2] وهي إشارات لغوية ذكرت في أبواب التّفسير من كتب الأحاديث. والرّسول الكريم ﷺ عربي وهـو أفصح الناطقين، وأبلغ القائلين، يعرف بفطرته الصافية وسليقته الهادية مكان الحسن في البيان ومواضع المشكل في القول، فكان يتولى التّفسير وتوضيح بعض المشكلات اللغوية، ما يدل على اتجاهه الفنـي واللّغوي، وإني لأشير إلى بعض منها مجتزءاً:

– لما نزل قول الله عز وجلّ في سورة التوبة : ﴿ ...السَّائِحُونَ ﴾ [الآية 112] فسّرها الرّسول ﷺ بقوله « ...السّائِحُون هُمْ الصّائِمُونَ »[3]

– وعن أم سلمة (61هـ) زوج النبي ﷺ « أنـها قـالت: قلـت: يـا رسـول الله أخـبرني عن قول الله ﴿ حورٌ عين ﴾[الواقعة 22] قال: « العين الضخام العيون شغر الحوراء بمنزلـة جنـاح النسر».وعنها أيضا قالت :« قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله﴿كأنهن بيض مكنون﴾[الصافات 49] قال: « رقتهن كرقة الجلدة التي رأيته في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الغرقئ »[4].

– وهذا رجل يسأل الرسول الكريم يقول: « أرأيت قـول الله ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين﴾ [الحجر 90] قال الرسول: اليهود والنصارى. فيقول الرجـل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين ﴾[الحجـر 90] ما عضين؟ قال: « آمنوا ببعض وكفروا ببعض »[5].

– وعـن عبـد الله بـن مسـعود رضي الله عنه قـال: لمـا نزلـت ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾[الأنعام 83]. قلنا: يـا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال:« ليس كما تقولون،«لم يلبسوا إيمانهم

---

(1) أصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك: ص139.
(2) البغوي الفراء وتفسير القرآن. محمد ابراهيم شريف. ط:1. مط المدينة، (1406هـ–1986م). ص22.
(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. بيروت: مط دار المعرفـة للطباعة والنشر. ج3 ص281.
(4) تفسير الطبري: ج23 ص57.
(5) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج4 ص106.

بِظُلْمٍ » بِشِرْكٍ، أَوَ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان 12][1].

- وروي عنه أيضًا قال : « خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: « هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَقَالَ : هَذِهِ سُبُل عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ » وَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام 154] »[2].

- وروي أن النبي ﷺ فسّر قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس 26] فَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا » وَقَالَ : « شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » وَقَرَأَ « الْحُسْنَى » قَالَ : « الْجَنَّةُ » وَقَرَأَ « زِيَادَةٌ » وَقَالَ : « النَّظَرُ إِلَى رَبِّهِمْ»[3] .

- وعند قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[الأنفال 61] فقد فسّر الرّسُول هذه القوة بالرمي حين قَالَ: « أَلَا وَإِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا وَإِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا وَإِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[4].

- ومن ذلك أيضًا بيان المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى[5]. وبيان قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾[البقرة 25] بأنها مطهرة من الحيض والبزاق والنخامة[6]. وبيانه لقوله جلّ شأنه: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة 236] بأنّ الوسطى العصر[7]. وبيانه لقوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾[الفتح 26]، قال:« هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[8] .

---

(1) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء رقم: 3110. مسلم كتاب الإيمان رقم: 178. الترمذي في تفسير القرآن رقم : 2993. مسند أحمد في المكثرين من الصحابة رقم: 3826.
(2) رواه الدارمي في كتاب المقدمة رقم: 204، ومسند أحمد في مسند المكثرين من الصحابة رقم: 3928.
(3) رواه مسلم وابن مردويه.
(4) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر في كتاب الإمارة 3541. الترمذي في تفسير القرآن رقم: 3008. أبو داود في الجهاد رقم: 2153. وابن ماجة في كتاب الجهاد رقم: 2803.
(5) أخرجه أحمد والترمذي عن عدي بن حاتم، وابن ماجة في صحيحه.
(6) التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي. ط:2. (1397هـ-1976م). ج1 ص56.
(7) رواه الترمذي.
(8) أخرجه الترمذي وابن ماجة عن أبي بن كعب.

كما كان للنبي ﷺ ملاحظات نحوية وتصويبية إذ يُـــروَى أن رجـــلا لحـــن بحضرتـــه ﷺ فقال: « أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ فَقَدْ ضَلَّ »[1] .

وغير هذا كثير مما جاء في أبواب التّفسير من كتب الأحـــاديث، وتتلخـــص فـــي مجملـــها أن سؤالات الصحابة وبيانات النّبي عليه الصلاة والسّلام لم تكن حول المعنى اللّغوي الخالص للفظـــة القرآنية كما عرفته العرب، بل كانت حول الغموض الذي كسا المعنى المستوحى من السياق اللّغوي في الاستعمال القرآني، إذ دلالات القرآن الأصلية الواضحة تتبعها معان تكون دلالتها محل إجمال وإبهام. فتفسيراته ﷺ لبعض الألفاظ الواردة في الكتاب المنزل هي تفسيرات اصطلاحية نبوية، وليست لغوية بالمعنى المتعارف عليه بين علماء السّلف إذكانت تستمد معانيها من الوحي الإلهي، حتى كسبت المفردة معاني جديدة مضافة للمعنى الأصلي، وازداد اللفظ ثراءً واتساعًا. وظلت تفسيراته ﷺ مختلفة ظـــاهرا عن مصطلح « التّفسير اللّغوي » الذي عُرف عند الصحابة ومن تلاهم.

وليس معنى ما تقدم أن تفسيرات النّبي ﷺ تخالف ظاهر اللّغة بل : « تفسيره ﷺ لا يمكن أن يكون مخالفا للعربية ومعانيها، لأنه العربي الذي ينطق بجوامع الكلم »[2] .

والعلماء من المحدثين والمفسرين واللّغويين حفظوا عنه ﷺ جملـــة مـــن الأحـــاديث يَحُـــثُّ فيها صراحة على البحث اللّغوي مرغبا فيه لأجل النظر والتدبر في القرآن، ومـــن تلـــك الرّوايـــات ما رواه أبو هريرة، قال: « أَعْرِبُوا القُرْآنَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ »[3]، قال الحافظ الســـيوطي (911هـــ) في معنى هذه الرواية : « المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد الإعـــراب المصطلـــح عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن »[4] فالمراد بالإعراب هنـــا الإبانـــة والتوضيـــح وفـــهم الغريـــب، « وقد كان الصحابة ﷺ يســـمون هـــذا الغريـــب: إعـــراب القـــرآن، لأنـــهم يســـتبينون معانيـــه ويخلصونها »[5].

---

(1) المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي. ت: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البخاري. صيدا بيروت: مط المكتبـــة العصريـــة، (1408هـــ-1987م). ج2 ص396. وانظـــر الخصائص. أبو الفتح عثمان ابن جني. ت: محمد علي النجار. بيروت: مطبعة دار الهدى للطباعة والنشـــر. ج2 ص8.

(2) المعجزة الكبرى. محمد أبو زهرة. مط دار الكتاب العربي. ص558.

(3) الجامع لأحكام القرآني للقرطبي: ج1 ص23. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج1 ص149. والحديث أخرجه البيهقي في الشعب. وابن أبي شيبة في المصنف، وسنده ضعيف.

(4) الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص149.

(5) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي. ط:8. بيروت: مط دار الكتاب العربي. ص72.

وعن ابن عباس أن رجلا سأل النّبي ﷺ فقال: « أيُّ علْمِ القُرآنِ أفضل ؟ فقَالَ : عَرَبِيَتُهُ، فَالتَمِسُوهُ فِي الشِعْرِ »[1].

وروى نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ :« مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَلَمْ يُعْرِبْهُ وَكُلٌّ بِهِ مَلَكٌ يَكْتُبُ لَهُ كَمَا أُنْزِلَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَات، فَإِنْ أَعْرَبَ بَعْضَهُ وَكُلٌّ بِهِ مَلَكَانِ يَكْتُبَانِ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِشْرِينَ حَسَنَة فَإِنْ أَعْرَبَهُ وَكُلٌّ بِهِ أَرْبَعَةُ أَمْلاَك يَكْتُبُونَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ سَبْعِينَ حَسَنَةً»[2].

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: « أَعْرِبُوا القُرْآنَ »[3]

وروى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « أحبُوا العَرَبَ لِثَلاَث لأَنِّي عَرَبِي وَالقُرْآنُ عَرَبِي وَكَلاَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ عَرَبِي »[4] وروى السيوطي في كتابه الجامع الصغير حديثا عن النّبي ﷺ في الحَثِّ على لزوم تقويم اللسان، قال: « رَحِمَ اللهُ امْرُءاً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ »[5] ورمز له بالحسن. وأورد ابن عطية (546هـ) في مقدمة كتابه الجامع المحرر قول النّبي ﷺ : « أَعْرِبُوا القُرْآنَ، وَالتَمِسُوا إِعْرَابَهُ عَنِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ »[6].

وجاء في الإتقان عن ابن عمر مرفوعًا: « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِشْرُونَ حَسَنَة، وَمَنْ قَرَأَهُ بِغَيْرِ إِعْرَابَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَات »[7]. قال ابن الأنباري (577هـ):« جاء عن النّبي ﷺ وعن الصحابة وتابعيهم رضوان الله عليهم من تفضيل إعراب القرآن، والحضّ على تعلمه وذم اللحن وكراهيته »[8].

فهذه الأحاديث وتلك الروايات تحث على وجوب إدخال العامل اللّغوي في التّفسير، واستغلال طاقات العربية في شرح النصوص.كما أنها ألهمت صحابة النّبي ﷺ الرّغبة في تقصي المعاني

---

(1) مقدمتان في علوم القرآن، وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية.نشرهما المستشرق الدكتور أرثرجفري. ت: عبد الله اسماعيل الصاوي. القاهرة: مكتبة الخانجي، (1392هـ-1972م). ص260.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص23.
(3) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. أبو الحسن أحمد بن زكرياء بن فارس الرازي اللغوي. ت: عمر فاروق الطباع. ط:1. بيروت: مط مكتبة المعارف، (1414هـ-1993م). ص66.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص23.
(5) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ط:1. بيروت: مط دار الفكر، (1401هـ-1981م). ج2 ص11. انظر الخصائص لابن جلي : ج3 ص246.
(6) مقدمتان في علوم القرآن: ص260.
(7) الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص149.
(8) مجالس ثعلب. أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب. ت: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف، (1400هـ-1980م). ص454.

القرآنية من طريق العربية،وفتح باب الاجتهاد اللّغوي خدمة لكتاب الله، واستجابة لدعوة نبيّ الله واقتفاء لأثره ﷺ الذي « بَيّن ... كثيرا من مشكل القرآن وغريبه »[1] ولا غرابة في ذلك فالصحابة وهم العرب الفصحاء كثيرا ما استصعبوا ألفاظ القرآن ومشكله، فكان منهم من سأل الرّسول الكريم، ومنهم من منعه خوف التكلف من ذلك، وبعد فترة النبوة وانقطاع الوحي انطلقوا بوازع الدّين والإيمان بحثا عن معنى كل غريب ومشكل من ألفاظ القرآن وتعابيره، لأجل تبليغ وفهم القرآن، جاعلين للّغة دورا فعالا في عملية إدراك مقاصد النص.

ثانيا : التفسير اللغوي في عهد الصحابة رضي الله عنهم [2]

ذهب أصحاب السير والتراجم إلى أن صحابة رسول الله ﷺ هم أعظم النّاس حظا من ميراث النبوة المبارك، فقد صحبوا نبيهم، وعايشوه، وجاهدوا معه، وسمعوا منه، وتلقوا عنه علم القرآن. فبيّن لهم معانيه، وأزال مشكله، وشرح مجمله، فكان دورهم رضي الله عنهم في تبليغ علم النبوة بارزا، بما أدبهم رسولهم الكريم وما غرس في نفوسهم من الغيرة على الدّين والحب له والرغبة في هداية النّاس إليه، ولما خصهم الله الجليل من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح والقلب المستضيئ والعقل الذكي.

عن عبد الله بن مسعود قال: « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا، فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالاً. أَخْتَارَهُمْ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ،وإِقَامَةَ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ قَدْرَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ »[3].

وقال الإمام الشافعي واصفا مكانتهم: « هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرَعٍ وَعَقْلٍ وَأَمْرٍ اسْتُدْرِكَ بِهِ عِلْمٌ، واسْتُنْبِطَ بِهِ، وَآرَاءُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ، وَأَوْلَى بِنَا مِنْ آرَائِنَا عِنْدَنَا لأَنْفُسِنَا »[4].

---

(1) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم. محمد حسين علي الصغير، دراسة مقارنة. ط:1. بيروت: مط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983م. ص132.

(2) وتمتد هذه المرحلة عبر العهد الراشدي، وتتداخل في خواتيمها مع العهد التابعي، وقت ما تولى التابعون أمانة تبيين كتاب الله لمن جاء من بعدهم.

(3) مقدمة المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية الأندلسي. ت: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: مط الكتب العلمية، (1413هـ-1993م). ص11.

(4) المصدر نفسه: ص12.

وكذلك قدرُ الصحابة في ميدان التّفسير كبير، فهم أصحاب المعرفة التامة بدلالات الألفاظ في اللّغة العربية، والإحاطة الكاملة بعادات العرب وتقاليدهم وأعرافهم، والعلم بأحوال أهل الكتاب، هذا إلى جانب ما اختصوا به من معرفة أسباب النزول وقوة الفهم وسعة الإدراك. وإلى هذه الحقيقة أشار ابن القيم(751هـ) ونقل عن مسروق (63هـ)رضي الله عنه: « جَالَسْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانُوا كَالأَخَاذِ (أي الغَدِيرِ) الأَخَاذَةُ تَرْوِي الرَّاكِبَ، وَالأَخَاذَةُ تَرْوِي الرَّاكِبَيْنِ، وَالأَخَاذَةُ تَرْوِي العَشَرَةَ، وَالأَخَاذَةُ لَوْ نَزَلَ بِهَا أَهْلُ الأَرْضِ لأَصْدَرَتْهُمْ »[1].

والصحابة في العلم أصناف متفاوتون،بعضهم أسرع حفظا من غيره قد أصبح قلبه مستودعا لحفظ ميراث النبوة كأبي هريرة رضي الله عنه، وبعضهم كان أشد استنباطا واجتهاداً وأقوى فهما وإدراكا من غيره، حكّم عقله ونظر في آيات القرآن نظرة أملتها عليه ثقافته وعلمه اللغوي بدلالات الألفاظ العربية ومعانيها، فأصبح عقله أقوى نفاذا إلى لبِّ النصّ حتى يستخرج منه الكنوز، ويستنبط منه وجوه الأحكام والحِكَم كعبد الله بن عباس رضي الله عنه، وبعبارة أخرى « منهم من كانت عبقريته في الرواية، ومنهم من كانت عبقريته في الدراية، ومنهم من كانت عبقريته في الأمرين معا »[2]. وتحت هذا النوع الأخير يندرج كبار المفسرين من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود(32هـ)، وابن عباس(68هـ)، وأبَيّ بن كعب(19هـ)، وزيد بن ثابت (45هـ)، وأبي موسى الأشعري (44هـ)، وعبد الله بن الزبير(73هـ)[3]. وينفرد ابن عباس من بين هؤلاء الصحابة بأنه كان مدرسة في التّفسير وحده لها معالمها الخاصة ومقوماتها التي تنفرد بها كما سنرى لاحقا.

وقد اتخذت تفسيرات الصحابة جميعهم شكل الحديث[4] من حيث الرواية والتلقي، ولم تشمل آيات القرآن جميعا، وإنما كانت تتناول ما يسألون عنه، أو ما يبدو أنه غريب على أذهان بعضهم« كما أنها لم تكن تخرج عن تفسير اللفظ بما يوضحه باختصار، والاستشهاد له من اللّغة »[5].

---

(1) أعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن القيم الجوزية. ت: عبد الرحمن الوكيل. مط دار الكتب الحديثة. ج1 ص17. وانظر التفسير والمفسرون للذهبي: ج1 ص36.

(2) منهج أهل السنة في التفسير القرآن الكريم. صبري المتولي. القاهرة: مط دار الثقافة والنشر والتوزيع، (1406هـ-1986م). ص69.

(3) انظر الإتقان: ج2 ص239.

(4) ضحى الإسلام. أحمد أمين. ط:10. بيروت: مط دار الكتاب العربي. ج2 ص137.

(5) البغوي الفراء لمحمد إبراهيم شريف: ص211.

اللّغة واختلاف الصحابة في فهم معاني القرآن

في القرآن الكريم آيات كثيرة محكمة واضحة المعنى، وهي التي تتعلق بأصول الدين والأحكام وخاصة منها الآيات المكية، وهذا النوع من الآيات يستطيع فهمه جمهور النّاس ولاسيما من كانوا عربا بسليقتهم. كما في القرآن آيات غامضة سميت « متشابهة » صعب فهمها، ولم يصل إلى فهمها إلاّ الخاصة. والصحابة على العموم أقدر على فهم القرآن الكريم من غيرهم، ومع هذا فقد اختلفوا في فهم آيات الذكر الحكيم، وهو أمر راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم. وذلك أنّهم كانوا يعرفون العربية على تفاوت بينهم وإن كانت العربية لغتهم، فمنهم من كان يعرف كثيرا من الأدب الجاهلي، ويعرف غريبه ويستعين بذلك في فهم مفردات القرآن، ومنهم من كان دون ذلك.

ومن ألفاظ القرآن الكريم مفتقر في بيانه إلى غيره، وذلك على حسب عادة العرب في خطابها، وعُرْف أهل اللّغة في بيانها، إذ لم يكن كل خطاب العرب جليًّا بيّنًا مستغنيا عن بيان وتفسير من غيره. فالقرآن لم يكن في متناول الفهم العربي على مستوى شامل بحيث يستطيع العرب أن يفهموه إجمالا وتفصيلا بمجرد سماعه، لأن نزوله بلغة العرب لا يقتضي أن يفهمه جميع العرب في مفرداته وتراكيبه، إذ ليس كل كتاب مؤلف بلغة يستطيع أهل اللّغة أن يفهموه لأن الفهم لا يتوقف على معرفة اللّغة وحدها، وإنّما يتطلب درجة عقلية خاصة، ومستوى معينا من المعرفة يتناسب مع محتويات الكتاب، ولم تكن لجميع العرب هذه الطاقة.

والقول بأن الصحّابة كانوا يفهمون القرآن بمقياس واحد فيه تعميم واسع وإلغاء للفوارق الفردية وغير مطابق للواقع، ومن هنا كان رأي ابن خلدون (المولد سنة 732هـ) فيه مبالغة حينما اعتبر العرب جميعا يفهمون تركيب القرآن ومعانيه لأنه بلغتهم نزل، يقول في مقدمته: « أعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه»[1].

والذي عليه المحققون أن القرآن وإن نزل بلغة العرب فإن هذه اللّغة لا يستوي في فهمها جميع العرب. وذلك ما قرره ابن قتيبة (270هـ) حينما قال:« إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابه، بل أن بعضها يفضل في ذلك على بعض والدليل عليه قول الله عز وجلّ:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[آل عمران 7] ونحن نذهب إلى أن الراسخين في العلم يعلمونه على ما بيّنّا فأعلمنا عز وجلّ أن من القرآن مالا يعلمه من العرب إلاّ من رسخ في العلم»[2].

---

(1) مقدمة ابن خلدون. ط:5. بيروت: مط دار الرائد العربي، (1402هـ-1982م). ص438.
(2) البغوي الفراء: ص179. التفسير والمفسرون للذهبي :ج2 ص36 نقلا عن المسائل والأجوبة رقم:4.

وأخبار الصحابة تُنبئنا بتفاوت درجات فهمهم لمعاني القرآن، وأكثر من هذا « أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على الصحابة، ولا ضير في هذا، فإن اللّغة لا يحيط بها إلاّ المعصوم »[1]. قال الإمام الشافعي(204هـ) في الرسالة: « لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه »[2]. ويشهد لما أوردناه أن عمر رضي الله عنه قال: « يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تَأْتِينَا بِكَلَامٍ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ وَمَا نَعْرِفُهُ وَلَنَحْنُ العَرَبُ حَقًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ رَبِّي عَلَّمَنِي فَتَعَلَّمْتُ، وَأَدَّبَنِي فَتَأَدَّبْتُ »[3].

ومن أمثلة هذا التفاوت في فهم المعاني اللّغوية ما أخرجه أبو عبيدة(210هـ) عن ابن عبّاس قال: « كنت لا أدري ما ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[4] حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها. والآخر يقول: أنا ابْتَدَأْتُها »[5].

وروي عنه أيضًا أنّه قال:« مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا قَوْلُهُ ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف 88] حتّى سَمعتُ قول بنت ذي يَزَن: تَعَال أُفَاتِحْكَ، تريد: أُخَاصِمُكَ »[6].
وروي عنه أيضا قوله: « لاَ أَعْرِفُ ' حَنَانًا '[7] وَلاَ 'غِسْلِين'[8] وَلاَ 'الرَّقِيم'[9] »[10].

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي :ج1 ص34. وانظر الصاحبي لابن فارس: ص349.
(2) الرسالة. محمد بن إدريس الشافعي. ت: أحمد محمد شاكر. مط دار الفكر، (1309هـ). ج1 ص42.
(3) البرهان في علوم القرآن. بدر الدين الزركشي. ت: أبو الفضل إبراهيم. ط:2. بيروت: مط دار الفكر. ج1 ص284
(4) وردت في: الأنعام: 15، يوسف: 101، إبراهيم: 13، فاطر: 1، الزمر: 43، الشورى: 09.
(5) الإتقان في علوم القرآن : ج1 ص149. انظر لسان العرب. ابن منظور. ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. مط دار المعارف. ج5 ص3433.
(6) الإتقان في علوم القرآن : ج1 ص150.
(7) في قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾[مريم 12]. وهي تعبير عن الرحمة. انظر مفردات غريب القرآن. الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني. ت: محمد خليل عيتاني. ط:1. بيروت: مط دار المعرفة، (1418هـ-1998م). ص140. مختار الصحاح. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. صححه: أحمد شمس الدين. ط:1. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1415هـ-1994م). ص200.
(8) في قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[الحاقة 35-36]. « الغسلين: غسالة أبدان الكفار في النار ». تفسير مفردات القرآن للراغب: ص631. انظر مختار الصحاح: ص566.
(9) في قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف 9]. و«الرقيم: قيل اسم مكان، وقيل نسبوا إلى حجر رُقم فيه أسماؤهم» مفردات الراغب: ص207. انظر تفسير غريب القرآن. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ت: السيد أحمد صقر. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1398هـ-1978م). ص263
(10) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ج2 ص175.

وروي عن أبي هريرة أنّه لم يكن يعرف كلمة 'المُدْيَة' اسم للسكين، وأنّه لم يسمع لفظ 'السكين' إلاّ من النّبي ﷺ.[1]

وأورد الشاطبي (790هـ) في كتابه «الموافقات»[2] عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه سأل عن معنى 'الأب' في قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[عبس 31]،وعن معنى التخوف في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾[النحل 47].وعلى مستوى الجماعة أولئك الصحابة ﷺ الذين لم يفهموا مدلول 'الظُلم' في إحدى الآيات حتى بينه المصطفى ﷺ: « وَإِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُون...»[3] فإذا كان عمر وابن عباس وهما من الخاصة والعلماء المقربين من المنهل النبوي تغيب عنهما معاني بعض المفردات، فكيف شأن غيرهما من الصحابة.!

غير أن هذا التفاوت في إدراك مرامي القرآن ليس بقادح في أذهان الصحابة وصحة فهمهم للقرآن، لأنه تفاوت في العلم بلغة العرب ودلالات ألفاظ القرآن، وإلا فهم في مرتبة لا تُدرك من الفهم لغرض الشارع. ويذكر الزركشي في محاولة للتوفيق بين فصاحة الصحابة وعلمهم باللّغة من ناحية، وبين عدم معرفتهم بمثل هذه الألفاظ والاستخدامات من ناحية أخرى، أنهم: « كانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فإنّما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر »[4].

فالتّفسير بمعنى إدراك حقيقة معنى الآية وغرض المولى عزّ وجلّ لا يتوقف في رأي العارفين على اللّغة فقط بقدر ما يرتبط-في المعنى الإلهي-بالتقوى الذي منبعه نور الإيمان، لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[البقرة 281] ولقوله ﷺ: « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »[5] فلا أنفع ولا أشرف من العلم المشار إليه، وبأكثره فاز الصحابة ﷺ .

وأما ما يرتبط بمعاني المفردات القرآنية فذاك مما عناه العلماء من لفظة « التفاوت »،لتفاوت الصاحبة في القوة العقلية وفي المدارك الثقافية المتوفرة عصرئذ والتفاوت في علم مفردات اللّغة ومعانيها[6]. ولذلك طفت على تفسيرات الصحابة ظاهرة الاختلاف وتعدد الآراء حتى في اللفظة

---

(1) مقدمتان في علوم القرآن: ص222.
(2) الموافقات في أصول الشريعة. أبو إسحاق الشاطبي. ت: محمد عبد الله دراز، مط دار الفكر العربي. ج2 ص88.
(3) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم: 3589 عن عبد الله بن مسعود، وبمعناه رواه البخاري وغيره.
(4) البرهان: ج1 ص14.
(5) الإتقان للسيوطي: ج2 ص232، والحديث رواه أبو نعيم في الحلية من رواية أنس.
(6) التفسير والمفسرون للذهبي : ج1 ص59.

الواحدة، وقد تنسب إلى صحابي واحد بعينه أقوال مختلفة في دلالة بعض المفردات إلى حدّ « يمكن استخلاص أنه لا يوجد تفسير مأثور موحد للقرآن »[1] إلاّ أن هذا الاختلاف ليس بالضرورة يراد به التضاد، وإنّما هو اختلاف تنوع كما يشير لذلك الدارسون، ذكره ابن تيمية (728هـ) في رسالته « مقدمة أصول التّفسير » حين قال: « وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين »[2].

على أن عنصر اللّغة يعد على مدى هذه المرحلة من أهم عوامل اختلاف الصحابة في التّفسير، ومن أكبر صوره أن يكون اللفظ محتملا لمعنيين أو معاني، وهذا يقع من وجهين :

الأول : أن يكون اللفظ مشتركا في اللّغة[3]، بمعنى أن اللفظة بحكم الوضع اللّغوي تستعمل في معنيين مختلفين، فيأتي مفسر من السلف ويشير إلى أحد المعنيين، ويأتي آخر، ويشير إلى المعنى الآخر، وكلا التّفسيرين محتمل وصحيح، ولا يضاد كل منهما الآخر. مثل لفظة 'قَسْوَرَة' [المدثر 51] التي يراد بها الرّامي[4]، ويُراد بها الأسد[5]. ولفظة 'عَسْعَسَ' [التكوير17] التي يُراد بها إقبال الليل، ويراد بها إدباره[6]. « قال علماء الأصول إن لفظة 'عسعس' تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الإشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما »[7] .

الثاني : أن يكون اللفظ عاما يتضمن معاني كثيرة، فيذكر المفسر معنى واحد، ويذكر مفسر آخر معنى آخر[8] مثل لفظة 'الفجر' في قوله تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[الفجر 01-02] فقد قال:« ابن عباس وابن الزبير 'الفجر' انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم. وفي قول آخر عن ابن عباس 'الفجر' هو النّهار كله، وفي قول قتادة عن ابن عباس: 'الفجر' هو فجر أول يوم من محرم منه تنفجر السّنة[9]».

---

(1) مذاهب التفسير الإسلامي. جول أجنتس تسهير. تعريب عبد الحليم النجار. ط:2. بيروت: مط إقرأ، (1406هـ-1983م)، ص104. انظر البرهان للزركشي: ج1 ص15.
(2) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية : ص54.
(3) المصدر نفسه: ص49.
(4) الجامع لأحكام القرآن: ج19 ص89.
(5) قال الراغب ص404 :« قيل هو الأسد، وقيل الرامي وقيل الصائد». انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص498.
(6) الجامع لأحكام القرآن: ج19 ص238. انظر: مفردات الراغب ص337. تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع التبيان الحديث. سميح عاطف الزين. ط:2. بيروت: دار الكتاب اللبناني، (1404هـ-1984م). ص587.
(7) تفسير ابن كثير: ج4 ص480.
(8) مقدمة في أصول التفسير: ص38. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي البغدادي. بيروت: مط دار إحياء التراث العربي. ج1 ص5.
(9) الجامع لأحكام القرآن: ج20 ص38. قال الراغب في مفرداته ص375: « الفجر: شق الشيء شقا واسعا...ومنه قيل للصبح فجر لكونه فجر الليل.»

المسلك اللغوي في تفاسير الصحابة

كان الصحابة ينهجون في تفسير ما لم يفسره لهم رسول الله ﷺ طريق لغتهم العربية التي بها نزل القرآن الكريم، وسندهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف 02]، ومثل معنى هذه الآية موزع في تسع مواضع من القرآن[1] وتنبه جميعها إلى إشارات كثيرة ودلالات عدة، منها: أن عربية المجتمع العربي زمن النبي ﷺ هي أرقى ما يتوصل إليه ناطق بالعربية، لخطاب الله تعالى فيما سبق من الآيات، فقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾أي أنتم العرب أدرى النّاس بمكانة عربيته، وأنها تفوق عربية البشر وأنكم أول من يدرك هذه الحقيقة لعروبتكم، ثم يعقب المولى عز وجلّ بـ « لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون » قال ابن كثير (774هـ): « وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب، بأشرف اللغات »[2] ومصداق ذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم 5]،وجاءت صفة مبين نعتا للسان العربي والقرآن والكتاب والرّسول اثني عشر مرة في القرآن الكريم. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[مريم 97] وقوله: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[فصلت 03]، فهذه شهادة من الله العليم للصحابة العرب بتفوقهم وعلو كعبهم ومقامهم في لغة العرب.

وثاني ما تنبه إليه من أمور: أن العربية منهج تفسيري عام يستعمل لتفسير القرآن وإدراك معاني الآيات،ووسيلة الصحابة والمجتمع العربي في التّفسير والتأويل وفهم الخطاب .

روى الإمام الطبري (310هـ) في مقدمة تفسيره عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ: حَلاَلٌ وَحَرَامٌ، لاَ يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالجَهَالَةِ بِهِ، وَتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُهُ العَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُهُ العُلَمَاءُ، وَمُتَشَابِهٌ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ، وَمَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللهِ فَهُوَ كَاذِبٌ »[3].

قال الإمام الطبري: « وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم بلسان الذي نزل به القرآن، وذلك إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة ... والموصفات بصفاتها الخاصة، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيئاتها، التي خصّ الله بعلمها نبيه ﷺ، فلا يدرك علمه إلا ببيانه»[4].

---

(1) في: الرعد 38، النحل 103، طه 110، الشعراء 195، الزمر 27، فصلت 2و43، الشورى 5، الزخرف 2.
(2) تفسير ابن كثير: ج2 ص467.
(3) تفسير بن جرير الطبري : ج1 ص34.
(4) المصدر نفسه : ج1 ص34.

وروي عن عبد الله بن عباس أنّه قال : « التّفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله »[1]. قال الإمام السيوطي نقلاً عن الزركشي: « هذا تقسيم صحيح، فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك اللّغة والإعراب»[2].

فجعل ابن عباس رضي الله عنه التّفسير على مقتضى لغة العرب اتجاها خاصا، ومنهجا قائما في التّفسير، فنراه يعتمد الطريقة اللّغوية في تفسيره، إذ يرجع في فهم كثير من الألفاظ القرآنية وتأويل النصوص إلى الشعر الجاهلي. وقد كان غيره من الصحابة يسلك هذا المسلك في فهم غريب القرآن، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم ليستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية واستخلاص المدلول اللّغوي من سياق الآية. روى البيهقي(457هـ) عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال:« قلت لعائشة، زوج النّبي ﷺ، وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة 158]. فلا أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما؟. فقالت عائشة: كلاّ، لو كانت كما تقول، كانت: فلا جُناحَ عليه أن لا يطوف بهما»[3].

ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال: « لأن أقرأ فأسقط أحب إليّ أن أقرأ فألحن »[4]. وأخرج ابن الأنباري عن أبي بكر الصديق قال:« لأن أعرب آية من القرآن أحب إليّ من أن أحفظ آية».

وأخرج أيضا عن عبد الله بن بريدة عن رجل من أصحاب النّبي ﷺ قال : « لو أنّي أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت»[5]. ويقول أيضا: « تعلّموا إعراب القرآن كما تتعلّمون حفظه »[6]. وحفظ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: « عليكم بديوانكم لا تضلّوا، قالوا: وما ديواننا ؟ قال : شعر العرب، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم »[7].

---

(1) جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري : ج1 ص34.
(2) الإتقان : ج2 ص233.
(3) مقدمتان في علوم القرآن : ص203.
(4) كتاب الأمالي. أبو علي القالي. ت: لجنة إحياء التراث العربي. ط:2. مط دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، (1407هـ-1987م). ص5. العقد الفريد. أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي. ت: أحمد أمين، إبراهيم الأبياري. مط دار الكتاب العربي، (1303هـ-1983م). ج2 ص479.
(5) الإتقان: ج2 ص224.
(6) إعراب القرآن. أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس. ت: زهير غازي زاهر. ط:3. بيروت: مط علم الكتب، (1409هـ-1988م). ج1 ص166.
(7) المحرر الوجيز لابن عطية: ج1 ص11. الموافقات للشاطبي: ج2 ص88 بلفظ قريب.

وهو القائل أيضا: « الشِّعْرُ عِلْمُ قَومٍ لَمْ يَكُن لهُم علم أعْلَمُ منْهُ »[1] ويقول ﷺ أيضا: « تَعَلَّمُوا الفَرَائِضَ والسُّنَنَ واللَّحْنَ كَمَا تَعَلَّمُوا القُرْآنَ »[2]. وأورد ابن قتيبة شرح ما قاله عمر فقال: « اللحن هاهنا: اللّغة، يقول تعلموا اللّغة، يعني الغريب والنحو، كما تتعلمون القرآن ، لأن في اللّغة علم غريب القرآن ومعانيه، ومعاني الحديث والسّنة، ومن لم يعرف اللّغة لم يعرف أكثر كتاب الله ولم يُقمه، ولم يعرف أكثر السنن »[3]. وقال عمر ﷺ: « مَن قَرَأَ القُرْآنَ فَأعْرَبَهُ كَان لَهُ عِنْدَ اللهِ أجْرُ شَهِيد »[4]. وقال أبو بكر وعمر رضيَ الله عنهما: « لبَعضُ إعْرَابِ القرْآنِ أحبُّ إلَينَا منْ حِفْظِ حُرُوفِهِ »[5]. وعن عبد الله بن مسعود قال : « جَوِّدُوا القُرْآنَ وَزَيِّنُوهُ بِأحْسَنِ الأصْوَاتِ، وَأعْرِبُوهُ فَإنَّهُ عَرَبِيٌّ، واللهُ يُحِبُّ أنْ يُعْرَبَ بِهِ »[6]. وعن مجاهد عن ابن عمر قال: « أعْرِبُوا القُرْآن »[7]. وقال مكحول[8] (112هـ): « بلغني أن من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب »[9] .

قال ابن الأنباري: « وجاء عن أصحاب النّبي ﷺ وتابعيهم رضوان الله عليهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللّغة والشعر »[10] .

وغير هذه الروايات كثير، يحث فيها الصحابة على التمكن من الإعراب، ويريدون به الإبانة وتوضيح وفهم الغريب وإدراك واستيعاب مدلول الألفاظ وسياق العبارات القرآنية، لما لذلك من أثر شديد على فكر الفرد والمجتمع المسلم.

وعن صحة هذا المنهج اللّغوي التّفسيري الذي دعا إليه الصحابة يقول الإمام الزركشي (794هـ) في البرهان: « أعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد...

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. ت: محمد محي الدين عبد الحميد. ط:5. بيروت: مط دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة. ص27.

(2) الأمالي للقالي: ص5. العقد الفريد : ج2 ص479. طبقات اللحويين واللغويين. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: مط المعارف. ص4.

(3) غريب الحديث. ابن قتيبة. ت: عبد الله الجبوري. ط:1. بغداد: مط العاني، (1397هـ-1977م). ج2 ص64.

(4)(5)(6) (7)الجامع لأحكام القرآن: ج1 ص23.

(8) « هو زبير بن شاذل بن سند بن شروان بن كسرى من سبي كابل... قال الزهري: العلماء ثلاثة فذكر منهم مكحول. وقال أبو حاتم الرازي: ما أعلم بالشام أفقه من مكحول.» تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي. ت: عمر عبد السلام تدمري. ط:1. بيروت: الناشر دار الكتاب العربي، (1410هـ-1990م). ج7 ص479.

(9) جامع لأحكام القرآن : ج1 ص23.

(10) المصدر نفسه : ج1 ص24.

والثاني ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللّغة فهم أهل لسان فلا شك في اعتماده»[1].

إن عبارة الزركشي رحمه الله تدل دلالة واضحة على سلامة مسلك الصحابة في التّفسير القائم على اللّغة وهو نوع من أنواع الاجتهاد والنظر، وبهذا يكون صحابة رسول الله ﷺ هم أول من استعمل الرأي في التّفسير وفتح باب الاجتهاد المصبوغ بالطابع اللّغوي.

إن اللسان العربي وفنونه في تلك الفترة هو المظهر العلمي والميزان الفكري الأرقى الذي يمكن أن تنفذ منه عقول الدارسين والباحثين من الصحابة وتتحرك، على حسب مقدرة كل منها. وما اختلافهم في الفهم إلا نتيجة لهذا الاجتهاد الدائر أغلبه في حدود اللّغة بمفهومها العام، وقد كان أول نتائج هذا الاجتهاد أن « اختلفوا في معاني الآيات خلافهم في معاني الألفاظ »[2].

وهذا ما نكاد نلمسه في كل صفحة من صفحات تفسير ابن جرير الطبري مثلا .

نماذج من التّفسير اللّغوي في عهد الصحابة

وفي تفسير الصحابة رضوان الله عليهم نجد بذور التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم تنمو في تؤدة على يد من عرفوا أن القرآن قد نزل بلغة العرب، وأن أوجهه في القول لا تختلف عن أوجههم وإن ارتقت عنها. وقد ألِف بعض الكاتبين في تاريخ التّفسير اللّغوي أن يجعلوا ابن عباس صاحب الرأي الخاص بتفسير القرآن تفسيرا لغويا يرجع فيه إلى شعر العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب. والحق أن ابن عباس أظهر من اشتهر بذلك لأقوال صدرت عنه وتطبيقات كثيرة لهذه الأقوال كما سنفيض في بعضه، ولكن الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول من استنّ ذلك، ثم تبلورت الفكرة وترعرعت وأخذت شكلا مدرسيا على يد حبر هذه الأمة وتُرجُمانها سيدنا عبد الله بن عباس رضيّ الله عنهما.

ومن خلال عرضنا لمنهج الصحابيين كنموذجين للتفسير اللّغوي في هذه المرحلة يتبين جليا مدى اعتماد الصحابة على اللّغة كمنهج مصدري في التّفسير[3].

---

(1) البرهان في علوم القرآن : ج2 ص172.
(2) فجر الإسلام. أحمد أمين. ط:10. بيروت: مط دار الكتاب العربي، 1969م. ص200.
(3) إخترت هذين المثالين للإلمام بجميع خصائص التفسير اللغوي في هذه المرحلة التي تمتد عبر العهد الراشدي، وتتداخل في خواتمها مع العهد التابعي، فالخليفة عمر يمثل طبقة الصحابة الكبار وهم المحافظون على المنهج النبوي في تعاملهم مع القرآن. وابن عباس يمثل طبقة صغار الصحابة الذين عايشوا أطوار الدولة الإسلامية وخاضوا غمار التأويل، ومارسوا الرأي لمعالجة ماستشكل من المتاشبه في القرآن، وسلموا أمانة هذا التفسير لجيل التابعين.

أولا : الإتجاه اللغوي في تفسيرات عمر بن الخطاب ﷺ :

أبدى عمر بن الخطاب ﷺ اهتماما واضحا بالشعر، وأثرت عنه أقوال كثيرة ومواقف متعددة تتصل بهذا الفن الأدبي العريق. ويبدو أن اهتمام الخليفة الفاروق بالشعر راجع إلى أنه بطبيعته محب له، مفطور على الفصاحة والتأثر بالقول الجميل، وهو شديد المعرفة به، والبصر بشأنه، والعناية بروايته، وهو يحرص على الاستشهاد به، وتوظيفه في كثير مما يعرض له من شؤون الحياة، بل فيه ملكة الشعر، وقد جاشت نفسه به أحيانا. حكى ابن رشيق(456هـ) عنه وقد دخل كعب الأحبار عليه، وقال له: أعهد يا أمير المؤمنين، فإنك ميت بعد ثلاث فقال عمر:

تَوَعَّدَنِي كَعْبٌ ثَلاَثًا يَعُدُّهَا ۞ وَلاَ شَكَّ أَنَّ القَوْلَ مَا قَالَ لي كَعْبُ

وَمَا بِي خَوْفُ المَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ ۞ وَلَكِنْ خَوْفُ الذَّنْبِ يَتْبَعُهُ الذَّنْبُ[1]

بل كان عمر فوق ذلك ناقدا فذا، قال ابن رشيق: « كان من أنقد أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه بصيرة »[2].

ولكثرة الأغراض التي يمكن أن يؤديها الشعر النّبيل، وأن يأرب بتحقيقها، ندرك سبب الحرص الدائب في أقوال عمر ومواقفه على تعلم الشعر وروايته، وعلى حفظه والتمثل به، وعلى حث القوم أن يولوه الاهتمام والرعاية. كتب إلى أبي موسى الأشعري « مُرْ مَنْ قِبَلَكَ بِتَعَلُّمِ الشِعْرِ »[3] .

ويظهر حرص عمر ﷺ على الشعر الجاهلي شديدا، لما لذلك من صلة بكتاب الله عز وجلّ. وقد أدرك الخليفة شدة الترابط بين الشعر كتاب العرب، وبين القرآن الكريم كتاب الله. وهو بحكم معرفته بالشعر الجاهلي وبلغة العرب وبطبيعة عربية القرآن قال عبارته المشهورة في شعر العرب: « عَلَيْكُمْ بِدِيوَانِكُمْ لاَ تَضِلُّوا »، فقال له سامعوه : وما دِيوَاننَا ؟ قال :« شِعْرُ الجَاهِلِيَةِ فَإِنَّ فِيهِ تَفْسِيرُ كِتَابِكُمْ»[4].

هذه أول إشارة صريحة تحمل صلاحية ومشروعية التّفسير لكتاب الله من جهة الشعر الجاهلي، لكونه كتاب علوم العرب وجامع لغاتها وحامل شتى معاني كلامها. ولم يكن عمر يكتفي بالتصريح بهذا الأمر الجلل دون أن يسبق المسلمين بالعمل، فقد حفظ الدارسون من الأمثلة في هذا الباب رواية أوردها

---

(1) العمدة : ج1 ص34. وانظر ثمّ لماذج أخرى من شعر عمر أو مما ينسب إليه.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص34.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص28.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج10 ص111.

الشاطبي في كتابه « الموافقات » ذكر فيها عمر بن الخطاب وهو يخطب على منبره وقد سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾[النحل 47] فقال رجل من هذيل:« التَّخَوُّفُ عندنا التَنَقُّص ». ثم أنشده:

تَخَوَّفُ الرَّجُلِ مِنْهَا تَـامِكًا قَرِدًا ۞ كَمَا تَخَوَّفَ عُـودُ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[1]

فقال عمر:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَمَسَّكُوا بِدِيوَانِ شِعْرِكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ تَفْسِيرُ كِتَابِكُمْ»[2].

فهذه أشهر الروايات وأشدها لصوقا بمنشأ فكرة البحث اللّغوي عند الخليفة عمر، لا سيما عبارته الأخيرة التي وجه فيها أصحابه إلى الاستعانة على فهم القرآن بالشعر ديوان علمهم وفنونهم وآدابهم.

كما ساق الباحثون روايات أخرى مأثورة عن عمر وهو يمارس هذا المنهج منها ما أخرجه ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال:« الطَّاغُوتُ: الشَيطانُ »[3] وهذا من تفسير عمر للكلمة الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوت ﴾[البقرة 256]. كما أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عمر رضي الله عنه: « الجِبْتُ: السِّحْرُ [4]، الطَّاغُوتُ: الشَيْطانُ »[5] في قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾[النساء 50]. وفسر كلمة "الأزواج" في قوله تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾[الصافات 22]: الأصناف، قاله قتادة رضي الله عنه (117هـ)[6]. وروى الطبري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: أَزْوَاجُهُمْ: ضُرَبَاءَهُمْ[7].

---

(1) التامك: السنام، والقردُ: الذي تجعد شعره فكأنه وقاية للسنام، والنبع: شجر للسقي والسهام، والسفن: كل ما ينحت به غيره والبيت بمعنى أن رجل الناقة أخذ من سنامها المتلبد تنقص منه كما يأخذ المبرد وينقص من العود بمعنى أزال بعضه.

(2) الموفقات للشاطبي:ج2 ص88. وأورد القرطبي القصة بلفظ مقارب انظر الجامع لأحكام القرآن: ج10 ص111.

(3) انظر مختار الصحاح: ص473، وقال الراغب في مفرداته ص308: « والطاغوت عبارة عن كل متعدٍ من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع ».

(4) انظر مختار الصحاح: ص118.

(5) تفسيرابن كثير: ج1 ص513. التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب. ابن الحسن ابراهيم. مط دار العربية للكتاب-المؤسسة الوطنية للكتاب، (1985م). ص24.

(6) تفسير التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. تونس: مط الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب. ج(22-23-24) ص99 .

(7) تفسير الطبري : ج23 ص47. وانظر اللسان : ج3 ص1886.

ومن أمثلة تفوق عمر بن الخطاب واعتماده على لغة الإعراب لتصحيح وجه القراءة القرآنية انطلاقا من معرفته الواسعة بمدلولات الألفاظ، ما روي عنه حول قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[الأنعام 125]. فقد أخرج ابن جرير عن أبي الصلت الثقفي. أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ بنصب الراء[1]، وقرأها بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ ' حَرِجًا' بالخفض. فقال عمر: أبغوا لي رجلا من كنانة واجعلوه راعيا، ولكن مدلجيًا. فأتوه به فقال له عمر: يا فتى ما الحَرَجَة فيكم؟ قال: الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية، ولا وحشية، ولا شيء[2]. فقال عمر: « كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير »[3].

فقد دلت هذه الأخبار على مكانة عمر من علم العربية ولهجاتها، وعلى ذلك التوجه اللّغوي المبكر الذي شكل بجانب تلك الإشارات النبوية أولى بذور البحث اللّغوي في القرآن الحكيم. كما تنبئنا هذه الروايات بسلامة نتائج هذا المنهج التّفسيري الذي مارسه عمر، لإقرار الصحابة لحجته ولطريقته اللّغوية في الاستدلال وكأنه إجماع على هذا النوع من التّفسير.

ولعل أهم ما يلفت نظر الدارس إليه وهو يسْرح بفكره في ثنايا هذه الروايات، تعيين الخليفة عمر لمصدر جديد للتفسير بجانب النقول والآثار، وهو ديوان العرب شعرا ونثرا ؛ الذي يجب العودة إليه والاستفادة منه عند كل لفظ غريب أو معنى مشكل أو أسلوب غير معهود لم تشر إليه النقول أو أهملته الآثار. إن هذه الإشارة لم يكن لينتبه لها، أو يجهر بها من الصحابة سوى عبقري الإسلام عمر، وقد جزم بقوله شأن العالم المتمرس، فجعل الديوان الجاهلي من مصادر تفسير كتاب الله، وكأنه يفتح لمن حوله بابا شديد الإغلاق سينتهي بالإسلام لو ظل مغلقا إلى ما انتهت إليه غيره من الديانات،ذلك باب الرأي والاجتهاد من طريق كتاب العرب وفي مقدمته لغتهم. إلا أن بجانب هذه الروايات خبرا قد يفسر سلامة الاستنتاج، أورده المفسرون في كتبهم حيث امتنع فيه الخليفة عمر عن النظر والبحث عندما ابتغت نفسه معرفة معنى لغوي لكلمة في القرآن، وذلك حين قرأ قوله

---

(1)« واختلفوا في فتح الراء وكسرها من قوله'حَرِجًا' فقرأ ابن كثير وابن عمر وابن عامر وحمزة والكسائي'حَرَجًا' مفتوحة الراء. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر 'حَرِجًا' مكسورة الراء، وروى حفص عن عاصم 'حَرَجًا' مثل أبي عمرو» كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد. ت: أحمد صقر. ط:2. القاهرة: مط دار التراث. ص268.

(2) انظر اللسان : ج2 ص822.

(3) مقدمتان في علوم القرآن، المقدمة الأولى : ص187 بلفظ مقارب. التفسير بالمأثور عن عمر بن الخطاب لابن الحسن ابراهيم : ص25.

تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾[عبس 31] فقال: « كل هذا قد عرفنا، فما الأبُّ؟ ».ثم رفض عصا كانت بيده -أي كسرها- غضبا على نفسه فقال: « هَذَا لَعَمْرُ اللهِ التَكَلُّف، وَمَا عَلَيْكَ يَا ابْنَ أُمِّ عُمَرْ أَنْ لاَ تَدْرِي مَا الأَبُّ ».ثم قال : « اتَّبِعُوا مَا تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ هَذَا الكِتَابِ وَمَا لاَ فَدَعُوهُ »[1].

وعقّب ابن كثير في تفسيره على موقف عمر والخليفة أبي بكر الذي سبق عمر بذلك، قائلا: « وهذا كله محمول على أنهما رضيّ الله عنهما إنّما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلاّ فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل »[2].

وقد أول الزمخشري(527هـ) حادثة عمر بقوله: « فإن قلت: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته قلت: لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كان أكبر همتهم عاكفة على العمل، وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علم فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعا له أو لأنعامه، فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله »[3].

كما أورد الشاطبي روايتين من هذه الروايات، ولمّح إلى قصة تأديب عمر لصبيع لسؤاله عن المرسلات، ثم عقب بقوله: « وظاهر من هذا كله أنه إنّما نهى عنه لأن المعنى التركيبي معلوم على الجملة، ولا ينبني على فهم هذه الآية حكم تكليفي، فرأي الإشتغال به عن غيره مما هو أهم منه تكلف ».ثم قال : « فلو كان فهم اللفظ الإفرادي يتوقف عليه فهم تركيبي لم يكن تكلفا بل هو مضطر إليه، كما روي عن عمر نفسه في قوله تعالى﴿ أَوْيَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ ...»[4] القصة. ثم انتهى بقوله: « فإذا كان الأمر هكذا فاللازم الاعتناء بفهم معنى الخطاب، لأنه المقصود والمراد، وعليه ينبني الخطاب ابتداء »[5] وقال الزركشي في البرهان : « ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين : أحدهما أن يكون خفي عليه معناه، وإن شهر كما خفي على ابن عباس معنى ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ ﴾[الأنعام 15] والثاني تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لا يعلم »[6] .

---

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل وعريب الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله الزمخشري. بيروت: مط دار الفكر. ج4 ص220. تفسير جزء عم. محمد عبده. الجزائر: دار الكتاب. 1982م. ص24.
(2) تفسير ابن كثير: ج1 ص6.
(3) الكشاف للزمخشري: ج4 ص220.
(4) الموافقات للشاطبي: ج2 ص87-88.
(5) المصدر نفسه: ج2 ص88.
(6) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص296.

وبهذه التأويلات الموفقة استطاع علماؤنا رفع اللبس والحرج عن طريقة عمر اللّغوية في التّفسير، والتي امتازت أساسا باعتمادها لديوان الشعر كمصدر مهم من مصادر هذا التّفسير .

ونخلص إلى أن منهج عمر اللّغوي في تعامله مع القرآن يمتاز بخاصيتين اثنتين :

الأولى: فهم الألفاظ القرآنية فهما عاما من خلال سياقها العام الذي وردت فيه، أو كما يسميه الشاطبي فهم المعنى التركيبي للنص دون اللجوء إلى البحث القاموسي لكل مفردة إذا بان المعنى العام واتضح، كفهمه للفظة 'الأب' على أنه نوع من النبات .

الثانية : البحث عن المعنى اللّغوي في دواوين العرب،فقد يخفى بخفاء لفظة ما المعنى العام ولا يسعف السياق في تحديد معناها فيسأل عن مدلولها من بين الدواوين،كما حدث عند سؤال عمر عن لفظة 'التخوف' التي توقف على فهم معناها اللّغوي فهم المعنى العام للآية.

وقد تلاحظ قلة التّفسيرات اللّغوية عند عمر ﷺ، ولعله شغل عن تطبيق هذا المنهج لضيق وقته وانشغاله بقضايا المسلمين ونواحي شريعتهم.إلا أن فكرة البحث اللّغوي في القرآن الكريم واردة عنده، لم تسعفها الأيام على النمو والظهور وظلت بذورا ملقاة[1] إلى أن قيض الله لها تلميذه عبد الله بن عباس فرعاها بعلمه إلى أن نمت وتحولت اتجاها واضح المعالم ، فصار ابن عباس في هذا العهد المبكر عميد المدرسة اللّغوية في التّفسير .

ثانيا : الإتجاه اللّغوي في تفسيرات عبد الله بن عباس ﷺ

قيمة ابن عباس في التّفسير

لقد حظي ابن عباس بشهرة في ميدان التّفسير القرآني لم يحظ بها غيره في عصره، وشهد له بذلك كبار صحابة رسول الله ﷺ، روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال:« نِعْمَ تُرجمَانُ القُرآن ابنُ عبَاس »![2] وقال الإمام على كرم اللّه وجهه يثني عليه في تفسيره:« كَأنّمَا يَنْظُرُ إلَى الغَيْبِ منْ سِتْرٍ رَقِيقٍ »![3] فابن عباس معجزة التّفسير وبحر العلم[4] وحبر هذه

---

(1) البغوي الفراء لمحمد ابراهيم شريف : ص202.

(2) تفسير الطبري: ج1 ص40. الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني. بيروت: مط دار الفكر بيروت، (1398هـ-1978م). ج2 ص332. الإتقان: ج2 ص240. والحديث من رواية الإمام البيهقي.

(3) التفسير والمفسرون للذهبي: ج1 ص69.

(4) البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. ت: عبد السلام محمد هارون. ط:4. بيروت: مط دار الفكر. ج1 ص331.الإتقان في علوم القرآن: ج2 ص240. التفسير والمفسرون للذهبي: ج1 ص65.

الأمة[1] ورئيس المفسرين[2] وسُمِّيَ على وجه التفضيل –ترجمان القرآن[3] – الذي باركه الرّسول ﷺ.

ولقد بلغ ابن عباس من مجد العلم مبلغا سارت بحديثه الركبان. فقد روى ابن عمر رضي الله عنه: « سَلْ ابْنَ عَبَّاس فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ »![4] وقال عبيد الله بن عتبة (98هـ) أحد الفقهاء السبعة: « كان ابن عباس قد فاتَ النّاس بِخِصَال: بِعلم ما سبقه، وفقه فيما احتِيج إليهِ من رأيهِ، وحِلْمٍ، وسَبَبِ تأويل، وما رأيتُ أحدًا أعلمَ بِمَا سَبَقَهُ من حَدِيثِ رسولِ الله ﷺ منه، ولا بقَضَاءِ أبي بكر وعُمَر وعُثْمَان منه، ولا أفقه رأي منهم ولاَ أعلَمَ بِشِعْرٍ ولا عَرَبِيةٍ ولا تفسير القرآنِ ولاَ بِحِسَابٍ ولاَ بِفَرِيضَةٍ ولاَ أثْقَبَ رأيًا فيمَا احتيج إليهِ مِنْهُ، ولقد كَانَ يجلسُ يومًا ولا يَذْكُرُ فيه إلا فِقْهًا، ويَوْمًا التأويلَ ويَوْمًا المَغَازِي ويَوْمًا الشِّعْرَ ويَوْمًا أيَامَ العَرَبِ، ولاَ رأيْتُ عَالِمًا قَطُّ جَلَسَ إِلَيْهِ إلاَّ أخْضَعَ لَهُ ومَا رأيْتُ سَائِلاً قَطُّ سَأَلَهُ إلاَّ وَجَدَ عِنْدَهُ عِلْمًا »![5]

ومن شدة إعجاب المستمعين بابن عباس يمدحه الشاعر ابن قيس[6] الرقيات (85هـ) ويذكره بمناقب المجد فيقول :

حِبْرُ اللهِ الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِعِلْمِهِ ۞ إِذَا عيَّ العُلَمَاءُ بِالبَيَانِ الصَّحِيحِ[7]

وكثيرا ما يرجع الصحابة والتابعون إلى ابن عباس لفهم ما أشكل عليهم من كتاب الله، فهذا عمر رضي الله عنه سأل النّاس عن هذه الآية يعني ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾[البقرة 265] فما وجد أحدا يشفيه، حتى قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئا، فتلفت إليه فقال: تحول هاهنا، لِمَ تحقر نفسك؟ قال: هذا مثال ضربه الله عز وجلّ فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السّعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2 ص370. الإتقان في علوم القرآن: ج2 ص240. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم.ابن مصطفى أحمد طاش كبرى زادة. ت: كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور. القاهرة: مط الكتب الحديثة. ج2 ص64.

(2) مفتاح السعادة لأحمد طاش كبرى زادة: ج2 ص64.

(3) من حديث عبد الله بن مسعود، وقد سبقت الإشارة إليه. انظر : مفتاح السعادة : ج2 ص64.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ج2 ص332.

(5) أسد الغابة في معرفة الصحابة. ابن الأثير. مط انتشارات اسماعيليات. ج2 ص193.

(6) « عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك من بني عامر بن لؤي: شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيما في المدينة وقد يلزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان، ثم الصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابن الزبير. وقصد الشام...فسأل عبد الملك في أمره، فأمده فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر » الأعلام، قاموس التراجم. خير الدين الزركلي. ط:7. بيروت: مط دار العلم للملايين، 1986م. ج4 ص196.

(7) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير : ص84.

إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء، فأفسد كلـــه، فحَرَقَهُ أحوج ما كان إليه»[1].

وعن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة أن عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة قال لابن عباس: « إنّها قدْ طَرَأتْ علينا أقْضية وَعضل فأنْتَ لهَا ولا مِثَالَهَا، ثُمّ يَأخذُ بقوله وَمَا كَانَ يَدْعُو لِذَلِكَ أحَدًا سِوَاهُ»[2].

واتسعت حصيلة ابن عباس في التّفسير حتى شملت الإشارات الخفية للآيات القرآنية، ومن ذلك سؤال عمر له مع الصحابة عن تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[النصر 1] فكان بجوابه المشهور قد أدهش الخليفة والسامعين، فبان لهم ابن عباس وهو يتناول مسائل التّفسير بمظهر الرجل الملهم الذي ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ... الأمر الذي جعل الصحابة يقدرونه ويثقون بتفسيره[3].

وعلى نهج الصحابة زكّى كبار التابعين وتابعيهم ابن عباس المفسر، وما زال تفسيره يلقى من المسلمين إعجابا وتقديرا إلى درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلى قول آخر ولو كان قول غيره من الصحابة. قال السيوطي نقلا عن الزركشي رحمه الله: « إذا تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النّبي ﷺ بشره بذلك حيث قال: اللّهُمَ عَلّمْهُ التّأويلَ »[4] .

وابن عباس أكثر الصحابة العشرة تفسيرا[5] رغم أنّه كان أقلهم ملازمة للنبي عليه الصلاة والسلام، ولكنه عوّض ذلك بملازمته لكبار الصحابة حتى تكامل له علم غزير، ومعرفة واسعة بكل ما أحاط بالدعوة الإسلامية من أحداث، وما ارتبطت به آيات القرآن من وقائع. وقد علق الفاضل بن عاشور بقوله: « وقد كان لسبق وفاة التسعة الأولين وقلة اختلاطهم بالناشئة الغالبة في عصر التابعين ما رفع منزلة آخر العشرة وأصغرهم وأبرز مقامه في جيل لم يجد النّاس فيه مفزعًا للحديث في التّفسير أتم اضطلاعا به منه، فلم يبق عند منتصف القرن الأول من الهجرة من بين الصحابة وغيرهم

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي: ج1 ص69-70.
(2) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير: ج3 ص193.
(3) التفسير والمفسرون للذهبي : ج1 ص70.
(4) الإتقان للسيوطي : ج2 ص235.
(5) وهم:« الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، والزبير، وزيد بن ثابت، وأبيّ، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس».
المصدر نفسه: ج2 ص139.

إلاّ مذعن لابن عباس، مسلم له بقدرته الموفقة، وموهبته العجيبة، وعلمه الواسع في تفسير القرآن »[1] فكان بذلك أجسر الصحابة على النصوص القرآنية تفسيرا وتأويلا، ولم يتردد من ذلك لأنه كان محاطا بنفحة إلهية، وإلهام رباني ألقاه الله في قلبه ببركة دعوة النّبي ﷺ له، قال ابْن عَبَّاس: « ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَقَالَ: « اللَّهمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَاب »[2]. حتى كان رضي الله عنه مدرسة في التّفسير وحده، لها معالمها ومقوماتها الخاصة التي انفرد بها .

منهج ابن عباس اللّغوي في التّفسير

إتخذت تفسيرات الصحابة جميعهم شكل الحديث من حيث الرواية والنقل، فكان المشتغلون بالتّفسير « رواة آثار جامعين ناقلين، لا مؤلفين ولا مجتهدين باحثين مدونين »[3] فالتّفسير والحديث يسيران في اتجاه واحد، حتى صح أن يعدّ التّفسير في هذه المرحلة من مسيرته فرعا خاصا من علم الحديث.بينما ابن عباس في تفسيره سلك طريق منهج جديد جمع فيه بين التّفسير بالمأثور، وبين التّفسير على مقتضى الفهم اللّغوي للمفردات والتراكيب التي صيغت بها النصوص القرآنية .

وصور ابن حجر (852هـ) في كتابه «الإصابة في معرفة الصحابة» معالم منهج ابن عباس أحسن تصوير، فقال: « كان ابن عباس إذا سئل، فإن كان في القرآن أخبر به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن قال برأيه »[4]!

فمنهج ابن عباس التّفسيري إذن ذو دعامتين، الأولى نقلية سمعية والثانية عقلية استنباطية تعتمد على فهم اللّغة وأسرارها ومقتضياتها[5]. والرأي عند ابن عباس له حدّه، فليس المراد منه القول بالرأي الشخصي الذي لا يستند إلى دليل، فقد عُرف عنه التحرج الشديد من ذلك، يقول ابن عباس: « إنّما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن قال بعد ذلك شيئا برأيه فما أدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته »[6]. ولذلك نراه يتوقف أحيانا عن تفسير بعض الآيات الغيبية، فقد سأل رجل ابن عباس عن معنى قوله

---

(1) التفسير ورجاله. محمد الفاضل بن عاشور. سلسلة مطبوعة من مجمع البحوث الإسلامية. ص27.
(2) أخرجه البخاري في كتاب العلم. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة. والترمذي في سننه. وابن ماجة في المقدمة. وابن سعد في طبقاته. وأحمد في مسنده .
(3) دراسات في التفسير وأصوله. محي الدين بلتاجي. ط:1. مط دار مكتبة الهلال، 1987م. ص 42-43.
(4) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ج2 ص333.
(5) إن إرجاع طائف من الباحثين لتفسيرات ابن عباس الاجتهادية إلى التفسير بالمأثور فيه كثير من الغموض، لأنهم يجعلون من تفسير الصحابي أحد أوجه التفسير الأثري، ولعل ما سأورده من أمثلة يفند كثيرا مما ورد عند هؤلاء إلا ما تعلق بالرواية عن الرسول ينقلها الصحابي مرفوعا.
(6) جامع بيان العلم وفضله. أبو عمر يوسف القرطبي بن عبد البر. بيروت: مط دار الكتب العلمية. ج2 ص26.

تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[السجدة 4] فقال له ابن عباس : فما ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[المعارج 3]؟ فقال له الرجل: إنّما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس: « هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما » فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم[1]. وروي أنه كان يكتم تفسير ما ذكر عن 'الروح' في قوله تعالى: ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[الإسراء 85].

إنّما الرأي الذي عليه ابن عباس، وجعله أساس منهجه هو الإجتهاد المسند إلى قواعد اللّغة وشواهد الأبيات. فالعنصر اللغوي عند ابن عباس قد شمل اللغة العربية بجميع عناصرها وأصولها، ومن هنا يمكن القول: « إن تفسير ابن عباس اتصل بعناصر زائدة على ما سبقه من عناصر في تفاسير الصحابة، فإذا أضفنا إلى العنصر اللّغوي عنده عنصر الأخبار ...أمكن أن نفهم كيف تلون التّفسير الأثري على يده، ودخلت فيه تفسيرات ترجع في أساسها إلى الفهم اللّغوي لألفاظ القرآن وأساليبه »[2] .

وعنصر الأخبار الذي ساقه ابن عباس وأشار إليه الباحثون لم يكن ليحتل مكانة في تفسيره ولا أهتم به الدارسون قدر اهتمامهم باجتهاداته اللّغوية، لأن آراءه اللّغوية ذات طبيعة علمية تحتكم إلى علم اللسان العربي على خلاف ما عليه واقع الأخبار. لذلك التفت هؤلاء الباحثون إلى دراسة طبيعة هذه الاجتهادات اللّغوية، التي أتاحتها له معرفته الكبيرة باللغة ولهجاتها، ولعل بعض الكاتبين في اتجاهات التّفسير القرآني يجعلون تفسير ابن عباس كله من باب التّفسير بالمأثور، وهو ما نقل عن رسول الله ﷺ وكبار صحابته، ولكنا نرى أقوال ابن عباس كثيرا منها تعتمد الشعر العربي في إيضاح المعنى اللّغوي، وكان يفسر الكلمات موضحا مصدرها العربي، وقد أشار الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله في كتابه التّفسير ورجاله إلى نحو من ذلك حين قال : « ومن الظاهر أن هذين العنصرين – يريد العنصر اللّغوي، وعنصر الأخبار– وإن وُجدا في بعض كلام ابن عباس لا يصح اعتباره من التّفسير بالمأثور، لأن مرجعهما إلى الفهم وإلى المعرفة العامة مما لا يجوز أن يكون محل خلاف مقبول من طرف من يفهم فهما غير الفهم الذي ارتضاه ابن عباس اعتمادا على شاهد غير الذي اعتمد عليه، أو جنوحا إلى تخريج التركيب على غير ما خرجه عليه »[3] .

---

(1) تفسير ابن كثير: ج1 ص6.
(2) البغوي الفراء لمحمد إبراهيم شريف : ص203.
(3) التفسير ورجاله: ص17.

وابن عباس حفظ غريب العربية وتعمق في خصائصها وآدابها وأدرك طرق أساليبها.فاجتمعت له حصيلة وافرة من مفرداتها، وحِسٌ لغوي دقيق، وتذوق مرهف للشعر العربي الذي كان راوية حافظا له، والذي اتخذه ركيزة أساسية لفهم النص القرآني، فطالما استشهد في تفسيره بالشعر العربي يستخرج منه محل الشاهد في الاستخدام القرآني.

روى سعيد بن جبير(92هـ) ويوسف بن مهران(103هـ)[1] أنهما قالا : « سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا »[2] بل بيّن ابن عباس بوضوح منهجه في التعامل مع ما خفي من ألفاظ القرآن،وما استشكل من طرق التعبير بقوله فيما رواه أبو بكر بن الأنباري عنه: « الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه »[3] أما محاولته نشر فكرته فكثيرا ما تناقلها الرواة عنه، ودعوته لغيره سلوك طريق البحث والنظر في شعر العرب لاستخراج تفسير غريب القرآن ومشكله، روى الطبري قول ابن عباس: « إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي »[4] وجاء في الإتقان: « قال ابن عباس: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب. قال أبو عبيدة...عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، قال أبو عبيدة : يعني كان يستشهد به على التّفسير »[5]

إن إحالة عبد الله بن عباس النّاس في تفسير القرآن الحكيم إلى الشعر العربي لم تكن ارتجالا، وإنّما أتى توجيهه بعد إدراك عميق، ونظرة ثاقبة في حقيقة الشعر العربي. فقد عرف ابن عباس اهتمام العرب الشديد بلغتهم، وعنايتهم بشأنها، واحتفائهم بها، فإذا نبغ منهم شاعر أو خطيب أقاموا الولائم، واحتفوا به، وجعلوه عيدا لهم وفخرا، وبالإضافة إلى ذلك فإن أصحاب الفصاحة والبلاغة والمقدرة على التعبير من الشعراء والخطباء كانوا رؤساء الوفود عند العرب، وهم أهل الرأي والشورى الذين يرجع إليهم.

وقد اهتم بعض الشعراء في العصر الجاهلي بفنهم اهتماما شديدا، وينصرف هذا الاهتمام وتلك العناية إلى التنقيح والتهذيب، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في قوله :« ومن شعراء العرب من كان يدع

---

(1) هو يوسف بن ماهك بن مهران الفارسي المكي. مولى قريش.
(2) تفسير القرطبي: ج1 ص24.
(3) الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص157. تاريخ آداب العرب. مصطفى صادق الرافعي. ط:4. بيروت: مط دار الكتاب العربي، (1394هـ-1974م). ج1 ص323.
(4) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير : ص90.
(5) الإتقان في علوم القرآن : ج1 ص157. المزهر في علوم اللغة للسيوطي : ص302.

القصيدة تمكث عنده حولا كَرِيتّا (عاما تاما كاملا) وزمنا طويلا، يرد فيها نظره ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله ذماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، وإشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذا (فحلا مجيدا) وشاعرا مُفْلَقًا »[1] .

ولكل فن أدواته، والشعر فن أداته اللّغة بأصواتها وصيغها الصرفية وتراكيبها النحوية ودلالة ألفاظها، تلك اللّغة التي عرفها ابن جني[2] بأنها أصوات يعبر بها كل قوم على أغراضهم، لذلك استطاع الشاعر توظيف اللّغة في عمله الفني توظيفا جيدا.

وثمة أخبار تدل على أن العرب يقدسون الشعر، ويرون أن هذا التقديس مستمد من أصله الديني،ولذلك كانوا ينشدونه على موتاهم[3]،وكانوا يطلقون على الشاعر العالم الحكيم حتى أن عمر بن الخطاب سأل كعب الأحبار[4](32هـ) يوما إن كان للشعراء ذكر في التوراة ، فأجابه كعب : « أجد في التوراة قوما من ولد اسماعيل، أنا جيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال، لا نعلمهم إلاّ العرب »[5]

فلقد استوعب الشعر العربي « الجاهلي » كل خصائص الأصل العربي، وأحاط بأكثر المادة اللّغوية في لغة العرب.فكان الفن الشعري عندهم قد استوعب ثروة لفظية هائلة، وفنًا مستوفيا أسباب النضج اللّغوي، لذلك جاء تعبير عبد الله بن عباس بـ« الشعر ديوان العرب ».ويكفي هذا 'الديوان' منزلة أن جعله الله تعالى المتحدى من قبل القرآن الحكيم لعلو شأنه وعظيم قدره، وهو وإن لم يرق إلى مستوى القرآن فإنه أقرب المسالك إليه، لذلك لما أحس ابن عباس بما كان ما بين القرآن وبين هذه اللّغة من صلات اتجه نحو الشعر ودعا إليه النّاس،لأجل دراسته والكشف عن خصائصه رجاء أن يعينهم ذلك على فهم النص فهما تتكشف لهم به معانيه وتتضح مقاصده.

ولعل حديث النّبي ﷺ في أن أفضل علم القرآن عربيته، ولابد أن تلتمس هذه العربية في الشعر[6]،دفع ابن عباس إلى الإلمام بالأشعار العربية القديمة والاستشهاد بها في فهم معاني الألفاظ

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ : ج2 ص9.
(2) الخصائص لابن جني : ج1 ص33.
(3) الفهرست. ابن نديم. ت: ابراهيم رمضان. ط:1. بيروت: مط دار المعرفة، (1415هـ-1994م). ص138.
(4) « هو كعب بن ماتع الحميري، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن.أسلم في زمن أبي بكر الصديق ﷺ، وقدم المدينة في عهد عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها.» الأعلام للزركلي: ج5 ص228.
(5) العمدة لابن رشيق : ج1 ص25.
(6) مقدمتان في علوم القرآن: ص260.

الغريبة التي وردت في القرآن الكريم،« وبالجملة يكاد الباحثون يجمعون على اهتمام ابن عباس في فهم معاني مفردات القرآن بالاستناد إلى الشعر، وكان قد ادخر في حافظته معظم أشعار العربية واختزنها في ذاكرته »[1] ولم يقتصر في الاستشهاد بأشعارهم المفسرة لألفاظ القرآن على الشعر الجاهلي كما قال عمر، بل تعداه إلى شعر المخضرمين ورجال الصدر الأول من الإسلام لأنهم فصحاء ينتمون إلى عراقة الجاهلية بأصالتهم الصريحة، فالاقتصار على الشعر الجاهلي في رأي ابن عباس مما يضيق واسعا.

كما كان من عاداته الاستشهاد بالشعر القديم والاستناد إليه في فهم معاني ألفاظ القرآن والإكثار من هذه الناحية[2]، لأنه أدرك قيمة الشعر وأنه « ديوان العرب، به حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللّغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله ﷺ وحديث صحابته والتابعين »[3].

قال القالي (356هـ) في أماليه: أخبرني أبو بكر بن الأنباري عن أبيه قال: أتى أعرابيّ إلى ابن عباس فقال :

تَخَوَّفَنِي مَالِي أَخٌ لِي ظَالِمٌ ۞ فَلاَ تَخْذُلْنِي يَا خَيْرَ مَنْ بَقِيَ

فقال: تخوفك تَنَقُّصُك؟ قال: نعم، قال: الله أكبر! ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾[النحل 47] أي على تَنَقُّص من خيارهم[4].

وعن عكرمة (105هـ) عن ابن عباس سأله رجل عن قوله جل وعز: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر 4] فقال: لاَ تَلْبِسْ ثِيَابَكَ عَلَى غَدْرٍ، وتمثل بقول غَيْلان بن سلمة الثقفي:

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لاَ ثَوْبَ غَادِرٍ ۞ لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ سَوْءَةٍ أَتَقَنَّعُ[5]

وقال نافع بن الأزرق (65هـ) لابن عباس: أخبرني عن قول الله جل وعز :

---

(1) مجلة الثقافة الإسلامية دراسة للدكتور محمد باقر حجتي بعنوان « ابن عباس وأستاذه ومصادره التفسيرية » العدد الثامن عشر، رمضان-شوال 1408هـ. ص45.
(2) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2 ص367.
(3) المزهر في علوم اللغة: ج2 ص470.
(4) الجامع لأحكام القرآن: ج1 ص25.
(5) كتاب الأمالي: ج2 ص112.

﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[البقرة 254] ما السِّنة؟ قال: النعاس[1]، قال زهير بن أبي سُلمَى :

وَلاَ سِنَة فِي طوَالِ اللَّيلِ تَـــأْخُذُهُ ۞ وَلاَ يَنَـــام وَمَا فِي أَمْرِهِ فَنَدُ[2]

ولمثل هذا كان دأب ابن عباس أن يحيل على الشعراء القدامى الذين كـــان يـرى الإعتـداد باستعمالهم اللّغوي في التّفسير، فهو يقف على قمة من يرون أن كلام العرب يوضح ما غمض مـــن ألفاظ القرآن، وإليه أشار جولد تسيهر بالقول: « هو الذي أبدع الطريقة اللّغوية لتفســير القــرآن »[3] وإن سبقه إليه بعض الصحابة في بعض إشاراتهم التّفسيرية، إلا أنه انفرد علهم باجتهاداتـــه اللّغويـة وتطبيقاته العلمية على جميع أجزاء القرآن تقريبا، و« نمّى الطريقة اللّغوية في تفســير القــرآن »[4]. فكانت اجتهاداته اللّغوية المتعددة النواة الأولى للمدرسة اللّغوية والدراسات اللّغوية في القرآن الكريـم. ومالنا نذهب بعيدا وهذه مساءلات نافع بن الأزرق الشهيرة لابن عباس التي أربت على المائتين قـــد تناولتها بطون الكتب وتدارسها العلماء وكانت موضع اهتمام من قبل الباحثين القدامـــى والدارسـين الجدد، والقصة أخرج بعضها أبو بكر الأنباري في كتابه « الوقف والابتداء » كما أخرج الطـــبراني (360هـــ) بعضها الآخر في « معجمه الكبير»[5] وجاء بها السيوطي مفصلة في « الإتقان »[6] بسنده مسألة مسألة، وجواب ابن عباس عن كل مسألة منها.وكان مبدأ الحوار كما ذكـــره السـيوطي كمـا يلي:«... بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه النّاس يسألونه عن تفسير القرآن، فقـــال نافع بن الأزرق[7] لنجدة بن عويمر[8]: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم لـــه، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ففسرها لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب،

---

(1) انظر مجمل اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس. ت: زهير عبد المحسن سلطان.ط:2. بيروت: مؤسسة الرسالة، (1406هـــ-1986م). ج3 ص925. مختار الصحاح : ص852.

(2) الفند (بالتحريك): ضعف الرأي من الكبر، وقد يستعمل من غير الكبر. والرواية في جامع الأحكام:ج1 ص25.

(3) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير: ص90.

(4) المرجع نفسه: ص90.

(5) الإتقان: ج1 ص157.

(6) المصدر نفسه: ج1 ص157/175.

(7) نافع بن الأزرق : « بن قيس الحنفي البكري الحروري، رأس الازارقة، وإليه نسـبتهم، كـان أمـير قومـه وفقيههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس.وكان نافع وأصحاب له من أنصار الثـورة على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ووالوا عليا كرم الله وجهه إلى أن كانت قضية التحكيم بين الإمام علـــي ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان، فاجتمعوا في حروراء -وهي قرية من ضواحي الكوفة- ونادوا بالخروج على الإمـام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعرفوا لذلك. قتل نافع يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة 65هـــ .» تاريخ الطبري. محمد بن جرير الطبري. ط:2. بيروت: مط عز الدين للطباعة والنشر، (1407هـــــ-1987م). ج5 ص285. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي: ج7 ص351-352.

(8) نجدة بن عويمر « من الخوارج. كان ملازما لنافع بن الأزرق في رحلاته، إصطفاه من بين المجموعة النهانية التي انشق بها وحارب معه المهلب بن أبي صفرة وقتل في معركة يوم دولاب.» تاريخ الطبري: ج5 ص285.

فإن الله تعالى إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[المعارج 37].قال: العِزُون: حِلَقُ الرِّفَاقِ[1].

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم،أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى ✡ يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة 37].قال: الوَسِيلَة: الحَاجَةُ. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم،أما سمعت عنترة وهو يقول :

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ ✡ أَنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحُّلِي وَتَخَضُّبِي

قال: أخبرني عن قوله: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة 50].قال: الشِّرْعَةُ: الدين، والمِنْهَاج الطَّرِيقُ[2]. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لَقَدْ نَطَقَ المَأْمُونُ بِالصِّدْقِ وَالهُدَى ✡ وَبَيَّنَ لِلإِسْلاَمِ دِينًا وَمِنْهَاجًا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾[الأنعام 100].قال: نُضْجِهِ وبلاغِهِ[3]. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر :

إِذَا مَا مَشَتْ وَسَطَ النِّسَاءِ تَأَوَّدَتْ ✡ كَمَا اهْتَزَّ غُصْنٌ نَاعِمٌ النَبْتِ يَانِعُ[4]

قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ وَرِيشًا ﴾[الأعراف 25].قال: الرِيش: المَالُ[5]. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَ مَا قَدْ بَرَيْتَنِي ✡ وَخَيْرُ المَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِي[6]

---

(1) عزين: جماعات متفرقين. كلمات القرآن تفسير وبيان. حسنين محمد مخلوف. مط دار المعارف. ص384. وجاء في مختار الصحاح ص516: « العِزين الفرقة من الناس والجمع 'عِزُون' بضم العين وكسرها». انظر مفردات الراغب: ص36.

(2) انظر مجمل اللغة: ج3 ص845. مفردات الراغب: ص508.

(3) انظر مفردات الراغب: ص554.

(4) «أوّدت: من أودَ: أعوج، فهو أود، وهي آوادة. والأود: الإعوجاج. يقال: أقام أوَدَهُ: أي قوّمَ اعوجاجه. أو أمسك رمقه. والأود: الكد والتعب. وتأود: إنحنى وانعطف». لسان العرب: ج1 ص168. « يانع: من يلع الثمر: أدرك ونضج وحان قطافه، ويلع الشيء: اشتدت حمرته. واليلع النضج». لسان العرب: ج6 ص4969.

(5) انظر مختار الصحاح : ص324.

(6) البيت لسويد بن الصامت.

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[البلد 4].قال: في اعتدال واستقامة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم،أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

يَـا عَيْنُ هَـلاَّ بَكَـيْتِ أَرْبَـدَ إِذْ ۞ قُـمْنَا وَقَـامَ الخُصُومُ فِي كَبَدِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ﴾[النور 42].قال: السَّنَا: الضوء[1]. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول:

يَـدْعُو إِلَى الحَقِّ لاَ يَبْـغِي بِهِ بَدَلاً ۞ يَـجْلُو بِضَوْءٍ سَنَاهُ دَاجِيَ الظُّلَمِ[2]

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ وَحَفَدَةً ﴾[النحل 72].قال: ولد الولد، وهم الأعوان[3] قـال: وهل تعرف العرب ذلك قال: نعم،أما سمعت الشاعر يقول:

حَفَدَ الـوَلاَئِـدِ حَولَـهُنَّ وَأُسْلِمَتْ ۞ بِـأَكُفِّهِـنَّ أَزِمَّةُ الأَجْـمَـالِ[4]

قال : أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[مريم 12].قال: رحمة من عندنا[5]. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَـعْضَنَا ۞ حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[الرعد 32].قال: أفلم يعلم[6]، بلغة بني مالك. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول:

لَقَدْ يَئِسَ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَـا ابْنُـهُ ۞ وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيَا

---

(1) انظر مختار الصحاح: ص384. مفردات الراغب: ص250.
(2) « والداجي: من دجا دَجْوًا ودُجُـوًّا: تـم وكمـل، ودجـا الليـل: أظلـم، فـهو داجـن والليلـة داجيـة.» المعجم الوسيط. الإخراج: ابراهيم أنيس، عطية صوالحي عبد الحليم، محمد خلـف الله أحمـد. دار الفكـر. ج1 ص272.
(3) انظر مجمل اللغة: ج1 ص243.
(4) البيت لأمية بن أبي الصلت ونسب للأخطل وهو ليس في ديوانه. غريب الحديث: ج3 ص374.
(5) انظر مفردات الراغب: ص140.
(6) المصدر نفسه: ص551.

قال : أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء 102] قال: ملعُونًا محبوسا عن الخير[1] .

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبد الله بن الزبعري يقول:

إِذَا أَتَانِي الشَّيْطَانُ فِي سِنَةِ النَوْ ۞ م وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

إلى آخر المسائل وأجوبتها.

والحق أن الوقوف على هذا الحوار يثير الإعجاب حقا بمقدرة ابن عباس، ويكشف عن فهمه العميق لكتاب الله، وإلمامه بغريب لغة العرب إلى حد لم يصل إليه غيره، فكان بحق إمام المفسرين، وزعيم هذه الناحية من التفسير على الخصوص. ويبدو جليا من القصة أن ابن عباس في تفسيره عند الحرم لم يكن يفسر النصوص بالمأثور وحسب، بل كان يفسر برأيه والاجتهاد أيضا، أي بعلم العربية، مما اقتضى هجوم نافع بن الأزرق عليه ومطالبته بإتيان الدليل من الشعر وذكر الشاهد على ما ذهب إليه من المعاني، ثم إن ابن عباس وافقه على ذلك، وسرد عليه أبياتا من الشعر وعين محل الشاهد فيها، وكأن طريقة التفسير اللغوية مسلّم بها عند هذه الطبقة من المفسرين. ونحب أن نذكر هنا أن هذه المحاولة التي تناولها ابن عباس، وأجاب فيها عن أسئلة نافع كانت من صميم البحث اللغوي وأول لبناته ونواة لعلم يبحث في مدلولات ألفاظ ذكرت في القرآن أصطلح على تسميته بـ: علم غريب القرآن[2] .

والأمة لم تحفظ بداية حقيقية لشرح غريب القرآن، واستعمال الأداة اللغوية في تفسير كلمات الكتاب إلا بعد المحاورة التي وقعت بين ابن عباس ونافع، وقد بني عليه علم « غريب القرآن » الذي ظهر فيما بعد في شكل رسائل ومدونات مستقلة، فكان لابن عباس شرف السبق في تأسيس هذا العلم وفي وضع هذا المعجم اللغوي المبكر والذي صار بعد ذلك مرجعا أساسيا للعلماء قاطبة وأهل التفسير على الخصوص، إذ لا يخلو كتاب تفسير من أقوال ابن عباس وآرائه اللغوية، ويندر من يحيد عنها أو يقدم غيرها حتى لو كان لغيره من الصحابة وبخاصة الأصح منها الذي لا يشك نسبتها لابن عباس[3] .

---

(1) انظر مجمل اللغة: ج1 ص166.

(2) وليس المراد بغريبته أنها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هنا هي التي تكون حصلة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس. انظر الصفحة 282 من هذا البحث.

(3) أجمع العلماء على أن أصح الروايات عن ابن عباس ما ورد من طريق ابن أبي طلحة، وعليها اعتمد البخاري في صحيحه. راجع الإتقان ج1 ص150.

ومن أمثلة هذه الاجتهادات أيضا وذلك التوسع الذي أنفرد به ابن عباس في ميـــدان التّفســير معجمه اللّغوي في شرح وتفسير كلمات القرآن. ذكر منها السيوطي في إتقانه[1] ما يزيد عن سـبعمائة مفردة. ونشير هنا إلى توجيه بعض منها.قال ابن عباس:

المفردة الغريبة	التّفسير
يَعْمَهُونَ	يَتَمَادُونَ[2]
وَقُومِهَا (60/2)	الحِنْطَةُ[3]
قُلُوبُنَا غُلْفٌ(87/2)	فِي غِطَاءٍ[4]
مَا نَنْسَخْ(106/2)	مَا نُبَدِّلْ[5]
حَنِيفًا[6]	حاجا [7]
شَطْرَهُ (149،144/2)	نحوه[8]
فَلاَ جُنَاحَ (51/33،28/4)	فلا حرج[9]

المفردة الغريبة	التّفسير
لاَ تَعْضُلُوهُنَّ(19/4)	تَقْهَرُهُنَّ[10]
وَالمُحْصَنَاتِ	كُلُّ ذَاتِ زَوْجٍ[11]
طَوْلاً (25/4)	سِعَةً[12]
العَنَتَ (25/4)	الزِّنَا[13]
مَوَالِيَ (33/4)(5/19)	عصبة
قَوَّامُونَ (34/4)	أمراء[14]
الجِبْتَ (50/4)	الشرك[15]

(1) راجع الإتقان ج1 من ص150 حتى 157.
(2) 'يعمهون' وردت في : (109/6)، (186/7)، (11/10)، (72/15)، (4/27)، (15/2). راجع اللسان: ج4 ص3114.
(3) قال الراغب ص389:«الفوم الحنطة» اللسان: ج5 ص3491. مجمل اللغة: ج3 ص708. مختار الصحاح:ص612
(4) قال الراغب ص366: «أي في غلاف» كذا في اللسان: ج4 ص3282. مجمل اللغة: ج3 ص684. مختار الصحاح: ص570 .
(5) انظر اللسان: ج6 ص4407.
(6) 'حنيفـا' وردت فـــي: (134/2)، (66/3)، (95/3)، (124/4)، (80/6)، (163/6)، (105/10)، (120/16)، (123/16)، (29/30).
(7) انظر مفردات الراغب: ص141. وقال ابن فارس: ج1 ص254: « والحنيف:...الناسك ».
(8) انظر مفردات الراغب: ص264. اللسان: ج4 ص2263. مجمل اللغة: ج2 ص503. مختار الصحاح: ص406.
(9) انظر اللسان: ج1 ص698.
(10) جاء في اللسان ج4 ص2988: « عضل المرأة عن الخروج: حبسها » .
(11) 'المحصنات' وردت في : (25،24/4)، (6/5)، (23،4/24). انظر اللسان: ج2 ص903. مفردات الراغب: ص129. مجمل اللغة: ج1 ص237.
(12) انظر اللسان: ج4 ص2728.
(13) انظر اللسان: ج4 ص3121. مجمل اللغة: ج3 ص631.
(14) انظر اللسان: ج5 ص3783.
(15) انظر مفردات الراغب: ص92. اللسان: ج1 ص534.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المفردة الغريبة	التفسير
جَنَفًا(181/2)	إثما[1]
لأَعْنَتَكُمْ (218/2)	لأخرجكم
المس (275/2)	الجماع [2]
سِنَةٌ(254/2)	نعاس[3]
وَلَا يَئُودُهُ (254/2)	يثقل عليه [4]
صَفْوَان (263/2)	حجر[5]
صَلْدًا(263/2)	ليس عليه شيء[6]
مُتَوَفِّيكَ (54/3)	مميتك[7]
رِبِّيُّونَ (146/3)	جموع[8]
حُوبًا كَبِيرًا (4/2)	إثما عظيما[9]
وَابْتَلُوا(6/4)	اختبروا[10]
آنَسْتُمْ (6/4)	عرفتم[11]
رُشْدًا [12]	صلاحا

المفردة الغريبة	التفسير
سَرِيًّا (23/19)	متفرقين
مَقِيتًا	حفيظا [13]
أَرْكَسَهُمْ (87/4)	أوقعهم
حَصِرَتْ (89/4)	ضاقت[14]
مَوْقُوتًا (102/4)	مفروضا[15]
تَأْلَمُونَ (103/4)	توجعون[16]
شَنَئَانُ (9،3/5)	عداوة[17]
الأَزْلَامُ (92،4/5)	القداح [18]
مُكَلِّبِينَ (5/5)	ضواري [19]
يَنْأَوْنَ عَنْهُ (27/6)	يتباعدون [20]
جَرَحْتُمْ(61/6)	كسبتم من الإثم [21]
شِيَعًا [22]	أهواء مختلفة[23]
يُفَرِّطُونَ(62/16)	يضيعون [24]

---

(1) انظر اللسان: ج1 ص701.
(2) انظر مفردات الراغب: ص470. اللسان: ج6 ص4201.
(3) انظر مجمل اللغة: ج3 ص925. مختار الصحاح : ص258.
(4) انظر اللسان: ج6 ص4745.
(5) انظر مختار الصحاح : ص440.
(6) انظر اللسان: ج4 ص2481. مجمل اللغة : ج2 ص539.
(7) انظر مختار الصحاح : ص862.
(8) انظر اللسان: ج3 ص1550.
(9) انظر مفردات الراغب: ص141. اللسان: ج2 ص1036.مجمل اللغة: ج1 ص255. مختار الصحاح : ص201.
(10) انظر مفردات الراغب: ص71. مجمل اللغة: ج1 ص133. مختار الصحاح : ص86.
(11) انظر اللسان: ج1 ص150. مجمل اللغة: ج1 ص104. مختار الصحاح: ص42. ولا فرق بين: علم وعرف من جهة المعنى. قال ابن هشام : « لا أعلم لأصحابنا في ذلك فرقا محصلا »الأشباه والنظائر في النحو. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ت: ابراهيم محمد عبد الله. دمشق، (1407هـ-1987م). ص251.
(12) 'رُشدا' وردت في: (10/17)، (24/18)،(10/72)،(14/72)،(21/72).
(13) انظر اللسان: ج6 ص4242.
(14) انظر مفردات الراغب: ص128. اللسان: ج2 ص895. مجمل اللغة: ج1 ص238. مختار الصحاح: ص176.
(15) انظر اللسان: ج6 ص4887. مختار الصحاح: ص862.
(16) انظر مفردات الراغب: ص31. اللسان: ج1 ص113. مجمل اللغة: ج1 ص101.
(17) انظر اللسان: ج4 ص2335.
(18) انظر مختار الصحاح : ص334.
(19) انظر اللسان: ج5 ص3911.
(20) انظر اللسان : ج6 ص4341. مختار الصحاح : ص759.
(21) انظر مفردات الراغب: ص97. اللسان: ج1 ص587. مجمل اللغة: ج1 ص186. مختار الصحاح : ص127.
(22) 'شيعا' وردت في: (66/6)، (160/6)، (3/28)، (31/30).
(23) انظر اللسان: ج4 ص2377.
(24) انظر اللسان: ج5 ص3392.

المكانة النحوية في تفسيرات ابن عباس

لم يكتف الدّارسون بإبراز الجانب اللّغوي في تفسيرات ابن عباس، بل رأوا هناك جانبا آخر لم يخف عن ذهن عبد الله بن عباس وهو الجانب النحوي. لقد كان دور ابن عباس في هذا الجانب واضحا، فهدفه توضيح المعنى وجعل النص القرآني منقادا له، ولكثرت المسائل المنسوبة لابن عباس يخيل إليك أنه نحوي ملمّ بكثير من تلك الأصول التي كانت سائدة، ولقد أدرك ابن جني(392هـ) هذه المكانة النحوية واللّغوية لابن عباس حتى قال فيه: « قال أبو الفتح: ينبغي أن يحسن الظن بابن عباس، فيقال إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم، ولم يكن ليخفى عليه أن 'ظَنَنْتُ' قد تكون بمعنى 'عَلِمْتُ' »[1].

ولعل دور ابن عباس يبدو جليا لو تمعنا النظر في بعض النصوص الواردة عنه، والتي يتطرق فيها لبعض المسائل النحوية على سبيل الإشارة، من ذلك أن 'وَيْكَأَنَّ'[2] أصلها 'أَنَّ' على أن الياء والكاف صلة. جاء في تنوير المقياس: 'وَيكَأَنَّهُ' وأَنَّهُ والياء والكاف صلة في الكلام[3].

وجاء في « مغني اللبيب » ما يلي : « أو تقريريا يريد الإجابة بـ'بلى' نحو: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلَى ... ﴾[الملك 8-9] ، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[الأعراف 172]، أجروا مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده بـ 'بلى' ولذلك قال ابن عباس وغيره: ولو قالوا: نعم كفروا، ووجه أن 'نعم' تصديق للمخبر بنفي أو إيجاب »[4] .

ومن ذلك كون الواو للاستئناف في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف 22] حيث اختلف النحويون

---

(1) المحتسب في تبيين وجه شواذ القراءات. أبو الفتح عثمان بن جني. ت: علي النجدي ناصف. مط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ج2 ص342.

(2) من قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ ﴾[القصص 82].

(3) تنوير المقباس في تفسير بن عباس. بيروت: مط دار الكتب العلمية. ص331. قال العكبري: «'وَيْ' عند البصريين منفصلة عن الكاف، والكاف متصلة. ومعنى 'وي ' تعجب، وكأن القوم نُبِّهُوا فانتبهوا، فقالوا وي كأن الأمر كذا وكذا، ولذلك فتحت الهمزة من 'أن' » التبيان في إعراب القرآن. أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. ت: علي محمد بجاوي. ط:2. بيروت: مط دار الجيل، (1407هـ-1987م). ج2 ص1027. وقال الفراء: « الكاف موصولة بوي، أي ويك، علم أن الله يبسط ». معاني القرآن. أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء. ت: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار. ط:3. عالم الكتب، (1403هـ-1983م). ج2 ص312. وانظر أمالي بن الشجري. هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الشجري. ت: محمود محمد طانجي. القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي. ج2 ص183-184. الكتاب. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه. ت: عبد السلام هارون. ط:3. مط عالم الكتب، (1403هـ -1983م). ج2 ص154.

(4) مغني اللبيب في كتب الأعاريب. جمال الدين بن هشام الأنصاري. ت: مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط:2. مط دار الفكر. ج1 ص120-121. انظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تصحيح محمد بدر نعمان. بيروت: دار المعارف للطباعة. ج 4 ص372.

في الواو في قوله « وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ».فذهب بعضهم كابن هشام (761هـ) أن ما بعدها مستأنفا، وليس من جنس المقول برجم الغيب فيكون من كلام الله تعالى. وابن عباس أول القائلين بهذا، قال ابن هشام في المغني: « ويؤيّده قول ابن عباس رضيّ الله عنهما حين جاءت الواو انقطعت العدّةُ أي: لم تبق عدّةٌ عادٌ يلتفت إليها »[1].

ويبدو دور ابن عباس أكثر وضوحا في المسائل التي لجأ فيها إلى التأويل النحوي وأكثر هذه المسائل[2] :

1- مسألة الحذف.
2- مسألة الزيادة .
3- مسألة التقديم والتأخير .
4- تضمين الأفعال والحروف معاني غيرها من الأفعال والحروف .

1- الحـــذف

وهي المسألة التي ظهر فيها دور ابن عباس بارزا في التّفسير اللّغوي، وأكثره يدور في فلك المعنى . وهو على أنواع كما ذكره ابن هشام في مغني اللبيب[3] ومنه:

- **حذف الحال:** ذكر صاحب البحر المحيط عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾[المائدة 108] قال: « وقال ابن عباس في الكلام المحذوف تقديره: فأصابتكم مصيبة الموت وقد استشهدتموها على الإيصاء»[4] .

- **حذف المعطوف:** جاء في البحر المحيط عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾[الأنعام 9] « قال ابن عباس: ... في الكلام حذف تقديره: لو أنزلناه ملكا فكذبوه لقضي الأمر بعذابهم ولم يُؤَخروا حسب ما سلف في كل أمة »[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾[الإسراء 101] قال أبو حيان (754هـ) في البحر: « قال ابن عباس: كلام محذوف وتقديره: فَسَأل موسى فرعون بني إسرائيل أي طَلَبَهُم لِيُنجيهم من العذاب »[6].

---

(1) مغني اللبيب لابن هشام ج1 ص401. انظر شرح المسالة في التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج2 ص843.
(2) انظر التأويل النحوي في القرآن الكريم. عبد الفتاح أحمد الحموز. ط:1. الرياض: مكتبة الرشيد، (1404هـ-1984م). ج1 ص43.
(3) مغني اللبيب لابن هشام: ج5 ص716 ما بعدها.
(4) تفسير البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الغرناطي. ط:2. مط دار الفكر للطباعة والنشر، (1403هـ-1983م). ج4 ص43.
(5) المصدر نفسه: ج4 ص78.
(6) المصدر نفسه: ج6 ص85. انظر التبيان في إعراب القرآن: ج2 ص834.

– **حذف المضاف:** ذكر أبو حيان في تفسير ابن عباس قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾[المائدة 31] قال: «قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة: تحمل إثم قتلي وإثمك الذي كان منك قبل قتلي. فحذف المضاف، وهذا قول عامة المفسرين »[1] ويريد «بإثمك» أي عقاب المعصية التي أقدمت عليها من قبل، فلم يُتقبل قربانك لسببها، لأن الله تعالى أخبر عنهما بأنهما ﴿ قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾[المائدة 29] وأن العلّة في أن قربان أحدهما لم يتقبل أنّه غير متقن[2].

ومنه قوله تعالى:﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ ﴾[الأحزاب 55]. جاء في تنوير المقباس ما يلي:« ولا نسائهن: نِسَاءُ أهل دِينِهِنَّ»[3].

– **حذف حرف الخفض:** ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾[المزمل 7–8] بخفض 'ربِّ المَشْرِقِ' ذكر السيوطي أن الزمخشري في كشافه قال: « قرئ مرفوعًا على المدح ومجرورا على البدل من 'ربّك'. وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك: الله لأفعلنّ، وجوابه: 'لا إله إلا هو' كما تقول: والله لا أحد في الدّار إلا زيدٌ »[4]. وقد ذهب بعض النحاة إلى ضعف هذا القول[5] لإضمار الجار وبقاء عامله،إلاّ أن الكوفيين يجيزون هذه المسألة[6] إذ أجازوا الجر بالحرف المحذوف.

– **حذف الفعل العامل في المفعول به:** ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[سبأ 10]. ذهب أبو عمرو(154هـ) إلى أن 'والطّيرَ' منصوب بفعل مضمر أي: وسَخّرْنَا لَهُ الطّيْرَ، وهو قول ابن عباس كما يفهم من كلامه: « يا جبال: وقلنا يا جبال 'أوّبي معه' أي سبحي مع داود 'والطير': وسخرنا له الطير»[7]، فيكون قد أضمر فعل القول والفعل العالم في 'الطير'.

---

(1) البحر المحيط أبو حيان: ج3 ص463. تفسير القرطبي : ج6 ص137. قال العكبري في التبيان: ج1 ص432: « أي ترجع حاملا للإثمين ».

(2) انظر أمالي بن الشجري: ج2 ص47.

(3) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس: ص356.

(4) همع الهوامع : ج4 ص233.

(5) « لأن ما جاء من ذلك مقصور على لفظ الجلالة، ولأن الجملة الاسمية في جواب القسم لا تلغى إلا بـ'ما' ولا تلغى بـ'لا' إلا الجملة المصدرة بمضارع، وقد تكون مصدرة في ماض في معنى مضارع. وذكر السيوطي أن ابن مالك أجاز تلقي القسم بالجملة الاسمية المنفية بـ'لا' أو 'ما' ولا فرق في ذلك عنده بين الاسمية والفعلية ». التأويل النحوي في القرآن الكريم: ج1 ص46.

(6) همع الهوامع : ج4 ص243

(7) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ص359.

2 - مسألة الزيادة

عدّ ابن عباس موضعًا واحدًا وقعت فيه 'كان' زائدة ، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾[البقرة 142].ذهب ابن عباس إلى أنّ 'كان' زائدة[1]. وجاء في شرح المفصل: « وقد أنكر بعضهم وقوع هذه الأحرف زوائد لغير معنى، لأنه إذ ذاك يكون كالغيث، وليس يخلو إنكارهم لذلك من أنهم لم يجدو في هذه اللّغة أو لما ذكروه من المعنى.فإن كان الأول فقد جاء منه في التنزيل والشعر ما لا يحصى، وإن كان الثاني فليس كما ظنوه لأن قولنا: زائد ليس المراد منه دخل لغير معنى البتة، بل زيدت لضرب من التأكيد، والتأكيد معنى صحيح »[2] قال السيوطي: « قيل: إنّما سُميت زائدة لأنها لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئا لما لم تغير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها »[3] .

3 - مسألة التقديم والتأخير:

ذكر أبو حيان قول ابن عباس بالتقديم والتأخير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾[الأنبياء 43].جاء في البحر المحيط: « وقال الحوفي 'من دوننا' متعلق بـ'تمنعهم' إنتهى. قيل والمعنى: ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز من أن ينالهم مكروه من جهتنا. وقال ابن عباس: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، تقول: منعتُ دُونَهُ: كَفَفتُ أذاهُ و'من دوننا' هو من صلة 'آلهة' أي أم لهم آلهة دوننا أو من صلة تمنعهم»[4] .

4 - تضمين الأفعال والحروف معاني غيرها من الأفعال والحروف :

أما الأفعال كتضمين ابن عباس 'رَدِفَ' معنى 'قَرُبَ' أو 'أزِفَ' لتصح التعدية جاء ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[النمل 72] قال صاحب البحر المحيط: « وأصله التعدي بمعنى 'تبع'، و'لَحِق' فاحتمل أن يكون مضمنا معنى اللازم، ولذلك فسره ابن عباس وغيره بـ'أزف' و'قرُب' لمّا كان يجيء بعد الشيء قريبا منه ضُمِّن معناه»[5].

---

(1) التأويل النحوي في القرآن الكريم لعبد الفتاح أحمد الحموز: ج2 ص1414.
(2) شرح المفصل. موفق الدين بن يعيش النحوي. بيروت: مط عالم الكتب. ج8 ص128. الأشباه والنظائر: ج1 ص454
(3) الأشباه والنظائر في النحو: ج1 ص456.
(4) البحر المحيط: ج6 ص314.
(5) البحر المحيط لأبي حيان: ج7 ص95. انظر اللسان: ج3 ص1627.

كما ذهب ابن عباس في تأويله لـ'يَئِسَ'[1] بمعنى 'عَلِمَ' جاء في لسان العرب « وروي عن ابن عباس أنه قال: يئس بمعنى علم لغة للنخع، قال: ولم نجدها في العربية إلاّ على ما فسرت »[2].

– **ومن وضع الحرف موضع آخر**، جعل ابن عباس 'إلاّ' بمعنى 'وَلاَ'، جاء ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴾[النمل 10–11] قال ابن عباس : « 'المُرْسَلُونَ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ': ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء »[3].

ومنه وضع 'هَلْ' موضع 'قد' من ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ [الإنسان 01] جاء في البحر المحيط: « وقال ابن عباس وقتادة: هي هنا بمعنى 'قد' قيل لأن الأصل: أهَلْ، فكأن الهمزة حذفت واجتُزئ بها في الاستفهام ... فالمعنى: أقد أتى »[4].

ومن ذلك وضع الباء موضع 'إلى' كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[السجدة 24] قال ابن عباس في تنوير المقباس: «'يهدون بأمرنا': يدعون الخلق إلى أمرنا»[5].

وبهذا رسم عبد الله بن عباس لكل من أتى بعده أمثل الطرق وأقربها لتفسير كتاب الله.لأنها تمثل أرقى مراتب الاستدلال، وأسلم مناهج البحث في مفردات القرآن وغريبه. ولم تكن هذه المساءلات وتلك الشروح هي أول اجتهادات عبد الله بن عباس اللّغوية، فقد هاجر ﷺ إلى مكة وجلّس إلى مسجدها الحرام يقصده جمٌّ من الراغبين في طلب العلم، ويتوافد النّاس يسألونه عن معاني آيات استغلق فهمها عليهم، فتتلمذ عنه التّابعون والداخلون في الإسلام من الموالي والأعاجم، وواظبوا على الدرس يأخذون عنه القرآن وعلومه والحديث ومروياته واللّغة ودواوينها. ويستفتونه في معضلات الحياة الإسلامية المتجددة التي ما فتئت أن تغيرت ملامحها عما كانت عليه عصر النبوة. الأمر الذي دفع ابن عباس إلى انتهاج طريقة في نشر العلم وتدريسه مغايرة لما وجد عليه الصحابة، وأسس ما أسماه رجال الطبقات ومؤرخو القرآن: مدرسة تفسيرية، كانت مكة مركزها،وتعرف باسم « المدرسة المكية ».ورث أتباعها طريقة أستاذهم اللّغوية في تفسير القرآن، وعملوا على إثرائها والنهوض بها لأجل بناء النظرية اللّغوية في تفسير القرآن الحكيم.

---

(1) من قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد 32].
(2) لسان العرب 'يئس': ج6 ص4946.
(3) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس: ص316.
(4) البحر المحيط لأبي حيان: ج8 ص393.
(5) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ص349. وانظر تفسير القرطبي: ج14 ص109.

بين منهج عبد الله بن عباس والصحابة في تفسيراتهم اللغوية :

كان تفسير المدرسة المكية المتمثل في تفسيرات ابن عباس موجها أساسا إلى الفئة التي ظهرت عقب الوحي من الداخلين في الإسلام من أبناء الأمم الأخرى والأجيال اللاحقة من أبناء المسلمين، ولم تكن لهؤلاء الدراية التي كانت لأسلافهم، وذلك لتغيير لحق الناس والحياة من حولهم بفعل الإسلام. وهذا التغير ازدادت في طيّاته الحاجة إلى إضافة جديدة للتفسير، تصل بين الناس وبين كتابهم وصلا يذهب هذه الحاجة، فجاء ابن عباس بمنهج تفسيري جديد يجمع بين التفسيرات المأثورة والاجتهادات اللغوية، ممثلا بذلك حاجة عصره أصدق تمثيل. ولعل أهم ما ميز هذا المنهج التفسيري الجديد ذكر الشاهد الشعري والإكثار منه عند تفسير الغريب،فكان ابن عباس بذلك أول من استحدث طريقة الاستدلال الشعري على معاني القرآن -إذا ما استثنينا إشارات الخليفة عمر- منبها بذلك إلى عدة أمور:

- صلاحية التراث الجاهلي لتفسير ما خفي معناه من القرآن ولا سيما الشعر ومن ثم فتح باب الاجتهاد اللغوي.
- جواز تفسير القرآن الكريم تفسيرا لغويا في الإطار المحدد لذلك، مع صحة الأخذ بنتائجه.
- عدم الخوض أو الجزم بمعاني لغوية معينة إلا لعالم متبحر في الشعر الجاهلي خاصة.

وابن عباس في منهجه اللغوي يخالف طبيعة منهج الصحابة السابقين في بحوثهم اللغوية، ويبدو ذلك جليا عند مقارنته بمنهج الخليفة عمر، فعمر في بحثه عن معنى "الأب"، لم يكن ليبحث عن المعنى التركيبي الذي يفهم من خلاله سياق الخطاب، بل كان يبحث عن المعنى الإنفرادي للكلمة، وهذا تكلف في الدين منهي عنه. ومع ذلك فقد فسر ابن عباس أكثر مفردات القرآن سواء تعلقت بالمعنى التركيبي أم الإنفرادي ومن دون أن يتهم نفسه أو يتهم بالتكلف، وعلة ذلك أن عمر كان يريدها لنفسه من دون حاجة، بخلاف عبد الله بن عباس الذي أصبح أستاذ العربية في زمانه وعالمها الأول والمتصدر لمجالس التفسير، فهو يريدها لغيره بدافع الحفاظ على كتاب الله وتبليغ علم الله.فوجب حينها تلقين معاني المفردات الغريبة ثم الإستدلال بالشعر على صحة هذا التأويل، ولا سيما أنه أمام طبقة عريضة من الموالي دخلوا ساحة الثقافة الإسلامية وقد شغفوا بحب القرآن ومدارسته، مع قلة زادهم واتساع دائرة الغريب عندهم.

إن منهج الصحابيين صائب كل في زمانه، فعمر أمير على الصحابة العرب الفصحاء، وهم في غنى عمن يفسر لهم معاني مفردات القرآن وأساليب خطابه. وابن عباس أمير العلم في زمانه على طلبة قريبي العهد بالقرآن ولغته. وتلك هي العبقرية التي دفعته لخلق منهج تفسيري جديد يتلاءم وطبيعة جيل التّابعين.

أما ما أجمعت عليه طرائق الصحابة ومناهجهم ودلت عليه تعاملاتهم اللّغوية مع نصوص القرآن،أن الميزان اللّغوي غير كاف بمفرده للحكم بالصواب أو الخطأ على التّفسيرات والتأويلات اللّغوية ما لم يشدّ قواعده فروع المعرفة القرآنية الأخرى، كمعرفة أسباب النزول ومشاهده، والنزول عند تأويل الكبار من أوعية العلم من الصحابة المشهورين،لاجتناب ما نهى عنه نبيهم ﷺ من القول في القرآن بالرأي،وتعليما لمن بعدهم أن لا يبتدعوا في الدين ما ليس منه .

خصائص التّفسير اللّغوي في هذه المرحلة :

ونجمل خصائص التّفسير اللّغوي في مرحلته الأولى من عصر الصحابة فيما يلي :

1- الاستشهاد بالعنصر الشعري على صحة المعاني اللّغوية المستنبطة من النّص،والرجوع إلى لغة الأعراب للتعرف على معاني المفردات الغريبة.

2- عدم شمول هذا التّفسير لجميع مفردات القرآن،واختص فيما غمض فهمه وغار معناه، وهو قليل، وقد كان حجم هذا الغموض يزداد كلما بعد النّاس عن عصر النبوة لذا بدت تفسيرات الصحابة اللغوية قليلة مقارنة بما ورد عند غيرهم من أبناء العصور اللاحقة.

3- الإقتصار على توضيح المعنى اللّغوي بأقصر لفظ، فإن زادوا على ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول، لذا بدت تفسيراتهم مختصرة.

4- لم يدوّن شيء من التّفسيرات اللّغوية في هذا العصر لأن بداية التدوين لم تكن إلا في القرن الثاني، إذا ما استثنينا بعض التّفسير الذي أثبته الصحابة بجانب مصاحفهم .

5- قلة الاختلاف في فهم المعاني اللّغوية،والاكتفاء بالمعاني التركيبية دون الإفرادية إلى غاية ظهور عبد الله بن عباس على ساحة التّفسير متصدرا لحلقات العلم.

6- إتخاذه شكل الحديث، فلم ينفصل عنه إلا بعد المائة الثانية .

وختاما لا أريد أن أقرر أن تفسير الصحابي كان أوله لغويا، بل أريد القول أن الجانب اللّغوي قد احتل الصدارة في تفسيرات الصحابة بعد الذي رووه من قبيل المنقول، وأن هذا المنهج أول المناهج التّفسيرية ظهورا بعد المنهج الأثري، وبذلك كان الصحابة أول من سن طريقة التّفسير من جهة اللّغة، فرسموا اتجاها لغويا فيه كل خصائص لغة عصرهم، ثم ما لبثت أن صارت هذه المرحلة نفسها بذور المرحلة التالية من مراحل نشأة المنهج اللّغوي في التّفسير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التّفسير اللّغوي في عهد التّابعين

تنتهي المرحلة الأولى للتفسير بانصرام عهد الصحابة، وتبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين، ولسرعة انتشار الإسلام في بيئات جديدة وتجاوزه للبيئة التي وجد فيها، لم يظل النهج الرسولي سائدا مسيطرا على الناس مدة طويلة. فقد دخل الإسلام أناس يحملون ثقافات وأفكار مختلفة، ولم يكونوا جميعا عربا يفهمون العربية والقرآن بسليقتهم كالعرب،فاحتاجوا إلى بيان لما يسمعون أو يقرؤون، وكان من الضروري الإجابة عما يسألون أو يثيرون من شبهات.فقام الصحابة بمهمة التدريس لهؤلاء ولغيرهم من أبناء العرب، وتخرجت طبقة عريضة من رجال العلم عرفت بطبقة التابعين، حازت في جملتها أكثر علم الصحابة .

ولما كان ميراث الصحابة لم يتسع لتفسير آيات القرآن جميعها، وجد التابعون أمامهم المجال رحبا لتفسير القرآن اعتمادا على ما تيسر لهم من مصادر وأدوات، فظهرت آثار جهودهم واضحة فيما أتوه في عصورهم. ولم يكونوا بذلك أجرأ على الله تعالى من الصحابة في تفسير القرآن، وإنما ألجأهم إلى ذلك ما استجد من أحداث، وما طرأ عليهم من أحوال، وما صادفوه من غموض في بعض جوانب التفسير، وظل هذا الغموض يزداد كلما بعد الناس عن عصر النبوة لأن العربية لم تعد سليقة لكثير من الناس وخاصة أهل الحضر. فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين أن يكملوا هذا النقص بشرح ما لم يرد فيه شرح في الوقت الذي بدأ التحرج الديني يخف أثره على الباحثين في القرآن. فجدّ التابعون وخاضوا غمار التفسير والتأويل، وقد أعانهم على ذلك قرب عهدهم بالنبوة والصحابة، و« عدم فساد سليقتهم اللغوية »[1] فكان أن اتسعت في عهدهم دائرة التفسير حتى « روي عن مجاهد أنه فسر القرآن الكريم كله آية آية...كما ورد عن سعيد بن جبير تفسيره للقرآن الكريم جميعه »[2] .

ولقد كان لهؤلاء التابعين في تعاملهم مع القرآن اتجاهات متباينة، بعضهم اختار طريق الأثر والنقل في التفسير، وتوقف عند ذلك تورعا من القول في القرآن بالرأي، لما ورد في ذلك من التشديد

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي : ج1 ص126.

(2) أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي. عبد الله آل جعفر مساعد مسلم. مط مؤسسة الرسالة. طبعة مصورة بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة-الجزائر. ص57.

كابن المسيب(94هـ)[1]، ومنهم من نزع إلى العقل في فهم الآيات وتفسيرها عملا بالاجتهاد وهم الأكثرون. ومنهم من جمع بين المنهجين معتمدا النقول الأثرية كأساس أول للتفسير، ثم إعمال الرأي والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص قطعي كما هو شأن ابن عباس وتلاميذه.وقد أصبحت هذه الاتجاهات نتاج مايعرف بمدارس التّفسير التي ظهرت في عصر الصحابة وأخذت شكلا مدرسيا على يد التّابعين.

مدارس التفسير في عصر التابعين

لما تفرق الصحابة في الأمصار، وأخذوا يواجهون أحداث الحياة المتفتحة أمام المد الإسلامي، كان هناك التنوع في الفهم والإدراك، والإختلاف في التّفسير والتأويل والاجتهاد. وكان طبيعيا أن يتخرج على يد كل صحابي في أمصار المسلمين علماء من التّابعين يرثون العلم عمن أخذوا عنهم، ويبلغونه لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار مدارس علمية[2] أساتذتها الصحابة وتلاميذها التّابعون. وأول هذه المدارس ظهورا مدرسة التّفسير بمكة وأخرى بالمدينة وثالثة بالعراق. وهذه الثلاثة هي أشهر مدارس التّفسير في الأمصار في هذا العهد[3].

ولم يكن الاتجاه اللّغوي التّفسيري في هذه المرحلة لينفصل موضوعه عن مضمون هذه المدارس لأنه ممتزج في طبيعته بما تمارسه من عملية التّفسير، غير أن هذه المدارس تتفاوت في مقدار اعتنائها بالتّفسيرات اللّغوية تبعا لاتجاهاتها الفكرية السائدة لدى مؤسسيها وأتباعها، وشرح ذلك ما يلي :

1- مدرسة مكة:

قامت مدرسة التّفسير في مكة على يد عبد الله بن عباس، وتَعَدّ أوسع المدارس التّفسيرية شهرة، نظرا لمركز مكة الروحي لدى المسلمين جميعا، ولأن أستاذها عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، يقول ابن تيمية: « وأما التّفسير فإن أعلم النّاس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد (103هـ) وعطاء ابن أبي رباح (114هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (105هـ) وطاوس(101هـ) وأبي الشعثاء(93هـ) وسعيد بن جبير (92هـ) وأمثالهم»[4].

---

(1) قال الماوردي: « إمتنع بعض المتورعين من أن يستنبط من معاني القرآن باجتهاده، ولو صحبها شواهد، ولم يعارض شواهدها نص صريح، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام ». ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج2 ص144-145.

(2) « وهي تقوم على مجموعة من الاتجاهات المتميزة في معالجة التفسير، نشأت في مركز من المراكز العلمية في البيئات الإسلامية، هيأها لها وأرسى قواعدها أحد أعلام التفسير أو مجموعة منهم ومن تابعهم عليها من التلامذة، ومن هنا أطلق المحدثون على هذه الاتجاهات...لفظة مدرسة» دراسات في التفسير وأصوله: ص23.

(3) درج أغلب الدارسين على تقسيم مدارس التفسير في هذا العهد إلى ثلاثة مدارس: مدرسة مكة والمدينة والكوفة، وقد يزاد عليها مدرستان أخريان هما: البصرة والشام. مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ج2 ص25.

(4) أصول التفسير وقواعده: ص61.

وهؤلاء الأجلاء من أبناء المدرسة المكية هم مشاهير المفسرين من التّابعين، جزء كبير من أقوالهم تلقوه عن شيخهم ابن عباس وإن اختلفوا في الرواية عنه قلة وكثرة، وما وراء ذلك من آراء ورؤى هي اجتهادات لغوية أدت بهم لأن يكونوا رؤوس الإتجاه اللّغوي في عصرهم.

وتتميز هذه المدرسة عن مثيلاتها بنهج سبيل الاستعمال اللّغوي في تفسير القرآن كعنصر أساسي وفعال في عملية التحليل والتوجيه. ولا عجب فأستاذها ابن عباس عالم العربية في زمانه. يقول العالم سزكين في كتابه تاريخ التراث: « وتضم تفاسير تلاميذ ابن عباس مجاهد وسعيد وعكرمة وكذا تفسير شيخهم توضيحات كثيرة ذات طابع لغوي أخرى بها أن تسمى دراسة في المفردات»[1]، فهذه العناية الكبيرة للتفسير اللّغوي جعلت منه اتجاها خاصا في علم التّفسير له قواعده وأسسه ـ كما سيتبين لاحقا ـ على خلاف ما عليه واقع المدارس الأخرى التي لم تزد في اعتبار العنصر اللغوي مشاركا في عملية فهم النص مشاركة ضعيفة تشمله بعض التحليلات والتّفسيرات للروايات الأثرية.ومثال التّفسير اللّغوي عند أتباع المدرسة المكية ما كان عليه تفسير مجاهد وعكرمة[2] مولى ابن عباس. وعكرمة ثاني أكبر الشخصيات التي أثرت في مسيرة المدرسة المكية بعد مجاهد[3]، ومن أكبر مصادر علمها غزارة، وله إسهام كبير في توسع دائرة التعامل اللّغوي في التّفسير، روى عن مولاه عبد الله بن عباس وعن علي بن أبي طالب وعن أبي هريرة رضيَ الله عنهم، وهو ممن اختصهم ابن عباس بعنايته وحملهم أمانة علم التّفسير، قال عكرمة: « كل شيء أُحَدّثكم في القرآن فهو عن ابن عباس »[4] ولعكرمة مصنف في تفسير القرآن[5]. كما كانت لعكرمة بعض اجتهاداته في القرآن، روى ابن حجر في تهذيب التهذيب[6] أن عكرمة بيّن لابن عباس بعض ما أشكل عليه من القرآن قال: رُوي عن عكرمة قال : « قرأ ابن عباس هذه الآية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾[الأعراف 164]. قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟ قال: فما زِلتُ أبيّن له حتى عرفَ

---

(1) مجاهد المفسر والتفسير. أحمد اسماعيل نوفل. ط:1. القاهرة: مط دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، (1411هـ-1990م). ص375، نقلا عن تاريخ التراث للمؤلف.

(2) عكرمة مولى ابن عباس، « أبو عبد الله المدني أصله من البربر من أهل المغرب. قال: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدّار، قال أبو الشعثاء: عكرمة أعلم الناس، وقيل لسعيد بن جبير : تعلم أعلم الناس منك ؟ قال : عكرمة ». طبقات الحفاظ للسيوطي: ص37.

(3) سنخصص الحديث عن تفسير مجاهد مع شيء من التفصيل في العنصر الموالي: مدرسة مكة ومنهجها في دراسة التفسير اللغوي.

(4) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج2 ص243.

(5) نسبه له حسن حسني عبد الوهاب في كتابه العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين. مراجعة وإكمال محمد العدوسي المطوي، بشير بكوش. ط:1. بيروت: مط دار الغرب الإسلامي، 1990م. ج1 ص94.

(6) تهذيب التهذيب. شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ط:1. الهند: مط مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، 1326هـ. ج7 ص263.

وأخرج أبو عبيدة (223هـ) عن عكرمة في قوله: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[الدخان 51] قال: هي لغة يمانية، وذلك أن أهل اليمن يقولون: زَوجنَا فُلانا بفُلانَة[1].

وأخرج ابن أبي حاتم (327هـ) عن عكرمة في قوله: ﴿ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾[النجم 60] قال: هي بالحميرية[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾[النساء 50]. الجِبْت بلِسَان الحَبَشَة: الشيطان، والطَّاغُوت: الكَاهِن[3].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[الأنبياء 97] قال عكرمة: حَصَب جهنم: حَصب بالحبشية [4].

قال تعالى: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[النبأ 34] قال عكرمة: مَلأى مُتَتَابِعَة[5]. وفسّر عكرمة قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[يس 41] قال: المَشْحُون المُوقَر[6]. وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[البقرة 264] وابل[7]: مَطَر شَدِيد، الطَّل[8]: الندى. وهذا مثل عمل المؤمن[9].

وهذا سعيد بن جبير وهو من أشهر تلاميذ المدرسة المكية وأحد رؤسائها يقول في بعض إشاراته اللغوية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾[ال عمران 39]

---

(1) معترك الأقران في إعجاز القرآن. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ت: علي محمد بجاوي. مط دار الفكر العربي. ج1 ص199.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص199.
(3) معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري. محمد فؤاد عبد الباقي. مط دار الحديث. ص35. انظر اللسان: ج1 ص534 و ج4 ص2678. مجمل اللغة: ج1 ص205. مفردات الراغب: ص92 و308. مختار الصحاح: ص472.
(4) معجم غريب القرآن : ص65.
(5) المصدر نفسه: ص86. انظر اللسان: ج2 ص1442. مجمل اللغة: ج2 ص337. مختار الصحاح:ص263.
(6) معجم غريب القرآن: ص130. انظر مفردات الراغب: ص259.
(7) انظر اللسان: ج6 ص4554. مجمل اللغة: ج2 ص580. مفردات الراغب: ص526. مختار الصحاح: ص476.
(8) انظر اللسان: ج4 ص2696. مجمل اللغة: ج3 ص914. مفردات الراغب: ص309. مختار الصحاح: ص834.
(9) معجم غريب القرآن: ص150.

أنهم نجوا فكساني حلّة ». وهذا الخبر يدل على مبلغ ثقة ابن عباس بمولاه،وعلى مقدار إعجابه بعلمه وفهمه. وعكرمة يستعمل في هذه الآية أدواته الاجتهادية التي أخذها عن أستاذه ابن عباس إلى حد يصل فيه إلى إقناع ابن عباس بوجهة نظره كما جاء في هذا الأثر، وإلاّ فما كان عكرمة ليعلم علم ابن عباس من المأثورات حتى يقنعه بوجهة نظره.

والمتتبع لتفسير عكرمة يلحظ فيه خصائصا من تفسير مولاه في رجوعه إلى الشعر، وهو بهذا يمثل نزعة تحررية أخرى كالتي كانت عند مجاهد كما سنرى بعد حين. ومن ذلك ما روي عنه أنه فسّر قوله تعالى:﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[المدثر 4] لم يذهب إلى المعنى القريب وهو خلوه من النجاسة، بل ذهب إلى أنّها كناية عن العفة فقال: وثيابك فطهر على غير غدرة وغير فجرة.أما سمعت قول الشاعر:

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لاَ ثَوْبَ فَـــاجِرٍ ۞ لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَـدْرَةٍ أَتَـقَنَّعُ[1]

وفسّر قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ [النجم 61] قال عكرمة : غَافِلُون[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[الذاريات 13] قال : يُحْرَقُون[3] .

وسأل رجل عكرمة عن الزَّنِيم[4] قال: هو وَلَدُ الزِّنَى، وتمثل ببيت من الشعر:

زَنِـيمٌ لَـيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُـوهُ ۞ بَـغِيُّ الأُمِّ ذُو حَـسَـبٍ لَـئِيمِ[5]

وعند قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾[الانشقاق 19] يقول عكرمة : إذا اجْتَمَع واسْتَوَى[6].

وقال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[البلد 4] بمعنى مُنتَصِبًا، وله أيضا: في شِدَّة وَطُول[7]. وقال في قوله تعالى :﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾[البلد 20] قال: أي مُطْبَقَةٌ[8] .

---

(1) مقدمتان في علوم القرآن : ص198.
(2) تفسير ابن كثير: ج4 ص261. قال الراغب في مفرداته ص248: « السامد : اللاهي ».
(3) تفسير سفيان الثوري. أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري. ط:1. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1403هـ-1983م). ص481. جاء في مجمل اللغة ج3 ص711: « قال الخليل: الفَتْنُ: الإحراق، وورق فتين: محرق ». اللسان : ج5 ص3344.
(4) من قوله تعالى:﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم 13].
(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص25.
(6) تفسير ابن كثير: ج4 ص490. انظر مفردات الراغب ص538.
(7) تفسير ابن كثير: ج4 ص513. انظر معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط:3. مصر: الناشر مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م). ج5 ص153.
(8) تفسير ابن كثير: ج4 ص515.

قال: حَصُورًا لا يَأتِي النِّسَاء[1]. وفسر قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾[البقرة 258] قال: يتسنه: يتغير[2].

وفسر لفظة ﴿ طَهَ ﴾[طه 1] أنها بالنبطية، وهي بمعنى: يَا رَجُل[3]. وفي قوله تعالى ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾[الرحمن 75].يقول: العبقري: عِتَاقُ الزَّرَابِي[4]. وأمام قوله تعالى: ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾[البقرة 258].فإنه فسّر عروشها: أبْنِيَتَهَا، قال: عروش وعريش بِنَاء[5].

2 – مدرسة العراق :

قامت هذه المدرسة على أكتاف واحد من الصحابة الأجلاء، هو عبد الله بن مسعود ﷺ، وإن كان قد رحل إلى العراق غيره من الصحابة إلاّ أنه يعد الأستاذ الأول[6] بها نظرا لشهرته في التّفسير وكثرة مروياته في الحديث.

ويغلب على هذه المدرسة التّفسير بالرأي نظرا لما يمتاز به أهل العراق من الاعتماد على رأيهم، فانعكس ذلك على مدرسة التّفسير عندهم، وكثر فيها تفسير القرآن بالاجتهاد والرأي.ومن أشهر رجالها من التّابعين: « علقمة بن قيس(61هـ)، ومسروق(63هـ)، والأسود بن زيد(74هـ)، ومرة الهمداني(76هـ)، وعامر الشعبي(103هـ)، والحسن البصري (110هـ)، وقتادة بن دعامة(117هـ) وغيرهم»[7].

وقد عرف عن بعض هؤلاء الأعلام من اتباع مدرسة العراق اعتناؤهم بالتّفسير اللّغوي، حيث أولوا جانب اللّغة اهتماما في الاستشهاد بها لتفسير وتوجيه معاني آيات الكتاب، وأشتهر بذلك من تلامذة عبد الله بن مسعود قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه[8] : « وشهرته في التّفسير جاءت من

---

(1) المصدر نفسه: ص65. انظر اللسان: ج2 ص896. مجمل اللغة: ج1 ص239. مفردات الراغب: ص128.
(2) معجم غريب القرآن: ص123.انظر اللسان: ج3 ص2128.مجمل اللغة: ج2 ص474. مختار الصحاح:ص384.
(3) معجم غريب القرآن: ص151.
(4) المصدر نفسه: ص157. وانظر اللسان: ج4 ص2788.
(5) معجم غريب القرآن: ص162.انظر اللسان: ج4 ص2881. مجمل اللغة: ج3 ص657.مفردات الراغب:ص332.
(6) التعريف بالتفسير ومنهج رجاله. محمد عبد القادر حجازي. مط التقدم، (1407هـ–1987م). ص18.
(7) المرجع نفسه: ص18.
(8) يكنى أبا الخطاب السّدوسي الأعمى الحافظ، قال بكر بن عبد الله المزني: « من أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة، ما أدركنا الذي هو أحفظ منه. مات سنة سبع عشرة ومائة». مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ج2 ص76. راجع طبقات الحفاظ للسيوطي: ص47.

تضلعه في اللّغة العربية »[1] إذ كان من العارفين باللّغة بصيرا بكلام العرب وشعره ونثره، وقد استخدم قتادة معرفته الواسعة باللّغة العربية في التّفسير، فمما روي عنه فيما ذكره البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾[الزخرف 5].قال البغوي: « يقال ضربتُ عنه، وأضربتُ عنه إذا تركتُه وامسكتُ عنهُ، والصَّفْحُ مصدر قولهم صفحتُ عنهُ إذا أعرضتُ عنه وذلك حين توليه صفحة وجهك وعنقك، ومعناه: أفَنَتْرُكُ عنكم الوحي، ونمسك عن إنزال القرآن ونأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار أي لا نفعل ذلك وهذا قول قتادة »[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾[الطور 6].قال قتادة: المَسْجُور: المملوء[3]. وفي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾[الطور 8]:تتحرك تحريكاً[4].

وقد يتوسع قتادة في الفهم اللّغوي للآية فيجاوز المشهور كما ذهب إلى ذلك علماء التّفسير، ففي مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾[الكهف 25-26].يقول البغوي(516هـ): « هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، ولو كان خبر عن الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله ' قُلِ اللهُ أعلَمُ بِمَا لَبِثُوا ' وجه. وهذا قول قتادة »[5] وقد اعتمد قتادة رحمه الله في هذا التّفسير على ما حكاه البغوي بقوله: « ويدل عليه قراءة ابن مسعود : 'وَقَالَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ' ثم رد الله عليهم فقال: 'اللهُ أعلَمُ بِمَا لَبِثُوا' »[6].

وفسّر قتادة قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾[الإنشقاق 18].قال: إذا استدار[7].

وعند قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر 9].قال قتادة: ينحتونها ويخرقونها[8].

---

(1) فجر الإسلام لأحمد أمين: ص205.
(2) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل. محمد الحسين الفراء البغوي. ت: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار. ط:4. بيروت: مط دار المعرفة، (1415هـ-1995م). ج4 ص133-134.
(3) تفسير ابن كثير: ج4 ص241. انظر اللسان: ج3 ص1942. مجمل اللغة: ج2 ص486.مختار الصحاح:ص349
(4) تفسير ابن كثير: ج4 ص241. انظر مختار الصحاح: ص755.
(5) تفسير البغوي : ج3 ص157-158.
(6) المصدر نفسه : ج3 ص157-158.
(7) تفسير ابن كثير : ج4 ص490.
(8) المصدر نفسه: ج4 ص509. قال الراغب في مفرداته ص109: « الجوب قطع الجوبة وهي كالغائط من الأرض ثم يستعمل في قطع كل الأرض » انظر مختار الصحاح: ص147.

وقال في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾[البلد 20]، مؤصدة : مطبقة فلا ضوء فيها ولا خرج ولا خروج منها آخر الأبد[1]. وقال في قوله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ [الأنبياء 58] قال: جذاذا قطعهن[2].

وفسر قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾[الزخرف 3] أم الكتاب: حملة الكتاب أصل الكتاب[3].

وفي قوله تعالى ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[البقرة 89] قال: فباءوا: فانقبلوا[4].

وفسر 'حَرْدٍ' من قوله تعالى: ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾[القلم 25] قال: حرد: جد في أنفسهم[5].

وفسر قوله تعالى : ﴿ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء 95] قال: حَدَب: أكَمَة[6]. وقال في قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾[الدخان 10] قال: فارتقب: فانتظر[7]. وفسر قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾[الزخرف 5] قال: مسرفين: مشركين[8].

وفسر قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[الطور 1] قال: مسطور: مكتوب[9] . وقال في قوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم 1] يسطرون: يخطون[10].

وغير هذه التّفسيرات اللّغوية المروية عن هذا الحبر كثيرة حكاها المفسرون في مصنفاتهم.

كما روى المفسرون أيضا بعض المسائل النحوية عن هذا العلم،مما يثبتون له تلك المكانة الرفيعة بين المفسرين رغم الفترة الزمنية المبكرة التي تنبه فيها إلى تلك المباحث النحوية. ومن هذه المسائل:

---

(1) تفسير ابن كثير : ج4 ص509.
(2) معجم غريب القرآن: ص54. انظر مفردات الراغب : ص97. اللسان : ج1 ص574.
(3) معجم غريب القرآن: ص35. انظر مجمل اللغة: ج1 ص81. اللسان : ج1 ص137. مختار الصحاح: ص39.
(4) معجم غريب القرآن : ص45. جاء في اللسان ج1 ص381: « رجعوا به».
(5) معجم غريب القرآن : ص61. انظر اللسان : ج2 ص824. مختار الصحاح : ص164.
(6) معجم غريب القرآن : ص61. انظر اللسان : ج2 ص794.
(7) معجم غريب القرآن : ص100. انظر مجمل اللغة : ج2 ص393.
(8) معجم غريب القرآن : ص116. انظر اللسان : ج3 ص1997.
(9) معجم غريب القرآن: ص116.انظر مفردات الراغب:ص237. اللسان: ج3 ص2006. مختار الصحاح:ص362 .
(10) معجم غريب القرآن : ص116. انظر اللسان : ج3 ص2006. مختار الصحاح : ص362.

- **حذف المضاف**، جاء ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[فاطر 10] جاء في البحر المحيط: « وقال قتادة: إن الفاعل هو ضمير يعود على الله، والهاء للعمل الصالح أي: يرفعه الله إليه، أي يقبله. وقال ابن عطية: هذا أرجح الأقوال»[1].

ومن المواضع التي حمل فيها قتادة النص على حذف المضاف قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة 111].قال صاحب البحر: « وقال قتادة في الكلام حذف تقديره: لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة أي: حزازة وغيظا في قلوبهم »[2].

- ومن ذلك **حذف المفعول به** ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[الصافات 103] قال أبو حيان: « وقال قتادة في 'أسلما': أسلم هذا ابنه، وأسلم هذا نفسه، فجعل 'أسلما' متعديا وغيره جعله لازما بمعنى: انقادا لأمر الله وخضعا له »[3].

- ومن ذلك **حذف جواب الشرط**، ذكر أبو حيان أن قتادة حمل قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[النحل 82] حمل الآية على حذف جواب الشرط:«وقال نحوه: إنّ جواب الشرط محذوف »[4].

- ومما حمله على **التقديم والتأخير** قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الروم 55].قال صاحب البحر: « قال قتادة: وهو على التقديم والتأخير تقديره: أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم، وعلى هذا تكون 'في' بمعنى 'الباء' أي: العلم بكتاب الله. ولعل هذا القول لا يصح عن قتادة، فإن فيه تفكيكا للنظم لا يسوغ في كلام غير فصيح فكيف يسوغ في كلام الله، وكان قتادة موصوفا بعلم العربية فلا يصدر عنه مثل هذا القول »[5].

---

(1) البحر المحيط أبو حيان: ج7 ص307. وذكر هذا القول العكبري في التبيان: ج2 ص1073.
(2) المصدر نفسه: ج5 ص101.
(3) المصدر نفسه: ج7 ص370.
(4) التأويل النحوي في القرآن الكريم لعبد الفتاح أحمد حموز: ج1 ص50.
(5) البحر المحيط لأبي حيان: ج7 ص180.

- ومن موضع **الحرف موضع آخر**، وضع 'هل' موضع 'قد'، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾[الإنسان 1] جاء في البحر المحيط: « وقال ابن عباس وقتادة: هي هنا بمعنى 'قد' قيل لأن الأصل : أهل، فكأن الهمزة حذفت واجتُزِيء بها في الاستفهام...فالمعنى: أقد أتى »[1].

كما عرف عن الحسن البصري من تلاميذ هذه المدرسة العراقية اهتمامه بالجانب اللغوي واعتباره في تحليلاته التفسيرية، ولقد قيل له يوما في قوم يتعلمون اللّغة العربية فقال: « أحسنوا، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ وقيل له إن لنا إماما يلحن. قال: أخروه »[2].

وسئل عن المرأة حين تسبى هل يحل وطأها لمن صارت إليه ؟ فقال: أما سمعتم قول الشاعر:

وَذَاتُ حَلِيلٍ أَنْكَحَتْهَا رِمَاحُنَا ۞ حَلَالاً لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ[3]

وهنا استعان الحسن بالبيت في إقرار الحكم الفقهي المتعلق بقوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [المؤمنون 6] .

وأخرج أبو عبيدة عن الحسن، قال: كنا لا ندري ما الأرائك[4] حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم هي الحجلة فيها سرير[5].

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾[الأنبياء 17] قال: اللهو بلسان اليمن، المرأة[6].

وفسر قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [من الرحمن] قال: آلاء نِعَمُهُ[7]. قال في تفسير الآية: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجًا ﴾[الحشر 9] الحَرَجُ : حَاجَةً وَحَسَدًا[8].

---

(1) المصدر نفسه: ج8 ص393.
(2) الجامع لأحكام القرآن: ج1 ص23.
(3) مقدمتان في علوم القرآن: ص199.
(4) وردت هذه المفردة في: الكهف:31، يس: 55، الإنسان: 13، المطففين: 23.
(5) معترك الأقران للسيوطي: ج1 ص199. انظر اللسان : ج1 ص65. مجمل اللغة : ج1 ص92. مفردات الراغب : ص25. مختار الصحاح : ص26.
(6) معترك الأقران للسيوطي: ج1 ص200. انظر اللسان: ج5 ص4090. مجمل اللغة: ج3 ص796. مفردات الراغب : ص459. مختار الصحاح : ص717.
(7) معجم غريب القرآن: ص35.
(8) المصدر نفسه: ص70.

وقال مفسرا كلمة 'سجر' من قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[التكوير 6] قال: ذهب ماؤها فلا يبقى قطرة [1]. وفسر 'العفو' من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[البقرة 219] قال: العفو: الفضل[2]. وقال: أمام قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾[المزمل 16] منفطر به: مُثْقَلَةٌ بِهِ[3].

وفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾[المزمل 11] قال الحسن: أنكالا، قيودا[4].

وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[الإنشقاق 17-18] وسق: جَمَعَ من دَابَة، اتسق : استوى[5].

وقد يلاحظ من خلال هذه النماذج الكثيرة اهتمام أتباع مدرسة العراق بالتفسير اللغوي على غرار اهتمام أتباع مدرسة مكة به، غير أن الفارق بين هؤلاء وأولئك أن الاتجاه اللغوي في تفسير مدرسة مكة كان الصبغة العامة والشاملة لجميع أفراد المدرسة، وأحد أكبر مميزات التفسير المكي التي نص عليه المؤسسون والأتباع،ولم يكن كذلك حال مدرسة العراق إلا ما كان من أمر بعض أتباعها الذين كانوا في تفسيرهم على درب مدرسة مكة كما هو شأن قتادة والحسن وغيرهما.

3 - مدرسة المدينة:

قامت على يدي أبي بن كعب ﷺ، وكان من أشهر تلاميذها من التّابعين المعروفين بالتفسير: زيد بن أسلم(136هـ) وأبو العالية(93هـ) ومحمد بن كعب القُرظي(109هـ) وسعيد بن المسيب(94هـ) وعامتهم لم يكن لهم إسهام وافر في ميدان التفسيرات اللغوية، والتزموا السماع في تفسيرهم،ولم يشتهر من بينهم من خاض في القرآن برأيه إلا زيد بن أسلم الذي كان لا يتحرج من ذلك[6] ولقد تحدث عبيد الله بن عمر عن منهج مدرسة أهل المدينة قائلا: « لقد أدركت فقهاء المدينة، وأنهم ليعظمون القول في التفسير »[7].

---

(1) معجم غريب القرآن: ص113. انظر اللسان : ج3 ص1942. مفردات الراغب: ص230.
(2) معجم غريب القرآن: ص167. انظر اللسان: ج4 ص3020. مختار الصحاح : ص530.
(3) معجم غريب القرآن: ص184. جاء في اللسان: ج5 ص3432 « انفطر الشيء : تشقق ».
(4) معجم غريب القرآن: ص239. انظر اللسان: ج6 ص4544. مجمل اللغة: ج3 ص883. مفردات الراغب:ص508. مختار الصحاح : ص802.
(5) معجم غريب القرآن: ص253. انظر اللسان: ج6 ص4837. مجمل اللغة: ج3 ص924. مفردات الراغب:ص538. مختار الصحاح : ص851.
(6) التفسير والمفسرون : ج1 ص117. ولزيد كتاب في التفسير، راجع طبقات الحفاظ للذهبي: ص53.
(7) تفسير ابن كثير: ج1 ص7.

كان سعيد بن المسيب لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن، وكان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: إنا لا نقول في القرآن شيئا[1]. وسأله رجل عن آية من القرآن فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء، يعني عكرمة[2].

وأثر عن أبي العالية أنه فسر قوله تعالى : ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾[الأعراف 19] قال : كناية عن فرجيهما[3]. وفسّر ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾[البقرة 28] قال : استوى إلى السماء ارتفع، فسواهن خلقهن[4]. وقال أبو العالية : ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾[البقرة 70] لا بياض[5].

مدرسة مكة ومنهجها في دراسة التفسير اللغوي

قدمت مدرسة ابن عباس بمكة منهجا واضح القسمات ظل مسيطرا على توجيه التفسير لفترة ليست بالقصيرة، وخرّجت طائفة من الأعلام طبقوا هذا المنهج وأذاعوه وتناقله عنهم الأجيال اللاحقة حتى استقر الأمر عند أصحاب التعابير الجامعة.

والحديث عن دور المدرسة المكية في توجيه التفسير اللغوي هو في حقيقته لا ينفك عن الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه لأنه قوام هذه المدرسة وروحها الساري فيها. إذ كانت البداية مع محاولات هذا الحبر في الكشف عن أسلوب القرآن ومعانيه ثم مقارنته بالأدب العربي شعره ونثره، وقد دفعته حاجة النّاس المتزايدة إلى معرفة لغوية تصل بينهم وبين لغة القرآن، فعمل على سد هذه الحاجة بذلك الإعمال القوي لهذا العنصر، وحدد مصادره بدقة، وسارت مدرسته بعد ذلك في هذا الاتجاه القائم أساسا على: « الاجتهاد في تحديد الدلالة اللغوية للفظ القرآني المرتبط بما يظن أنه مراد الله تعالى استنادا إلى المعجم اللغوي المعروف لذلك العصر المنظوم والمنثور بلغتهم وصولا إلى معرفة ما تؤول إليه المعنى العام التركيبي »[6] وبذلك مهدت المدرسة لكثير من العلماء واللغويين خاصة التصدي لأسلوب القرآن بشرح غريبه بالشعر والمثل والكلام الفصيح، والقيام بحركة واسعة لجمع اللّغة والشعر من مضارب الخيام وبوادي العرب ليواجهوا ما في القرآن من الغريب الذي ابتعدت به الشقة عن الحجاز وقلب الجزيرة.

---

(1) تفسير ابن كثير: ج1 ص7.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص7.
(3) معجم غريب القرآن: ص124.
(4) المرجع نفسه: ص126.
(5) المرجع نفسه: ص253. وجاء في اللسان : ج6 ص4847. « والشية : سواد في بياض أو بياض في سواد».
(6) دراسات في التفسير وأصوله لمحي الدين بلتاجي: ص46.

ومحاولة الاجتهاد هي أهم ما ميز هذه المدرسة سواء الاجتهاد في تحديد الدلالة اللّغوية، أو الاجتهاد في معرفة ما جاء في القصص والأخبار، تماما كما كان الأمر عند أستاذها ابن عباس، إلا أن الاجتهاد الأول قد حظي بأكبر جهد، وبه امتازت المدرسة عن غيرها، ومع ذلك ضمت جل تفسيرات هذه المدرسة إلى قسم التّفسير بالمأثور، وكأن الأقدمين عدّوا اللّغة رغم اختصاصها بالعقل والرأي أداة لا بد منها في عملية التّفسير، كما أنها رصيد معرفي موروث بها نزل الكتاب وعن طريقها يؤول فصارت من شدة ارتباطها بالنص جزءا لا ينفصل عن المأثور، ومن ثم اكتسبت صفة الشرعية ودخلت فيما يسمى بالمأثور.

إن هذه الشرعية التي اكتسبتها اللغة زادت من سطوتها على تفاسير التّابعين، وأخذت تضيف لصرح المنهج اللّغوي في التّفسير مزيدا من اللبنات، إذ تعدى البحث عن مدلول اللفظ الغريب والاستشهاد له بالشعر إلى استنباط المعاني الكثيرة للمفردة الواحدة ومن السياق الواحد، اعتمادا على ما جمع من دواوين الشعر والنثر وما فيهما من تنوع التراكيب المصاغة وأساليب الخطاب في لغة العرب وهذا ما نلمسه من تفاسير اتباع المدرسة الأثرية اللّغوية من أمثال مجاهد وعكرمة وسعيد وغيرهم ممن تحملوا مشقة البحث اللّغوي في القرآن الحكيم والتمكين له، وجعله يتوغل في الاتجاه الأثري تحليلا واستنباطا.

وإذا كان من تلاميذ ابن عباس من اشتهر بالعدالة والسداد كمجاهد وعكرمة وطاووس وابن جبير وابن أبي رباح ومنهم من تعرض لأعاصير النقد لأسباب ذاتية تتصل به كالضحاك وعطية وابن سعد والسدي، فإننا سنختار مجاهدا وحده ببعض ما قال لكثرة ما روي عنه من التأويل الذي تصح نسبته إلى التّفسير اللّغوي. وسنتحدث بإيجاز عن تفسيره كعينة للدراسة لكونه أول مدون في التّفسير نبرز من خلالها منهج دراسة التّفسير اللّغوي وخصائص هذا اللون من التّفسير عند التّابعين حتى نصل إلى تصوير سليم للحلقة التي يمثلها التّابعون في سلسلة علم التّفسير اللّغوي.

جهود مجاهد بن جبر المكي في التّفسير اللّغوي

مجاهد أحد أعمدة التّفسير اللّغوي في هذه المرحلة، ومن أكثر الشخصيات التي أثرت في المدرسة المكية وأحيت الطريقة اللّغوية في التّفسير وزادتها قوة ومتانة وأمدتها بأسباب النهوض[1].

---

(1) مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة : ج2 ص74. انظر صحيح البخاري باب التفسير.

لأنه رحمه الله ينتمي إلى مدرسة مكة التفسيرية، التي هي أم المدارس في هذا الفن، وشيخها هو الأول بين علماء التفسير، وبوفاة أستاذه ابن عباس وسعيد بن جبير قرينه، صارت مشيخة التفسير إلى مجاهد، وأصبح مقصد طلاب العلم، ومن هنا حظي بوصف: شيخ القراء والمفسرين. ومجاهد أول من دون أقوال ابن عباس وآرائه، فأدى بذلك دورا هاما في نشر فكر المدرسة المكية وتخليده، قال ابن كثير: « وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها »[1]. ولهذا كان سفيان الثوري(121هـ) يقول: « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به »[2].

وتفسيره على اختصاره قد صيغ في لغة مؤثرة عالية، ونسخ نسخا ممتعا تضمن أدبا رفيعا، وكثيرا ما كانت أقواله لفتات لغوية تدل على مكانة رفيعة وتثبت واقتدار، وشروحات مستفيضة لمفردات القرآن حتى وصف بأنه « أول معجم شرح فيه كلمات القرآن وغريبه ومشكله على غرار المعاجم التي لم تكن مؤلفة في عهده حسب ترتيب حروف الهجاء »[3]! ولا عجب فمجاهد لغوي كبير، وعلى علم واسع بأساليب العرب وطرائق تعبيرهم، قال عبد الجبار: « ابن عباس ومجاهد...من أهل اللسان »[4] أي العلم باللغة فهو من رواد اللغويين العرب، أتاح له تمرسه اللغوي لا أن يكون مجرد مفسر فحسب بل مرجعا لغويا ممتد الأثر عبر القرون، ولذلك اعتمد شراح الغريب أقوال مجاهد، فكثير ما استعمل أقواله الزمخشري في الفائق، وابن الأثير (631هـ)في نهاية، واستفاد منه من المتقدمين كأبي عبيدة في كتابه المجاز.

ولم يكن مجاهد يستجيز لمفسر كتاب الله أن يدلي فيه بدلو ما لم يكن على علم بلغة العرب، ففي البرهان للزركشي عن مجاهد قال : « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»،ولا يكتفي باليسير منها إذ اللفظ ربما كان مشتركا فيغفل عن أحد المعنيين »[5] فهذه العبارة لمجاهد تجمل لنا أكبر خصائص تفسيره اللغوي، وهي اجتناب القول بالرأي المذموم الخارج عن قواعد لغة العرب، والإحاطة الشاملة بجميع لغات العرب على اختلاف لهجاتها. فلذلك كان مجاهد يمنع القول في القرآن ويتشدد إلا لعالم بلغات العرب ولهجاتها المتعددة، لأن الذكر

---

(1) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ص102. مقدمة تفسير ابن كثير: ص5.
(2) مقدمة تفسير ابن كثير: ج1 ص6.
(3) مجاهد المفسر والتفسير لأحمد اسماعيل نوفل : ص145.
(4) المغني في أبواب التوحيد والعدل. القاضي عبد الجبار أبي الحسن الأسا أبادي. ت: محمد مصطفى حلمي، أبو الوفا الغنيمي التفتزاني. مط الدار المصرفية للتاليف والترجمة. ج4 ص215.
(5) البرهان : ج1 ص292. تفسير الألوسي: ج1 ص5. الإتقان: ج2 ص231. دراسات في القرآن. السيد أحمد خليل. بيروت: مط دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969م. ص139.

الحكيم وإن نزل بلغة قريش، أحسن اللغات وأرقاها، فإنه أخذ من لهجات العرب الأخرى كثيرا مما تجهله قريش من الكلمات والعبارات[1] لذا كان تفسير كتاب الله عند مجاهد لا يتم لصاحبه ولا يجوز له ممارسته إلا إذا أحاط معرفة بلغات العرب جميعًا.

نماذج من تفسيرات مجاهد اللّغوية

وهذه أمثلة من تفسيرات مجاهد اللّغوية الدقيقة يهمنا تسجيلها والتعرض لها في هذا الموضع:

- يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ ﴾[الرحمن 22] قال: ما رفع قلعه فهو منشآت[2] فإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشآت [3].

- وفسر قوله تعالى: ﴿ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ ﴾[الرعد 4] قال: صنوان: النخلتان. وأكثر في الأصل واحد، وغير صنوان: واحدها[4] وفي قول: صنوان: المجتمع، وغير صنوان: المتفرق[5]».

وبعد أن يذكر جملة من أسماء لمكة عند تفسيره الآية ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران 96] يشرح اشتقاق الكلمة، ويوجهه بأكثر من احتمال. فعن سلمة عن مجاهد: قيل سميت بكّة لتباك النّاس فيها وهو ازدحامهم، وقيل لأنها تبك أعناق الجبابرة ومن ألحد فيها بظلم، أي تدقها»[6]

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأحزاب 58] قال: يَقْفون المؤمنين[7] أي يقذفون، وفسر ﴿ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾[الملك 19] قال: بسطهنّ أجنحتهنّ وقبضتهن[8]. وفي قوله تعالى ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[الذاريات 13] قال مجاهد: يفتنون: يعذبون كما يفتن الذهب على النار[9].

---

(1) قال السيوطي نقلا عن أبي بكر الواسطي: في القرآن من اللغات خمسون لغة. معترك الأقران: ج1 ص204.
(2) انظر اللسان: ج6 ص4420. مختار الصحاح: ص779.
(3) الجامع لأحكام القرآن:ج17 ص164. فتح الباري في شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: مط دار المعارف. ج8 ص626.
(4) انظر مجمل اللغة: ج2 ص542.
(5) تفسير سفيان الثوري: ص150. تفسير الطبري : ج10 ص100. انظر اللسان: ج4 ص2513.
(6) تفسير الطبري: ج4 ص9. الفائق في غريب الحديث. جار الله محمود بن محمد الزمخشري. ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد بجاوي. ط:2. بيروت: دار المعرفة. ج1 ص126. فتح القدير الجامع بين فني الرواية من علم التفسير للشوكاني. بيروت: مط الفكر بيروت. (1393هـ-1973م). ج3 ص66.
(7) جامع البيان للطبري : ج22 ص45.
(8) المصدر نفسه: ج29 ص8. انظر اللسان : ج4 ص2462.
(9) تفسير ابن كثير : ج4 ص234. انظر مفردات الراغب : ص374.

وفي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾[النجم 31] يقول مجاهد في هذه الآية "إلاّ اللّمم " قال: الذي يلم الذنب ثم يدعه، قال الشاعر :

إِنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَماً ۞ وأيّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا[1]

وهذا جدول نثبت فيه باختصار النزر القليل من شروحات مجاهد لمفردات القرآن الغريبة[2]، إظهارا لثقافة الرجل اللّغوية وقيمة هذا الاتجاه التّفسيري عنده :

المفردة	التّفسير
أَبَابِيلَ (3/105)	متتابعة مجتمعة
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثارهم (11/36)	خطابهم[3]
إِدًّا (90/19)	عوجا [4]
غَيرِ أُولِي الإِرْبَةِ (31/24)	لا يهمه إلا بطنه ولا يخاف على النساء
أَلْتَنَاهُمْ (21/52)	نقصنا [5]
وَالمُؤَلَّفَةِ (60/9)	يتألفهم بالعطية
إِمْرًا (70/18)	منكرا [6]
عَلَى أُمَّةٍ (22،21/43)	على إمام
أَوَّبِي (10/34)	سبحي معه[7]
تبتئس (36/11)(69/12)	تحزن [8]
وَتَبَتَّلْ (7/73)	أخلص [9]
وَالبُدْنَ (34/22)	سميت البدن لبدنها[10]

(1) تفسير ابن كثير: ج4 ص257. انظر مفردات الراغب: ص457. اللسان: ج5 ص4077. البيت لأمية بن الصلت .
(2) أخذت هذه الشروحات من معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري تأليف محمد فؤاد عبد الباقي بداية من الصفحة 29.
(3) جاء في اللسان ج1 ص25: « الأثَر: الخبر والجمع آثار ». انظر مختار الصحاح: ص16.
(4) انظر اللسان: ج1 ص43.
(5) انظر اللسان: ج1 ص106. مجمل اللغة: ج1 ص101. مختار الصحاح: ص34.
(6) انظر مفردات الراغب: ص35.
(7) انظر اللسان: ج1 ص167. مختار الصحاح: ص47.
(8) انظر اللسان: ج1 ص200. مفردات الراغب: ص75. مختار الصحاح: ص55.
(9) انظر اللسان: ج1 ص207. مفردات الراغب: ص47. مختار الصحاح: ص61.
(10) انظر اللسان: ج1 ص233. مفردات الراغب : ص50.

المفردة	التفسير
بُورا (18/25)	هالكين [1]
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ (5/11)	شك وامتراء في الحق
يُجَازِي (17/34)	يعاقب [2]
جِمَالَاتٌ(33/77)	حبال[3]
جَمًّا (22/89)	الكثير [4]
الجِيَاد (31/38)	السِّراع
حَبُّ الحَصِيد (9/50)	الحنطة [5]
يُحْبَرُونَ (14/30)	ينعمون [6]
يُحَادُّون (20،5/58)	يشاقون الله[7]
مِنْ مَحَارِيبَ (13/34)	بنيان ما دون القصور[8]
بِحُسْبَان (3/55)	كحسبان الرحى
بِغَيْرِ حِسَابٍ (210/2)، (37،27/3)، (37/24)، (39/38)، (10/39)، (40/40)	بغير حرج[9]
حَمَّالَةُ الحَطَبِ (4/111)	تمشي بالنميمة[10]
الأَخْدُود (4/85)	شق الأرض [11]
جَعَلَهُمْ مُسْتَخْلَفِينَ (7/57)	معمرين فيه
يَدَعُّ (2/107)	يدفع عن حقه يقال هو من دععت [12]
يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ	نسل بعد نسل

(1) انظر اللسان: ج1 ص385. مفردات الراغب: ص74. مختار الصحاح: ص90.
(2) انظر اللسان: ج1 ص619.
(3) انظر اللسان: ج1 ص683. مجمل اللغة: ج1 ص198. مختار الصحاح: ص142.
(4) انظر اللسان: ج1 ص686. مفردات الراغب: ص103. مختار الصحاح: ص142.
(5) انظر اللسان: ج2 ص894.
(6) انظر اللسان: ج2 ص749. مفردات الراغب: ص113.وجاء في مختار الصحاح ص 153:«الحبور: السرور».
(7) انظر اللسان: ج2 ص800.
(8) انظر اللسان: ج1 ص817.
(9) انظر اللسان: ج1 ص866.
(10) انظر مفردات الراغب: ص139.
(11) انظر اللسان:ج2 ص1108. مفردات الراغب:ص149. مجمل اللغة: ج2 ص273. مختار الصحاح: ص214.
(12) انظر اللسان: ج2 ص1381.مفردات الراغب: ص176. مجمل اللغة:ج2 ص317. مختار الصحاح: ص255.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المفردة	التفسير
ذَنُوبًا (59/51)	سبيلا
رُجَّتْ (4/56)	زلزلت [1]
لاَ يَرْجُونَ حَسَابًا (27/78)	لا يخافونه[2]
تَرَدَّى (11/92)	مات
رَوْحٌ (92/56)	جنة ورخاء
المَسْجُور(5/52)	المملوء [3]
يُسْجَرُون (72/40)	توقد بهم النار[4]
إِذَا سَجَى(2/93)	استوى
سَدِيدًا /وَسَدَادَ (9/4)	صدقا (أيحسب الإنسان أن يترك سدى)
السلوى (57/2)(160/7)(80/20)	الطير [5]
السُّوأى (10/30)	الإساءة جزاء المسيئين[6]
أَخْرَجَ شَطْأَهُ (29/48)	فراخه [7]
صَدِيدٍ (19/14)	قيح ودم [8]
الصَّرْحَ (44/27)	بركة ماء ضرب عليه سليمان قوارير ألبسها إياه
صَرَّةٌ (29/51)	صيحة[9]
صَيَاصِيهِمْ (26/33)	قصورهم[10]
ضَلَلْنَا (9/32)	هلكنا [11]
أو الطفلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا (31/24)	لم يدروا لما بهم من الصغر
تَعْبَثُونَ (128/26)	تبنون

(1) انظر اللسان: ج3 ص1585. مختار الصحاح: ص287.
(2) انظر اللسان: ج3 ص1604. مفردات الراغب: ص194. مجمل اللغة: ج2 ص423. مختار الصحاح: ص291
(3) انظر اللسان: ج3 ص1942. مجمل اللغة: ج2 ص486. مختار الصحاح: ص349.
(4) انظر اللسان: ج3 ص1942. مجمل اللغة: ج2 ص486. مختار الصحاح: ص349.
(5) انظر اللسان: ج3 ص2086. مختار الصحاح: ص377.
(6) انظر اللسان: ج3 ص2138. مختار الصحاح: ص386.
(7) انظر اللسان: ج4 ص2260. مختار الصحاح: ص406.
(8) انظر مفردات الراغب: ص279. مجمل اللغة: ج2 ص532.
(9) انظر مفردات الراغب: ص282.
(10) جاء في مختار الصحاح ص450: « الصياصي: الحصون».
(11) قال ابن منظور ج4 ص2604: « معناه إذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أضللنا في الارض فلم يتبين شيء من خلقنا ». انظر مختار الصحاح: ص460.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المفردة	التفسير
وَعَتَوْا (76/7) (21/25)	طغوا [1]
فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ (145/37)	بوجه الأرض[2]
لاَ يَعْزُبُ (3/34)	لا يغيب [3]
فعززنا (14/36)	فشددنا [4]
وَعَزَّنِي (23/38)	غلبني صار أعزمني[5]
فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ (22/47)	أي جد الأمر[6]
أَفَعَيِينَا (15/50)	أفأعيا علينا
غَاسِقٍ (3/113)	الليل [7]
غُلْبًا (30/80)	الغلب : الملتفة[8]
فِرَاشًا (21/2)	مهادا [9]
فَاكِهُونَ (54/36)	معجبون [10]
تُـفِيضُونَ (61/10)(7/46)	تقولون [11]
تَقْرِضُهُمْ (17/18)	تتركهم [12]
القِسْطَاسِ(35/17)(182/26)	العدل بالرومية [13]
تَـقَاسَمُوا (50/27)	تحالفوا [14]
مَقْصُورَاتٌ (71/55)	محبوسات [15]
لما يقض (23/80)	لا يقضي أحد ما أمر به

(1) جاء في اللسان ج4 ص2804: «عتا يعتو عتوًا وعتيًا: استكبر وجاوز الحد». انظر مختار الصحاح :ص 495.
(2) انظر اللسان: ج4 ص2921. مختار الصحاح: ص514.
(3) انظر اللسان: ج4 ص2923. مجمل اللغة: ج3 ص667. مختار الصحاح: ص515.
(4) انظر اللسان: ج4 ص2926. مختار الصحاح: ص515.
(5) انظر اللسان: ج4 ص2927. مفردات الراغب: ص336. مجمل اللغة: ج3 ص613. مختار الصحاح: ص515.
(6) انظر اللسان: ج4 ص2932.
(7) انظر اللسان: ج5 ص3206. مجمل اللغة: ج3 ص696. مختار الصحاح: ص565.
(8) انظر مختار الصحاح: ص569.
(9) جاء في اللسان: ج5 ص3382:« وقوله تعالى: ﴿الذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة 22]أي وطاء».
(10) انظر اللسان: ج5 ص3453. مجمل اللغة: ج3 ص704. مختار الصحاح: ص606.
(11) جاء في اللسان ج5 ص3501: « وأفاض القوم في الحديث : انتشروا ...اندفعوا وخاضوا واكثروا».
(12)انظر اللسان: ج5 ص3590. مجمل اللغة: ج3 ص748.
(13)انظر اللسان: ج5 ص3626. مفردات الراغب: ص404. مجمل اللغة:ج3 ص752. مختار الصحاح: ص635.
(14)انظر اللسان: ج5 ص3630. مفردات الراغب: ص404. مجمل اللغة:ج3 ص752. مختار الصحاح: ص635.
(15)انظر اللسان: ج5 ص3646. مختار الصحاح: ص638.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المفردة	التفسير
قِطْمِيرٍ(13/35)	لفافة النواة [1]
قَابَ قَوْسَيْنِ (9/53)	حيث الوتر من القوس[2]
كُبْتُوا (5/58)	أخزيوا (اخزوا) من الخزي[3]
كَنُودَ (6/100)	الكفور [4]
أَلْفَافًا (16/78)	ملفقة [5]
أَلْقَى (15/16)(87/20)(50/22)(10/31)(37/50)(15/75)	صنع
ذُو مِرَّةٍ (6/53)	ذو قوة [6]
مُكَاءً (35/8)	إدخال أصابعهم في أفواههم [7]
غَيْرَ مَمْنُونٍ (7/41)(3/68)(25/84)(6/95)	محسوب [8]
نَادِيَه (18/96)	عشيرته [9]
نَسْتَنْسِخُ (28/45)	نكتب [10]
نَنْسَاكُمْ (33/45)	نترككم [11]
رِقٍّ مَنْشُورٍ (2/52)	صحيفة [12]
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3/94)	أثقل [13]
إِلَّا نَكِدًا (57/7)	قليلا [14]
نَكَّرُوا (41/27)	غيروا [15]
الوَدَقَ (42/24)(38/30)	المطر [16]
مَوْزُونٍ (19/15)	معلوم [17]

(1) انظر اللسان: ج5 ص3682. مختار الصحاح: ص645.
(2) جاء في اللسان ج5 ص3768: « والقابُ : ما بين المقبض والسِّيَةِ» كذلك في مختار الصحاح: ص657.
(3) انظر اللسان : ج5 ص3805. مختار الصحاح : ص564.
(4) انظر اللسان: ج5 ص3936. مفردات الراغب: ص444. مجمل اللغة: ج3 ص772. مختار الصحاح: ص686.
(5) انظر مفردات الراغب : ص455. مجمل اللغة: ج3 ص793. مختار الصحاح: ص711.
(6) انظر اللسان: ج6 ص4177. مفردات الراغب : ص469. مختار الصحاح: ص734.
(7) انظر اللسان: ج6 ص4251.
(8) المصدر نفسه: ج6 ص4278.
(9) انظر اللسان: ج6 ص4389. مختار الصحاح: ص772.
(10) انظر اللسان: ج6 ص4407. مجمل اللغة : ج3 ص866. مختار الصحاح: ص776.
(11)انظر اللسان: ج6 ص4416. مفردات الراغب : ص493. مجمل اللغة : 866. مختار الصحاح: ص778.
(12) انظر اللسان: ج3 ص1706. مجمل اللغة : ج2 ص368. مختار الصحاح: ص310.
(13) انظر اللسان: ج6 ص4524. مختار الصحاح: ص798.
(14) انظر اللسان: ج6 ص4538.
(15) انظر اللسان: ج6 ص4540. مجمل اللغة : ج3 ص884.
(16) انظر اللسان: ج6 ص4800. مفردات الراغب: ص533. مجمل اللغة : ج3 ص920. مختار الصحاح: ص843.
(17) جاء في اللسان فيما معناه ج6 ص4829.

ومن لغويات مجاهد في تفسيره أيضا، إرجاعه بعض الألفاظ إلى أصول غير عربية، ومن هذه الألفاظ المعرّبة :

الآل : روي عن مجاهد قال : الآل : الله بالعبرانية[1].

الأوّاه: عن مجاهد : الموقف بلسان الحبشة[2] .

سِجِّيل: قال مجاهد بالفارسية أولها حجارة وأخرها طين[3] .

سَرِيًّا: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : نهرا بالسريانية[4] .

سَيْلَ العَرِمْ: قال مجاهد العرم بالحبشة هي مبناة 'المسناة في الإتقان' التي يجتمع فيها الماء ثم ينبثق[5].

الطُّور: عن مجاهد قال: الجبل بالسريانية[6] .

الفِرْدَوْس: أخرج أبن أبي حاتم عن مجاهد قال الفردوس : بستان بالرومية[7].

القِسْطُ وَالقِسْطَاسُ: قال مجاهد : العدل بالرومية[8].

المِشْكَاةُ: الكوة بلغة الحبشة [9].

مَقَالِيدُ: عن مجاهد قال: مفاتيح بالفارسية [10].

كما يعزى إلى مجاهد رحمه الله أنه اتخذ من هذه اللّغة ودلالاتها وصور الصوت في أدائها كأصول اعتمد عليها في دعوته إلى تأويل المتشابه من القرآن دون تحرج أو تأثم، وكان يرى أن العلم باللّغة عندما يستوفي أسبابه فللمجتهد الحق في توجيه ما استطاع عن المتشابه[11]. ومن هنا نراه في تأويل قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾[آل عمران 7] يقول : « ولو لم يكن

---

(1) تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. ت: أحمد صقر. ط:2. القاهرة: مط دار التراث. ص449. التقفية في اللغة. أبو بشر اليمان ابن أبي اليمان البلدليجي. ت: خليل إبراهيم العطية. ص619. البداية والنهاية. أبو الفدا بن كثير. بيروت: مط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج9 ص227.

(2) مجاهد المفسر والتفسير: ص449.

(3) الإتقان: ج1 ص181.

(4) المصدر نفسه: ج1 ص181.

(5) المصدر نفسه: ج1 ص182.

(6) المصدر نفسه: ج1 ص182. فتح الباري: ج8 ص602.

(7) الدر المنثور للسيوطي: ج4 ص254. الإتقان: ج1 ص182.

(8) الإتقان: ج1 ص182.

(9) المصدر نفسه: ج1 ص183.

(10) المصدر نفسه: ج1 ص183.

(11) دراسات في القرآن للسيد خليل: ص140.

للراسخين حظ في المتشابه إلا أن يقولوا آمنا به لم يكن فضل للعالم على الجاهل لأن الكل قائلون ذلك »[1]. وتفسيره مشحون بالشروحات التي أعتمد فيها على اللّغة لتوجيه المتشابه.

كما كان لمجاهد ومن قبله أستاذه ابن عباس الفضل في التفات العلماء إلى استقراء اللفظة الواحدة في القرآن الكريم، في المواضع المختلفة وهي تسمى عند علماء القرآن « كليات القرآن ». وهي من فروع البحث اللّغوي في القرآن الكريم.وهذه بعض الكليات القرآنية المروية عن مجاهد التي ما كان له أن يحيط بها لولا معرفته الواسعة بلغة العرب وأساليب كلامها.

- عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن: أو، أو فصاحبه مخير فيه فإن كان 'فمن' فالأول فالأول.
- عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن: أو، أو فصاحبه بالخيار يأخذ الأولى فالأولى[2].
- عن مجاهد: كل ظن في القرآن فهو علم. وعنه كل ظن في القرآن يقين، وإني ظننت وظنوا[3].
- كل شيء في القرآن عسى: فإن عسى من الله واجب[4] .
- قال الأوزاعي: حدثنا من سمع مجاهد يقول: المباشرة في كتاب الله: الجماع[5].
- وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد: الرفث غشيان النساء[6].

ب- مجاهد وابن عباس في شروحاتهما اللّغوية

ولكن هل كل تفسير مجاهد اللّغوي صورة من تفسير أستاذه ابن عباس رضي الله عنهما، ولا سيما وقد عرض القرآن عليه ثلاثين عرضة[7]، وأخذ عنه تفسير القرآن كله؟ الحق أن مجاهدا وإن كان سمع من ابن عباس، فقد سمع لكثيرين من غيره، وأخذ عن شيوخ آخرين[8]، وشكل رؤيته العلمية وتفسيره اللّغوي عن خلاصة ما تلقاه عن جميعهم. لذلك نراه لا يعبأ أن يخالف أستاذه ابن عباس في اجتهاداته اللّغوية، ويثبت رأيه بجانب رأي أستاذه.وطبيعي جدا أن تختلف آراؤهما وآراء غيرهما في الكلمة الواحدة باختلاف سياقها التركيبي اختلافا يعتمد على الحس البياني تارة والرصيد المعرفي

---

(1) دراسات في القرآن للسيد خليل : ص140.
(2) تفسير الطبري: ج7 ص53. الدر المنثور للسيوطي: ج1 ص214. تفسير سفيان الثوري: ص61.
(3) تفسير الطبري: ج1 ص262. الدر المنثور للسيوطي: ج1 ص68. تفسير سفيان الثوري: ص45.
(4) الدر المنثور للسيوطي: ج1 ص244.
(5) تفسير الطبري: ج2 ص169.
(6) المصدر نفسه: ج2 ص161 و ج2 ص267. تفسير سفيان الثوري: ص63.
(7) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج5 ص466.
(8) أحصى الدكتور أحمد اسماعيل لوفل في كتابه «مجاهد المفسر والتفسير» ستة وثلاثين صحابيا وكثيرا من التابعين.

في مجال اللّغة تارة أخرى بل إن من الطبيعي أن يختلف رأي المفسر الواحد في تأويل المادة الواحدة إذا سيقت مساقين مختلفين، ونضرب لذلك مثالا بهذه الآيات الكريمة :

1- قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[الطور 5] قال ابن عباس : الممتلئ وقال مجاهد: الموقد[1].

قال ابن القيم : وأقوى الأقوال في المسجور أنه الموقد وهذا هو المعروف في اللّغة[2].

2- وأمام قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[البلد 4] قال ابن عباس : منتصبا على قدميه. وقال مجاهد: الكبد: النصب[3].

3- و قول الحق تعالى :﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾[البقرة 145، الأنعام21] قال ابن عباس: الضمير عائد على الحق في القبلة. وقال مجاهد: عائد على محمد ﷺ أي يعرفون صدقه ونبوته[4].

4- و قال تعالى : ﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾[البقرة 70] قال ابن عباس : مسلمة لا عوار فيها. وقال مجاهد: مسلَّمة من الشية، لا بياض فيها ولا سواد[5]. ولم يرتضه الطبري[6] .

وعند قوله تعالى :﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾[البقرة 165] قال ابن عباس: الأرحام.

وقال مجاهد العهود[7].

5- وفي معنى 'الفوم'[8] قال ابن عباس: الحنطة. وقال مجاهد: الخبز[9].

وغير هذا كثير أثبته أئمة التّفسير في مدوناتهم، والذي أردته من هذه النماذج التي خالف فيها مجاهد أستاذه ابن عباس، أن مجاهد لم يكن مقلدا ناقلا لعلم شيخه بقدر ما كان حافظا ناقدا، يمتاز عن غيره من أتباع مدرسته بالحرية في التفكير والجرأة على اختيار الرأي الذي تمليه عليه ثقافته الفكرية، ويُحتّمه المنطق العلمي السليم.

---

(1) انظر اللسان: ج3 ص1942. مجمل اللغة: ج2 ص486.
(2) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج8 ص602.
(3) مجاهد المفسر والتفسير لأحمد اسماعيل لوفل: ص228. انظر اللسان: ج5 ص3807.
(4) المحرر الوجيز لابن عطية: ج1 ص223-224.
(5) انظر اللسان: ج6 ص4847.
(6) تفسير الطبري: ج1 ص351-352.
(7) المحرر الوجيز لابن عطية: ج1 ص236.
(8) من قوله تعالى في سورة البقرة الآية 61: **﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾**
(9) المحرر الوجيز: ج1 ص153. انظر اللسان: ج5 ص3491.

ولقد انتقلت هذه التركيبة الفكرية وهذا المنهج العلمي لمجاهد إلى غيره من الأجيال اللاحقة من تلاميذ المدرسة المكية من شدة الإعجاب بتفسير أستاذهم مجاهد،لماله دون تفاسير غيره من أثر بالغ في التفاسير الأثرية واللّغوية الجامعة التي ظهرت بعد عصره وبانت مناهجها. فقلما يحظى كتاب برضى أصحاب منهجين مختلفين، فبينما التفاسير الأثرية تهتم به وتجعله مصدر مادتها التّفسيرية لكون مجاهد من أكبر شيوخ مدرسة الأثر التّفسيرية بمكة، ومن أكثر أقرانه رواية لأقوال أستاذه ابن عباس، ولغيره من مرويات الصحابة، نرى في المقابل تفاسير اللّغويين وأصحاب الرأي تعتمدُه وترجع إليه مستمدة منه طريقة تفكيره، وسمات العمل التّفسيري النافع، الذي يجعل من اللّغة والعقل ومكوناتهما المعرفية أداة بالغة التأثير في عملية التدبر الفكري والوجداني لنصوص الكتاب العزيز، والخروج عن طوق التقليد الذي ما خدم كتابا ولا نفع أمة. ونكاد نرى هذا التأثير الشديد جليا في مجاز القرآن لأبي عبيدة وهو من الكتب التي كان لتفسير مجاهد الأثر البيّن فيها، ومجاز القرآن يعد من المعالم الهامة في تاريخ التّفسير اللّغوي، فإذا كان مولد أبا عبيدة سنة عشر ومائة للهجرة (110هـ) علمنا أنه عاصر الكثير من تلاميذ مجاهد، وأبرزهم أبو عمرو بن العلاء(154هـ) الذي كان أهم شيوخ أبو عبيدة، فقد « أخذ عنه أبي عمرو بن العلاء النحو والشعر والغريب، وفي مجاز القرآن أثر أبي عمرو واضح على أبي عبيدة »[1] فعَلِم عندئذ أثر مجاهد في المجاز، وبمعرفة تأثير أبي عبيدة الكبير فيمن تبعه لكونه أحد مقنني المنهج اللّغوي في التّفسير، وتأثره الواضح بمدرسة مجاهد يتبين بالتالي تأثير مجاهد في خط سير التّفسير اللّغوي.

وغير أبي عبيدة من علماء اللّغة والغريب والمعاني لم يكونوا بمعزل عن تفسير مجاهد « فالزمخشري في الفائق وابن الأثير في النهاية والفراء في المعاني كل هؤلاء وغيرهم كثيرا ما رجعوا لقول مجاهد واحتجوا به في المواقف اللّغوية البحتة، وما ذلك إلا لمكانة رفيعة، وتمكن من ناحية اللّغة وعلو شأن في هذا الجانب، كان عليه تفسير مجاهد »[2].

مجاهد والمعتزلة

وهناك أمر له علاقة بتفسيرات مجاهد اللّغوية دار فيه حديث بين المستشرقين وبدأ يلوكه دارسونا ومثقفونا، وهو ما نسب إلى مجاهد من القول بالاعتزال والرأي رغم أنه نتاج مدرسة أثرية لا يتجاوز خروجها عن المأثورات إلا بإعمال الجانب اللّغوي في فهم دلالات الألفاظ والتراكيب،

---

(1) مجاز القرآن. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. ت: محمد فؤاد سزكين. القاهرة: مط مكتبة الخانجي. ص11.
(2) مجاهد المفسر التفسير لأحمد اسماعيل نوفل: ص652-653.

وليس ما اتهم به مجاهد بالأمر الجديد، فقد واجهه المغرضون في زمانه، قال ابن مجاهد: قال رجل لأبي: أنت الذي تفسر القرآن برأيك؟ فبكى أبي ثم قال: إني إذا لجريء لقد حملت التّفسير عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبي ﷺ ورضيّ الله عنهم[1].

والحق أن مجاهدا كان أكثر تلاميذ ابن عباس تحررا: « ولكن هذا التحرر لم يكن بعيدا عن فكرة ابن عباس ومنهجه في التّفسير، فقد كان مجاهد يصدر من نفس الفكرة في الاعتماد على اللّغة في فهم النص »[2] فهو صورة صادقة لمدرسة أستاذه ومنهجه، وهما أصحاب منهج متميز في التّفسير للعقل فيه مجال كبير في فهم النص لا في تجاوزه أو الاستقلال عنه. يقول مجاهد: « أفضل العبادة الرأي الحسن »[3] قال ابن كثير في البداية والنهاية: يعني اتباع السنة[4] ولكنه ليس الرأي المطلق من كل قيد أو المتحرر من أصول المنهج القرآني السليم،ولقد كان مجاهد على قدر كبير من التدين والورع اللذان يجعلان لهذه الحرية ضوابطا وحدودا.

وقد ذهب هذا الاتهام مذهبه إلى حد جعل تفسير مجاهد نواة التّفسير الاعتزالي[5]. وليس هذا التصور صحيح للمسألة، إذ لا يعد الأمر أن يكون اتفاقا في المنهج اللّغوي وقد عرف عن المعتزلة أنهم اعتمدوا اللّغة كأساس أول لمذهبهم، فاتّهم بالاعتزال بعد ذلك من أولى الجانب اللّغوي اهتماما في تفسيره، ولعل نقاط الالتقاء بين مجاهد والمعتزلة والتي دفعت لهذا التصور تنحصر في نقطتين أساسيتين :

الأولى: إعطاء العقل حرية في فهم النص القرآني. والحق أن هذه النقطة عرضية وليست منهجية أصولية، فمجاهد وإن أعطى العقل مدى من الحرية أوسع مما صنع أقرانه، فذلك المدى تابع للشرع مقيد محدود بأطره، بينما المعتزلة يخرجون عن ذلك الإطار حين يجعلون العقل سابقا للشرع مقدما عليه في بعض الأحيان. فهما على هذا خطان وإن تشابها ظاهرا فقد اختلفا باطنا ودوافعا.

الثانية: التتبع اللّغوي للفظة القرآنية. وقد نمى هذا الاتجاه وترعرع أيضا على يد المعتزلة، بينما منهج ابن عباس وتلميذه كان التتبع اللّغوي للاستعانة على تفسير كتاب الله الجليل، وليس لتحكيم اللّغة

---

(1) التفسير والمفسرون للذهبي: ج1 ص107.
(2) البغوي الفراء محمد ابراهيم شريف : ص217.
(3) البداية والنهاية لابن كثير : ج9 ص225.
(4) المصدر نفسه : ج9 ص225.
(5) وبداية المقارنة والربط بين مجاهد والمعتزلة عند المستشرقين ما قاله جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير ص130:« وقد ذهب مجاهد أبعد مما اجترأ عليه من بعد علماء المعتزلة». ثم تبع كتّابنا نفس الخطى: يقول الأستاذ أحمد خليل:« كان مجاهد أكثر تلاميذ ابن عباس تحررا في التفسير، وعنه أخذ أهل الاعتزال أكثر تفاسيرهم وهو عند الطبري موضع للنقد فيما يرويه عنه من التفسير »دراسات في القرآن: ص112 .

وجعلها مهيمنة على كتاب الله كما هو الشأن عند المعتزلة،« فهناك اصطلاح شرعي وعرف شرعي تخضع له اللّغة ولا يخضع هو لها. وليس كذلك صنيع المعتزلة في تتبعهم اللّغوي ، فبالإضافة إلى التطور الطبيعي الذي نشأ عنه مزيد من التعمق في الفهم البلاغي والذوق اللّغوي،كان لهم اتجاه في تسويد القاعدة اللّغوية على النقل الأثري، ومن هنا أخضعوا تفسيرات بعض الاصطلاحات القرآنية لمناهجهم اللّغوية فخرجوا بها عن مراداتها الأصلية »[1] ولعل آيات الصفات هي أكبر الشواهد على منهجهم اللّغوي في توجيه النصوص القرآنية كما سيستبين ذلك في مبحث لاحق،ونتيجة لهذا التشابه في معالجة الآيات من طريق الرأي واللّغة ربط بعض الباحثين بين أصول المعتزلة ومذهب مجاهد في تفسيره اللّغوي.

وخلاصة القول في تفسيرات مجاهد اللّغوية أنها جاءت مشتملة على جملة من الخصائص أهمها:

1- إثبات المرجعية اللّغوية لكل حرف من حروف القرآن، ومجانبة القول بالرأي المذموم، وليس الرأي المذموم قول من جهل اللّغة والشرع، بل من لم يكن محيطا بالعربية ولهجاتها المتداولة عصرئذ.

2- التخلص من ربقة التقليد، وفتح باب الاجتهاد والبحث اللّغوي في القرآن .

3- التوسع في شرح الغريب وحل الكلمات الصعبة والترجيح بين لهجات العرب.

إن مجاهدًا بما صنع من خصائص يتجلى في كثير من آثاره التّفسيرية كلغوي جدير، قادر على كلام العرب ولغتهم عارف بأساليب بيانهم وتصريف لسانهم واصطلاحاتهم مما مكنه من الاجتهاد في كثير من المباحث القرآنية ذات الطابع اللّغوي وتوجيهها توجيها لغويا. فقدم بذلك خطوة جديرة نحو المنهج لغوي متكامل في التّفسير ما كان له أن ينضج لولا ما قدمه مجاهد بجانب أستاذه ابن عباس من جهود لغوية ظلت محل دراسات معمقة إلى اليوم.

قيمة وخصائص التّفسير اللّغوي عند التّابعين

من أشد مميزات التّفسير اللّغوي عن التّابعين ظهورا، الصياغة المختصرة حتى يخيل للناظر أن ما قام به التّابعون لا يعد أن يكون شرحا مبسطا للمفردات القرآنية. إلا أن أمر هذه الشروحات هو أكثر عمقا مما قد يتصوره الناظرون، وسندرك حقيقة هذا العمق بعدما نمعن النظر فيما نقوم به من عملية المقابلة بين ما يذهب إليه التّابعون من المعاني اللّغوية للمفردات والسياقات القرآنية، وما توصل إليه جهابذة العلماء واللّغويين ليخلصوا بعد طول بحث ودراسة إلى ما انتهى إليه التّابعون.

---

(1) مجاهد المفسر والتفسير لأحمد اسماعيل نوفل : ص105.

ولقد أثبتُّ أقوال التّابعين اللّغوية في جدول بعدما اخترت منها بعضا مما ورد في تفسير سورتي « الصافات » و« ص»[1] وقابلت هذه الشروحات نفسها بما وصل إليه المفسرون اللّغويون من مثل الفراء في معانيه، وابن قتيبة في غريبه، والزمخشري في أساسه، والطاهر بن عاشور(1393هـ) في التحرير والتنوير. كما تتبعت معاني هذه الألفاظ من معاجم اللغة لننتهي بعد العرض إلى القيمة العلمية لآراء التّابعين اللّغويين التي شكلت أساس الإتجاه اللّغوي في تفسير القرآن الكريم خلال هذه المرحلة :

المفسر	المفردة	التّفسير
	من سورة الصافات	
مجاهد	يُقْذَفُونَ	يرمون [2]
مجاهد	مِنْ كُلِّ جَانِبٍ	من كل مكان[3]
مجاهد	دُحُورًا [4]	مطرودين[5]
السّدي[6]	وَاصِبٌ [7]	الموجع[8]
قتادة، مجاهد، عكرمة	واصب	دائم[9]
ابن زيد[10]	واصب	الدائب
السدي	ثَاقِبٌ[11]	مضيء يحرقه حين يرمى به[12]
ابن زيد	ثَاقِبٌ	المستوقد، قال: الرجل يقول أَثْقِبْ نارك، ويقول استَثْقِبْ نارك، استوقد نارك[13]

(1) روى هذه الشروحات ابن جرير الطبري في تفسيره الجزء3 من ص39 إلى ص175.
(2) انظر مفردات الراغب: ص398. اللسان: ج5 ص3560. مجمل اللغة: ج3 ص746. مختار الصحاح: ص625.
(3) انظر اللسان: ج1 ص693.
(4) قال ابن قتيبة : « 'دحورا' يعني طردا، يقال: دحرته دحرا ودحورا أي دفعته » تفسير غريب القرآن ص369. وقال الزمخشري:« دحره : طرده . دحورا: ﴿ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا ﴾ والشيطان مدحور من رحمة الله » أساس البلاغة. جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري. ت:عبد الرحيم محمود. بيروت: مط دار المعرفة للطباعة والنشر. ص127.
(5) انظر مفردات الراغب : ص172. مجمل اللغة: ج2 ص347. مختار الصحاح : ص248.
(6) « اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السُّدّي صاحب التفسير أصله حجازي... روى عن ابن عباس وانس وطائفة ». طبقات المفسرين. شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي. ت: علي محمد عمر. ط:1. الناشر مكتبة وهبة، 1972م. ج1 ص109.
(7) قال الفراء: « 'عَذَابٌ وَاصِبٌ 'دائم خالص » معاني القرآن: ج2 ص383. وقال ابن قتيبة : « 'ولهم عذاب واصب 'أي دائم » غريب القرآن: ص369. قال الزمخشري: « وأمر واصب : واجب دائم » أساس البلاغة: ص500.
(8) انظر اللسان: ج6 ص4848.
(9) انظر اللسان: ج6 ص4848. مفردات الراغب: ص539. مجمل اللغة ج3 ص927. مختار الصحاح: ص854.
(10) علي بن زيد بن جدعان التيمي القرشي البصري الأعمى عالم البصرة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ت: شيب الأرنؤوط، مأمون الصاغرجي. ط:1. ج5 ص206.
(11) قال ابن قتيبة : « ثاقب: كوكب مضيء بَيِّنٌ. يقال : اثْقِبْ نارك أي أضئها » غريب القرآن : ص369. قال الزمخشري : « ومن المجاز : كوكب ثاقب ودُرِّي : شديد الإضاءة والتلألأ، وكأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها ويدرؤها » أساس البلاغة: ص45.
(12) انظر اللسان: ج1 ص492. مجمل اللغة: ج1 ص160. مختار الصحاح : ص110.
(13) انظر اللسان: ج1 ص492. مفردات الراغب: ص85. مختار الصحاح: ص109.

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة الصافات	
عكرمة	اللازب[1]	اللّـزج
الضحاك[2](102هـ)	اللازب	الطين الجيد
قتادة	اللازب	الذي يلزق اليد
مجاهد	اللازب	لازم
الضحاك	اللازب	اللازق[3]
ابن زيد	اللازب	الذي يلتصق كأنه غراء ذلك اللازب[4]
قتادة	يستسخرون[5]	يسخرون منها ويستهزئون[6]
مجاهد	يستسخرون	يستهزئون ويسخرون
قتادة، السدي	داخرون[7]	صاغرون[8]
أبو العالية[9]، قتادة	أزواجهم[10]	أشياعهم[11]
السدي	أزواجهم	أشباههم
مجاهد	أزواجهم	أمثالهم

(1) قال الفراء:« اللازب: اللاصق، وقيس تقول: طين لاتبٌ انشدني بعضهم:
صُنَاعٌ وَتَوْصِيمُ العِظَامِ وَقَتْرَةٌ * وَغَثْيٌ مَعَ الإِشْرَاقِ فِي الجَوْفِ لاَتِبُ
(توصيم العظام: الفتور فيها. الغثي: التهيؤ للقيء.) والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازم. يبدلون الباء ميما، لتقارب المخرج. » معاني القرآن ج2 ص384.
ويقول ابن قتيبة: « 'لازب' أي لاصق لازم، والباء تبدل من الميم لقرب مخرجيهما. » غريب القرآن: ص369.
ويقول ابن عاشور:« اللازب : اللاصق بغيره، ومنه أطلق على الأمر الواجب 'لازم' في قول النابغة:
وَلاَ يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ ». التحرير والتنوير: ج22-23-24 ص95.

(2) « الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير كان من أوعية العلم وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه،... وحدث عنه ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر وانس بن مالك، وعن الأسود وسعيد بن جبير وعطاء وطاوس وطائفة. » سير أعلام النبلاء للذهبي: ج4 ص598.

(3) انظر اللسان: ج5 ص4026. مختار الصحاح : ص706..

(4) انظر اللسان: ج5 ص4026.

(5) قال ابن قتيبة:« يستسخرون أي يسخرون، يقال: سَخِرَ واستسخر كما يقال قَرَّ واستقر.»غريب القرآن: ص370.

(6) انظر مفردات الراغب: ص233. اللسان: ج3 ص1963. مجمل اللغة : ج2 ص490. مختار الصحاح : ص352.

(7) قال الزمخشري:« دخر فلان دُخورا ودَخَرَ دخرًا : ذلّ ومرّ صاغرا داخرا.» أساس البلاغة : ص127.
قال بن عاشور: « والداخر : الصاغر الذليل. » التحرير والتنوير ج 22-23-24 ص99.

(8) انظر اللسان : ج1 ص1340. قال ابن فارس في مجمل اللغة: ج2 ص348: « دخر الرجل وهو داخر إذا ذل».

(9) «أبو العالية الرياحي رفيع بن مهران البصري الفقيه مولى امرأة من بني رياح بطن من تميم رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أُبَيّ وغيره. وسمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة رضي الله عنهم.» تذكرة الحفاظ للذهبي: ج1 ص61.

(10) قال ابن قتيبة:«أزواجهم: أي أشكالهم، تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت واحدا بآخر. »غريب القرآن: ص370.
قال الزمخشري في أساس البلاغة ص197:« وهذا زوجه أي قرينه، وأنشد ابن الأعرابي :
لَنَا نَعَمٌ لاَ يَعْتَرِي الذَّمُّ أَهْلَهَا * سَوَاءٌ عَلَيْنَا ذَاتُ زَوْجٍ وَطَالِقُ
أي ذات ولد ومنفردة ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ وقرناءهم. وزوجت إبلي: قرنت بعضها ببعض. »
قال ابن عاشور:« وقيل الأزواج: الأصناف، قاله قتادة، وهو رواية عن عمر بن الخطاب ».
التحرير والتنوير: ج22-23-24 ص102.

(11) انظر اللسان: ج3 ص1886.

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة الصافات	
قتادة	كأس من معين[1]	كأس من خمر جارية والمعين هي الجارية[2]
الضحاك	كأس من معين	كل كأس في القرآن فهو خمر[3]
السدي	كأس من معين	الخمر والكأس عند العرب كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأس ولكنه يكون إناء[4]
السدي	بيضاء	صفراء
مجاهد	لا فيها غول [5]	وجع بطن
ابن زيد	لا فيها غول	الغول ما يوجع البطون
قتادة	لا فيها غول	ليس فيها وجع بطن ولا صداع رأس[6]
السدي	لا فيها غول	لا تغتال عقولهم [7]
سعيد بن جبير	لا فيها غول	أذى ولا مكروه
مجاهد	ولاهم عنها ينزفون [8]	لا تذهب عقولهم [9]
السدي	ولاهم عنها ينزفون	لا تنزف عقولهم[10]
ابن زيد	ولاهم عنها ينزفون	لا تنزف العقول[11]
قتادة	ولاهم عنها ينزفون	لا تغلبهم على عقولهم

(1) جاء في التحرير والتنوير ج22-23-24 ص112 : « او كانت خاصة بسقي الخمر حتى كانت الكأس من أسماء الخمر تسمية باسم المحل، وجعلوا منه قول الأعشى :

وكَأسٍ شَرِبْتُ عَلى لذّةٍ • وأخرَى تَدَاوَيْتُ منْهَا بِهَا .

'ومعين' بوزن فعيل مثال مبالغة من المعن، وهو الإبعاد في الفعل شبه جريه بالإبعاد في المشي وهذا أظهر في الإشتقاق ».

(2) انظر اللسان : ج6 ص4236. مجمل اللغة : ج3 ص834. مختار الصحاح : ص743.

(3) انظر اللسان : ج5 ص3802.

(4) انظر اللسان : ج5 ص3802. مختار الصحاح : ص664.

(5) قال ابن قتيبة : «'لا فيها غول' أي لا تغتال عقولهم، فتذهب بها يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفس ». غريب القرآن: ص370.

وقال ابن عاشور : « الغول بفتح الغين : ما يعتري شارب الخمر من الصداع والألم واشتق من الغول مصدره غاله إذا أهلكه ». التحرير والتنوير ج22-23-24 ص113 .

(6) انظر اللسان : ج5 ص3319. مختار الصحاح ص577.

(7) انظر اللسان : ج5 ص3317،3318،3319. مختار الصحاح: ص577.

(8) قال الفراء: «'ينزفون' وله معنيان. يقال: قد أنزف الرجل إذا فنيت خمره، وأنزف إذا ذهب عقله. فهذان وجهان، ومن قال: 'ينزفون' يقول: لا تذهب عقولهم، وهو من نزف الرجل فهو منزوف ». معاني القرآن: ج2 ص385.

وقال صاحب التحرير والتنوير : «'ولا هم عنها ينزفون' شبهوا عقل الشارب بالدم يقال : نزف دم الجريح إي فرغ ... وقرأ حمزة (156هـ) والكسائي(182هـ) وخلف البزار(229هـ) 'ينزفون' بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الشارب، إذا ذهبت عقله، أي صار ذا نزف » التحرير والتنوير ج22-23-24 ص114.

(9) انظر اللسان : ج6 ص4398.

(10) انظر مختار الصحاح : ص774.

(11) انظر مجمل اللغة : ج3 ص863.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة الصافات	
السدي	عين[1]	عظام الأعين[2]
ابن زيد	عين	العظيمة العين[3]
ابن جبير	كأنهن بيض مكنون[4]	كأنهن بطن البيض
السدي	كأنهن بيض مكنون	البيض حين يقشر قبل أن تمسه
قتادة	كأنهن بيض مكنون	لم تمر به الأيدي ولم تمسه، يشبهن بياضه
ابن زيد	كأنهن بيض مكنون	البيض الذي يكنه الريش مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح فهو أبيض إلى الصفرة كأنه يبرق فذلك المكنون
الحسن	في سواء الجحيم[5]	في وسط الجحيم[6]
قتادة	في سواء الجحيم	وسطها [7]
السدي	إن كدت لتردين[8]	لتهلكني
قتادة	لشوبا من حميم[9]	مزاجا من حميم [10]
السدي	لشوبا من حميم	الشوب: الخلط، وهو المزج [11]

(1) قال ابن قتيبة: « نجل العيون، أي : واسعاتها . جمع عيناء ». غريب القرآن ص370.
وقال ابن عاشور:«جمع عيناء، وهي المرأة الواسعة العين النجلاوتها». التحرير والتنوير الجزء نفسه ص114.
(2) انظر اللسان : ج4 ص3196.
(3) انظر اللسان: ج4 ص2355. مفردات الراغب: ص273. مجمل اللغة: ج2 ص515. مختار الصحاح: ص421.
(4) قال ابن قتيبة: « العرب تشبه النساء ببيض الدعام. يقول امرؤ القيس :
كَبِكْرِ المُقَانَاتِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ * غِذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلِ »غريب القرآن ص371.
وأما صاحب التحرير فإنه يقول: « هو بيض النعام، النعام يكن بيضه في حفر في الرمل، ويفرش لها من دقيق ريشه... فيكون البيض شديد لمعان اللون وهو ابيض مشوب بياضه بصفرة، وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديما شبهوا الحسان ببيض النعام . قال امرؤ القيس:
وَبَيْضَةُ خُدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا * تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص114.
راجع اللسان: ج6 ص4249 مادة 'مكن'.
(5) قال ابن قتيبة: « سواء الجحيم : وسطها »غريب القرآن ص371. وقال ابن عاشور:«وسطها، قال بلعاء بن قيس:
عَضْبًا أُصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا».التحرير والتنوير الجزء نفسه ص117.
(6) انظر مفردات الراغب: ص252. اللسان: ج3 ص2162. مجمل اللغة: ج2 ص453. مختار الصحاح: ص390.
(7) انظر مفردات الراغب: ص252. اللسان: ج3 ص2162. مجمل اللغة: ج2 ص453. مختار الصحاح: ص390.
(8) قال ابن قتيبة:« لتردين: لتهلكني، يقال أرديت: فلانا، أهلكته، و'الردى' الموت والهلاك» غريب القرآن: ص371.
وقال ابن عاشور: « لتردين: توقعني في الردى وهو الهلاك» التحرير والتنوير الجزء نفسه ص118.
(9) قال الفراء : « لشوبا : الخلط، يقال : شاب الرجل طعامه يشوبه شوبا »معاني الفراء : ج2 ص387.
وقال ابن قتيبة: « 'لشوبا من حميم' أي خليطا من الماء الحار »غريب القرآن: ص372.
وقال ابن عاشور: «الشوب: أصله مصدر شاب الشيء بالشيء إذا خلطه به، ويطلق على الشيء المشوب به إطلاقا للمصدر على المفعول كالخلق على المخلوق، وكلا المعنيين محتمل هنا »التحرير والتنوير الجزء نفسه ص125.
(10) انظر مفردات الراغب : ص273.
(11) انظر مفردات الراغب: ص273. اللسان: ج4 ص2355. مجمل اللغة: ج2 ص515. مختار الصحاح: ص421.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة الصافات	
قتادة	إنهم ألفوا آباءهم [1]	وجدوا آباءهم[2]
مجاهد	فهم على آثارهم يهرعون[3]	كهيئة الهرولة [4]
قتادة	فهم على آثارهم يهرعون	يسرعون إسراعا في ذلك[5]
السدي	فهم على آثارهم يهرعون	يسرعون [6]
ابن زيد	فهم على آثارهم يهرعون	يستعجلون إليه[7]
مجاهد	وإن من شيعته لابراهيم[8]	على منهاج نوح وسنته[9]
قتادة	وإن من شيعته لابراهيم	على دينه وملته [10]
السدي	وإن من شيعته لابراهيم	من أهل دينه
قتادة	نظر في النجوم[11]	تفكر [12]

(1) قال ابن قتيبة: « 'انهم ألفوا آباءهم' وجدوهم كذلك »غريب القرآن ص372.
(2) انظر مختار الصحاح: ص711.
(3) قال الفراء : « أي يسرعون بسيرهم، والإهراع : الإسراع فيه شبيه بالرعدة »معاني الفراء : ج2 ص387.
قال ابن قتيبة: « يسرعون، والإهراع: الإسراع وفيه شبيه بالرعدة »غريب القرآن ص372.
وقال الزمخشري: « أهرع الرجل إهراعا، هو إسراع في رعدة » أساس البلاغة: ص483.
وقال الطاهر بن عاشور: « أهرعه إذا جعله هارعا أي حمله على الهرع، وهو الإسراع المفرط في السير » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص127.
(4) انظر اللسان: ج6 ص4654. مختار الصحاح: ص819.
(5) انظر اللسان : ج6 ص4654. مختار الصحاح: ص819.
(6) انظر اللسان : ج6 ص4654. مختار الصحاح: ص819.
(7) انظر اللسان : ج6 ص4654. مختار الصحاح : ص819.
(8) قال الفراء : « على دينه ومناهجه فهو من شيعته »معاني الفراء : ج2 ص388.
(9) انظر اللسان : ج4 ص2377. مختار الصحاح : ص424.
(10) انظر اللسان: ج4 ص2377.
(11) تفسير قتادة لهذه العبارة غير موجود عند الطبري أخذته من التحرير والتنوير. قال الطاهر بن عاشور: «قال ابن كثير: « قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به». وفي تفسير القرطبي عن الخليل (175هـ) والمبرد (285هـ) يقال للرجل إذا فكر في شيء يدبره: نظر في اللجوم، أي أنه نظر في اللجوم مما جرى مجرى المثل في التعبير عن التفكير لأن المتفكر يرفع بصره إلى السماء لئلا يشتغل بالمرئيات فيخلو بفكره للتدبر. فلا يكون المراد أنه نظر في النجوم وهي طالعة ليلا بل المراد أنه نظر للسماء التي هي قرار النجوم. وذكر اللجوم جرى على المعروف من كلامهم. وجنح الحسن إلى تأويل معنى اللجوم بالمصدر، أنه نظر فيما نجم له من الرأي، يعني أن اللجوم مصدر لجم بمعنى ظهر. وعن ثعلب (291هـ) نظر هنا تفكر فيما نجم من كلامهم لما سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم ليدبر حجتهم» التحرير والتنوير الجزء نفسه ص141.
(12) انظر مفردات الراغب : ص499. اللسان: ج6 ص4466.

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة الصافات	
قتادة	فتولوا [1]	منكصوا عنه [2]
قتادة	مدبرين	منطلقين [3]
قتادة	فراغ إلى الهتهم[4]	فمال إلى الهتهم [5]
السدي	فراغ إلى الهتهم	ذهب[6]
قتادة	فقال ألا تأكلون	يستنطقهم : « مالكم لا تنطقون »
قتادة	فراغ عليهم ضربا باليمين[7]	فأقبل عليهم يكسرهم[8]
السدي	فأقبلوا إليه يزفون[9]	يمشون [10]
ابن زيد	فأقبلوا إليه يزفون	يستعجلون ، قال : يزف : يستعجل[11]
مجاهد	فلما بلغ معه السعي [12]	لما شبّ
ابن زيد	فلما بلغ معه السعي	السعي هاهنا العبادة
قتادة	فلما بلغ معه السعي	لما مشى مع أبيه

(1) قال الطاهر بن عاشور : « التولي : الإعراض والمفارقة »التحرير والتنوير الجزء نفسه ص142.
(2) جاء في مختار الصحاح : ص868 : « وتولى عنه : أعرض».
(3) قال صاحب اللسان: ج2 ص1319 : « أَدْبَرَ إِدْبَارًا وَدُبُرًا: ولِّيَ (عن كُرَاع)»
(4) جاء في التحرير: « وفعل 'راغ' معناه حاد عن الشيء، ومصدره 'الروغ' والروغان، وقد أطلق هنا على الذهاب إلى أصناهم مخاتلة لهم ولأجل الإشارة إلى تضمينه معنى الذهاب عدي بـ 'إلى'»التحرير والتنوير الجزء نفسه ص143.
(5) انظر اللسان: ج3 ص1778. مفردات الراغب : ص213.
(6) انظر اللسان : ج3 ص1778.
(7) قال الفراء في معانيه: « أي مال عليهم ضربا »معاني الفراء : ج2 ص388.
وقال صاحب التحرير: « وقد استعمل فعل 'راغ' هنا مضمنا معنى 'أقبل' من جهة مائلة عن الأصنام لأنه كان مستقبلها » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص144.
(8) انظر اللسان : ج3 ص1779.
(9) قال ابن قتيبة « يزفون: أي يسرعون إليه في المشي، يقال زفت النعامة » غريب القرآن ص372. وقال ابن عاشور: « يزفون : أي يدعون، والزف الإسراع في الجري، ومنه زفيف النعامة وزفها وهو عدوها الأول حين تنطلق» التحرير والتنوير الجزء نفسه ص144.
(10) انظر اللسان: ج3 ص1890.
(11) انظر مفردات الراغب : ص218. مجمل اللغة : ج2 ص431. مختار الصحاح : ص332.
(12) قال الفراء: « أطاق أن يعينه على عمله وسعيه » معاني الفراء: ج2 ص389.
وقال صاحب التحرير: « أي بلغ أن يسعى مع أبيه ، أي بلغ سن من يمشي مع إبراهيم في شؤونه » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص150.

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة الصافات	
قتادة	أتدعون بعلا [1]	قال: هذه لغة باليمانية : أتدعون ربا دون الله[2]
السدي	فساهم [3]	قارع[4]
مجاهد	من المدحضين [5]	من المسهومين
مجاهد	من المدحضين	من المقروعين
ابن زيد	وهو مليم [6]	وهو مذنب ، وقال : المليم : المذنب
قتادة	فنبذناه بالعراء [7]	بأرض ليس فيها شيء ولا نبات [8]
السدي	فنبذناه بالعراء	بالأرض[9]
السدي	وهو سقيم	وهو كالصبي المنفوس
السدي	فإذا نزل بساحتهم	بدارهم
	من سورة ص	
مجاهد	عجل لنا قطنا[10]	عذابنا
قتادة	عجل لنا قطنا	نصيبنا[11]

(1) قال الفراء : « يقال : أتدعون بعلا ربا سوى الله، وذكر عن ابن عباس أن ضالة الشدت، فجاء صاحبها فقال: أنا بعلها، فقال ابن عباس هذا قول الله « أتدعون بعلا » أي ربا »معاني الفراء : ج2 ص392.
قال ابن قتيبة:«بعلا: أي ربا، يقال: أنا بعل هذه الناقة، أي ربها. وبعل الدار أي مالكها»غريب القرآن ص374
(2) أنظر اللسان ج1 ص316. مفردات الراغب : ص65. مجمل اللغة : ج1 ص129. مختار الصحاح : ص78.
(3) قال ابن قتيبة:«فساهم: أي قارع » غريب القرآن ص374.
وقال الطاهر بن عاشور: « ساهم : قارع. وأصله مشتق من اسم السهم لأنهم كانوا يقترعون بالسهام وهي اعواد النبال وتسمى الأزلام » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص173.
(4) الظر اللسان ج3 ص2135. مجمل اللغة : ج2 ص476. مختار الصحاح : ص385.
(5) قال ابن قتيبة:« 'من المدحضين ' : أي المقروعين » غريب القرآن ص374.
(6) قال ابن قتيبة:« وهو مليم : أي مذنب، يقال : ألام الرجل : إذا أذنب ذنبا يلام عليه » غريب القرآن ص374.
(7) قال ابن قتيبة:« بالعراء: وهي الأرض التي لا يتوارى فيها بشجر ولا غيره، وكأنه من عري الشيء » غريب القرآن ص374.
وقال ابن عاشور:« العراء: الأرض التي لا شجر فيها ولا ما يغطيها» التحرير والتنوير الجزء نفسه ص177.
(8) الظر اللسان: ج4 ص2921.
(9) المصدر نفسه: ج4 ص2921.
(10) قال الطاهر بن عاشور في الجزء نفسه ص225: « القط: قصدوا تعجيل العقاب بأن يكونوا تسموا الحظ من العقاب قطا على طريق التهكم. كما قال عمرو بن كلثوم إذ جعل القتال قرئ:
قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ * قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
فيكونوا أدمجوا تهكما في تهكم إغراقا في التهكم »
(11) انظر اللسان ج5 ص3673.

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة ص	
قتادة	والطير محشورة[1]	مسخرة
قتادة، ابن زيد	كل له أواب	مطيع[2]
قتادة	ولا تشطط [3]	لا تمل[4]
السدي	ولا تشطط	لا تخف
ابن زيد	ولا تشطط	تخالف عن الحق [5]
ابن زيد	أكفلنيها[6]	أعطنيها[7]
قتادة	أظن داود[8]	علم داود[9]
الحسن	ظن داود	قال : ظن: إنما ابتلي بذاك
السدي	بما نسوا[10]	قال : نسوا : تركوا[11]
السدي	أولوا الألباب [12]	أولو العقول من الناس[13]
السدي	حتى توارت[14]	حتى غابت[15]

(1) قال الطاهر بن عاشور في الجزء نفسه ص228 : « والتقدير : كل المحشورة له أواب، أي كثيرة الرجوع إليه، أي يأتيه من مكان بعيد » .
(2) انظر اللسان ج1 ص167.
(3) قال الطاهر بن عاشور في الجزء نفسه ص234: « يقال : أشط عليه ، إذا جار عليه وهو مشتق من الشطط وهو مجاوزة الحد والقدر المتعارف »
(4) قال ابن فارس في مجمل اللغة : ج2 ص496: « والشطط : مجاوزة القدر ».
(5) انظر اللسان: ج4 ص2264.
(6) قال ابن قتيبة : « اكفليها : أي ضمها إلي واجعلني كافلها »غريب القرآن ص379.
وقال صاحب التحرير: «إكفليها : أجعلها في كفالتي، أي حفظي وهو كناية عن الإعطاء والهبة، أي هبها لي» التحرير والتنوير الجزء نفسه ص235.
(7) جاء في مختار الصحاح ص681: « أكفله المال ضمنه إياه ».
(8) قال الفراء : « أي علم، وكل ظن أدخلته على خبر فجائز أن تجعله علما» معاني الفراء ج2 ص404.
وقال صاحب التحرير :« وظن: أي علم داود ... وعبر عن علمه ذلك بالظن لأنه علم نظري اكتسبه بالتوسم في حالة الحادثة، وكثيرا ما يعبر عن العلم النظري بالظن لمشابهة الظن من حيث أنه لا يخلو من تردد في أول نظر » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص239.
(9) انظر اللسان ج4 ص2762. مفردات الراغب : ص320. مختار الصحاح : ص488
(10) قال الزمخشري : « ومن المجاز نسيت الشيء : تركته 'نسوا الله فنسيهم' » أساس البلاغة ص455.
(11) انظر اللسان ج4 ص2762. مفردات الراغب : ص320. مختار الصحاح : ص488
(12) قال الطاهر بن عاشور : « أولوا الألباب : أهل العقول » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص253.
(13) انظر اللسان ج5 ص3979. مختار الصحاح : ص697.
(14) قال الطاهر بن عاشور في الجزء نفسه ص256: « التواري : الإختفاء ... والكلام تمثيل لحالة غروب الشمس لتواري المرأة وراء الحجاب، وكل من أجزاء هذه التمثيلية مستعار، فالشمس استعيرت المرأة على الطريقة المكنية، ولا اختفائها عن الأنظار استعير التواري، والافق غروب الشمس استعير الحجاب ».
(15) جاء في مختار الصحاح ص847: « توارى: استتر ».

المفسر	المفردة	التفسير
	من سورة ص	
قتادة	رخاء حيث أصاب[1]	سريعة طيبة، قال: ليست بعاصفة ولابطيئة[2]
ابن زيد	رخاء حيث أصاب	الرخاء : اللينة[3]
الحسن	رخاء حيث أصاب	ليست بعاصفة ولا الهينة بين ذلك رخاء[4]
الحسن	تجري بأمره رخاء	مطيعة
مجاهد	حيث أصاب [5]	حيث شاء
الحسن، قتادة، سدي ، ابن زيد	حيث أصاب	حيث أراد[6]
عطاء	وخذ بيدك ضغثا[7]	عيدانا رطبة[8]
مجاهد	قاصرات الطرف أتراب[9]	أمثال[10]
قتادة	قاصرات الطرف أتراب	سن واحدة
السدي	قاصرات الطرف أتراب	مستويات
قتادة	ماله من نفاذ	أي ماله انقطاع[11]

(1) قال الفراء: « الرخاء : الريح اللينة التي لا تعصف » معاني القرآن ج2 ص405.
وقال ابن قتيبة : « أي رخوَة لينة » غريب القرآن: ص379.
وقال الطاهر بن عاشور: « اللينة التي لا زعزعة في هبوبها...أي تجري بأمره لينة مساعدة » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص264.
(2) انظر اللسان ج3 ص1618.
(3) انظر اللسان ج3 ص1618. مفردات الراغب : ص198. مجمل اللغة: ج2 ص426.
(4) انظر اللسان ج3 ص1618.
(5) قال الفراء: « حيث أصاب : حيث أراد » معاني الفراء: ج2 ص405.
وقال ابن قتيبة: « حيث أصاب : أي حيث أراد من النواحي، قال الأصمعي: العرب تقول : أصاب الصواب، فأخطأ الجواب ، أي أراد الصواب » غريب القرآن ص379.
وقال الطاهر بن عاشور : « أصاب : معناه : قصد، وهو مشتق من الصوب ، أي الجهة : أي تجري إلي حيث أي جهة قصد السير إليها » التحرير والتنوير الجزء نفسه ص265.
(6) انظر اللسان ج4 ص2520. مجمل اللغة : ج2 ص544.
(7) قال الزمخشري: « ضربه بضغث: بقبضة من قضبان صغار أو حشيش بعضه في بعض ». أساس البلاغة ص270.
(8) انظر اللسان ج4 ص2591. مجمل اللغة: ج2 ص563.
(9) قال الطاهر بن عاشور: « أتراب جمع ترب بكسر التاء وبسكون الراء، وهو اسم لمن كان عمره مساويا عمر من يضاف إليه. تقول: هو ترب فلان، وهي ترب فلانة »التحرير والتنوير الجزء نفسه ص289.
(10) جاء في اللسان ج1 ص425 : « وقوله تعالى ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فسره ثعلب فقال : الأتراب هنا الأمثال ».
(11) قال الطاهر بن عاشور: « مَالَهُ مِنْ نَفَاذٍ النفاذ : الإنقطاع والزوال »التحرير والتنوير الجزء نفسه ص285.

بعد هذا العرض الواسع حول القيمة العلمية لتفاسير التابعين اللّغوية بقي أن نشير إلى المساحة الواسعة التي اختلف فيها التابعون في مجال التّفسير وتنحصر في جانبها الاجتهادي المصبوغ بالطابع اللّغوي، وهذا التعدد في الرؤى اللّغوية إنما يدل على النمو والتطور الذي حظي به التّفسير من جانبه اللّغوي، فلم تعد تفسيرات ابن عباس اللّغوية سائدة وحدها داخل تلك البيئات العلمية، إنما تعددت هذه التّفسيرات وكثرت، تبعا لتعدد تلاميذ المدرسة المكية ذات المنهج الواحد لحاجة التابعين لهذه الزيادة.

وقد يبدو التضاد بين تفسيرات التابعين لأول وهلة فيظن بهم الاختلاف الواسع، وعدم الاستقرار على معنى واضح، وليس الأمر كذلك، فهو لا يزيد أن يكون تفاوت وتباين في الألفاظ، يقول ابن كثير في مقدمة تفسيره عن التابعين: « يقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا، وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك »[3].

إن اللغة بما لها من أدوات ظلت إلى هذا العصر القوة الحافظة للقرآن، المانعة له من دخول ما ليس منه. وظهر هذا النشاط اللّغوي في ميدان التّفسير وهو يرسم اتجاها لغويا في التّفسير يحمل بعض مميزات العمل اللّغوي التّفسيري مما يزيل الشك في كينونة هذه البذور أصل المنهج اللّغوي التّفسيري الذي ظهر مكتملا في العصور اللاحقة.

خصائص التّفسير اللّغوي في هذه المرحلة

يمتاز التّفسير اللّغوي في هذه المرحلة بالخصائص التالية :

1- ظل التّفسير اللّغوي محتفظا بطابع التلقي والرواية حتى نهاية عصر التابعين.

2- ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي[1] الذي جعل من اللغة بذورا حية لا تتضب لخدمة المعتقد .

3- إشراك أتباع المدرسة المكية عنصر اللغة بقوة في عملية التّفسير، حيث ظهرت ميزة التمازج والتداخل الشديدين بين المنهجين الأثري واللّغوي، فلم تفسر النصوص تفسيرا لغويا بعيدا عن

---

(1) قال الطاهر بن عاشور: « 'مالهُ منْ لفاذ' النفاذ : الإنقطاع والزوال »التحرير والتنوير الجزء لفسه ص285.
(2) انظر اللسان ج6 ص4497.
(3) مقدمة تفسير ابن كثير: ص6.
(4) التفسير والمفسرون: ج1 ص131.

المنقولات بل استغل الجانب اللّغوي في توجيه هذه المنقولات وتقويـــة معانيـــها. فقدمـــوا بذلـــك تفسيرات لغوية شكلوا بها اتجاها لغويا في التّفسير.

4- كثرة الخلافات بين التابعين، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختـــلاف تنـــوع لا اختلاف تضاد، وقد دل ذلك من جانب آخر على النمو والتطور الذي حظي به التّفسير من جانبه اللّغوي، فلم تعد تفسيرات ابن عباس اللّغوية وحدها السائدة داخل تلك البيئات العلمية إنما تعـــددت التّفسيرات تبعا لتعدد تلاميذ المدرسة المكية ذات المنهج الواحد .

5- ازدادت الحاجة إلى التّفسير اللّغوي في هذا العهد لزيادة الغموض كلما بعد الناس عن عصـــر النبوة لأن العربية لم تعد سليقة، كما استمرت مصادر التّفسير اللّغوي في هذا العهد كما كانت في العهد السابق، وإن كان التوسع اللّغوي هو طابع هذه المرحلة حيث تعمق الناس في فهم كتاب الله، وقد ساعد جمع كلام العرب، والرحلة في طلب لغة الأعراب على توافر المادة اللّغوية للباحثين في التّفسير .

إن اللغة في مرحلة التابعين قد شكلت رصيدا معجميا كبيرا استغل كله في عمليـــة التّفســـير، فكان لها من الأساليب ومخارج الكلام والخطاب طرقا متعددة متشابهة ومتشابكة تارة لا يطيق حلها إلا من أوتي باعا كبيرا من العلم، فتعددت حينها التّفسيرات وكثرت، وظهر النشاط اللّغوي في التّفســـير وكأنه رسم اتجاها لغويا مستقلا في التّفسير مما يزيل الشك في كينونة هذه المرحلة الممتدة من عصر الصحابة أصل المنهج اللّغوي الذي ظهر في صورته النهائية خلال العصور اللاحقة.

ثم حمل أتباع التابعين هذا التراث العلمي الذي خلفه التابعون، وزادوا عليه بمقدار ما زاد من الغموض وما جد من اختلاف في الرأي، وعن هؤلاء أخذ من جاء بعدهم ... وهكذا تناقل الخلف علم الســـلف، وحمل علماء كل جيل علم من سبقهم وزادوا عليه. سنة الله في تدرج العلوم.

ومع كل ما انتجه العصر الأول من آراء وأقوال فإننا لن نطيل أكثر الوقوف عنـــد المرحلـــة الأولى من حياة التّفسير اللّغوي في القرن الأول الهجري ومعظم الثاني، فليس لدينا من مؤلفات تلـــك المرحلة ما يستوفي الموضوع حقه، لأن ذلك كان قبل عصر التدوين ، لكن المرحلة التالية التي تبدأ من نهاية القرن الثاني وتستمر خلال القرن الثالث مرحلة مهمة في الموضوع لغنى ثروتها فـــي ميدانها.

الفصل الثاني

التفسير اللغوي من عصر التدوين

إلى نهاية القرن الثالث الهجري

المبحث الأول : **حركة التفسير اللغوي وأعلامه في عصر التدوين**

المبحث الثاني: **أثر حركة التفسير اللغوي في بيئة المفسرين**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حركة التّفسير اللّغوي وأعلامه في عصور التدوين[1]

نشأة التفسير اللغوي

اتخذ الاتجاه اللّغوي في التّفسير الذي ظهر في فلك المدرسة المكية مسارا آخر بعد العصر الأول، أملتها عليه الظروف الفكرية المستجدة، فقد خلّف التّابعون من تلامذة ابن عباس طبقة من طلبة العلم كانت لهم فيما بعد اتجاهات في دراساتهم، وقد غلب على بعضهم الميل إلى التّفسير من طريق الأثر مستعينا بالعربية وأدواتها، واتجه البعض الآخر منهم إلى الإقراء ودراسة وجوه القراءات القرآنية ومقارنتها بلغة العرب.

ولقد كانت القراءات القرآنية منطلقا جديدا للتفسير اللّغوي نحو التوسع واكتساب آليات جديدة في التعامل مع القرآن، بعدما جَمَدَ النقليون على النصوص ومنعوا التّفسير من غير طريق الأثر، كما كانت بداية التحول نحو مفهوم جديد وتدرج حقيقي نحو منهج لغوي متكامل في التّفسير.

وقد كانت بداية هذا التحول عندما اضطلع النحاة بمهمة الإقراء. فكان النحاة الأوائل -وحتى النصف الأول من القرن الثاني للهجرة- نحاة وقراءً في الآن نفسه، ولو تعرضنا إلى بعض ملامح قراءات النحاة الأوائل لانتهينا إلى أن هؤلاء استفادوا من فهمهم للدلالة النحوية والمعنوية وأمور أخرى كثيرة تتعلق بالحصيلة اللّغوية لتَتَبَنِيَ قراءات معينة، وكانت تلك الحصيلة اللّغوية حينها تمثل الجانب التّفسيري للكتاب قبل أن يستقل بهذا الأمر رؤوس المنهج اللّغوي في التّفسير فيما بعد.

وإقراء القرآن عمل به المسلمون في الأمصار. والكوفة كانت سباقة إلى ذلك، فمنذ تمصيرها اهتمت بالإقراء ورواية القراءات. وكان أبو عبد الرحمن السّلمي شيخ القراء فيها، وأول من قعّد للإقراء في مسجدها، ومن شيوخها أيضا عاصم بن أبي النجود (127هـ)[2]، وحمزة بن

---

(1) وتبدأ المرحلة الثالثة للتفسير اللّغوي من مبدأ ظهور التدوين وذلك في أواخر عهد بني أمية، وأول عهد العباسيين.

(2) «هو الإمام الذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي...وكان قد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد...قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم فقال: رجل صالح ثقة خير.» النشر في القراءات العشر. شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري. ت: ج برجستراير. ط:3. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1402هـ- 1982م). ج1 ص155.

حبيب الزيات (156هـ)[1] أحد القراء السبعة. ثم انتهت رئاسة الإقراء في الكوفة بعد حمزة إلى علي بن حمزة الكسائي (182هـ)[2].

وهناك بالكوفة طبقة أخرى من القراء عنيت بالجانب اللفظي، واهتمت بإعراب القرآن لتصحيح القراءات، وكثيرا ما يحاول شيوخها الجمع والتوفيق بين ما يرونه من قراءات وقواعد الإعراب التي أخذوها من مدارس البصرة التي سبقت الكوفة في هذا الميدان. ومن شيوخ هذه الطبقة: علي بن حمزة الكسائي أحد القراء السبع ومؤسس المدرسة النحوية في تفسير القرآن، ويحي بن زياد الفراء(210هـ) من شيوخ الكوفة في العربية، ومن المبرزين في تفسير القرآن بالأداة اللّغوية. ولم يكن الفراء مقرئا كالكسائي، ولكنه كان ممن عنوا بدراسة القرآن وتفسيره، فكان من حيث تطور الدراسات القرآنية في الكوفة يمثل الدور الذي يعتمد على الإقراء والإعراب بمعناه الاصطلاحي، وعلى يديه اكتملت المدرسة النحوية في تفسير القرآن كما سنبينه لاحقًا.

أما أهل البصرة فكان اهتمامهم بالقرآن كاهتمام الكوفيين، أقبلوا يقرئونه، ويعقدون حلقات الإقراء في مساجدها. وكان عبد الله بن عباس أول من اعتلى منبرها، ثم أقرأ القرآن وفسّره. وكان له تلاميذ أخذوا عنه القراءة والتّفسير كأبي الأسود الدؤلي(69هـ)[3] وسعيد بن جبير(95هـ) والحسن البصري (110هـ). ونشأت عن مدرسة الإقراء والتّفسير هذه مدرسة قرآنية جديدة « تعتمد على شيء آخر هو الإعراب، وهو تصحيح أواخر الكلم بالنقط، وكان أبو الأسود الدؤلي زعيم هذه الناحية »[4]. وأبو الأسود الدؤلي من أعلم الناس بكلام العرب، وزعموا أنه كان يجيب في كل لغة[5] وهو من السباقين إلى ضبط أواخر الكلمات القرآنية،وأول من رسم للناس النحو، فكان أبو الأسود الدؤلي نحوياً وقارئا

---

(1) « الإمام أبو عمارة التيمي، تيمْ الله ولاءً، وقيل نسبًا، الكوفي المعروف بالزيات...وهو الإمام الحبر شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن...وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش، وكان إماما حجة ثقة ثبتا رضيا قيما بكتاب الله، بصيرا بالفرائض، خبيرا بالعربية حافظا للحديث...توفي حمزة بحلوان مدينته في أخر سواد العراق.» معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. ط:2. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1411هـ-1991م). ج3 ص262.

(2) «أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي أحد الأئمة في القراءات والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء المشهورين، وهو من أهل الكوفة، استوطن بغداد وروى الحديث وصنف الكتب ومات بالرّي صحبة الرشيد.» معجم الأدباء: ج4 ص87.

(3) « كان أبو الأسود الدؤلي من سادات التابعين وأعيانهم، صحب علي بن أبي طالب ﷺ، وشهد معه وقعة صفين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأيا، وأسدّهم عقلا، وهو أول من وضع علم النحو... توفي أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف وعمره خمس وثمانون سنة ﷺ..» وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان. ابن خلكان. ت: إحسان عباس. بيروت: مط دار صادر. ج6 ص535.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه. مهدي المخزومي. ط:2. بيروت: مط دار الرائد العربي، (1406هـ-1986م). ص27.

(5) المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج2 ص397.

وبعد زمن بَعُد الناس عن عصر السليقة العربية وكان ذلك في بداية العصر الأموي حيث امتدت رقعة الدولة الإسلامية واتسعت، ودخل الإسلام كثير من الأجناس الأجنبية عن العرب والعربية فشاع اللحن وظهر، ولم يقف عند حد الوافدين الجدد بل تسرب إلى البيوتات العربية فأفسد الكثير من ألسنتها وكان خطبه جسيما. وبدأت الحياة المتجددة تعسر في عملية قراءة القرآن نفسه، إذ لم تكن لغير العرب ولا لأبناء العرب الملكة التي يفرقون بها بين الحروف إذ كانت غير منقوطة. حتى شاع أمر هذا التصحيف فتكونت مدرسة قرآنية جديدة من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي، ومن أشهر شخصياتها نصر بن عاصم (90هـ)[1] وعنبسة الفيل[2] ويحي بن يعمر (129هـ)[3].

ومما امتازت به هذه المدرسة اهتمامها بالإعراب وتمييز الحروف الهجائية بعضها عن بعض، والتفرقة بين صور الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع اللبس كالتمييز بين صور الباء والتاء والثاء مثلا. فكان لهذه المدرسة الإقراء والإعراب والإعجام. وكان هذا التطور والنماء في الحركة النحوية التي بدأت بتنقيط المصحف تنقيط إعراب هي أكبر خطوة في سبيل مقاومة اللحن والقضاء عليه[4].

وأبرز رجال هذه المدرسة ممن كان له نشاط في العمل القرآني يحي بن يعمر النحوي القارئ. إذ كان يحي فصيحا من فصحاء أهل زمانه، ينطق باللغة العربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف[5] وكان عالما بالغريب[6] ثقة فيما يروي وقد لقي عبد الله بن عمر (72هـ) وعبد الله بن عباس وعرض عليهما القرآن كما عرضه على أبي الأسود الدؤلي أستاذه في النحو.

---

(1) نصر بن عاصم الليثي، « كان فقيهًا عالما بالعربية من فقهاء التابعين، وكان يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو، ولم كتاب في العربية، وقيل أخذ النحو عن يحي بن يعمر...مات بالبصرة.» معجم الأدباء: ج5 ص553.

(2) هو عنبسة بن عبدان المهدي، « وهو أبرع أصحاب أبي الأسود ... وأن ميمونا الأقرع أخذ عنه بعد أبي الأسود.» المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج2 ص398. وروى الأشعار وظرُفَ وفصُحَ، وروى شعر جرير والفرزدق. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. ت: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:2. بيروت: مط دار الفكر. (1399هـ-1979م). ج2 ص233.

(3) يحي بن يعمر، « أبو سليمان النحوي البصري، كان تابعيا...وهو أحد قراء البصرة وعنه أخذ عبد الله بن أبي اسحاق القراءة وانتقل إلى خرسان وتولى القضاء بمرو، وكان عالما بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب، وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي.» وفيات الأعيان لابن خلكان: ج6 ص173. روي السيوطي أن أول من وضع النحو بعد أبي الأسود يحي بن يعمر. المزهر في علوم اللغة: ج2 ص398.

(4) انظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية. عبد العال سالم مكرم، دار المعارف المصرية. ص62.

(5) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: ج6 ص173.

(6) مراتب النحويين. عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي. ت: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:2. مصر: دار النهضة، 1974م. ص11.

وقد بدأ قراءته متأثرا بابن عباس بينًا، فكان يقتفي أثره ليقرأ قراءته، وتبع ابن عباس في قراءته ﴿خَفَّتِ الْمَوَالِي﴾[مريم 04] بفتح الخاء والتاء المكسورة، وفسر ابن جني ذلك بقوله: « أيْ قلّ بنو عمي وأهلي »[1]

وأحيانا يعتمد في قراءته على ثروته اللّغوية الواسعة، فينفرد ببعض القراءات دون القراء الآخرين، كان يقرأ 'لِوُلْدِي' بضم الواو في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[إبراهيم 41]، واحتج لها ابن جني بقوله: « ومن ذلك قراءة يحي بن يعمر 'ولِوُلْدِي'...الوُلْدُ يكون واحدا ويكون جمعا...ومن كلام بني أسد: وُلْدُك من دمي عقبيك: أي وُلدك من وَلدتَه فسأل دمك على عقبيك عند ولادته، لا من اتخذه ولدا قريبا كان منك أو بعيدا. وإذا كان جمعا فهو وُلْدٌ كأَسَدٍ وأُسْد وخشبة وخُشْب، وقد يجوز أن يكون الوُلْدُ أيضا جمع وَلَد، كالفُلْك فإنه جمع فَلَك »[2].

وقرأ 'البَاقِر' بالألف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[البقرة 69]. قال ابن النحاس:« قال الأصمعي: البَاقِر جمع بَاقِرَةٌ، قال: ويجمع بقرٌ على بَاقُورَةٌ وقرأ يحي بن يعمر 'إِنَّ البَاقِرَ يَشَّابَهُ عَلَيْنَا' جعله مستقبلا وذُكِّر 'الباقر' وأُدغِم »[3]. وليحي بن يعمر قراءات تخالف الرسم القرآني، حيث قرأ 'وإله أبيك' بالتوحيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾ [البقرة 132] وقد عنى النحاة أنفسهم في الاحتجاج لقراءة ابن يعمر وتوجيهها. قال ابن النحاس: « من قرأ 'وإله أبيك' فله فيه وجهان، أحدهما: أن يكون أفرد لأنه كره أن يجعل إسماعيل أبا لأنه عَمّ، قال أبو جعفر: هذا لا يجب، لأن العرب تسمي العمّ أبا، وأيضا فإن هذا بعيد لأنه يقصد: وإله إسماعيل وإله إسحاق، فيخرج وهو أبوه الأدنى من نسق إبراهيم، ففي هذا من البعد ما لا خفاء فيه » وأبو جعفر النحاس رد هذا التأويل لكنه قبله على تأويل آخر، وذلك أن يكون المفرد هنا بمعنى الجمع قال: « وفيه وجه آخر على مذهب سيبويه يكون 'أبيك' جمعا »[4] وذهب ابن جني نفس المذهب، قال: « فإذا كان 'أبيك' واحدا كان مخالفا لقراءة الجماعة فتحتاج حينئذ إلى أن يكون 'أبيك' هنا واحدا في معنى الجماعة فإذا أمكن أن يكون جمعا كان كقراءة الجماعة ولم يحتج فيه إلى التأوّل، لوقوع الواحد موقع الجماعة، وطريق ذلك أن يكون 'أبيك' جمع 'أب' على الصحة على قولك للجماعة:

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جلي: ج2 ص37.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص365.
(3) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس: ج1 ص235-236.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص265.

هؤلاء أبون أحرار أي أباء أحرار، وقد اتسع ذلك منهم »[1]. كما شذت بعض قراءات ابن يعمر لخروجها على بعض أقيسة اللغة، فقد خطأ البصريون قراءته 'أحْسَنُ' بالضم، على أنها اسم في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾[الأنعام 155] ويرون أن قياسها أن تكون فعلا لا أن تكون اسما. ويرى الكوفيون جواز كونها اسما. قال أبو حيان: « قال بعض نحاة الكوفة يصح أن تكون 'أحسن' اسما وهو أفعل التفضيل وهو مجرور صفة للذي وإن كان نكرة من حيث قارب المعرفة إذ لا يدخله 'الـ' كما تقول العرب: مَرَرْتُ بِالذِي خَيْرٌ منْكَ، ولا يجوز: مَرَرْتُ بِالذِي عَالِمٌ، وهذا سائغ على مذهب الكوفيين في الكلام، وهو خطأ عند البصريين »[2].

أما ابن جني فقد نسب تضعيف 'أحسنُ' بالضم إلى البصريين لا التخطئة قال : « ومن ذلك قراءة ابن يعمر ' تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ... ' هذا مستضعف الإعراب عندنا لحذفك المبتدأ العائد على الذي، لأن تقديره: تماما على الذي هو أحْسَنُ، وحذف 'هو' من هنا ضعيف، وذلك أنه إنما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتها نحو: مَرَرْتُ بِالذِي ضَرَبْتَ، أي ضربته وأكْرَمْتُ الذِي أهَنْتَ أي أهمنته، فالهاء ضمير المفعول، ومن المفعول بدّ وطال الاسم بصلته فحذفت الهاء لذلك، وليس المبتدأ بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما وهو عائد الموصول، وأن هذا قد جاء نحوه عنهم، حكى سيبويه عن الخليل: « ما أنا بالذي قائل لك شيئا وسوءا».»[3]

ولم يوافق أبو حاتم التسجستاني(248هـ)[4] على قراءة يحي بن يعمر 'ذِكْرٌ' بالتنوين في قوله تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ﴾[الأنبياء 24] فزعم أن المعنى: هذا ذكر مما أنزل إلي ومما هو معي وذكر ممن قبلي على حين قال غيره: التقدير فيها هذا ذِكْرٌ و ذِكْرُ من معي[5]. أما ابن جني فقد رأى أن ابن يعمر قرأ 'من' على أنها حرف جر لا على أنها اسم موصول، وفقد عليه قاعدة مفادها أن 'مع' اسم من الأسماء قال : « قراءة يحي بن يعمر ...' هذا ذِكْرُ منْ مَّعي وذِكْرٌ منْ قَبْلِي' بالتنوين في 'ذكر' وكسر الميم من 'من' قال أبو الفتح : هذا أحد ما يدل على أن 'مع' اسم وهو دخول 'من' عليها . حكى صاحب الكتاب وأبو زيد ذلك عنهم: جئت من معهم، أي : من عندهم، فكأنه قال : هذا ذكر من عندي ومن قبلي، أي جئت أنا به كما جاء به الأنبياء من قبلي»[6]. وهكذا تراوحت آراء النحاة حول بعض قراءاته بين عدم قبولها لأنها لا وجه لها وبين أن تقبل وتؤول.

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ج1 ص112.
(2) البحر المحيط: ج4 ص255. انظر إعراب القرآن للنحاس: ج2 ص108.
(3) المحتسب : ج1 ص234.
(4) هو أبو حاتم سهل بن عثمان بن يزيد الحشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرئ نزيل البصرة وعالمها، كان إماما في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وغيرهما وكان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي، عالما باللغة والشعر حسن العلم بالعروض...وكانت وفاته في المحرم وقيل رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين. وفيات الأعيان لابن خلكان : ج2 ص430-433.
(5) إعراب القرآن للنحاس: ج3 ص68.
(6) المحتسب : ج2 ص61.

وبعد هذه المدرسة ظهرت جماعة من الباحثين كانوا أكثر توغلا في البحوث اللّغوية والقرآنية بسبب ما طرأ على حياة الناس من تغيير حتى استحال اللسان العربي أعجميا في حركة الفتح الإسلامي. وشكل هؤلاء حركة لجمع الشعر واللغة، وحاولوا ضبط التراكيب اللّغوية في القرآن وغيره. والبارزون من رجال هذه المدرسة هم: عبد الله بن أبي إسحاق(117هـ) وعيسى بن عمر الثقفي(149هـ) وأبو عمرو ابن العلاء(154هـ)[1]. واعتمد هؤلاء في دراستهم اللّغوية في تحقيق الألفاظ على لغة البدر الفصحاء، وذلك بالرواية عن الثقات من العلماء السابقين أو بمشافهة الأعراب الذين ما زالوا يحتفظون بسلامة سلائقهم، وبفصاحتهم التي لم تشوبها شائبة من الحضر[2]. وإكثار رجال هذه المدرسة من الرواية والبحوث اللّغوية لتدعيم عملهم القرآني، إذ حاولوا ضبط التراكيب اللّغوية في القرآن، وفي عهدهم أخذ التأويل اللّغوي شكلا آخر، إذ الإلتجاء إليه وسيلة هامة لئلا ينهار النص من جهة الأصل النحوي لاصطدامه بالشواهد الفصيحة.

عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي

أما عبد الله بن أبي إسحاق، فقد قال عنه الخليل بن أحمد : « كان عبد الله يقدّم على أبي عمرو في النحو، وأبي عمرو يُقدّم عليه في اللغة »[3]. وذكر السيوطي في المزهر أنه:« أعلم أهل البصرة وأنقلهم ففرع النحو وقاسه، وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتابا أملاه »[4]. فقد فتحت لأبي عبد الله بن أبي إسحاق براعته في النحو واللغة المجال لأن يتقدم في علم القراءات إذ كان « أحد الأئمة في القراءات والعربية »[5].

وكان ابن أبي إسحاق يُلجأ إليه في تبيين الصحيح في القراءة، فنرى يونس بن حبيب النحوي يسأله كيف تقرأ ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾[القيامة 7] فيقول: 'فَإِذَا بَرَقَ البَّصَرُ'، ويفتح الراء، ولكن يونس يمضي إلى أبي عمرو بن العلاء فيسأله هذا: من أين بك؟ فيقول له من عند ابن أبي إسحاق سألته كيف تقرأ:« فَإِذَا بَرَقَ البَّصَرُ » فقال : « فَإِذَا بَرَقَ البَّصَرُ » بفتح الراء، فيقول أبو عمرو وأين يراد به، يقال بَرَقَتِ السماء وبَرَقَتِ الأرض، فأما البصر فبرِقَ كذا سمعنا[6].

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي بمهدي المخزومي: ص31.
(2) والعرب الذين أخذوا عنهم هم: قيس وتميم وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين وبعبارة أخرى أوضح، هم الذين كانوا يسكنون أواسط بلاد العرب والذين هم أكثر توغلا في البداوة. انظر الخليل بن أحمد الفراهيدي لمهدي المخزومي: ص78.
(3) المزهر في اللغة للسيوطي: ج2 ص398.
(4) المصدر نفسه: ج2 ص398.
(5) بغية الوعاة للسيوطي: ج2 ص42.
(6) مجالس العلماء. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. ت: عبد السلام محمد هارون. ط:2. القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، (1403هـ 1983م). ص188.

وكان علماء العربية يجلونه، يقول ابن النحاس بعد أن يشير إلى قراءته بعض أواخر الكلمات بدون ياء: « وقد قرأ بن أبي إسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كلها بالياء »[1]. وهذا أبو حيان يدفع توهم بعض رواة قراءته في﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾[البقرة 69]. يقول: « لا يظن بابن أبي إسحاق فإنه رأس في علم النحو، وقد كان ابن أبي إسحاق يُزري على العرب وعلى من يستشهد بكلامهم كالفرزدق إذا جاء في شعرهم ما ليس المشهور في كلام العرب،فكيف يقرأ قراءة لا وجه لها»[2].

وقراءة ابن أبي إسحاق مستمدة من ينابيع عدة، كانت الأصول التي بنى عليها ابن أبي إسحاق إختياره، أو بمعنى التّفسير اللّغوي الذي ارتضاه ليخرج القراءة على وفق ما رويت عنه.ومن هذه الينابيع : الأصل اللّغوي ، ومثال ذلك قراءته 'عَلَيْهِمُو'[3] بضم الهاء ومد ضم الميم يتحول واوا على الأصل، قال ابن جني: « قرأ 'عَلَيْهِمُو' ابن إسحاق وعيسى الثقفي... وقال أبو الفتح أما 'عليهمو' فهي الأصل لأنها وسيلة عليهما في التثنية، أعني: ثبات الواو كثبات الألف.وينبغي أن تعلم أن أصل هذا الاسم المضمر الهاء عليها الميم علامة لتجاوز الواحد من غير اختصاص بالجمع،ألا ترى الميم موجودة في التثنية 'عليهما' وأما الواو فلا خلاف الجمعية »[4].

الدلالة المعنوية، وقد كان ابن أبي إسحاق عالما باللغة والفروق الدلالية لذلك،نلحظ الدلالات المعنوية في كل قراءاته، ومثال ذلك قراءته:﴿ وَلِتُكْمِلُوا ﴾[البقرة 185] بتشديد الميم على معنى التأكيد والتكرار. قال مكي بن أبي طالب (437هـ) ... قوله: « 'ولتكملوا' قرأه أبو بكر مشددا مفتوح الكاف وقرأ الباقون مخففا ساكن الكاف وهما لغتان: أكْمَلْتُ العَدَدَ وكَمَّلْتُهُ... ويقوي التشديد أن فيه معنى التأكيد والتكرير وبه قرأ الحسن... وابن أبي إسحاق والجحدي وغيرهم »[5].

الدلالة النحوية وللمفاهيم النحوية أثرها في قراءات النحاة وبخاصة في قراءة ابن أبي إسحاق، ومن هنا يختلف النحوي القارئ عن غيره إذ يبدو لعلم النحو أثر واسع بَيّن في قراءته.فقد قرأ قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[البقرة 258] برفع 'البر' انطلاقا من المفهوم النحوي، وقد بيّن

---

(1) إعراب القرآن للنحاس: ج2 ص492.
(2) البحر المحيط: ج1 ص254.
(3) سورة الفاتحة: آية 7.
(4) المحتسب: ج1 ص44.
(5) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها.مكي بن أبي طالب. ت: محي الدين رمضان. ط:3. بيروت: مؤسسة دار الرسالة، (1401هـ-1984م) ج1 ص283.

مكي بن أبي طالب المفهوم النحوي في القراءتين: قراءة رفع 'البر' ونصبها، قال:« قوله 'ليس البر' قراءة حمزة وحفص بالنصب وقرأ الباقون بالرفع. ووجه القراءة بالنصب أنّ 'ليس' من أخوات كان يقع بعدها المعرفتان فتجعل أيهما شئت السم والآخر الخبر، فلما وقع بعد 'ليس' 'البر' وهو معرفة و'أن تولوا' معرفة لأنه مصدر بمعنى التولية، جعل 'البر' وهو معرفة و'أن تولوا' الاسم فقدر رفعه، وكان المصدر أولى بأن يكون اسما لأنه لا يتنكر. ووجه القراءة بالرفع أن اسم 'ليس' كالفاعل ورتبته الفاعل أن يلي الفعل فلما ولي 'البر' 'ليس' رفع، ولو نصب 'البر' لوجب أن يكون الكلام غير رتبته، وأن ينوي بـ'البر' التأخير فيكون الكلام على رتبته التي أتت به التلاوة أولى من أن يحدث فيه ما يحتاج معه إلى التقديم والتأخير ويقوي رقعة رفع 'البر' الذي معه الباء إجماعا في قوله ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[البقرة 176] ولا يجوز فيه إلا رفع 'البر' وهو الاختيار لإجماع القراء عليه لأنه رقبة الكلام وبه قرأ الحسن... وابن أبي إسحاق ...»[1] .

وحكى ابن جني في المحتسب قال: « ومن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق والحسن.ورويت عن أبي عمرو ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ﴾[الحج 33] بالنصب. قال أبو الفتح: أراد المقيمين فحذف النون تخفيفا لا لتعاقبها الإضافة، وشبه ذلك باللذين والذين في قوله :

فَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ۞ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ

حذف النون من الذين تخفيفا لطول الاسم، فأما الإضافة فساقطة هنا وعليه قول الأخطل :

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ۞ قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الْأَغْلَالَا

حذف النون اللذان كما ذكرنا »[2] .

ووجه ابن جني قراءة ابن أبي إسحاق « من قُبْلُ ومن دُبُرُ» بثلاث ضمات من غير تنوين. قال أبو الفتح: ينبغي أن يكونا غايتين كقول الله سبحانه:﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[الروم 3] كأنه يريد وقدت قميصه من دبره، وإن كان قميصه قد من قبله، فلما حذف المضاف إليه أعني الهاء: وهي مرادة صار المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف إليه غاية له. وهذا حديث مفهوم في قوله سبحانه « من قبل ومن بعد » فبنى هنا كما بنى هنالك على الضم.

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ج1 ص280-281.
(2) المحتسب : ج2 ص115.

ووكد البناء أن « قبل ودبر » يكونان ظرفين ألا ترى إلى قول الفرزدق :

يُطَاعِنُ قُبْلَ الخَيْلِ وَهُوَ أَمَامَهَا ۞ وَيَطْعَنُ عَنْ أَدْبَارِهَا إِنْ تَوَلَّتِ

وقال الله سبحانه : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ﴾[ق 40] فنصبه على الظرف وهو جمع دُبُرْ »[1]

الآيات القرآنية والسياق، فقد قرأ قوله تعالى: « أَوْ نُرَدُّ » بنصب مستوحيا الآية التي قبلها. قال ابن جني: « ومن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق « أَوْ نُرَدَّ » بنصب الدال، قال أبو الفتح: الذي قبله مما هو متعلق به ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[الأعراف 52].ثم قال:﴿أَوْ نُرَدَّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فعطف 'نرد' على 'يشفعوا' وهو منصوب، لأنه جواب الإستفهام، وفيه التمني، وذلك أنهم قد علموا أنه لا شفيع لهم، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاء فيردوا بشفاعتهم فيعملوا ما كانوا لا يعملونه من الطاعة، فصير به المعنى: إلى أنه، كأنهم قالوا: إن نُرزَقُ شفعاء يشفعون لنا أو نرد، وتقديره مع الرفع 'نُرَدُّ' على قراءة الجماعة: أن نرزق شفعاء يشفعوا لنا وأن نرد نعمل غير الذي كنا نعمل وذلك أنهم مع نصب 'نرد' تمنوا الشفعاء قطعوا بالشفاعة، وتمنوا الرد أيضا وضمنوا عمل ما لم يكونوا يعملونه: أي نرد نعمل غير الذي كنا نعمل، كأنه قال: أو هل نرد فنعمل »[2]

وفي قراءة ابن أبي اسحاق كثير من الملامح والعلامات التي تشير إلى الخط الذي لهجه وسار عليه في تعامله ومعالجته للقراءة. من هذه الملامح: « انفراده مخالفة الجمهور، مخالفة الرسم، ميله إلى عدم حذف الياء الأخيرة، ميله إلى أن يبني للمعلوم، ميله إلى النصب، ميله إلى فتح همزة 'أن' ميله إلى تحريك الوسط، ميله إلى التقدير، قراءته اللفظ الواحد قراءتين وثلاث قراءات »[3]

عيسى بن عمر الثقفي

أما عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري فقد كان من ثقات القراء النحاة المشهورين بالقراءة. كما كان من رؤساء الرواية والعربية، وعرف بتفاصحه، وتقعره في كلامه، وتركه سهل الألفاظ إلى الوحشي والغريب، روي له في ذلك نوادر كثيرة[4] عاصر عبد الله بن أبي إسحاق وعنه أخذ النحو[5]،

---

(1) المحتسب: ج2 ص115.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص115.
(3) « ملامح من قراءات النحاة الأوائل » دراسة للدكتور محمود حسني محمود. مجلة جامعة الملك سعود. مج2. الآداب(2). (1410هـ-1990م). ص593-617.
(4) بغية الوعاة للسيوطي: ج2 ص370.
(5) أخبار النحويين البصريين. أبو سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافي. اعتنى بنشره فرياس كرناكو. بيروت: مط الكاثوليكية، 1936م. ص31.

وهو أستاذ للخليل وسيبويه معا. ألف في النحو كتابين: كتاب الجامع وكتاب الإكمال. حكى ابن خلكان أن كتاب الجامع لعيسى بن عمر كان عند سيبويه ودرسه على الخليل، وحشاه بكلامه فكان من هذا وذاك كتابه المعروف[1] .

ولابن عمر قراءة مشهورة، وله اختيار في القراءة على قياس العربية[2]. وكان معروفا بأنه يفارق قراءة العامة فيستنكره الناس وكان الغالب عليه حب النصب إذا وجد لذلك سبيلا[3].

وكان للمفهوم النحوي أثر واضح في قراءته، فمن أكثر الجوانب التي برز فيها عيسى بن عمر مفسرا ومؤولا تأويلا نحويا مسألة الحذف. مثال ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾[فصلت 39-42] يقول ابن هشام في مغني اللبيب:« أي: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به، وهو قول عمر بن عبيد وقد استحسنه عيسى بن عمر »[4].

وفسر عيسى بن عمر قراءة:﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالرفع. ذكر ابن يعيش في شرح المفصل[5] أن عيسى بن عمر كان يجعلهما متمنيين معطوفين على 'نُرَدُّ'، ويقول إن الله أكذبهم في تمنيهم على قول من يرى التمني خبرا. وذكر أيضا أن أبا عمرو بن العلاء كان يرفعهما على سبيل الاستئناف. والتأويل: نحن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين إن رددنا. فالفعلان الأخيران غير متمنيين. ويجوز أن يكون في موضع الحال على إضمار مبتدأ عند النحويين[6] .

وكان يقرأ 'أَقَلُّ' مرفوعا في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾[الكهف 38] والمشهور النصب على أنه مفعول به ثان، وقراءة عيسى بالرفع على أن 'أنا' مبتدأ 'وأقل' خبره، والجملة في موضع المفعول الثاني، والمفعول الأول الياء في 'تَرَنِ' إلا أن الياء حذفت لأن الكسرة تدل عليها ولو أثبتت لكان إثباتها على الأصل [7].

---

(1) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان : ج3 ص512.
(2) غاية النهاية في طبقات القراء. شمس الدين محمد بن محمد الجزري. بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م. ج1 ص613.
(3) انظر تهذيب التهذيب للعسقلاني: ج8 ص223.
(4) مغني اللبيب لابن هشام: ص369. انظر شرح المسألة في: شرح التسهيل. جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي ابن مالك. ت: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي مختون. ط:1. هجر للطابعة والنشر والتوزيع والإعلان. (1410هـ-1990م). ج2 ص15.
(5) شرح المفصل لابن يعيش النحوي: ج7 ص25-26.
(6) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج1 ص489.
(7) إعراب القرآن للنحاس :ج2 ص456.

وكان عيسى يميل في قراءته إلى كسر همزة 'إن' على تقدير 'قال' محذوفة. فقد قرأها مكسورة الهمزة في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي ﴾[آل عمران 195] على تقدير: فقال إني، والقراءة المشهورة بفتح الهمزة على تقدير بأني[1] . وقرأها مكسورة في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي ﴾[الأنفال 9] على تقدير: قال إني والقراءة المشهورة 'أني' بالفتح على تقدير: بأني[2].

وقرأها مكسورة في قوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾[القمر 10] على تقدير: بأني مغلوب، أما فتحها فعلى تقدير: بأني قد غُلبتُ وقُهرتُ[3].

وقد أشار سيبويه إلى قراءات عيسى بن عمر في مواضع كثيرة، كما تعرض سيبويه وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد إلى قراءته 'أطْهَرَ' بالنصب في قوله تعالى: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[هود 77]، وخطأها ثلاثتهم، قال في حديثه عن ضمير الفعل: « وأما أهل المدينة فينزلون 'هو' هاهنا بمنزلة بين المعرفتين، ويجعلونها فصلا في هذا الموضع، فزعم يونس أن أبا عمرو راه لحنا وقال: احتبى ابن مروان في ذه في اللحن يقول: لحن وهو رجل من أهل المدينة، كما تقول اشتمل بالخطأ وذلك أنه قرأ « هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ » فنصب وكان الخليل يقول : والله إنه لعظيم جعلهم هو فصلا في المعرفة وتصييرهم إياها بمنزلة 'ما' إذا كان 'ما' لغوا »[4].

إلا أن ابن جني رأى لهذه القراءة وجها صحيحا في العربية وهو أن تجعل 'هُنَّ' خبرا للاسم الذي قبله، قال: « وأنا من بعد أرى لهذه القراءة وجها صحيحا وهو أن تجعل 'هن' أحد جزأي الجملة وتجعلها خبرا لـ'بناتي'؛ كقولك زيد أخوك هو وتجعل 'أطهر' حالا من 'هُنَّ' أو من 'بناتي' والعامل فيه معنى الإشارة كقولك: هذا زيدٌ هو قائمًا أو جالسًا أو نحو ذلك، فعلى هذا مجازه، فأما على ما ذهب إليه سيبويه ففاسد كما قال»[5].

ووجه سيبويه قراءة عيسى بن عمر: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾[القمر 10] قال في الكتاب: « هذا باب من أبواب 'إن'، تقول: قال عمرو: إن زيدا خير الناس، وذلك لأنك أردت أن تحكي قوله: ولا يجوز أن تعمل قال في إن كما لا يجوز لك أن تعملها في زيد وأشباهه إذا قلت : زيد خير الناس، فإن لا تعمل فيها. قال كما لا تعمل قال فيما تعمل فيه 'أن' لأن 'أن' تجعل الكلام شأنا ثم قال سيبويه:

---

(1) إعراب القرآن للنحاس: ج1 ص427.
(2) المصدر نفسه: ج2 ص178.
(3) المصدر نفسه: ج4 ص288.
(4) الكتاب لسيبويه : ج2 ص396-397.
(5) المحتسب : ج1 ص325.

وكان عيسى يقرأ هذا الحرف « فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ».أراد أن يحكي كما قال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾[الزمر 3] كأنه قال والله أعلم: قالوا: ما نعبدهم »[1] .

أبو عمرو بن العلاء

أما ثالث رجال هذه الطبقة هو أبو عمرو بن العلاء، وكان قد اشتهر بجمع اللغة ولقب بشيخ الرواة، قال عنه يونس: « لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وتارك »[2].

وأبو عمرو من القراء السبعة، وقد شاعت قراءته، قال ابن الجزري: « وكان أعلم الناس بالقراءة والعربية مع الصدق والثقة والأمانة والدين »[3] وجاء في بغية الوعاة : « قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف »[4]. وكثيرا ما كان أبو عمرو يعول على ثقافته اللّغوية للترجيح بين القراءات، ويعلل لاختياره بما ورد مثله من كلام العرب. ففي زمنه أنكر النحاة عليه قراءة : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾[إبراهيم 24] بكسر الياء. ففزع أحدهم إلى أبي عمرو بن العلاء قائلا له: إن أصحاب النحو يلحنوننا فيها، فقال له: هي جائزة أيضا لا تبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق »[5].

وفسر قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[الإسراء 16] أي: أمرناهم بالطاعة[6] .

وفسر قوم ذلك على أنه بمعنى 'كثرنا' أي: كثرناهم[7] وقد ذكر أبو عبيدة في مجازه كثيرا من أقوال أبي عمرو في التّفسير اللّغوي، من ذلك تفسيره « فرُهُنٌ[8] مَقْبُوضَة » [البقرة 283] قال أبو عمرو: الرهان في الخيل وانشد قول قَعْنَبُ بن أم صاحب من بني عبد الله بن غطفان:

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدَنٌ ۞ وَغَلَّقَتْ عِنْدَهَا مِن قَبْلِكَ الرُّهُنُ[9]

---

(1) الكتاب: ج3 ص143.
(2) طبقات الشعراء. محمد بن سلام الجمحي. مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام. إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر. ص11.
(3) النشر في القراءات العشر: ج1 ص134.
(4) بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص231.
(5) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي. ت: عبد السلام محمد هارون. ط:2. مصر: مط مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م). ج4 ص434.
(6) انظر أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد. الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي. ت: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:2. الناشر دار الكتاب العربي، (1387هـ-1967م). ج1 ص1.
(7) إعراب القرآن. المنسوب لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج. ت: إبراهيم الأبياري. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر. 1965م. ج1 ص346-347.
(8) جاء في البحر المحيط: ج2 ص352. « وقرأ بها ابن كثير وأبو عمرو 'فرُهُنٌ' بضم الهاء ».
(9) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص81.

قال أبو عبيدة: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقرأ: ﴿لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[الكهف 76]. فسألته عنه فقال: هي لغة فصيحة، وأنشد قول الممزق العبدي :

قَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي إِلَى جَنْبَ غَرْزِهَا ۞ نَسِيفًا كَأَفْحُوصِ القَطَاةِ المُطَرَّقِ[1]

وكثيرا ما لحن أبو عمرو القراء لمخالفة قراءتهم الأصل النحوي، كما فعل مع قراءة محمد بن مروان من قراء المدينة وعيسى بن عمر الشاذة﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[هود 77][2]. بنصب 'أطهرَ' على الحال على أن 'هُنَّ' فصل[3] وقد لحّن أبو عمرو القارئ وقال :« احتبى ابن مروان في ذه في اللحن وذلك أنه كان يقرأ « هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ »[4]. قال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : الشَّعَفُ بالعين غير معجمة أن يقع في القلب شيء فلا يذهب، يقال : قد شَعَفَنِي يَشْعَفُنِي إذا ألقي في قلبي ذكره وشَغَلَهُ. وأنشد للحارث بن حِلْزَة اليشكري :

وَيَئِسْتُ مِمَّا كَانَ يَشْغَفُنِي ۞ مِنْهَا وَلَا يُسْلِيكَ كَاليَأْسِ[5]

قال الزجاجي: قلت : قرأت القراء ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾[يوسف 30] بالغين معجمة، وشَغَفَهَا حبا بالعين غير مُعْجَمَةٌ »[6].

ولشدة حرص أبي عمرو على التوافق بين الأصل النحوي ومعنى الآيات القرآنية كان يتبع سبيل التّفسير النحوي ليبين عدم التصادم بين لغة العرب ولغة القرآن. من ذلك إجازته للقلب وحمل النص القرآني على غير ظاهره، وذلك في مثل قوله تعالى:﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[الأنبياء 37].

---

(1) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: ج3 ص98.

(2) في البحر المحيط: ج5 ص246–247: « قرأ الجمهور 'أطهرَ' بالرفع ... وقرأ الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير ومحمد بن مروان السعدي 'أطهرَ' بالنصب ».

(3) قال الأخفش: « هذا لا يكون، إنما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغنى عن خبر إذا كان بين الاسم وخبره هذه الأسماء المضمرة التي تسمى 'الفصل' يعني : 'هي' و 'هو' و 'هن'.» كتاب معاني القرآن. أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط. ت: هدى محمود قراعة. ط:1. القاهرة: مكتبة الخانجي، (1411هـ–1990م). ج1 ص386.

(4) إعراب القرآن المنسوب للزجاج: ج3 ص939. مغني اللبيب لابن هشام ص547. انظر الكتاب: ج1 ص397، ج2 ص397.

(5) مجالس العلماء للزجاجي: ص150. الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي: ج3 ص99.

(6) مجالس العلماء للزجاجي: ص150. وقال الزجاجي في الموضع نفسه: « وأم شغفها بالغين معجمة فمعناه بلغ حبها شغاف قلبه. والشغاف: وعاء القلب. وشعفها بالعين غير معجمة على وجهين : أحدهما ما ذكرناه عن أبي عمرو بن العلاء والآخر أن يكون معناه علا قلبه حبها. والشعاف، واحدها شفعة: أعالي الجبال. الشعَف: أعلى كل شيء ».

الظاهر في قوله 'من عجل' أن يكون في موضع المفعول به على المجاز كقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾[الأنعام 3]. أو في موضع الحال. وذهب أبو عمرو إلى أنه من باب القلب، أي: خلق العَجَلُ من الإنسان، وهو قول ليس بجيد عند أبي حيان، لأن القلب موطنه الشعر لا الكلام الفصيح، وهو كقول العرب: عرضت الناقة على الحوض[1].

ولم ينفرد أبو عمرو بهذا الرأي بل تابعه في ذلك أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قلبا، والمعنى خلق العجل من الإنسان،« واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ [آل عمران 40] أي قد بلغت من الكبر، بقوله تعالى﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾[القصص 76] والمعنى: إن العصبة تنوء بها. وغير ذلك من الأدلة التي ساقها أبو عبيدة[2].

وكان أبو عمرو يقرأ ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[سبأ 10] بنصب 'والطير' ويقول: « على إضمار وسخرنا الطير لقوله على أثر هذا ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾[سبأ 12] أي سخرنا الريح »[3].

وهكذا كان دأب أبي عمرو وصاحبيه يلاحظون أساليب العرب في التعبير ليضعوا أصولهم في الدرس اللّغوي والنحوي بعد طول نظر ودراسة. وقد أدركوا طبيعة العربية بقواعدها التي تحكم الكلام العربي، وعرفوا العلل والعوامل التي تربط النص اللّغوي، مما يسر لهم عملية تأويل النصوص القرآنية واختيار من وجوه القراءات ما يتلاءم والكلام العربي في شكله ومعناه.

ويلحق بهذه المدرسة عالم جليل كان له في مجال الدراسات النحوية والقرآنية شأوا كبيرا، ولأعماله أثرا بالغا فيما يسمى بالتّفسير النحوي للقرآن الكريم، أحببت الإشارة إلى بعض جهوده في هذا المضمار تتمة لذكر أعمال أهم أعلام هذه المرحلة. وهو يونس بن حبيب الزيات(185هـ)[4]. وكان ليونس في عصره منزلة كبيرة في نفوس طلاب العلم فحلقته بالبصرة « ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب، وفصحاء الأعراب، ووفود البادية »[5].

---

(1) التأويل النحوي في القرآن الكريم لعبد الفتاح أحمد حموز: ج1 ص54.
(2) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ج1 ص46 و63.
(3) طبقات الشعراء لابن سلام : ص14.
(4) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي...« أخذ يونس الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة، وكان النحو أغلب عليه، وسمع من العرب، وروى سيبويه عنه كثيرا، وسمع منه الكسائي والفراء، وله القياس في النحو ومذاهب ينفرد بها.» وفيات الأعيان لابن خلكان : ج7 ص244.
(5) الفهرست لابن نديم : ص69.

وروى السيوطي في البغية : أن يونس بن حبيب « له قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها، سمع منه الكسائي والفراء »[1] وكانت ليونس همّة كبيرة في طلب العلوم، حدث عنه ابن نديم قال : « فلم تكن له همة إلا طلب العلم، ومحادثة الرجال، وله من الكتب: كتاب معاني القرآن، كتاب اللغات، كتاب النوادر الكبير، كتاب الأمثال، كتاب النوادر الصغير »[2]

وقد عثرت على عدّة أقوال ليونس تعالج جوانب مختلفة من الآيات القرآنية، ولكنها مجردة من كل قرينة تؤدي بنا إلى إثباتها في كتابه معاني القرآن المذكور أو نفيها منه.

ونستطيع أن نتبين من بعض الأخبار التي بين يدينا أن يونس كان في بعض الأحيان ينظر إلى جملة القرآن، ولا يكتفي بالنظرة المحلية في آية واحدة، فيدلي بالحكم الذي يعم الكلمة أنى جاءت. قال: « كل شيء في القرآن 'فَأَتْبَعَهُ' أي طلبه، و'أَتْبَعَهُ' يتلوه »[3] .

ونتبين من خبر آخر أنه اعتمد في تفسيره للمفردات القرآنية على الشعر، حتى في الأحوال التي كان الظن أن يعتمد عليه فيها. قال الجرمي[4]: رأيت يونس النحوي ومر بحلقة من حلاق المسجد، فقام إليه رجل فسأله من قوله الله جل ذكره : ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[سبأ 52][5] فقال بيده: التناول وأنشد :

وَهِيَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلاَ ۞ نَوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَازَ الفَلاَ

فالمكان الذي سئل فيه، الهيئة التي سئل عليها، يجعلانه في حل من الاقتصار على المعنى المجرد. ولكنه أضاف متطوعا الشاهد الشعري، الذي نجده في غير الخبر السابق أيضا.

وتكشف بعض الأخبار الأخرى أن يونس انساق وراء معارفه النحوية، ووجه عناية خاصة إلى ما اتصل بها من أمور قرآنية، مثل الأدوات .

أورد الزركشي[6] في معاني 'من' أنها تكون« بمعنى الباء نحو ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى 42] حكاه البغوي عن يونس ». وأورد ابن الأنباري[7] في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[القصص 82] عن يعقوب بن السكيت أنشدني هذا البيت :

وَيْكَ أَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ۞ ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُر

---

(1) بغية الوعاة للسيوطي: ص426.
(2) الفهرست: ص69.
(3) طبقات الشعراء لابن سلام: ص46.
(4) أخبار النحويين للسيرافي: ص57.
(5) قال الراغب في مفرداته ص511: « تناوش القوم كذا تناولوه، قال: ﴿وأنى لهم التناوش﴾ أي كيف يتناولون الإيمان من مكان بعيد، ولم يكونوا يتناولوه عن قريب في حين الاختيار والانتفاع » .
(6) البرهان للزركشي : ج4 ص420.
(7) شرح القصائد السبع الطوال شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري. ت: عبد السلام هارون. ط:3. مصر: دار المعارف. ص359.

حكاه محمد بن سلام الجمحي عن يونس، وقال: معناه ألم تر »،وهو قول عامة المفسرين كما حكاه سيبويه.[1]وأعتمد يونس على معارفه النحوية في تفسيراته، كما ترى فيما روى محمد بن سلام عنه حين قال: « سمعت يونس النحوي يقول في قوله جل وعلا: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾[يونس 92] ننجيك: نجعلك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع[2] ببدنك: بدرئك. وانشد لأوس بن حجر :

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ ۞ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ ۞ وَالْمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرْوَاحِ [3]

بل اعتمد على هذه المعارف النحوية في قراءته أيضا. وخاصة عندما يدعمها بالشعر الفصيح، قال ابن سلام[4]:« قلت ليونس: كيف تقرأ : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[النمل 22] فقال: قال الجعدي، وهو أفصح العرب من سبأ الحاضرين مأرب:

إِذْ . . . . . ۞ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا

وهو على قراءة أبي عمرو ويونس ».

وطبيعي أن يلتقط ما في الآيات من مسائل نحوية ويناقشها كما روى عنه سيبويه: « وأما قوله عز و جل ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[الأنبياء 3] فإنه يجيء على البدل أو كأنه قال: انطلقوا، فقيل له: من؟ فقال: بنو فلان، فيقول:﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾على هذا فيما زعم يونس »[5].

وغير بعيد أن يكون تناول بعض القراءات بالتعليل، قال سيبويه[6] : « سمعنا بعض العرب يقول: الحمد لله رب العالمين فسألت عنها يونس، فزعم أنها عربية ».ويؤيد ذلك المكانة السامية التي كان يشغلها يونس في علم القراءة، قال الجاحظ « لم يكن في هذه الأمة بعد أبي موسى الأشعري أقرأ في محراب من موسى بن يسار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد، ثم يونس النحوي ، ثم المعلى »[7].

---

(1) الكتاب لسيبويه: ج2 ص154.
(2) كذلك فسرها الراغب في مفرداته ص486.
(3) كتاب ذيل الأمالي والنوادر. أبو علي سليمان ابن القاسم البغدادي القالي. مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة. بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة. (1400هـ-1980م). ص18.
(4) طبقات الشعراء لابن سلام: ص106.
(5) الكتاب: ج2 ص41.
(6) المصدر نفسه : ج2 ص63.
(7) البيان والتبيين للجاحظ: ج1 ص368.

ويبدو أن يونس لم يكن من الملتزمين بالتّفسير المأثور، بل كان يفسر برأيه أحيانا، فنحن لم نجده يورد أي سند في أقواله السابقة، ونجد بعضها ذا صبغة نحوية تدل على صدورها من عنده، ولعل الخبر التالي يؤيده هذا الاستنباط. قال أبو عبيدة عن يونس: « كنت مع أبي عمرو بن العلاء عند بيت الله الحرام، فجاءنا مقاتل بن سليمان فجعل يسأل أبا عمرو بن العلاء عن تفسير القرآن الكريم فأكثر ثم قال له: ما معنى قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[الرعد 36] فقال أبو عمرو: لا أدري. قال يونس: فقلت له: أضجرت الشيخ من كثرة ما تسأل، أراد صفة الجنة التي وعد المتقون. فقال مقاتل لأبي عمرو: هو كما قال؟ فقال:إن كان سمع فخذ عنه. فقال مقاتل: ما أفتيتني سمعت، فقال: لو لم اسمع من الثقات ما أفتيتك أو كلام مثل نحوه»[1] .

وبين يدي خبر آخر يدل على أن يونس روى بعض تفسيره عن بعض المشهورين من المفسرين، روى محمد بن اسحاق عن يونس عن الزهري في قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾[يس 68] معناه: ما الذي علمناه شعر وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعرا[2].

ومن آرائه أيضا في مجال التّفسير واللغة ما ذكره العكبري عند إعرابه قوله تعالى: ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[آل عمران 144] قال : « الهمزة عند سيبويه في موضعها، والفاء تدل على تعلق الشرط بما قبله ».وقال يونس:« الهمزة في مثل هذا حقها أن تدخل على جواب الشرط تقديره : أتنقلبون على أعقابكم إن مات لأن الغرض للتنبيه أو التوبيخ على هذا الفعل المشروط »[3]. وانتصر العكبري لسيبويه وبين أن مذهبه هو الحق.

هذه آراء يونس النحوية في كتاب سيبويه متعددة، وقد أكثر من النقل عنه حيث تعددت مواضع هذا النقل فبلغت 155 مرة[4] .

وبعد هذه المدرسة استقبل الناس زمنا تغيرت فيه الحياة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا.وبفعل العوامل السياسية والفكرية التي مرت بها الدولة الإسلامية دخل الساحة الثقافية كثيرا من التراث اليونان والفارسي والهندي، وبدأت عملية الترجمة تنقل إلى العربية مختلف العلوم والفنون، ودبّ على

---

(1) مجالس العلماء للزجاجي: ص52.
(2) أخبار النحويين للسيرافي : ص56.
(3) التبيان في إعراب القرآن العكبري : ج1 ص150.
(4) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية لعبد العال سالم مكرم: ص82.

إثرها صراع ناشء بين أصحاب المذاهب الدينية التي أخذت تظهر منذ العصر الأموي كالخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة، وكانت روح الخلاف وحمى المعارضة والمناقضة مسيطرة على التفكير العلمي إذ ذاك،كما كانت الفلسفة لا سيما منطق أرسطو من أشياء الفكر المستحدثة التي يحتكم إليها المسلمون فيما شجر بينهم. وأخذ علم الكلام يتميز بالتفوق والسيطرة، وكان للمتكلمين في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله آراء لابد لها من الفهم البياني القوي، ليؤيدوا بها وجهات نظرهم. فعمدوا إلى الأدب واللغة والمنطق يدعمون بها حججهم، واحتدم النقاش بينهم والجدال، وكان كل ذلك يحتاج إلى تخريج على ضوء قواعد العرب في لسانها، وإلى تدليل عقلي مطابق لما يقتضيه المنطق. ولم يكن علماء اللغة والنحو بمعزل عن هذه الفرق، واعتنق بعضهم التشيع، ومنهم من اعتنق الاعتزال كالخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه من علماء البصرة ومفكريها، وقد امتازت مدرستهم بعنايتها البالغة باللغة والنحو عناية خاصة، واتخذت من القياس والتعليل أصلا من أصولها كما كان شأن مدرسة عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر الثقفي.إلا أن الخليل قد هذب بالنحو بعيدا عن الدراسات القرآنية واتجه اتجاها لغويا، ووسع الكلام في علل التأليف وعلل الإعراب.

وأمام هذا التحول الكبير للعلوم اللّغوية، والتغير السريع في طبيعتها من علوم تهدف إلى خدمة القرآن إلى علوم مجردة ، لم تبق مدرسة الإقراء اللّغوية التي كانت على عهد أبي عمرو بن العلاء على حالها، أو بمعزل عن تلك الظروف الجديدة، بل تبناهامجموعة من الأعلام اللّغويين ممن كان لهم مجال في الدراسات التّفسيرية، حيث مزجوا بين العمل اللّغوي والقرآني وجمعوا بين منهجين التّفسيري واللّغوي،وتقدموا بالبحوث اللّغوية خطوة عملاقة نحو العمل التّفسيري.وبدأ التّفسير اللّغوي في عهد هؤلاء مرحلة جديدة، وبدأ معها التزاوج بين التيارات التقليدية والجديدة، وتداخلت الحركة اللّغوية مع التّفسير الأثري تداخلا كبيرا، واقتبس هؤلاء وهؤلاء من أصحاب الرأي من المتكلمين والمعتزلة حرية الفكر، فنشأت في هذه المرحلة أول مدرسة لغوية ذات أسس علمية تجعل من التّفسير ميدانا لبحوثها. ورجال هذه المدرسة اللّغوية التّفسيرية الجديدة مجموعة عباقرة الدرس اللّغوي القرآني، وخلاصة الدارسين اللّغويين، وهم على الخصوص: علي بن حمزة الكسائي (182هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، وأبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (221هـ)، وأبو زكرياء الفراء (210هـ)، وابن قتيبة (270هـ) وأبو إسحاق إبراهيم السري المعروف بالزجاج (311هـ).

وهؤلاء قد ورثوا القواعد الأولى للعمل اللّغوي التّفسيري، فقد اطلعوا على رصيد المرحلة الأولى، مرحلة شرح الألفاظ الغريبة والاستدلال لها بالشعر الجاهلي، ثم عرفوا ما نتج عن احتكاك علوم الإعراب والإعجام بالنصوص القرآنية، وانتهوا بما أخذوا عن قرب من مدرسة القراء اللّغويين التي خلطت العمل القرآني وخاصة القراءات بالنظرات اللّغوية والنحوية، فكان أن فتحت آفاق كبيرة أمامهم نحو استغلال الأداة اللّغوية لتفسير جميع القرآن تفسيرا لغويا يتلاءم مع طبيعة النص اللّغوي المعجز.

وبداية من هذه المرحلة نشأت ظاهرة جديرة بالعناية والإهتمام، وهي ظاهرة امتدت من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع، وكانت على الدوام من أكثر روافد التّفسير اللّغوي عطاء، وهي التأليف التجزيئي في مفردات القرآن وغريبه ومجازاته. واتسمت بالطابع اللّغوي الذي يتناول اللفظ القرآني من قريب على ضوء الشعر القديم، وكلام العرب المروي عن العرب الثقات، ورتبت هذه الكتب حسب سور القرآن، أو حسب أحرف الهجاء فيما بعد، وقد يتغير بعضهم جوانب معينة في اللفظ القرآني يوجهون إليها عنايتهم اللّغوية مثلما فعل الأصمعي في كتابه « لغات القرآن »[1] وللفراء « لغات القرآن»[2] وكذا لأبي زيد (215هـ)[3] ثم « المصادر في القرآن »[4] للفراء أيضا، أو تسميات تتصل بالدراسات اللّغوية. وبعض الكاتبين وجه عنايته بالأسلوب لا باللفظ وقد شد ذهنهم فنون التعبير في القرآن.

وتبقى السمة الغالبة في أعمال هؤلاء جميعا أنهم يأخذون اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وللخليل بن أحمد الفراهيدي جهد كبير في التّفسير على هذا النمط، وسبقه أبو جعفر الرؤاسي[5] الذي ألف « معاني القرآن »[6].

---

(1) ذكره ابن نديم في الفهرست مع الكتب المؤلفة في لغات القرآن: ص53.
(2) مقدمة محقق معاني الفراء: ص11.
(3) « هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري الخزرجي البصري النحوي اللّغوي الإمام الأديب.وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو القاسم بن سلام وعمر بن عبيد وأبو العيناء ... وغيرهم وروى الحديث ... وكان ثقة ثبتا... توفي أبو زيد بالبصرة ... في خلافة المأمون وقد تجاوز التسعين.» معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج3 ص375.
(4) مقدمة محقق معاني الفراء: ص11.
(5) « يكنى أبا جعفر. هو ابن أخي معاذ الهراء وهم من موالي محمد بن كعب القرظي ... كان أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو ...قال أحمد يحي ثعلب : كان الرّؤاسي أستاذ على بن حمزة الكسائي والفراء.» معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص292.
(6) ذكره ياقوت في معجم الأدباء: ج5 ص294.

ولكن هذا التعامل اللّغوي مع القرآن لم يكن مرضيا عند جميع اللّغويين وعلماء التّفسير. فقد رأى بعض علماء اللغة رأي المفسرين النقليين في التحرج من استعمال الرأي في القرآن، أو القول فيه بالفهم الشخصي مهما كانت صفته، وقد عرف هذا التحرج عند الأصمعي(216هـ) ويونس بن حبيب(185هـ) خاصة. فقد كان الأصمعي كشيوخ المحدثين متشددا واقفا عند النص اللّغوي، يكره القياس ويعارضه، فإذا سئل عن شيء من القرآن والسنة يقول : « العرب تقول معنى هذا كذا، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو »[1] وكان يقف تماما عندما تعترضه لغة لها نظير، واشتقاق في القرآن. فقد امتنع عن إجابة أحدهم عن معنى 'الربّة' لأن في القرآن 'رِبِّيُّون'[2]. وفي سرى وأسرى، لأن في القرآن ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾[هود 80].وفي عَصَفَتْ لقوله تعالى:﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾[يونس 22].وفي سَحَتَهُ وأسْحَتَهُ لأنه قرئ 'فَيَسْحَتَكُمْ'[3]وفي سلك الطريق وأسلكه لأن في القرآن ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾[المدثر 41][4] .

فهذه صورة من صور التحرج السائد عصرئذ، ولكن لم يلبث أن تحولت هذه الصورة إلى اتجاه معارض لهذا اللون من ألوان التّفسير، ويمثله الحرفيون من اللّغويين وظاهرية الفقهاء والمحدثين، وسنعود للحديث عن موجة التحرج هاته في وضع آخر.

ولكن لم يدم هذا التحرج من لغويي القرون الثلاثة الأولى طويلا ولم ينتشر لأنه لم يستطع مغالبة الحركات الفكرية الجديدة التي طفت على الفكر العربي خاصة في القرن الثالث الهجري،الذي بدأت فيه هذه الموجة التقليدية تنحسر، وبدأت الدراسات القرآنية موجة جديدة[5].

أما بحوث التّفسير فقد تفرعت وانتظمها جدولين اثنين، أما الجدول الأول فهو: التّفسير المأثور من أحاديث النبي ﷺ وأخبار الصحابة والتابعين. أما الجدول الثاني فهو التّفسير اللّغوي النحوي، وكان يمد هذا الجدول علماء اللغة والنحو بعدما أصبحت لغة القرآن وأسلوبه يشغلان جزءا كبيرا من أعمالهم. فاتخذوا من غريب ألفاظ القرآن ولغته وتراكيبه وأمثاله ومصادره وإعرابه ميدانا لهم، بجانب بحوث أخرى تتعلق بالبيان وفنون التعبير المختلفة في القرآن. ولا يهمنا في هذا المجال أن نتبع الجدول الأول

---

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان :ج3 ص172.
(2) في قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ [آل عمران 146].
(3) في قوله تعالى: ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [طه 60].
(4) المزهر للسيوطي : ج2 ص326.
(5) انظر مادة 'فسر' لأمين الخولي بدائرة المعارف الإسلامية. إعداد مجموعة من المستشرقين. يصدرها باللغة العربية أحمد الشنواي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس. بيروت: دار المعارف.

لأنه يهم باحثي التّفسير وتاريخه، وأما ما يهمنا فالجدول الأخير، وهو من شأن التيار الجديد من اللّغويين والنحاة الداعين إلى تفسير القرآن في حدود اللغة. وقد شاركوا جميعا في وضع الأصول المحكمة لهذا التّفسير، فكتب أبو عبيدة والفراء والأخفش والزجاج والنحاس وأضرابهم أوائل التفاسير اللّغوية « فكونوا الحركة الأولى للتفسير بهذا المنهج بعد التّفسير بالمأثور »[1] ونشأ عن ذلك المنهج التحليلي في تفسير النصوص بمنأى عن التأثير الإعتقادي الذي لا يوحي به ظاهر اللغة أو دلالة الألفاظ« وربما كان هذا الاتجاه من أهم الاتجاهات التي طورت معنى التّفسير ودرجت مفهومه ووسعت دائرته وبسطت أكنافه »[2] وهذه الطائفة من اللّغويين والنحاة الباحثين في القرآن قد اتخذت سمتا خاصا لها فسمت كتبها « معاني القرآن ».وعرف علماؤها بأصحاب المعاني[3] لأنهم اتجهوا إلى استخلاص المعاني أو التعبير عنها بدقائق لغوية وأساليب أدبية ترتفع عن المستوى اللّغوي العام، وكان رائدهم في ذلك أن النص القرآني ليس نصا دينيا فحسب، بل هو إلى ذلك نص أدبي معجز. ومن ثم اتجهوا إلى فهمه اتجاها لغويا بعيدا عن التأثر بدينيات لا تعطيها الدلالة اللّغوية[4].

وظل العلماء زهاء قرنين من الزمان يتوارثون هذه التسمية، وأقدمهم واصل بن عطاء (131هـ)[5]،فقد حدث عنه ابن نديم قال : « له كتاب معاني القرآن »[6] .

أما الخطيب البغدادي فيقول في صدد حديثه عن معاني القرآن لأبي عبيدة:« كذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنف في ذلك من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير ثم الأخفش، وصنف الكوفيون الكسائي والفراء فجمع أبو عبيدة من كتبهم،وجاء فيه بالآثار وأسانيدها وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء »[7] كما أورد صاحب الفهرست تحت عنوان « الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه »[8] أسماء اللّغويين الذين كتبوا في معاني القرآن،

---

(1) المبادئ العامة لتفسير القرآن: ص51.
(2) دراسات في القرآن للسيد خليل : ص71.
(3) وهم غير أصحاب المعالي المعروف في التقسيمات البلاغية.
(4) دراسات في القرآن للسيد خليل: ص71.
(5) « واصل بن عطاء الغزال، يكنى أبا حذيفة، وقيل إنه مولى بني ضبة، وقيل مولى بني غزوم، وقيل مولى بني هاشم...كان واصل ألثغ في الراء، قبيح في اللثغة، فكان يخلص من كلامه الراء، يعدل عنها في سائر محاوراته... وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا كان من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وكان واصلا ممن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأخذ عنه ... وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين.» أمالي المرتضى: ج1 ص162 إلى 165.
(6) الفهرست لابن نديم: ص209.
(7) تاريخ بغداد. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. المدينة المنورة: المكتبة السلفية. ج2 ص405.
(8) الفهرست لابن نديم : ص53. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني حاج خليفة الرومي الحنفي. مط دار الفكر، (1402هـ - 1982م). ج2 ص1730.

وذكر منها خمسة وعشرين مؤلفا، وآخرهم من علماء القرن الثالث أبو جعفر النحاس وأبو عبيدة القاسم بن سلام المتوفيان سنة 338هـ. إن «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى المؤلف سنة 188هـ هو أقدم هذه الكتب وجودا بين أيدينا[1] وأول من بحث في علم معاني القرآن بحث نقد وتمحيص، وفحص أساليب العرب التي جاء القرآن على منوالها «وقد أخذ ذلك من أسئلة ابن الأزرق لابن عباس»[2] أما البحوث النحوية فيضطلع بها أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء. ومعنى هذا أن الاتجاه اللغوي لم يثمر مؤلفات تفسيرية إلا في نهاية القرن الثاني مع أبي عبيدة.

لقد عد مؤرخو القرآن وعلومه المؤلفات اللغوية وخاصة منها كتب المجاز والمعاني والغريب والإعراب من كتب التفسير، وصنفوها ضمن قسم « التفسير اللغوي أو المنهج اللغوي في التفسير »، بعدما شكلت هذه المؤلفات اتجاها لغويا في التفسير حمل لواءه وبلور موضوعاته أصحاب هذه الكتب الذين يعدون اللفظ القرآن والعبارة القرآنية محورا للدرس التفسيري، والأصل في التراكيب والألفاظ العربية، فكانت معالجتهم للموضوعات القرآنية معالجة لغوية صرفة، وإن كانوا يعرضون في بعض المواضع لأسباب النزول والنقول الأثرية، غير أن أهم ما شغلهم مدلول العبارة ثم إعراب الآية وعود الضمير فيها والعوامل. يقول السيد خليل : « ولا جدال في أن هذا الاتجاه في التفسير كان قد أصبح اتجاها متميزا له منزعه الخاص وأسلوبه المتفرد، وقدرته البالغة على التحليل الذي لا يدع النص مغلقا أو مطويا على نفسه دون الاستفادة بكل ما فيه »[3].

وعد الباحثون والدارسون كتب المعاني من الركائز الأولى المقعدة لعلم التفسير اللغوي فلأن ذلك مرجعه إلى نقطتين أساسيتين :

الأولى: اكتمال أصول المنهج اللغوي التفسيري وقواعده على يد هؤلاء الأعلام أصحاب هذه الكتب.

الثانية: لم يؤثر عن غيرهم كتب جامعة لمعالم التفسير اللغوي، عدا تلك الآراء المتناثرة عن علماء المدرسة المكية ، والتي لم تكن في دقة وشمولية هذه الأخيرة، بقدر ما كانت بذورا استوحى منها هؤلاء اللغويين فكرة التفسير في إطار منهج معزول عن قيد المنقول، ومقيد بأصول لغة الكتاب الحكيم.

---

(1) معجم الأدباء ياقوت الحموي: ج5 ص511.
(2) راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج12 ص405.
(3) دراسات في القرآن للسيد خليل: ص71.

أعلام التفسير اللغوي

شكلت مدرسة التّفسير اللّغوي خلال مرحلة القرن الثالث الهجري خاصة منهجا متميزا في التّفسير، له خصائصه التي ينفرد بها عن غيره من المناهج أهلته لأن يسيطر على الساحة التّفسيرية ويرفع ستار التحرج الغير المبرر عن كتاب الله عز وجل، لفتح العقول على كنوز ودرر مكنونة بين الكلمات المقدسة. فكان أن تضافرت مجموعة الجهود لإبراز دور كتاب العربية الأكبر في خلق الحضارة ومواكبة الحياة، وأصبح من الضرورة الاستفادة من المصدر اللّغوي على قدر وجوده في ساحة المعرفة آنئذ.

ونشطت حركة التّفسير اللّغوي خلال هذه الفترة إلى حد لم تبلغ مثلها حركة أخرى قط، فبدأت كما رأينا بجهود علماء القراءات وكانوا أكثرهم من اللّغويين من أمثال أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والكسائي وغيرهم.ثم تلقف تلاميذهم هذه الجهود ورعوها بالدرس الطويل والبحث العميق، فكان من هؤلاء يونس بن حبيب والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري والأخفش وابن قتيبة وغيرهم. إلا أن رؤوس هذا المنهج وأعلامه دون منازع هم :

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه « مجاز القرآن ».
2- أبو زكرياء الفراء في كتابه « معاني القرآن ».
3- الأخفش الأوسط في كتابه « معاني القرآن ».

ويلحق شأوهم ويداني تخصصهم ابن قتيبة في كتابيه «غريب القرآن» و«تأويل مشكل القرآن».

وسبب تزعم هؤلاء دون غيرهم يرجع إلى ما قدموه في مؤلفاتهم من معالم واضحة وأسس بينة لمنهج تفسيري قائم على الجانب اللّغوي، وقد تمحض لاشتقاق مفردات القرآن وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها، فجاء مزيجا بين اللغة والنحو والصرف والقراءات، وكان مضماره في الكشف والإبانة استعمالات العرب وشواهد أبياتهم. وقد سخر هؤلاء طاقات اللغة العربية واستشهدوا بها على تقرير قاعدة أو تقعيد نظرية أو بناء أصل لغوي أو صرفي لخدمة القرآن الكريم وحفظه.

ودراسة مسيرة هؤلاء الرجال العلمية وتفسيراتهم اللّغوية للقرآن الكريم تمكننا من وضع تفاسيرهم في مكانها الصحيح بين التفاسير، وتكشف لنا خصائص التّفسير اللّغوي في مرحلة التمام حيث اكتملت آلياته واتضح مفهومه وبانت وجوهه. وقد أغفلتُ عن عمد ذكر اتجاهات التّفسير اللّغوي في ثنايا الحديث عن خصائص هذا الاتجاه التّفسيري عند هؤلاء لنوفيها حقها من الدراسة في مبحث لاحق. وسأعرض هنا لجهود أبي عبيدة، ثم الفراء ، ثم الأخفش الأوسط مؤخرا ذكر مجهودات ابن قتيبة إلى مبحث لاحق حيث يقتضي التسلسل الموضوعي ذلك.

جهود أبي عبيدة في التّفسير اللّغوي

أبو عبيدة، أحد العلماء الأوائل الذين تتبعوا القرآن الكريم بالبحث اللّغوي العميق، وهو يمثل رأس التيار اللّغوي في التّفسير من خلال كتابه « مجاز القرآن »[1] الذي عدّه الباحثون من الدراسات الرائدة والمعالم الهامة في تاريخ التّفسير بل من نقاط التحول في هذا التاريخ، وهو أول كتاب يبحث في لغة القرآن وأسلوبه.وترجع أهمية كتاب المجاز التّفسيرية في عدة أمور :

أولها : أنه أول دراسة تصلنا بهذا العمق تعكس أهم مراحل التعامل اللّغوي مع القرآن.

وثانيها: أن هذا الكتاب يعد المرجع الأساسي لكثير من الدراسات اللّغوية والتّفسيرية بوصفه أول دراسة تتصل بلغة القرآن.

وثالثها: أن هذا الكتاب يعتبر شركة بين التّفسير وعلم اللغة.

ولن نستطيع أن نحدد قيمة كتاب أبي عبيدة وأصول منهجه اللّغوي في التّفسير ما لم نعرف طبيعة حياة صاحبه والظروف التي وجهت نشاطه والدوافع التي أثرت في مجرى حياته. ولن نكثر القول في هذا كله، وإنما نشير إلى الملامح العامة بما يعيننا على ربط ما عسى أن يكون في منهجه من جديد.

عاش أبو عبيدة في القرن الثاني الهجري، كان فارسي الأصل تيمي بالولاء، وكان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارهم، وقيل في مذهبه أنه كان خارجيا أو معتزليا « وقد نعلل لاتهامه بالإعتزال أو القدر باتجاهه اللّغوي في فهم النص الديني، وكثير من العلماء قد اتهموا هذه التهمة لأنهم كانوا يميلون إلى هذا الاتجاه، ويرضون عنه ويبالغون في تطبيقه على النص القرآني وفهمه »[2] .

وأبو عبيدة أعلم أصحابه الثلاثة – الخليل والأصمعي وأبو زيد الأنصاري– بأيام العرب وأخبارهم، وأجمعهم لعلومهم، وكان أكمل القوم[3]. مكّنته ظروفه من ثقافات واسعة لا تقتصر على اللغة والنحو والنوادر، بل يشارك في كثير من العلوم، ويعرف الكثير من أخبار العرب وأيامها. فالرجل شخصية ذواقة بلغ من الذكاء وعمق النظر شأوا بعيدا، فلم يتوان أن يلم بما كان يدور حوله

---

(1) أول من ذكر هذا الكتاب من أصحاب التراث وكتاب التراجم، ابن نديم صاحب الفهرست، ثم ذكره الخطيب البغدادي، وتحدث عنه ابن الأنباري، وياقوت الحموي في كتابه إرشاد الأديب وفي معجم الأدباء، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وذكر محقق « مجاز القرآن » محمد فؤاد سزكين ص18، أنهم أطلقوا عليه قديما « غريب القرآن».وذكر محمد زغلول سلام في كتابه « أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري». ط:3. القاهرة: دار المعارف. ص41 وجود مخطوط مصور بكلية الآداب بالأسكندرية علوانه « المجاز في تفسير غريب القرآن ».

(2) دراسات في القرآن للسيد خليل: ص75.

(3) المزهر في علوم اللغة للسيوطي : ج2 ص402. ضحى الإسلام لأحمد أمين : ج2 ص304.

من ثقافات، وقد دلت الآثار التي وصلت إلينا عنه أنه كان من البارعين بعلوم كثيرة. خذ مثلا إحاطته بتاريخ العرب وعاداتهم، ومثلهم ومذاهبهم فكان ذلك عونا له على تفسير النص القرآني تفسيرا سليما، وقد ظهر ذلك عند تناوله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[المائدة 105].

يقول : « ما حرم الله البحيرة[1] التي كان أهل الجاهلية يحرمونها، كانوا يحرمون وبرها وظهرها ولحمها ولبنها على النساء ويجعلونها للرجال، وما ولدت من ذكر أو أنثى فهو بمنزلتها ، وإن ماتت البحيرة إشترك الرجال والنساء في أكل لحمها،وإذا ضرب حمل من ولد البحيرة فهو عندهم حام[2]، وهو اسم له ».ويتتبع أبو عبيدة باقي الألفاظ الواردة في الآية -السائبة[3] والوصيلة[4] والحام- واصلا بين مدلولها وبين الواقع الاجتماعي للبيئة العربية[5].

ومن ذلك أيضا ما أورده عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾[التوبة 37].

قال أبو عبيدة : « كانت النسأة في الجاهلية، وهم بنو نُقَيم من كنانة اجتبروا لدينهم ولشدتهم في دينهم في الجاهلية، إذا اجتمعت العرب في ذي الحجة للموسم وأرادوا أن يؤخروا ذا الحجة في قَابِلٍ لحاجة أو لحرب، نادى مناد: إن المحرم في صفر، وكانوا يسمون المحرم وصفر الصفرين، والمحرم صفر الأكبر وصفر المحرم الأصغر، فيحلون المحرم ويحرّمون صفر، فلا يفعلون ذلك كل عام ، حتى إذا حج النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة الذي يكون فيه الحج قال : « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ وَعَادَ كَهَيْئَتِهِ، فَاحْفَظُوا العَدَدَ » فينصرف الناس بذلك إلى منازلهم »[6]. وكان أبو عبيدة مع هذا عالما باللغة والعربية علما واسعا لا يقل كثيرا عن علم الأصمعي وأبي زيد بها حتى قال محمد بن المناذر[7](198هـ) « كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها»[8] فالرجل علَم من أعلام اللغة والأدب في القرنين الثاني والثالث،

---

(1) قال الراغب في مفرداته ص48 : « بحرت البعير شققت أذنه شقا واسعا، ومنه سميت البحيرة قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾[المائدة 103] ».

(2) قال الراغب في مفرداته ص140: « 'ولا حام' قيل هو الفحل إذا ضرب عشرة أبطن كان يقال حَمِي ظهره فلا يركب.»

(3) قال الراغب في مفرداته ص255: « السائبة هي التي تُسيَّبُ في المرعى فلا ترد عن حوض ولا علف وذلك إذا ولدت خمسة أبطن ».

(4) قال الراغب في مفرداته ص540 : « 'ولا وصيلة' وهو أن أحدهم إذا ولدت له شاته ذكرا أو أنثى قالوا: وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها ».

(5) مجاز القرآن: ج1 ص177-181.

(6) المصدر نفسه: ج1 ص258 و259.

(7) « وهو شاعر فصيح متقدم في العلم باللغة إمام فيها، أخذ عنه كثير من اللغويين وكان في أول أمره ناسكا يتأله، ثم ترك ذلك وهجا الناس وتهتك...صحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة وأخذ عنهما الأدب واللغة.» معجم الأدباء: ج5 ص447.

(8) المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج2 ص402. ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج2 ص304.

يقول عنه الجاحظ: « ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه »[1] ويتصف أبو عبيدة بجانب السّعة في العلم وبنفاذ العقل وعمق الملاحظة فيما يقع بين يديه حتى قيل : « كان أبو عبيدة ما يفتش عن العلم من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره، ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به »[2]. لذلك كان شديد النقد لمعاصريه من العلماء حتى رووا أنه لم يحضر جنازته أحد[3]. أما عن مصادر علمه فقد أخذ أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء أحد تلاميذ مجاهد وأهم شيوخه،أخذ عنه « النحو والشعر والغريب، وفي مجاز القرآن أثر أبي عمرو الواضح على أبي عبيدة»[4] .

كما تلقى علمه عن أبي الخطاب الأخفش[5] ويونس بن حبيب وسواهم من نحاة البصرة والناهجين سبيل المذهب البصري في دراسة اللغة .

وقد شهد القرن الذي ظهر فيه أبو عبيدة حركة أحدثت تغيرا اجتماعيا شديد التأثير في بناء المجتمع نفسه بفعل النزعة التحررية التي طغت على طرق التفكير داخل البيأت المختلفة،والتي قد تفسد جوهر الحياة، فالواقع العربي في هذا العصر أصابه تغيير في جميع اتجاهات الحياة ، في العادات والتقاليد والقيم الأخلاقية، وفي المعرفة بمعناها الواسع. ولقد كان من أثار هذا التطور أن اتجه أبو عبيدة إلى اللغة ودراستها والتعمق في البحث عن أطوار نموها ووظائفها عند كل طور، ونظر في ذلك بعقلية دقيقة فاحصة، وكان متحررا يقرأ ويجمع ويعي ثم يبدي رأيه على طريقة المتكلمين حتى انتهى إلى حتمية تطور حياة اللغة، فلم تعد عنده لغة أدبية فحسب، وإنما أصبحت لغة علمية تستهدف الدقة في التعبير، صالحة لفهم النصوص على اختلافها فهما لغويا. وقد خرج كتاب « المجاز» ثمرة لهذا الاتجاه في تفكير أبي عبيدة وشكل به منهجا للفهم، عزز به لغة الكتاب المقدس كي لا تلهو بها أهواء الحضارة ولا يدعي فهمها أدعياء التطور. ومن تلك الملابسات التي صاحبت وضع كتاب « المجاز » وكانت بعض أسباب تأليفه ما يحكيه ياقوت، قال: « إن الفضل بن الربيع[6] استقدم أبا عبيدة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائة، فلقي عند أحد كتاب الوزير وجلسائه وهو ابراهيم بن اسماعيل الكاتب،

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ: ج1 ص347. معجم الأدباء لياقوت الحموي : ج5 ص510.
(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص510. بغية الوعاة للسيوطي: ج2 ص295.
(3) الفهرست لابن نديم: ص76.
(4) مقدمة محقق مجاز القرآن: ص11. راجع المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج2 ص401-402.
(5) قال عنه ابن خلكان : « كان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب وأخذ عنه سيبويه وأبو عبيدة ومن في طبقاتهما، ولم يظفر له بوفاة حتى أفرد له ترجمة » وفيات الأعيان : ج3 ص301.
(6) « الفضل بن الربيع (208هـ-824م) حاجب المنصور العباسي، وزير الرشيد بعد نكبة البرامكة، أقره الأمين في الوزارة فعمل على مقاومة المأمون، ولما انتصر المأمون أهمله. توفي بطوس.» المنجد في اللغة والأعلام. ط:25. بيروت: دار الشروق. جزء الأعلام ص528.

الذي يسأله قائلا : قال الله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[الصافات 65] وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف ».ويستمر أبو عبيدة في روايته فيقول : « فقلت إنما كلم الله تعالى العرب على قد كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيَقتُلُني والمشرفيُّ مَضَاجِعِي ۞ مَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أغْوَالِ[1]

وهم لم يرو الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به. وعزمت منذ اليوم أن أضع كتابا في القرآن، في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز »![2]

ويبدو أن أبا عبيدة أحسّ من سؤال هذا الكاتب عاقبة الجهل بطريقة العرب في القول،وشعر بحاجة الناس في عصره إلى فهم القرآن والمعرفة بتأويله،وأن الشبه التي يوجهها المغرضون إلى القرآن الكريم إنما تأتي من طريق النظر في العبارات القرآنية التي يظن فيها الغرابة والارتفاع عن المستوى اللّغوي العام، وفيها ما لا يتفق اتفاقا دقيقا مع القواعد المنطقية التي شاعت في مجالس النحاة. فحفّزته كل هذه الظروف إلى بيان الأساليب التي يستعملها القرآن في التعبير عن أغراضه، ويتبعها بالشواهد التي جاءت بها الآثار الأدبية الصحيحة.

وعن هذه الدوافع كلها أشار أبو عبيدة في مقدمة كتابه وبعبارة مجملة قائلا:« فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن مسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتخليص»![3]

ولذلك نظر أبو عبيدة في القرآن الحكيم نظرة دقيقة فاحصة،فلم يجد في الآيات شيئا يختلف عن أساليب العرب، وإنما كلم القرآن العرب على قدر عقولهم وملكاتهم فأخذ يفسر ألفاظ القرآن ويطيل الوقوف عند الآيات التي يتجاوزها فهمها القدر المشترك ويجليها ويذكر شواهدها.

كان هذا المسلك الذي انتهجه أبو عبيدة خروجا على ما كان عليه علماء اللغة والتّفسير الذين كانوا يتحرجون أشد الحرج، ويلتزمون بآثار السلف بينما « يفسر أبو عبيدة القرآن وعمدته الأولى

---

(1) ديوان امرؤ القيس. ت: حنا الفاخوري. ط:1. بيروت: دار الجيل، (1409هـ-1989م).ص62. المشرفي: السيف ينسب إلى قرى بالشام يقال لها المشارف. وأراد بـ'المسنونة الزرق' سهاما محددة الأزجة صافية، وشبهها بأنياب الأغوال تشنيعا لها ومبالغة في وصفها. جاء في اللسان ج5 ص3318: « وقيل أراد أمرؤ القيس الأغوال الشياطين وقيل أراد الحيات »

(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص511. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج13 ص254.

(3) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ج1 ص8.

الفقه بالعربية وأساليبها واستعمالاتها والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها »[1] دون أن يتيح لرأي السلف مكانا في تفسيره وهذا لا يبعد كثيرا عن تفسير القرآن بالرأي. فأحدث ظهور الكتاب ضجة كبيرة في البيئات العلمية في البصرة والكوفة على سواء. وتعرض أبو عبيدة لكثير من النقد، وقوبل برد فعل عنيف، واتهمه المتشددون في عقيدته ورموه بالاعتزال، وأنه من الخوارج. ولم يقتصر الهجوم من الفقهاء فقط بل وجد أبو عبيدة هذا العنت حتى من اللّغويين مثله، فقد كان الأصمعي يرفع لواء حملة عليه ويتهمه بأنه فسر القرآن برأيه[2] وحمل عليه، فلما بلغ ذلك أبا عبيدة سأل عن مجالس الأصمعي في أي يوم هو، فذهب إليه وسأله: أبا سعيد ما تقول في الخبز؟ قال: هو الذي تخبزه وتأكله. فقال له أبو عبيدة: فسرت كتاب الله برأيك. قال تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾[يوسف 36]. قال الأصمعي: هذا شيء بان لي، فقلته، ولم أفسره برأي. فقال له أبو عبيدة: وهذا الذي تعيبه علينا كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا »[3] ويبدو أن هذا الهجوم من الأصمعي على أبي عبيدة كان له دواعيه وأسبابه، فقد عرف عنه عزوفه عن التّفسير، خشيته التعرض للقرآن، ولعل ممارسة التّفسير من قبل أبي عبيدة، وهو لغوي مثله، وهما الأقران، أثار ذلك حفيظة الأصمعي حتى كان منه ما ذُكر في كتب الطبقات من أنواع التهجم الذي لم يكن له أساس علمي إلا دافع الالتفات حول المأثور.

وانتقل هذا التحرج إلى أبي حاتم السجستاني الذي كان يأخذ عن الرجلين، وتحرج من إطلاق اسم التّفسير عليه فبلغ به التأثم أن قال. وقد سأل عن كتاب المجاز : « إنه لكتاب ما يحل لأحد أن يكتبه وما كان شيء أشد علي من أن أقرأه قبل اليوم ولقد كان أن أُضرب بالسياط أهون علي من أن أقرأه، ما يجوز لأحد أخذه ... إنه أخطأ وفسر القرآن على غير ما ينبغي »[4].

وكذلك ذهب أبو عمر الجرمي (225هـ)[5] بشيء منه إلى أبي عبيدة وكأنه ينكره وقال : عمن أخذت هذا يا أبا عبيدة، فإن هذا تفسير الفقهاء ؟ فقال له وقد ضاق به : هذا تفسير الأعراب البواليين على أعقابهم، فإن شئت فخذه، وإن شئت فدعه[6].

---

(1) مقدمة محقق مجاز القرآن ص16.
(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص512.
(3) المصدر نفسه: ج5 ص512.
(4) طبقات اللحويين واللّغويين للزبيدي : ص176.
(5) « أبو عمر الجرمي فهو مولى لجرم بن زبان ...كان عالما بالعربية واللغة، فقيما ورعا، وهو بصري قدم بغداد فأخذ عن يونس بن حبيب العربية، وعن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش وقرأ عليه كتاب سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي ومن في طبقتهم...وصنف كتبا كثيرة منها: مختصره في النحو...وكتاب التنبيه وكتاب السير.» معجم الأدباء لياقوت الحموي : ج3 ص418.
(6) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص512. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي. ط:4. بيروت: مط دار الكتاب العربي، (1394هـ- 1974م). ج3 ص255.

أما في الكوفة فقد كان الاختلاف في المنزع يتخذ طابع العداوة، وحتى من الفراء اللّغوي الذي قال في معانيه عند قوله تعالى: ﴿ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾[الفاتحة 7] : « وقد قال بعض من لا يعرف العربية: أن معنى 'غير' في 'الحمد' معنى سوى، وأن 'لا' صلة الكلام، واحتج بقول الشاعر وهو العجاج: في بِئْرٍ لاَ حَوْرٌ سوَى مَا شَعَرْ .وهذا غير جائز، فهو جحد محض، وإنما يجوز أن تجعل 'لا' صلة إذا اتصلت بجحد قبلها مثل قوله :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ دِينَهُمْ ۞ وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ ولاَ عُمَرُ

فجعل 'لا' صلة لمكان الجحد الذي في أول الكلام، هذا تفسير أوضح. أراد في بئر لا حور 'لا' الصحيحة في الحجد، لأنه أراد في بئر ماء لا يحير عليه شيئا كأنك قلت : إلى غير رشد توجه وما درى، والعرب تقول: طحنت الطاحنة فما أحارت شيئا أي لم يتبين لها أثر عمل »[1] . وقال الفراء: « لو حمل إلي أبي عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز »![2]

وكذلك كان موقف الفقهاء والمحدثين والمفسرين والنحاة في بداية أمرهم وتحرجوا أيضا من إطلاق اسم التّفسير عليه، وهذا شأن كل إبداع جديد يقابل بالرفض أول ظهوره. وعلى الرغم مما وُجّه إلى تفسير أبي عبيدة من نقد فإن أثره على سائر العلماء والكتاب كان شديدا وظل « مجاز القرآن » بين الدارسين مرجعا أصيلا طوال العصور، « فقد اعتمدهابن قتيبة في كتابيه « المشكل » و« الغريب» والبخاري في الصحيح... وكذلك اعتمد عليه الطبري في تفسيره وأكثر من مناقشته ومقارنة رأيه بآراء أهل التأويل والعلم...واستفاد منه أبو عبيد الله اليزيدي(310هـ)[3]، والزجاج في معانيه، وابن دريد(321هـ) في « الجمهرة » وأبو بكر السجستاني[4] في « غريبه » وابن النحاس في « معاني القرآن » والأزهري في «التهذيب » وأبو علي الفارسي في « الحجة » والجوهري في « الصحاح » وغيرهم من المتقدمين »![5]

---

(1) معاني القرآني للفراء: ج1 ص8.
(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص512. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج13 ص255.
(3) كان محمد المذكور إماما في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب...وله تصانيف فمن ذلك كتاب «الخيل» وكتاب «مناقب بني عباس» وكتاب «أخبار اليزيدين» وله مختصر في النحو. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج4 ص337.
(4) « محمد بن عزيز السجستاني، أبو بكر العزيزي المفسر، اشتهر بكتاب «غريب القرآن» على حروف المعجم، صنفه في خمس عشرة سنة. وكان مقيما ببغداد. وقيل: اسم أبيه 'عزير' بالراء.» الأعلام. ج6 ص268.
(5) مقدمة محقق مجاز القرآن: ص17.

مفهوم المجاز عند أبي عبيدة

ومفهوم المجاز عند أبي عبيدة هو التّفسير، وذلك بالعدول عن استعمال اللفظ أو الألفاظ عن المعنى البسيط إلى معنى آخر يمت إليه بصلة ما، يعرفه من كان عربيا فصيحا. فهذه الكلمة تعبّر عن مدلول كلمة « تفسير». ولقد كثرت آراء الكتاب والباحثين حول ما عناه أبو عبيدة من كلمة «المجاز»، فرأى اللّغويون أن الكلمة إنما استعملت في الكتاب بالمعنى اللّغوي، لأن الكتاب لغوي المضمون. وذهب البلاغيون إلى أن المجاز مفردة يربطها بالمعنى البلاغي ما ذهب إليه البلاغيون من كلمة المجاز، ورأي ثالث يرى أن الكلمة إنّما استعملت بمعنى التّفسير. وهذا ما رأيته يتلاءم مع مضمون الكتاب وما تدل عليه سائر تعبيرات أبي عبيدة. وذلك لأن البلاغة لم تنفصل عن العلوم اللّغوية حينها، ولم تتبين حدودها، وما أشار إليه أبو عبيدة في كتابه من القضايا البلاغية إنما هي إشارات وإرهاصات قوية لعلم البلاغة، ولكنها لا تتعدى عنده المفهوم اللّغوي كما سنرى. فكلمة «مجاز» في مجاز القرآن لم يكن يقصد بها أبو عبيدة المعنى البلاغي إذن، والذي عَرّفه علماء البلاغة فيما بعد، وهو استعمال اللفظ أو التركيب في غير المعنى الذي وضعه له العرب مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي في المجاز اللّغوي، أو إسناد شيء إلى ما ليس من حقه أن يسند إليه في المجاز العقلي[1].

أما عن البحوث اللّغوية فإنها في كتاب المجاز ليست مرادة لذاتها، رغم أنها شكلت للغويين رصيدا معرفيا ضخما بعد أن تناولها أبو عبيدة بذهنية المفكر الناقد، ووقف على أسباب النهوض بالدرس اللّغوي لأن يكون ذا قيمة معرفية ترفعه إلى مصاف العلوم العقلية المحكمة بآليات فكرية ثابتة لا يتعرض بها النص اللّغوي للهزات الفكرية التي تصيب العقول. إلا أن ما وصل إليه أبو عبيدة من نظرته إلى اللغة ووظيفتها لم يكن ليتوقف عند هذا الحد، ولم يكن ليبذل هذا الجهد إلا لغاية ضخمة شغلت العلماء والعباقرة من وزن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ولكن لم تكن الحياة لتهبهم غاية ما يريدون إلا بعد أن يستكمل البناء. وكأني بأبي عبيدة قد أحس بتمام هذا البناء على يديه، فتوجه إلى غايته العظمى، إلى النص اللّغوي القرآني يوجهه بما يليق به، مستخدما ثمار جهوده اللّغوية حتى يكون هذا النص المقدس محاطا بأحد أكبر أسباب الحفظ التي وعد بها الله جل جلاله عباده. وإضافة إلى ما سبق فإن الترتيب الذي أنتهجه أبو عبيدة في تفسيره يتماشى مع عمل المفسرين، كما أن المعارضة العنيفة التي لاقاها أبو عبيدة من الطبقة المتعلمة لم تكن حول البحوث اللّغوية الجديدة التي وردت

---

(1) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني: ص301 وما بعدها.

في الكتاب، فقد سبقه الكثير من اللّغويين ولم ينكر عليهم أحد، وإنما كانت الثائرة لأن أبا عبيدة سلك في تفسير القرآن منهجا حرجا، وفسر القرآن من غير طريق الأثر، وأدخل الرأي في تفسير، وأوّل القرآن وفق المفهوم اللّغوي المجرد.

قال الأستاذ الخولي: « والحق الذي قاله القدماء وتنطق به القطعة المحفوظة بدار الكتب المصرية من كتاب أبي عبيدة نفسه الحق أن هذا الكتاب في تفسير القرآن »[1]. كما يمكن الإهتداء إلى معنى المجاز عند أبي عبيدة بمراجعة معنى الكلمة اللّغوي.

فالمعنى اللغوي حسب ما جاء في معاجم اللغة هو « جَازَ المَوْضِعَ جَوْزاً وجُوزوزاً وجَوَازاً ومَجَازا، وجازَ به وجاوَزَهُ جوازاً: سارَ فيه، وخلَّفَهُ، وأجازَ غيرَهُ »[2]. وعند ابن منظور: جاز بمعنى قطع جوز الفلاة، والمجاز والمجازة الطريقة، والمادة ومشتقاتها، تعني الإنتقال بوجه عام، منه التجوز في الشيء والترخص فيه[3].

وعلى المعنى السابق يمكن أن ينبني فهم أبي عبيدة للفظ، وهو الإنتقال في التعبير من وجه لآخر كالإنتقال في التشبيه من وجه الشبه المعروف إلى وجه آخر غير معروف أو مألوف. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[الصافات 64-65]. وعلى أساس هذا الإنتقال من تعبير قريب إلى تعبير بعيد غير معهود لغير العربي الأصل يرى أبو عبيدة أن في أسلوب القرآن مجازا، وانتقالا على طريقة العرب في الإنتقال أو الرخصة في التعبير[4].

فكلمة المجاز عند أبي عبيدة إذن يراد به معناه الواسع الذي عرفه من الوضع اللّغوي،فهو عنده « الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته »[5] فكان معنى « مجاز القرآن »:« طريق الوصول إلى فهم المعاني القرآنية، يستوي عنده أن يكون ذلك تفسيرا للكلمة اللّغوية التي تحتاج إلى تفسير بالجملة الشارحة، أو بالمرادف المفسر من المفردات »[6]. وقد تنبه لذلك القدماء، يقول ابن تيمية: « أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه. ولكن لم يعني بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنّما عَنَى المجاز الآية ما يعبر به عن الآية »[7].

---

(1) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية نقلا عن مجلة الهلال العدد 44، سنة 1936م. ص545.
(2) القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي. مط دار الكتاب العربي. ج2 ص170.
(3) لسان العرب لابن منظور: ج1 ص724 أمام مادة 'جوز'.
(4) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ص43.
(5) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ص19.
(6) مفهوم الاستعارة في بحوث اللّغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية لأحمد عبد السيد الصاوي. الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية. 1988. ص17.
(7) كتاب الإيمان. تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني. ط:1. مط السعادة، 1325هـ. ص35.

ومما يؤكد أيضًا بأن أبا عبيدة يريد بكلمة المجاز « التّفسير » وما في معناه استعماله في تفسير الآيات هذه الكلمات ' مجازه كذا ' و' تفسيره كذا ' و' معناه كذا ' و ' غريبه كذا ' و' تقديره كذا ' و' تأويله كذا' على أن معانيها واحدة أو تكاد.

فتفسيره قائم على أساس لغوي يتتبع المفردات والمركبات الجملية تتبعا لغويا جديا. فالمعرفة بأساليب العرب ودلالات ألفاظها ومعاني أشعارها وأوزان ألفاظها ووجوه إعرابها وطريق قراءاتها، كل ذلك سبيل موصل إلى المعنى « ولعل ابن قتيبة قد تأثر في كتابه مشكل القرآن بأبي عبيدة في استخدام كلمة المجاز بهذا المعنى العام »[1].

ولإثبات أن كلمة المجاز عند أبي عبيدة ليست سوى التّفسير في أطره اللّغوية نقف قليلا عند بعض تحليلاته المجازية التي ضمنها كتابه :

يقول أبو عبيدة: قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[البقرة 176] يقول: فالعرب تجعل المصادر صفات، فمجاز ' البرّ ' هاهنا: مجاز صفة لـ' من آمن بالله ' وفي الكلام: ولكن البارّ من أمن بالله»[2]. فانقلب المعنى من مدلول صيغة إلى مدلول صيغة أخرى، من المصادر إلى الصفات. وقد ينقلب مدلول الفاعل إلى المفعول أو العكس مثل قوله تعالى: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ [القصص 76] « ما إن العصبة لتنوء بالمفاتيح، أي تثقلها »[3].

ومن المجاز تحول مدلول الأدوات والحروف، يقول: من المجاز الأدوات اللواتي لهن معاني في مواضع شتى فتجيء الأداة تتفق في بعض تلك المعاني، قال تعالى: ﴿ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة 25] معناه فما دونها في الصغر »[4].

وقال: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾[النازعات 30]، أي بسطها[5] وعند قوله تعالى: ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾[البقرة 174] يقول أبو عبيدة: «'ما' في هذا الموضع في معنى الذي، فمجازها: ما الذي صبرهم على النار، ودعاهم إليها، وليس بتعجب »[6] ومثل ذلك ما جاء في قوله

---

(1) مقدمة محقق مجاز القرآن: ص17.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص65.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص 64. وانظر أمالي المرتضى: ج1 ص465-466.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص35.
(5) قال الراغب في مفرداته ص172: « أي أزالها عن مقرها ».
(6) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص64.

تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾[الأنفال 5] قال أبو عبيدة:« مجازها مجاز القسم كقولك: والذي أخرجك ربك لأن 'ما' في موضع 'الذي' وآية أخرى ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾[الشمس 5] أي والذي بنها »، ثم أستشهد ببيت لأوس بن علفاء :

دَعِينِي إِنَّمَا خَطَئِي وَصَوْبِي ۞ عَلَيَّ وَإِنْ مَا أَهْلَكْتُ مَالَ »[1]

وقد يكون من معاني المجاز الإنقلاب في المدلول إلى الضد، فقد ينقلب معنى وراء إلى قدّام في قوله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾[إبراهيم 16] مجازه: قدّامه وأمامه يقال: إن الموت من ورائك أي قدامك. وقال:

أَتَوْعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ ۞ كَذِبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي

أي قدام بني رياح وأمامهم. وهم دوني أي بيني وبينك »[2]

وقد يتغير مدلول الإستفهام كما في قوله تعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[البقرة 29] قال أبو عبيدة: « جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربها، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ولكن معناها معنى الإيجاب: أي أنك ستفعل. وقال جرير، فأوجب ولم يستفهم، لعبد الملك بن مروان :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ۞ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ [3]

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: أَلَسْتَ الفَاعِلُ كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير »[4]

فهذه الأمثلة الموجزة تبرز جليا معنى المجاز عند أبي عبيدة وأنه يتعدى مفهوم المجاز عند البلاغيين واللّغويين إلى غرض أعم وأشمل. وهو التّفسير اللّغوي كما سيتبين أكثر في النماذج الآتية.

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص241.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص337.
(3) ديوان جرير. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (1398هـ-1978م). ص77. الراح: الواحدة راحة:الكف
(4) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص35-36.

مـــنهج صاحب المجاز في تفسيره اللغوي

ومن المهم عرض منهج صاحب المجاز في تفسيره اللغوي للتعرف من خلالـــه علـــى أهـــم خصائص هذا التفسير التي كانت ثمرة جهوده اللغوية مع القرآن الكريم، وقد توسعت إلى جوانب كثيرة وشملت وجوها جديدة من أوجه هذا التفسير بما استحق بها كتابه المكانة الرفيعة بيـــن هـــذا الـــتراث الضخم. وأبو عبيدة نفسه يرسم أهم ملامح تفسيره من خلال مقدمة كتابه المجاز إذ يقول في عبـــارة مختصرة: « وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني »[1].

ويقوم منهج أبي عبيدة في دراسته اللّغوية للقرآن بعرض لغة القرآن وأسلوبه على لغة العرب وأسلوبها دون رعاية تفسير أثري أو نقلي. وهو بعد ذلك وعلى امتداد تفسيره دائم التذكـــير بأســـاليب العرب وطرائقهم في التعبير، ويؤكد مطابقة لغة القرآن بما جاء في كلام العرب. ويقدم أبـــو عبيـــدة لكتابه بمقدمة في بحوث لغوية عامة في القرآن يبدؤها بتفسير كلمة 'قرآن' ثم كلمة 'سورة' ثم 'آيـــة' ويشرحها شرحا لغويا مستفيظا. فهو يرى مثلا أن القرآن سمي قرآنا « لأنّه يَجمع السور فيضمـــها، وتفسير ذلك آية من القرآن، قال الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[القيامة 16] مجازه: تأليف بعضه إلى بعض »[2] وهي رأي عامة المفسرين. ثم يستشهد على ذلك بشواهد من كلام العرب. فيورد بيتـــا لعمرو بن كلثوم يؤيد به رأيه فيقول :

ذِرَاعَـــيْ حُرَّةٍ أُدْمَـــاءَ بِـــكْـــرٍ ۞ هِـــجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

أي لم تضم في رحمها ولذا قط، ويقال للتي لم تحمل قط: ما قرأت سلًى قط. وفي آية أخـــرى « ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾[النحل 98] مجازه: إذا يكون بعضه في إثر بعض، حتى يجتمع وينظم بعضـــه إلى بعض، ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع »[3].

وبعد أن ينتهي من تلك المقدمة العامة يبدأ بتناول السور والآيات تناولا تنازليا يبـــدأ بســـورة الفاتحة. ويتبع أبو عبيدة في تفسيره نظاما معينا ونهجا صارما نلخصه فيما يلي:

1- يبدأ شرح الآية بآية أخرى تكون في نفس السياق اللّغوي.

2- يتبعها بحديث في نفس المعنى إذا أمكن ذلك، يتناوله لخدمة المعنى اللّغوي الذي يريد إثباته.

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص1.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص8.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص2، 3.

3- ويفسر اللفظ الغريب تفسيرا لغويا ويوجه الأسلوب على مقتضى كلام العرب.

4- ثم يتبعها بالشاهد الشعري القديم أو بكلام العرب الفصيح، وهو في كل ذلك يوظف علمه اللّغوي في عملية الشرح توظيفا مباشرا، ويحرص على أن يؤكد دائما صلة أسلوب القرآن بأساليب العرب، فيذكر في ختام كل كلام له أن « العرب تفعل هذا ».

وعنايته بالجانب اللّغوي صرفته عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه، كما صرفته عن تتبع أسباب النزول إلا عندما كان يقضي فهم النص التعرض لذلك.

وسنعرض لمنهج أبي عبيدة عنصرا عنصرا وبأمثلة من كتابه المجاز حتى تتضح معالم تفسيره اللّغوي أكثر.

أولا: تفسير الآية بالآية

ولا يعني ذلك أن أبا عبيدة يفسر الآية بآية أخرى تفسيرا مباشر كما يفعل عامة المفسرين. وإنما يأتي بالآيات ليشرح بها المفردات أو السياقات اللّغوية الأكثر تعقيدا. وكثيرا ما ينتهج أبو عبيدة هذا المسلك يشرح فيه ما استعصى فهمه من آيات القرآن الكريم، وهو بهذا وإن لم يفسر معنى الآيات بآيات أخر لأنه يبعد عن اختصاصه كمفسر لغوي، فإنه رسم بهذا العمل أول خطوات المنهج اللّغوي السليم، إذ لا يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر لغة العرب دون الاستعانة بالأساليب القرآنية لأنها مقدمة على غيرها. ثم إن أبا عبيدة بمنهجه هذا قد أخضع لغة العرب لعربية القرآن، وجعل القرآن حكما بين لغات العرب في الفصاحة، ومثال هذا العنصر في المجاز ما يلي:

- عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾[البقرة 170] يقول أبو عبيدة: « إنما الذي ينعق[1] الراعي، ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم، تقول: كَالغَنَمِ التِي لا تسمع التي ينعق بها راعيها، والعرب تريد الشيء فتحوله إلى شيء من سببه، يقولون: أعْرِضْ الحَوْضَ عَلَى النَّاقَة وإنّما تُعرَض الناقة على الحوض. ويقولون: هَذَا القَمِيصُ لاَ يَقطعني، ويقولون: أدخلت القَلَنْسُوَة في رأسي، وإنما أدخلتَ رأسك في القَلَنْسُوَة ».فأضاف الله تعالى المثل الثاني إلى الناعق، وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب في قولها. ثم يستدل أبو عبيدة بآية من القرآن تفسر ما ذهب إليه، يقول: « وفي القرآن ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾[القصص 76]

(1) في اللسان: ج6 ص4476 .« النَّاعِقُ: الصائح ».

ما إن العصبة لا تنوء بالمفاتيح: أي تثقلها والنعيق : الصياح بها »[1] فبينت الآية الثانية ما يراد من الأولى لأن ظاهر العربية قد لا يوحي بهذا المعنى، وبذلك نطقت العرب، دليل ذلك وجود هذا السياق في عدة آيات أخرى، فهي تفسر بعضها بعضا.

- يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾[2][آل عمران 113].

فسر صاحب المجاز هذا السياق اللّغوي في الآية ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ بأن: « العرب تجوز في كلامهم مثل هذا يقولوا: أكلوني البراغيث، قال أبو عبيدة سمعتها من أبي عمر الهذلي في منطقه، كان وجه الكلام أن يقول: أكلني البراغيث ». ويستدل لذلك بآية من القرآن يقول: « وفي القرآن: ﴿ فَعَمُّوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾[المائدة 73][3] ».فهذا مما اعتادته العرب في كلامها، بل تجعله في مثل هذه المواضع من أفصح الكلام لأنه بذلك يتعدى إطار البناء اللفظي إلى التعبير عما يراد له من جوٍّ نفسي تستنبه إليه الحواس، وبهذا فسرت الآية الثانية سابقتها.

- وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾[آل عمران 173] يقول أبو عبيدة: وقع المعنى على رجل واحد، والعرب تفعل ذلك، فيقول الرجل: فعلنا كذا وفعلنا، وإنما يعني نفسه، وفي القرآن ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر 49] والله هو خالق »[4] وهذا صحيح جائز بدليل القرآن.

- يقول تعالى:﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[يونس 67]، فسر أبو عبيدة هذا السياق بقوله:« له مجازان أحدهما: أن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى أنه مفعول، لأنه ظرف يفعل فيه غيره لأن النهار لا يبصر ولكنه يبصر فيه الذي ينظر، وفي القرآن ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾[الحاقة 20] وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها »[5].

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص63.
(2) قال ابن قتيبة في غريبه ص108: « 'أمة قائمة': أي مواظبة على أمر الله ».
(3) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص101 و102.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص107.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص279.

ثانيا : تفسير الآية بالحديث

استشهد أبو عبيدة كثيرا بالحديث في مجازه، و عـدّه من مصادر التّفسير اللّغوي عنده، فلـم يُبعد الحديث من الميدان اللّغوي كما فعل غيره،وإنما جعل له مكانة في دراساته، فشرح به غرائـب الألفاظ وما استعصى من السياقات اللّغوية والنحوية في القرآن لكريم. ومن ذلك ما فسره أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ﴾[البقرة 134] قال: « والعـرب تجعـل العم[1] والخال أبا » ثم ساق حديثا نبويا. قال: « قال حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة: إن النبـي ﷺ قام يوم الفتح، حيث بعث العباس إلى أهل مكة: « رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَفْعَلُ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيف بِعُرْوَةَ بْنُ مَسْعُود[2]، ثم قال: لَئِنْ فَعَلُوا لأَضْرِمَنَّهَا عَلَيْهِمْ نَارًا »، وكان النبي ﷺ بعـث عروة إلى ثـقيف يدعوهم إلى الله، فرقى فوق بيت، ثم نادهم إلى الإسلام، فرماه رجل بسهم فقتله »![3] فالنبي ﷺ قد أطلق لفظ 'الأب' عن عمه العباس وكذلك صنيع العرب،وبفهم تعبير القرآن الذي أطلـق اسم الأب على سيدنا اسحاق.

– وساق صاحب المجاز قول النبي ﷺ :« المَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنَ للنَّجَاةِ مِنَ الفِتْنَةِ، وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلْكَافِرِ لِئَلاَ يَزْدَادَ إِثْمًا ».وذلك عند تناوله لقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[آل عمـران 178] قال أبو عبيدة: « فكُسرت ألف 'إنما' للابتداء، فإنما أبقيناهم إلى وقت آجالهم ليزدادوا إثما»[4].

– وشرح أبو عبيدة لفظة 'الملإ' من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[البقـرة 244] قـال: « وجوههم، وأشرافهم ».ثم ذكر أبو عبيدة رواية رجوع النبي ﷺ من بدر فسمع رجلا من الأنصـار يقول: إنّما قَتَلنَا عَجائِزَ صُلْعًا، فقال النبي ﷺ : « أُولَئِكَ المَلأُ مِنْ قُرَيْـش لَـوْ احْتَضَـرْتَ فَعَالَـهُمْ، أي حَضَرْتَ، احْتَقَرْتَ فِعَالَكَ مَعَ فِعَالِهِمْ »[5].

– كما شرح لفظة 'يقفو' بالمعنى الذي ورد به الحديث عند قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء 36] قال: « مجازه: ولا تتبع مالا تعمله ولا يعنيك وذكر أن النبي ﷺ قال: « نَحْـنُ بَنُو النَضِرْ بْنُ كِنَانَةِ لاَ نَقْذِفُ أُمَّنَا وَلاَ نَقْفُو آبَاءَنَا » وروي في حديث « وَلاَ نَقْتَفِي مِنْ أَبِينَا »![6]

---

(1) انظر مفردات الراغب ص16.

(2) عروة بن مسعود: ابن معقب بن مالك الثقفي، وهو عم والد المغيرة بن شعبة وأمه سبية بنت عبد شمس بـن عبد مناف أخت أمنة. كان أحد الأكابر من قومه. الإصابة في تمييز الصحابة: ج2 ص477.

(3) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص57.

(4) المصدر نفسه: ج1 ص109.

(5) المصدر نفسه: ج1 ص77.

(6) المصدر نفسه: ج1 ص379. وجاء الزمخشري في الفائق بالحديث كما يلي: « نَحْنُ بَنُو النَضِرْ بْنُ كِنَانَـةِ لا نَقْتَفِي مِنْ أَبِينَا وَلا نَقْفُو أُمَّنَا».قال في شرح لفظة 'نقفو':« أي لا نتهمها، يقال: قفا فلان فلانا إذا قذفه بما ليس فيه ومنه قوله تعالى:﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء 36].» الفائق في غريب الحديث: ج3 ص214.

ثالثا: التّفسير من طريق لغات العرب

وهذا النوع هو الغالب على الكتاب، وإليه قَصْد أبي عبيدة من عملية التّفسير لأنه يرى في اللغة أحسن مصادر التّفسير لقوة المطابقة بين اللغتين، لغة القرآن ولغة العرب، ولأن نصوص التشريع جاءت على ذلك وحثت عليه. فكان أبو عبيدة بما تهيأ له من علوم العربية رأس الباحثين في هذا الجانب من أنواع التفاسير.

والتّفسير عن طريق اللغة قد ضمّنه أبو عبيدة عدة وجوه، وأهمها شرح اللفظ الغريب في القرآن، والاستدلال بالشعر على المعاني التي ذهب إليها في تفسيره، وتوضيح الأسلوب اللّغوي للآيات بما يوافق منطق العرب. كما يشير أبو عبيدة كثيرا إلى الدلالة اللّغوية، ويسخر علمه النحوي في إعراب آيات القرآن لتحديد المعنى المراد، وفي كل هذه يرى أبو عبيدة أن لهذه اللغة التي تحكم هذا النص وظيفة علمية محددة تمنعه من التذبذب والإنحراف.

1 – غريب القرآن في تفسير أبي عبيدة

شمل تفسير الغريب عند أبي عبيدة جزء من كتابه المجاز، حتى ذهب بعض الدارسين إلى أنه لم يعّد أن يكون من كتب شرح غريب القرآن، وذلك لسعة ما تناوله أبو عبيدة من الألفاظ الغريبة في القرآن إذ شمل شرحه القرآن كله، وقد يشرح أبو عبيدة ما اتضح معناه أيضا،وعلّة ذلك عنده ما كانت عليه حال العربية في عصره، حيث شاع اللحن بسبب العناصر الأجنبية الوافدة إلى الدولة الإسلامية وخاصة الموالي الذين دخلوا الساحة الثقافية يبتغون علم الشريعة. فكان أبو عبيدة يريد بهذه التوسعة في شرح الغريب إعطاء المعنى اللّغوي الصحيح للفظة القرآنية كما وردت عند العرب، كي لا تتآكل المعاني مع الزمن. وتبقى جهود شرح غريب القرآن سندا قويا لكل محاولات الفهم السليم للقرآن الكريم. ولعل أبا عبيدة كان شديد التأثر بمنهج ابن عباس في تفسيره غريب القرآن، فأراد إحياء طريقته اللّغوية في التّفسير بجانب تلك العناصر الجديدة والتي تعد أهم ركائز هذا المنهج الجديد .

وأبو عبيدة في تفسيره للغريب يتبع طريقتين أساسيتين :

أ – **شرح اللفظة الغريبة شرحا مختصرا** وبالمعنى أحيانا دون إطالة في الشرح،وكأن الأمر عنده لا يحتاج إلى بسط الكلام لشيوع ذلك المعنى عند المثقفين. وهو في معالجته اللّغوية للألفاظ القرآنية يعرضها على ألفاظ العرب ومعاني منطقها. ومن أمثلة هذا الجانب في تفسيره ما يلي:

- « وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ »[المائدة 66] أي جعلنا[1].

- « كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ »[المائدة 66] أي كلما نصبو حربا[2].

- « لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم »[المائدة 67] أي لمحونا عنهم[3].

- « مِنْهُمْ أُمَّةٌ »[المائدة 68] أي جماعة[4].

- « فَلاَ تَاسَ »[المائدة 70] أي فلا تحزن[5].

- « أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا »[الأنعام 124] أي العظماء[6].

- « جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ »[الأنعام 142] قد عرش[7] عنبها[8].

- « حَمُولَةً وَفَرْشًا »[الأنعام 143] أي ما حملوا عليها، والفرش لم تدرك أن يحمل عليها[9].

- « فِي سَمِّ الخِيَاطِ »[الأعراف 39] أي في ثقب الإبرة وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سم والجميع سموم[10].

- « إِلاَّ خَبَالاً »[التوبة 47] الخبال[11]: الفساد[12].

- « وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ »[التوبة 47] أي لأسرعوا خلالكم أي بينكم، وأصله من التخلل[13].

- « وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ »[التوبة 47] أي مطيعون لهم سماعون[14].

- « أَئْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي »[التوبة 49] مجازة: ولا تؤثمني[15].

- « أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا »[التوبة 49] أي ألا في الإثم وقعوا وصاروا[16].

- « وَحَاقَ بِهِمْ »[هود 8] أي نزل بهم وأصابهم[17].

- « عَلَى العَرْشِ »[يوسف 100] أي السرير[18].

---

(1) (2) (3) (4) (5) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص171.
(6) المصدر نفسه: ج1 ص206. انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ص159.
(7) قال أبو حاتم : « أعترش العنب إذا علا على العراش » مجمل اللغة : ج2 ص658.
(8) (9) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص207.
(10) المصدر نفسه: ج1 ص 214. انظر اللسان لابن منظور: ج3 ص2102.
(11) قال ابن فارس: « والخبلُ فساد الأعضاء، ويقال: خَبَلتُ يده: قطعتها وأفسدتها » مجمل اللغة: ج2 ص311.
(12) (13) (14) (15) (16) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص261.
(17) المصدر نفسه: ج1 ص285.
(18) المصدر نفسه: ج1 ص319. انظر مجمل اللغة : ج2 ص658.

- « مِنَ البَدْوِ »[يوسف 100] وهو مصدر بدوت في البادية[1].
- « مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَيْطَانُ »[يوسف 100] أي افسد وحل بعضنا على البعض[2].
- « غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ »[يوسف 107] مُجللة[3].
- « لِلمُتَوَسِّمِينَ »[الحجر 75] أي المتبصرين المتثبتين[4].
- « وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيم »[الحجر 76] أي بطريق[5].
- « وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِين »[الحجر 79] الإمام كلما أتممت واهتديت به[6].
- « فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ »[الحجر 83] أي الهلكة، ويقال: صيح بهم أي أهلكوا[7].

وأبو عبيدة قد يَرُدُّ المعاني اللّغوية الخاطئة التي لصقت بتفسير مفردات القرآن، إستنادا إلى علمه بكلام العرب، مثل هذا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى في سورة يوسف « أَكْبَرْنَهُ »[8] قال : « أجللنه وأعظمنه، ومن زعم أن أكبرنه 'حضن' فمن أين ، وإنما وقع عليه الفعل ذلك لو قال: أكبرن، وليس في كلام العرب أكبرن حضن، لكن عسى أن يكون من شدة ما أعظمنه حضن »[9].

وهو لا يُحَمِّل اللفظ معاني جاء بها التطور الزمني، ومع هذا فهولايهمل فكرة الدلالة وتطويرها، كما أنه يحرص على بيان المعنى الذي يدل عليه السياق وينهض به معنى الآية وقد يشير إلى أصل معناه اللّغوي الأول، إما عن طريق التشبيه أو التطور في الدلالة.فمن ذلك كلامه عن العروة الوثقى[10] إذا يقول : « شُبِّه بالعرى التي يتمسك بها ويقصد به الدين »[11] ويقول في معنى القرء[12] : « فجعله بعضهم 'الحيضة' وقال بعضهم 'الطهر' قال الأعشى:

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ ۞ تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةً مَالاً وَفِي الأَصْلِ رِفْعَةً ۞ لَمَّا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

ثم يقول: وكل قد أصاب لأنه خروج من شيء إلى شيء »[13].

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص319.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص319. انظر مجمل اللغة: ج2 ص863.
(3) (4) (5) (6) (7) المصدر نفسه: ج1 ص354.
(8) من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾[يوسف 31].
(9) مجاز القرآن لابي عبيدة: ج1 ص309.
(10) من قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾[البقرة 256].
(11) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص79.
(12) من قوله تعالى: ﴿ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[البقرة 226].
(13) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص74. انظر غريب ابن قتيبة: ص86. مفردات الراغب: ص400.

ب – الإحاطة الشاملة بالمعنى اللّغوي للفظة الغريبة والتوسع في شرح ذلك بالشعر أو الخطب والأمثال والأقوال المأثورة ليستوفي المعنى المراد.وقد أبدع صاحب المجاز في هذا الجانب أيما إبداع، وحاول في كل مرة أن يضبط المفردة اللّغوية ضبطا علميا دقيقا لا يقبل معه أي خلل من زيادة معنى ليس منه أو حذفه. لذلك كان اهتمام أبي عبيدة بهذا الجانب من التّفسير كبيرا لأنه في سياق تحديد الدلالة اللّغوية لألفاظ القرآن، وهي مهمة صعبة وخطرة وخاصة في ذلك الوسط الثقافي الملتزم بالتّفسير الأثري. وهذه بعض الأمثلة من كتاب المجاز:

– « وَالرُّكَّعِ السُّجُود »[البقرة 125] : الذين يركعون ويسجدون والراكع العائر من الدّواب قال الشاعر:

عَلَى قَرْوَاءِ تَرْكَعُ فِي الظِّرَابِ[1]

الظِّرَابِ الجبال الصغار: قال لبيد :

أَخْبُرْ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ ۞ أَدِبَّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ[2]

– « قَوَاعِدُ البَيْتَ »[البقرة 127]: أساسه، مخفف والجميع أسس، وجماع الأُسّ إذا ضممته آساس، تقديره 'والقواعد': الواحد من قواعد البيت قاعدة. والواحدة من قواعد النسا قاعدة، وقاعد أكثر. قال الكُميت ابن زيد :

فِي ذِرْوَةٍ مِنْ يَفَاعٍ أَوَّلُهُمْ ۞ زَانَتْ عَوَالِيهَا قَوَاعِدُهَا

وقال أيضا :

وَعَادِيَّةٍ مِنْ بِنَاءِ المُلُوكِ ۞ تَمَّتْ قَوَاعِدُ مِنْهَا وَسُورَا

وأحدها: قاعدة [3]

– « وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا »[البقرة 128] أي علمنا[4]، قال حُطَائِط بن يَعْفُر:

أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلاً لأَنَّنِي ۞ أَرَى مَا تَرِينَ أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا

أراد: دلّيني ولم يرد رؤية العين، ومعنى 'لأني' لعلني[5].

---

(1) هو عجز بيت لبشر بن أبي حازم الأسدي، وصدره : وَأَفْلَتَ حَاجِبٌ فوتَ العَوَالِي. محقق المجاز: ج1 ص54.
(2) (3) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص54–55.
(4) فسرها ابن قتيبة في غريبه: ص64.
(5) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص54–55.

- « ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ »[المائدة 116] وهذا باب تفهيم وليس باستفهام عن جهل ليعلمه، وهو يخرج مخرج الإستفهام، وإنما يراد به النهي عن ذلك ويتهدد به[1]، وقد علم قائله أكان ذلك أم لم يكن، ويقول الرَّجُل لعبده: أفعلت كذا؟ وهو يعلم أنه لم يفعله ولكن يحذِّرُه، فالسؤال في هذه الآية جاء على طريقة التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم، ويستدل أبو عبيدة على السياق اللّغوي بقول جرير: « وقال جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ۞ وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

ولم يستفهم، ولو كان استفهام ما أعطاه عبد الملك مائة من الإبل برعاتها »[2].

- « وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ »[المائدة 3] مجازه: ولا يحملنكم ولا يَعْدِينَّكم وقال:

وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ۞ جَمَعَتْ فَزَارَةَ بَعْدَمَا أَنْ يَغْضَبُوا[3]

ومجاز 'شنئان قوم' أي بغضاء قوم، وبعضهم يحرك حروفها، وبعضهم يسكن النون الأولى كما قال الأخوص:

وَمَا العَيْشُ إِلاَّ مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي ۞ وَإِن لاَمَ فيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا

وبعضهم يقول: 'شَنَانُ قَوْمٍ' تقديره 'أبان' ولا يهمز، وهو مصدر تثنيت وله موضع آخر معناه: شنئت حقك أقررت به وأخرجته من عندي كما قال العجاج:

زَلَّ بَنُو العَوَّامِ عَنْ آلِ الحَكَمْ ۞ وَشَنِئُوا المُلْكَ لِمُلْكِ ذِي قَدَمْ

شنئوا الملك: أخرجوه وأدُّوه وسلّمو إليه. وقدم. قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس 2] قدم: منزلة رفيعة، وقدم من قديم، وقدم إذا تقدم أمامه، وقال الفرزدق:

وَلَوْ كَانَ فِي دِينٍ سِوَى ذَا شَنَئْتُمْ ۞ لَنَا حَقَّنَا أَوْ غُصَّ بِالمَاءِ شَارِبُهْ[4]

- « لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ »[الإسراء 78] ودلوك الشمس من عند زولها إلى أن تغيب وقال:

هَذَا مُقَامُ قَدَمَيْ رَبَاحِ ۞ غُدْوَةً حَتَّى دَلَكَتْ بَرَاحِ[5]

ألا ترى أنها تدفع بالراح، يضع كفه على حاجبيه من شعاعها لينظر ما بقي من غيابها والدلوك دنوها من غيبوبتها. قال العجاج:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفَا ۞ أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا

---

(1) انظر أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد: ج2 ص279.
(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص184.
(3) البيت لأبي أسماء بن الضريبة وقيل بل هو لعطية بن عفيف. محقق مجاز القرآن: ج1 ص147.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص147 و148.
(5) هو من الرجز في كتب الأدب. المصدر نفسه: ج1 ص187.

- « إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ » أي ظلامه قال: ابن قيس الرقيّات:

إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ غَسَقَا ۞ وَاشْتَكَيْتُ الهَمَّ وَالأَرَقَا[1]

وهكذا يفعل أبو عبيدة مع كل غريب يحتاج إلى تأصيل لغوي، فيشرح المفردة بما يوافق لغة العرب ومنطقها. وهو في شرحه للغريب يأتي باللغات الواردة في المفردة الواحدة وقد يعقب على إحداها أنها لو جاءت في القرآن لكانت صحيحة، ومثال ذلك تفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال 62] رجعوا إلى المسالمة، وطلبوا الصلح[2] وهو السلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحرف بالفتحة واحد، قال رجل من أهل اليمن جاهلي :

أَنَا تَلُ إِنَّنِي سَلَمٌ ۞ لأَهْلِكَ فَاقْبِلِي سِلمِي

فيها ثلاث لغات، وكذلك السلام أيضا[3] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[الإسراء 31] قال أبو عبيدة: « وخطأت وأخطأت لغتان»[4] .

2 – السياق اللّغوي في تفسير أبي عبيدة

من وجوه التّفسير اللّغوي عند أبي عبيدة، تفسير السياق اللّغوي للآية القرآنية،فيعرض أسلوبها على أسلوب الكلام العربي. وهذا الجانب من أهم وجوه التّفسير وأعسرها على المفسر. فليس معرفة معاني الغريب تغني القارئ وتجلي المعنى، بل لا بد أن يُفهم القرآن وفق السياقات والقوالب اللّغوية التي تحكم العربية. ففي الكلام العربي الحذف، والاختصار وحروف الزوائد، والمكرر للتوكيد، والمقدم والمؤخر، وتعدد معاني الأدوات بتغير المواضع، وغير ذلك مما يمتاز به كلام العرب، وقد قال أبو عبيدة « وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي »[5] فيلزم الوقوف عند كل سياق لغوي في القرآن لتحديد الغرض منه ووظيفته داخل السياق العام،وأن يكون ذلك موافقا لما في كلام العرب،ومثال ذلك في تفسيره: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[آل عمران 106]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص387-388.
(2) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص180. قال الراغب في مفرداته ص106: « أي: مالوا من قولهم جلحت السفينة أي مالت إلى أحد جانبيها ».
(3) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص250.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص376.
(5) مقدمة مجاز القرآن: ج1 ص8.

يقول أبو عبيدة: « العرب تختصر لعلم المخاطب بما أريد به، فكأنه خرج مخرج قولك: فأما الذين كفروا فيقول لهم: أكفرتم، فحذف هذا، واختصر الكلام[1]، وقال الأسدي:

كَذَبْتُمْ وبَيْتِ اللهِ لاَ تُنْكِحُونَهَا ۞ بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا تَصُرُّ وتَحْلُبُ

أراد: بنى التي شاب قرناها. وقال النابغة الذبياني:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ ۞ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنّ.

'بني أقيش' حي من الجن، أراد: كأنك جمل يقعقع خلف الجمل بشن، فألقى الجمل، ففهم عنه ما أراد»[2].

- وفسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال 13]:« والعرب إذا جازت بـ 'من يفعل كذا' فإنهم يجعلون خبر الجزاء لـ'من' وبعضهم يترك الخبر الذي يجاز به لـ'من' ويخبر عما بعده فيجعل الجزاء له كقول شداد بن معاوية العبسي وهو أبو عنترة:

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَإِنِّي ۞ وَجَرْوَةَ لاَ تَرُودُ وَلاَ تُعَارُ

لا أدَعَهَا تجيء وتذهب تعار. ترك الخبر عن نفسه وجعل الخبر لفرسه »[3]. ثم يتابع أبو عبيدة شرحه لتبسيط مفهوم هذا السياق القرآني وذلك من خلال كلام العرب فيقول: « والعرب أيضا إذا خبّروا عن اثنين أظهروا الخبر عن أحدهما، وكفوا عن خبر الآخر ولم يقولوا: ومن يحارب الصلت وزيدًا فإن الصلت وزيدا شجاعان كما فعل ذلك قائل:

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَإِنِّي ۞ وَجَرْوَةَ لاَ تَرُودُ وَلاَ تُعَارُ

ولم يقل لا نُرود ولا نُعار، فيدخل نفسه معها في الخبر، وكذلك قول الأعشى:

وَإِنَّ امرءاً أَهْدَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ۞ مِنَ الأَرْضِ مُومَاةٌ وَيَهْمَاءُ خَيْفَقُ

لِمَحْقُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي بِصَوْتِهِ ۞ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ المُعَارَ مُوَفَّقُ[4]

قال أبو عبيدة: كان المحلّق أهدى إليه طالبا لمديحه، وكانت العرب تحب المدح، فقال لناقته يخاطبها:

وَإِنَّ امرءاً أَهْدَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ

---

(1) انظر أمالي المرتضى: ج1 ص420.
(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص100 و 101.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص243.
(4) فالمراد بالمرء ممدوحه والخطاب لناقته وكان ممدوحه أهداها له، فالكلام على هذه الرواية من أوله إلى هنا خطاب لناقته. محقق المجاز: ج1 ص241.

ترك الخبر عن امرئ وأخبر عن الناقة فخاطبها. وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال 50][1].

- وفسر قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[يونس 1]، قال: « مجازها: هذه آيات الكتاب الحكيم أي القرآن، قال الشاعر:

مَا فَهِمَ مِنَ الكِتَابَ أَمْ أَيِ الكِتَابِ

والحكيم: مجازه المُحْكَمُ المُبَيَّن الموضح، والعرب قد تضع فعيل في معنى مفعل، وفي معنى آية أخرى: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾[ق 23]، مجازه: مُعد. وقال أبو ذُوَيْب:

إِنِّي عَدَاةَ إِذْ وَلَمْ أَشْعُرْ خَلِيفُ

أي ولم أشعر أني مُخلف، من قولهم: أَخْلَفْتُ الموعد. ومجاز 'آيات' مجاز أعلام الكتاب وعجائبه، آياته أيضا: فواصله، والعرب يخاطبون بلفظ الغائب وهم يعنون الشاهد، وفي آية أخرى: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة 1] مجازه: هذا القرآن، قال عنتر[2] :

شَطَّتْ مَزَارَ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ ✡ عَسِيرًا عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ[3]

لقد كان لهذا العنصر وسابقه من دراسات أبي عبيدة أثر كبير في البحوث التّفسيرية والفقهية والأدبية واللّغوية،لأن صاحبه استطاع لوفرة محصوله العلمي أن يرسم الأطر التي تحوي الشروحات اللّغوية عامة،مما يسهل بذلك عملية البحوث في سائر الفنون لما لتلك التراكيب اللّغوية منفردة أو في داخل السياق من ارتباط شديد الصلة بالمعنى المراد.

3 ـ النحو ووجوه الإعراب في تفسير أبي عبيدة

والنحو أحد أكبر أركان التّفسير اللّغوي، وأبرز وجوهه، وهو الأداة الجديدة التي دخلت ميدانه وميزته عمّا كان منه في المرحلة السابقة. فلم تعد الروايات عن ابن عباس وتلاميذه لتجدي بجانب تلك الحركية القوية للعلوم والثقافات، إلا إذا صاحبته مادة النحو التي تقوم بتحليل النص اللّغوي والتعليل له بما يوافق تلك المستويات السائدة حينها.

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص244.
(2) ديوان عنترة. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (1398هـ- 1978). ص204.
(3) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص272 و 273 .

قال أبو عبيدة في مقدمة مجازه: « وفي القرآن مثل ما كلام العرب من وجوه الإعراب »[1] لذلك كثيرا ما يعرض أبو عبيدة للنحو القرآني، وهو لا يعرض الإعراب لذات الإعراب، إلا بما له صلة بالبيان القرآني والقضايا اللحوية المتنوعة التي سأسوقها كنماذج من تفسير أبي عبيدة تبرز بوضوح أهمية هذا العنصر اللّغوي في التّفسير .

- ومثال ذلك في تفسير قوله في الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة 40] هما مرفوعان كأنهما خرجا مخرج قولك: « وفي القرآن السارقُ والسارقةُ، وفي الفريضة السارقُ والسارقةُ جزاؤهما أن تقطع أيديهما فاقطعوا أيديهما، فعلى هذا رفعا أو نحو هذا ».وإلى هذا ذهب سيبويه وغيره من البصريين قدّروا الخبر: فيما فرض عليكم، أو فيما يتلى عليكم: السارقة والسارقة، أي حدُّ السارق والسارقة[2] ثم يقول أبو عبيدة: ولم يجعلوهما في موضع الإغراء فينصبوهما، والعرب تقول: الصيدُ عندك، رفع وهو في موضع إغراء، فكأنه قال: أمكنك الصيد عندك فالزمه، وكذلك الهلال عندك، أي طلع الهلال عندك، ونصبهما عيسى بن عمر ومجاز 'أيديهما' مجاز يديهما[3]، وتفعل هذا العرب فيما كان من الجسد فيجعلون الاثنين في لفظ الجمع »[4].

- واختار إعراب الصفة لقوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[يوسف 18] حين قال: « مرفوعا أن 'جميل' صفة للصبر. ولو كان الصبر وحده لنصبوه، كقوله: صبرا، لأنه في موضع: أصبر، وإذا وصفوه رفعوه واستغنوا عن موضع: اصبر، قال الراجز:

يَشْكُوا إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى[5] ۞ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلاَنَا مُبْتَلَى

قال أبو الحسن الأثرم: سمعت من ينشد: « صَبْرًا جُمَيل » أراد نداء يا جُمَيل[6] وقد قيل أن المعنى فشأني صبر جميل، أو الذي أعتقده صبرٌ جميلٌ قال قطرب: فصبري صبر جميل[7] وقد روي أن في قراءة أبي : « فَصَبْرًا جَمِيلا » بالنصب وذلك يكون على الإغراء، والمعنى فاصبري يانفس صبرًا جميلاً. قال ذو الرمة :

أَلاَ إِنَّمَا مَيُّ -فَصَبْرًا- بَلِيَّةٌ ۞ وَقَدْ يُبْتَلَى الحُرُّ الكَرِيمُ فَيَصْبِرُ[8]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص8.
(2) الكتاب لسيبويه: ج1 ص143. وانظر معاني القرآن للفراء: ج1 ص306.
(3) انظر التبيان في إعراب القرآن: ج1 ص435. وقال ابن الشجري في أماليه ج1 ص18: « المراد : فاقطعوا أيمانهما، وكذلك هي في مصحف عبد الله فلم علم بالدليل الشرعي أن القطع محله اليمين وليس في الجسد إلا يمين واحدة جرت مجرى أحاد الجسد فجمعت كما جمع الوجه والظهر والقلب».
(4) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص165 و166.
(5) السرى: السير ليلا. اللسان: ج3 ص2003.
(6) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص303.
(7) انظر أمالي المرتضى: ج1 ص106.
(8) المصدر نفسه: ج1 ص106.

- ووجّهَ الفعل المضارع المسبوق بأداة الجزم وجوها، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾[الإسراء 33] قال أبو عبيدة: « جزمه بعضهم على مجاز النهي، كقولك: فلا يُسْرِفْنَ في القتل أي يمثل به ويطول عليه العذاب، ويقول بعضهم 'فلا يسرف في القتل' فيرفعه على مجاز الخبر كقولك: إنه ليس في قتل ولي المقتول التي قتل ثم قتل هو به سَرَفٌ»[1]

- ووجّه قوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[النساء 3] فقال: « أي ثنتين، ولا تنوين فيها، قال ابن عَنَمَةَ الضبي[2]:

يَبَاعُو بِالْيُعْرَانِ مَثْنَى وَمَوْحِدَا

وقال الشاعر:

وَلَكِنَّمَا أَهْلِي بِوَادٍ أَنِيسَةٍ ۞ ذِئَابٍ تَبَغِّي النَّاسَ مَثْنَى وَمَوْحِدَا[3]

قال النحويون[4]: لا ينوّن 'مثنى' لأنه مصرف عن حده، والحد أن يقولوا: اثنين وكذلك ثلاث ورباع لا تنوين فيها، لأنه ثلاث وأربع في قول النحويين، قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثُنَاءَ وَمَوْحِدًا ۞ وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الْمُدْبِرِ

فأخرج اثنين على مخرج ثلاث، قال صخر الغيّ الهذلي[5]:

مَنَتْ لَكَ أَنْ تُلَاقِينِي الْمَنَايَا ۞ أُحَادَ أُحَادَ فِي شَهْرٍ حَلَالِ

مَنَتْ لك، تقول: قَدَّرتُ لَكَ، والمنايا: الأقدار، يقال منت تمنى له منيا، فأخرج الواحد مخرج ثُنَاء وثُلاث، ولا تُجَاوِز العرب رُبَاع، غير أن الكُمَيت بن زيد الأسدي قال:

فَلَمْ يَسْتَرِ يَثْنُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ ۞ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالاً عُشَارَا

فجعل عشار على مخرج ثلاث ورباع[6].

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص378.
(2) ابن عنمة: هو عبد الله بن عنمة الضبي من الشعراء المخضرمين. محقق المجاز ج1 ص114.
(3) البيت لساعدة بن جؤية. انظره في ديوان الهذليين. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، (1385هـ-1965م). ص237. القسم الأول. وقد ورد البيت على هذا النحو :
وَلَكِنَّمَا أَهْلِي بِوَادٍ أَنِيسِهِ * سِبَاعٌ تُبْقِي النَّاسَ مَثْنَى وَمَوْحِدَ
(4) انظر كتاب أمالي ابن الحاجب. أبو عمرو عثمان بن الحاجب. ت: فخر صالح سليمان قدادة. بيروت: دار الجيل، عمان: دار عمار، (1409هـ-1989م). ج2 ص724 فيه تفصيل للمسألة.
(5) صخر: هو أخو الخنساء، ترجمته في مقدمة ديوانها.
(6) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص110 و116.

– وعلّل أبو عبيدة سبب الجرّ في الآية الوضوء عند قوله تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾[المائدة 7] فقال: « مجرور بالمجرور التي قبلها، هي مشتركة بالكلام الأول من المغسول، والعرب قد تفعل هذا بالجوار، والمعنى على الأول، فكأن موضعه 'واغسِلُوا أرجُلَكم' فعلى هذا نصبها من نصب الجرّ، لأن غسل الرجلين جاءت به السنة، وفي القرآن: ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[الإنسان 31] فنصبوا الظالمين على موضع المنصوب الذي قبله، والظالمين: لا يدخلهم في رحمته، والدليل على الغسل أنه قال: 'إلى الكعبين' ولو كان مسحا مُسحتا إلى الكعبين، لأن المسح على ظهر القدم 'والكعبان' هاهنا: الظاهران لأن الغسل لا يدخل في الداخلين»[1].

– وقد يذكر أبو عبيدة في تحليلاته النحوية عمل بعض الأدوات وأثرها في السياق النحوي مثال ذلك معنى 'إنّ' في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى ﴾[المائدة 71]،يقول أبو عبيدة:« والصابئ الذي يخرج من دين إلى دين، كما تصبُو النجوم من مطالعها، يقال: صبَأت سِنُّهُ وصبأ فلان علينا: أي طلع، ورفع 'الصابئون' لأن العرب تخرج المشرك في المنصوب الذي قبله من النصب إلى الرفع على ضمير فعل يرفعه، أو استئناف ولا يعملون النصب فيه، ومع هذا إن معنى 'إنّ' معنى الابتداء، ألا ترى أنها لا تعمل إلا فيما يليها ثم ترفع الذي بعد الذي يليها كقولك: إن زيدًا ذاهبٌ، فذاهب رفع، وكذلك إذا واليت بين مشركين رفعت الأخير على معنى الابتداء .

سمعت غير واحد يقول :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ۞ فإنِّي وقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ [2]

وقد يفعلون هذا فيما هو أشد تملكنا من النصب من 'إنّ' سمعت غير واحد يقول :

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ سَيِّدِهِمْ ۞ إلاَّ نُمَيرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا

الظَّاعِنُونَ وَلَمَّا يَظْعَنُوا أَحَدًا ۞ والقَائِلِينَ لِمَنْ دَارٌ نُخَلِّيهَا[3]

وربما رفعوا 'القائلين' ونصبوا 'الظاعنين'[4]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص155. انظر التبيان للعكبري: ج1 ص422.
(2) من الأبيات التي قالها ضابي بن الحارث البرجي وهو محبوس بالمدينة. محقق المجاز: ج1 ص 172.
(3) البيتان لابن خياط العكلي. محقق المجاز: ج1 ص173.
(4) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص172 و173. انظر تفصيل هذا القول في التبيان للعكبري: ج1 ص150. وأمالي ابن الشجري: ج3 ص176.

– وعلّل أبو عبيدة تغير الحركات الإعرابية في السياق النحوي الواحد كالخروج من الرفع إلى النصب ثم العودة إلى الرفع وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[النساء 161]. قال العرب تخرج من الرفع إلى النصب إذا كثر الكلام ثم تعود بعد إلى الرفع. قال خِرْنَق :

لاَ يُبْعِدَنْ قَوْمِي الذِينَ هُمُ ۞ سُمُّ العُدَاةَ وَآفَةَ الجُزْرُ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ۞ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدُ الأُزُرِ[1]

فيجوز في هذا الشاهد الذي ساقه أبو عبيدة رفع 'النازلين' على الإتباع لـ 'قومي' أو على القطع بإضمار 'هم' وأنصبها بإضمار 'أمدح' أو 'أذكر'[2]. وقد ذهب سيبويه[3] إلى أن 'المقيمين' منصوب على المدح وهو أصح ما قيل فيه[4].

– أما عن الإستثناء[5] فقد أكثر أبو عبيدة له التعليل من كلام العرب، وهو كثير في القرآن، ومثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾[هود 80].

قال أبو عبيدة عن 'امرأتك' « منصوبة لأنها في موضع مستثنى واحد من جميع فيخرجون منهم، يقال: مررت بقومك إلاّ زَيْدًا، وكان أبو عمر وبن العلاء يجعل مجازها على مجاز قوله: لا يلتفت من أهلك إلا امرأتُك[6]: فإنها تلتفت، فيرفعها على هذا المجاز »[7] وإلى هذا ذهب ابن مالك في التسهيل بقوله: « ... ويمكن من هذا قراءة ابن كثير وأبي عمرو : 'إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم' على أن تكون 'امرأتك' مبتدأ وخبرها 'إنه مصيبها ما أصابهم' وبهذا التوجيه يكون الاستثناء في النصب والرفع من ' فأسري بأهلك' وهو أولى من أن يستثنى المنصوب من أهلك والمرفوع من أحد »[8].

---

(1) مجاز القرآن لابن عبيدة: ج1 ص142 و143.
(2) انظر أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك. أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام. ت: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار منشورات المكتبة العصرية. ج3 ج316.
(3) الكتاب: ج1 ص183. انظر معاني الفراء: ج1 ص105.
(4) انظر أمالي ابن الشجري: ج1 ص102.
(5) ذكر القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن (684هـ) في كتابه الإستغناء عن الإستثناء. ت: محمد عبد القادر عطا. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية، (1406هـ-1986م). ص21. حد الإستثناء نقلا عن الإمام فخر الدين الرازي قوله: « الإستثناء: ما لا يدخل في الكلام إلا لإخراج بعضه بلفظه، ولا يستقل بنفسه ».
(6) والقراءة برفع امرأتك لابن كثير وأبي عمرو.
(7) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص295.
(8) التسهيل لابن مالك: ج2 ص266.

وقد يكون استثناء الشيء من الشيء، وليس منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾[النساء 91].يقول أبو عبيدة: « وهذا كلام تستثني العرب الشيء من الشيء، وليس منه على اختصار وضمير، وليس لمؤمن أن يقتل مؤمنا على حال إلا أن يقتله مخطئا، فإن قتله خطئا فعليه ما قال الله في القرآن، وفي القرآن: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾[النجم 31] واللّمم ليس من الكبائر، وهو في التمثيل: إلا أن يُلمُّوا من غير الكبائر والفواحش قال جرير[1]:

مِنَ الْبِيْضِ لَمْ تَظْعَنْ بَعِيدًا ۞ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ ذَيْلُ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

المُرَحَّل: بُرد في حاشيته خطوط، فكأنه قال: لم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد، وليس هو من الأرض »[2].

وقد تأتي 'إلاّ' في غير موضع الإستثناء، قال الله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[البقرة 149]، يقول أبو عبيدة: « موضع 'إلاّ' هاهنا ليس بموضع استثناء، إنما هو موضع واو الموالاة[3]، ومجازها: لئلا يكون للناس عليكم حجة، والذين ظلموا، وقال الأعشى:

إِلاَّ كَخَارِجَةِ الْمُكَلَّفِ نَفْسَهُ ۞ وَابْنَى قَبِيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا

ومعناه: وخارجة، وقال عَنَزَ بن دُجَاجة المَازِنيّ :

مَنْ كَانَ أَسْرَعَ فِي تَفَرُّقِ فَالِجٍ ۞ فَلَبُونَه جَرِبَتْ مَعًا وَأَغَدَّتِ

إِلاَّ كَنَاشِرَةَ الَّذِي ضَيَّعْتُمْ ۞ كَالْغُصْنِ فِي غُلَوَائِهِ الْمُتَنَبِّتِ

غُلَوَائِهِ: سرعة نباته، يريد: وناشرة الذي ضيعتم، لأن بنى مازن يزعمون أن فالجا الذي في بني سليم، وناشرة الذي في بني أسد: هما ابنا مازن[4].

ومع كل ما ورد من قضايا النحو عند صاحب المجاز فإنه برئ من أن يكون نحويا متعصبا كما مرّ بنا، أو أن يسير في فلك النحاة إلا حيث يقتضي العمل التّفسيري الإستعانة بالنحو كتفسير

---

(1) ديوان جرير: ص367. وورد فيه البيت كما يلي:
مِنَ البِيْضِ لَمْ تَضْعَنْ بَعِيدًا وَلَمْ تَطَأْ * عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ ذَيْلُ مِرْطٍ مُرَحَّلِ
(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص136-137.
(3) انظر شرح التسهيل لابن مالك : ج2 ص268. وذهب ابن مالك هذا المذهب.
(4) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص61.

لتعبير أو إثارة إلى مقصد من المقاصد التي تمهد لفهم النص. ومما أمتاز به أبو عبيدة أنه لم يتقيد بالقيود التي كانت المدرستان البصرية والكوفية تضعانها لفهم نصوص العربية، لأن هاتين المدرستين كانتا في دور التكوين[1]. وإنما كان يعتمد على حسه اللّغوي الخالص في إعراب الآيات والأشعار. فألتفت إلى أبواب في سر العربية حال دون استفادة النحاة منها بما ألزموا أنفسهم بقواعد وأسس.

ثم إن أبا عبيدة فوق هذه كله ربط بين علم النحو وبين الظواهر اللّغوية التي استقلت فيما بعد وتحولت إلى فنون أدبية سميت بعد ذلك بالبلاغة أو البيان أو البديع. وذكر بعض الصور البيانية التي جاءت بها الأساليب القرآنية مما يتفق وطبيعة العربية كمجاز ما اختصر فيه، ومجازه ما حذف من كف عن خبره استغناء عنه وفيه ضمير، ومجاز ما جاء لفظه الواحد الذي له جماع منه،ومجاز ما جاء الجميع على لفظ الواحد،ومجاز ما يزاد في كلام من حروف الزائدة إلى آخر ما يذكره[2] جملة ثم يشير إليه تفصيلا أثناء التّفسير. إلا أن الصور البيانية التي جاء بها أبو عبيدة لا تتعدى الفهم اللّغوي، فيعتبر من المجاز اللّغوي[3] كل الفنون البيانية المتعلقة بالأسلوب. أما موقف أبي عبيدة من سائر التشبيهات والإستعارات التي تدخل في إطار الحرج لتعلقها بقضايا العقيدة كالذات وصور البعث، فإنه يرى رأي اللّغويين، يأخذ بظاهر القول ليدل على المعنى المجازي القريب، وقد يتحلل من عقبة التشبيه، فيحوم حول النص باستعماله لبعض عبارات القرآن كي لا يقع في دائرة التجسيم، فيفسر قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة 66] بقوله: أي خير الله ممسك[4].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[المائدة 71] يقول أبو عبيدة: « مجازه على وجهين، أحدهما أن بعض العرب يظهرون كناية الاسم في آخر الفعل مع إظهار الاسم الذي بعد الفعل كقول أبي عمر والهذلي: أكلوني البراغيث، والموضع الآخر أنه مستأنف لأنه يتم الكلام إذا قلت: عَمَوا وصَمُّوا، ثم سكتّ، فتستأنف فتقول: كثير منهم، وقال آخرون: كثير صفةٌ للكناية التي في آخر الفعل، فهي في موضع مرفوع فرفعت 'كثير' بها[5] وقال تعالى:﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة 221]. قال أبو عبيدة: « كناية وتشبيه، قال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة 221][6]. وقال تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة 6] قال أبو عبيدة: كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة

---

(1) محقق المجاز: ج1 ص19.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص8.
(3) المجاز اللّغوي: «وهو المستعملة في غيرما موضوعة له بالتحقيق، إستعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع ».مفتاح العلوم. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي. ت: نعيم زرزور. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية، (1407هـ-1987م). ص359.
(4) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص170.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص174.
(6) المصدر نفسه: ج1 ص73.

في البطن، كذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[المائدة 7] كناية عن الغشيان[1] فالكناية قد تستعمل عند أبي عبيدة بمعناه اللّغوي أي أخفى أو أضمر، وقد يستعمل بالمعنى الاصطلاحي كما مرّ بنا ذلك من خلال الأمثلة السابقة.

أما عن التوكيد فقد أكثر أبو عبيدة الإشارة إليه لكثرته في النص يقول تعالى: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الأعراف 113] فسر أبو عبيدة ذلك بقوله: ثوابا وجزاء، واللام المفتوحة تزاد توكيدا»[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾[هود 5]:« والعرب تدخل 'ألا' توكيدا وإيجابا وتنبيها »[3] وقوله تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾[المائدة 14] يقول أبو عبيدة فبنقضهم، والعرب تستعمل 'ما' في كلامها توكيدا وإن كان الذي قبلها يجرّ جررت الاسم الذي بعدها، وإن كان مرفوعا رفعت الاسم، وإن كان منصوبا نصبت الاسم »[4].

قال أبو عبيدة:« ومن المجاز المكرر للتوكيد قال: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[يوسف 4] أعاد الرؤية. وقال:﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[القيامة 35]...وقال:﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد1][5].

أما عن حروف الزوائد فقد ورد فيها الكثير في القرآن على رأي أبي عبيدة وهذا الرأي يخالفه اللّغويين الذي جاءوا بعده كالمبرد الذي لا يرى أسلوب القرآن زيادة. من ذلك في كتاب المجاز قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [البقرة 33] قال أبو عبيدة: معناه: وقلنا للملائكة، وإذ من حروف الزوائد. وقال الأسود بن يعْفُر :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَا مَهَاةَ لِذِكْرِهِ ۞ وَالدَّهْرُ يَعْقِبُ صَالِحًا بِفَاسِدِ[6]

وقد يكون الحرف الزائد لتوكيد الكلام، كقوله تعالى:﴿ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾[البقرة 25] معناها: أن يضرب مثلا بعوضة، 'ما' توكيد للكلام من حرف الزائدة، قال النابغة الذبياني:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَ مَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا ۞ إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ[7]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص155.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص225.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص285.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص157.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص12.
(6) المصدر نفسه: ج1 ص36 و37.
(7) يروى 'الحَمَامُ' بالرفع والنصب فإذا نصبت 'الحمام' تكون 'ما' زائدة وإذا رفعت تكون 'ما' كافة للبيت عن العمل ويصير ما بعدها مبتدأ أو خبر .

أي حسب، و 'ما' هاهنا حشو[1].

وقد يكون الحرف الزائد لتتميم الكلام، كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة 7]

قال أبو عبيدة: « مجازها: غير المغضوب عليهم والضالين، و'لا' من حروف الزوائد لتتميم الكلام، والمعنى إلقاؤها»[2].

4 – القراءات القرآنية في تفسير أبي عبيدة

وأبو عبيدة لا يلمح في القراءات إلا تلك الصور اللّغوية، فيرى أن : « اختلاف القراءات انعكاس لاختلاف اللغات، ومن ثم فهي صورة من البيان العربي، ولا يقف عند تلك القراءات إلا ليفسر اللفظة المستدعية للقراءات تفسيرا لغويا »[3].

أ – فهو يعرض للقراءات المختلفة في اللفظة، ويرى أن المعنى باق كما هو، يقول أبو عبيدة: « ومجاز ما قرأته الأئمة بلغاتها فجاء لفظه على وجهين أو أكثر »[4]. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[الحجر 54][5]. يقول أبو عبيدة: « قال: قوم يكسرون النون[6]، وكان أبو عمرو يفتحها ويقول: إنها إن أضيفت لم تكن إلاّ بنونين لأنها في موضع رفع، فاحتج من أضافها بغير أن يلحق فيها نونا أخرى بالحذف حذف أحد الحرفين إذا كانا من لفظ واحد، قال أبو حيّة النُميري:

أبالْمَوتِ الذِي لاَ بُدّ أنّي ✡ مُلاَقٍ لاَ أبَاكِ تَخَوّفِينِي

ولم يقل: 'تخوفِينَنِي'،... وقال عمرو بن مَعْد يكرب :

تَرَاهُ كَالثّغَامِ يُعَلّ مِسْكًا ✡ يَسُوءُ الغَالِيَاتِ إذَا فَلَيْنِي

أراد: فلينني، فحذف إحدى النونين »[7].

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص35.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص25.
(3) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه. مصطفى الصاوي الجويني. ط:3. القاهرة: مط دار المعارف. ص285.
(4) مقدمة مجاز القرآن: ج1 ص13.
(5) قرئت على ثلاثة أوجه: تُبَشِّرُون وهي قراءة نافع وأهل المدينة لأنهم استثقلوا التضعيف، وتُبَشِّرُونِّ وهي قراءة ابن كثير، وتُبَشِّرُونَ وهي قراءة الباقين من القراء.
(6) قال ابن مجاهد في السبعة ص367: « واختلفوا في فتح اللون وكسرها من قوله تعالى:﴿فبمَ تُبَشِّرُون﴾ فقرأ ابن كثير ونافع 'تُبَشِّرُونِ' كسرا، غير أن ابن كثير شدّد اللون وخففها نافع وقرأ ابن عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي:﴿فبمَ تُبَشِّرُونَ﴾ بفتح اللون نصبا».
(7) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص352.

ب – كما أن أبا عبيدة يعرض للقراءة الواحدة ومعناها بحسب اللغات، يقول: « ومن مجاز ما جاءت له معان غير واحد، مختلفة فتأولته الأئمة بلغاتها فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك. ومثل هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾[القلم 25] قال أبو عبيدة: « ففسروه على ثلاثة أوجه، قال بعضهم: على قَصْدٍ، وقال بعضهم: على مَنع، وقال آخرون: على غضب وحقد »[1].

جـ – وعرض للقراءة المختلفة ذات المعاني المختلفة أيضا، يقول: « ومن مجاز ما جاء على لفظين وذلك لاختلاف قراءات الأئمة، فجاء تأويله شتى »[2]. مثال ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ﴾[الكهف 77] يقول أبو عبيدة:« ومجاز 'أن ينقض' مجاز يقع، يقال: انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت[3]، وقرأ قوم 'أن ينقاض' ومجازه : أن ينقلع من أصله ويتصدع بمنزلة قولهم: قد انقاضت السن، أي انصدعت وتقلعت من أصلها، يقال: فراق كقيض السِّن أي لا يجتمع أهله، وقال: [4]

فِـرَاقٌ كَـقَيْضِ السِّـنِّ فَالصَّبْرُ إِنَّهُ ۞ لِكُلِّ أُنَاسٍ عَثْرَةٌ وَجُـبُـورٌ »[5]

ومنها قراءة ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ ﴾[الأعراف 104][6] مجازه: حق على أن لا أقول إلا الحق، ومن قرأها « حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ ولم يضف 'على' إليه فإنه يجعل مجازه مجاز حريص على أن لا أقول، أو فحق أن لا أقول »[7]. وقرأ بعضهم قوله: ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾[الحجرات 6] وقرأها آخرون: 'فتثبتوا'[8] وقرأ بعضهم قوله: ﴿ أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [السجدة 10] وقرأها آخرون ﴿ أَإِذَا صَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾، صللنا: أنتنا من صلّ اللحم يُصل[9] وقرأ بعضهم: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾[يوسف 45]، وقرأها آخرون: 'بَعْدَ أمْهٍ' أي نسيان »[10]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص13.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص13.
(3) انظر اللسان : ج6 ص4524.
(4) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. محقق المجاز: ج1 ص411.
(5) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج1 ص410 و411.
(6) وقرأ بعض القراء:« 'حقيق عليّ ألا أقول...'وهذه قراءة نافع وشيبة، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وأهل مكة وأهل الكوفة:'حقيق على ألا...'مخففة بمعنى جدير.» إعراب القرآن لابن النحاس. انظر البحر المحيط:ج4 ص355
(7) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص224. انظر اللسان : ج2 ص940.
(8) « قرأ حمزة والكسائي، وخلف العاشر 'فتثبتوا'...وقرأ الباقون 'فتبينوا' وهما متقربان في المعنى يقال تثبت في الشيء أي تبينه » المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر. محسن سالم محيسن. ط: 2. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (1399هـ–1979م). ج2 ص247.
(9) جاء في اللسان: ج4 ص2487: « قال أبو اسحاق –يزيد الزجاج– من قرأ صللنا بالصاد المهملة فهو على ضربين: أحدهما أنتنا وتغيرنا وتغيرت صورنا من صلّ اللحم وأصلّ إذ أنتن وتغيّر، والضرب الثاني صللنا يَبِسْنا، من الصلّة وهي الأرض اليابسة ».
(10) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص13 و14.

وهذا سبيل أبي عبيدة مع القراءات إذ لا يترك الرجوع إلى منطق العرب وطرق خطابها، من غير أن يقدم قراءة عن غيرها، وذلك لأن القراءات عنده هي تلك اللهجات التي استعملتها العرب، وقد تكون مفسرة لسياق الآيات مع بعضها.

إن أبا عبيدة بهذا المنهج الذي رسمه لتفسير القرآن الكريم، والتزم به في جميع أنحاء كتابه «المجاز» استحق أن يوسم برأس التيار اللّغوي في التّفسير « لأنه أول من أسس مدرسة في تفسير القرآن عمدتها الأولى الفقه بالعربية وأساليبها»[1]. وقد كان شديد الحرص على اقتفاء أثر المفسرين الذين يقدمون في منهجيتهم التّفسيرية القرآن عن غيره، ثم الأحاديث الشاملة للتفسير، وبعدها يتوسعون نحو الرأي والأقوال الإجتهادية، وكذلك صنيع أبي عبيدة، طبق منهجهم التّفسيري، ولكن في ميدان جديد يحمي عمل المفسرين ويكون لهم سندا في عملية التّفسير.

وأبو عبيدة في كل ما قدمه في مجازه لم يتجاوز أصول المدرسة الأثرية في التّفسير، ولم يتعد على حرمتها بإبعاد أقوال السلف عن التّفسير كما ضن شانوه، وإنما أراد خدمة النص من طريق آخر يزيده قوة ومناعة، وحفظا له من كيد الطاعنين، لا سيما والمجتمع الإسلامي مقبل على حركة ثقافية واسعة، كثيرة الأصول الأجنبية قد تضيع في خظمها عربية القرآن الخالصة. فالرجل كان « يسير في نفس الخطة التي وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فهم النص فهما لغويا تساعد عليه تلك المعارضة التي قام بها النص القرآني وبين المأثور عن العرب من الشعر »[2] .

إن المنهج الذي سار عليه أبو عبيدة دَلَّ على احترام الرجل لثقافة أمته ومبادئها وعلى نبذه للتقوقع على الموروث وغلق باب الاجتهاد، خدمة الثقافة الإسلامية. ثم إن صاحب المجاز لم يخرج عن أصول المدرسة المكية اللّغوية التي كانت على عهد عبد الله بن عباس، فالمقارنة بين منهج المدرسة المكية اللّغوية التّفسيرية وبين منهج أبي عبيدة تعطي تمام المطابقة بين المنهجين، إلاّ ما كان من تلك العناصر الثقافية الجديدة التي أدخلت في عملية التّفسير كاستعمال النحو وفروع علم اللغة المستحدثة، وهذه دلالة واضحة على وحدة المنهج اللّغوي في التّفسير وأنه ذو أصول ومعالم واضحة.

وهكذا أنطوى كتاب « مجاز القرآن » على العديد من الموضوعات اللّغوية التي قصد منها أبو عبيدة إبراز ما للأداة اللّغوية من قدرة على تفسير القرآن الكريم، فكان كتابه أول خطوة منهجية

---

(1) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية لعبد العال سالم: ص247. نقلا عن مقدمة كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي: ص18.
(2) دراسات في القرآن للسيد خليل: ص72.

في الدراسات اللّغوية التّفسيرية التي تناولت القرآن. وما بقي إلا أن نقول، إن هذه البحوث اللّغوية التّفسيرية التي تناولها أبو عبيدة تدل على دقة فهمه، وصفاء ذهنه، وطول باعه، ونظرته العميقة الدقيقة لعناصر التّفسير اللّغوية، وظلت بحوث كتابه «المجاز» محور دراسات كثيرة من الباحثين والدراسيين.

جهود الفراء في التفسير اللغوي

عاصر أبا عبيدة عالم آخر[1]، ألف كتابا حول الأسلوب القرآني معتمدا الموضوعات اللّغوية والنحوية في تفسيره للقرآن، وهو أبو زكرياء يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، مولى أسد من أهل الكوفة[2]. وهو أشهر أساتذة المدرسة الكوفية، نشأ في كوفة وتعلم مبادئ العربية فيها، وألمّ بالقراءات بأخذه عن القراء، واستطاع أن يلم بأطراف هذه الثقافة، وأن يكون على رأس العلماء الذين تفقهوا في القرآن وقراءاته المختلفة.

تروي كتب التراجم أن الفراء خرج إلى بغداد، واتصل بالكسائي، وجرت بينهما مناقشات واسعة، أعجب به الفراء وأخذ عنه، وصار الفراء من أنبه أصحاب الكسائي وانتهت الرئاسة في النحو إليه بعد الكسائي، وكان شيخه الكسائي يكبر فيه عقله وذكائه وقيل عن مكانة علمه بين المثقفين اللّغويين:« النحو الفراء، والفراء أمير المؤمنين في النحو »[3] إلى حد صار فيه الكوفيون يكاثرون به، ويقولون: لنا ثلاث فقهاء في نسق لم ير الناس مثلهم، أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ولنا ثلاثة نحويين كذلك، وهم أبو الحسن على بن حمزة الكسائي، وأبو زكرياء يحي بن زياد الفراء، وأبو العباس أحمد بن يحي ثعلب[4] (291هـ) »[5] وكان الكوفيون يرون في الفراء مثالا جيدا لم يروا له نظيرا بين أصحابهم. فكان أبو العباس ثعلب يقول: « لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه خَصَّهَا وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تُتَنَازَع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على

---

(1) انظر تاريخ بغداد : ج13 ص252.

(2) إنباه الرواةعلى أنباه النحاة. الوزير جمال الدين أبي الحسن علي يوسف القفطي. ت: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، (1406هـ-1986م). ج1 ص15. معجم الأدباء للحموي: ج5 ص619.

(3) إنباه الرواة للقفطي: ج4 ص9. معجم الأدباء للحموي: ج5 ص621.

(4) « أبو العباس أحمد بن زيد بن سيّار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب...كان إمام الكوفيين في النحو واللغة،سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر بن الأنباوي وأبو عمر الزاهد وغيرهم، وكان ثقة حجة صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم، مقدم عند الشيوخ منذ هو حَدَث».وفيات الأعيان لابن خلكان: ج1 ص102.

(5) انباه الرواة للقفطي: ج4 ص9. معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص620.

مقادير عقولهم وقرائهم فتذهب »[1] وكان من اتساع الذهن أن ألم بثقافات عصره شأن العالم المجدد. حدّث عنه أحد كبار النظار وهو ثمامة بن الأشرس أحد أئمة المعتزلة وكان بينه وبين الفراء صحبة، قال:« فاتشته –يريد الفراء– عن اللغة فوجدته بحرا، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته فقيها عارفا باختلاف القوم، وفي النحو ماهرًا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا»[2] وليس كثيرا على الفراء أن يكبره الدارسون وقد عرفوه نموذجا عاليا في جميع العلوم .

وقد عاش الفراء في زمن كان علم الكلام فيه قد قطع خطوات واسعة،وكان المنهج الكلامي قد أخذ يطغى على المناهج الدراسية. فلا يبعد أن يكون الفراء قد وقف على شيء من علم الكلام واتصل بأصحابه، لذلك اختُلِفَ في مذهبه وتضاربت أقوال الكتاب في ذلك فقيل عنه أنه من أهل السنة، وأسند له ابن نديم الفلسفة عندما قال: « وكان الفراء يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته »[3] يعني يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة. ووصفه ياقوت الحموي بقوله: « كان الفراء متكلما يميل إلى الاعتزال، وكان يتفلسف في تصانيفه، ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة »[4] بينما يرى ابن خلكان غير ما ذهب إليه ياقوت،فهو عنده « لا يميل إلى الاعتزال »[5]. وربما نعلل وصف كتاب التراجم الفراء بالميل إلى الاعتزال لذهابه في التّفسير مذهب اللّغويين وهذا شأن سائر علماء الاعتزال فاتهم الفراء بالاعتزال لوجود هذه المناسبة.

وتتلمذ الفراء على شيوخ كثيرين أشهرهم: يونس بن حبيب البصري، وعلي بن حمزة الكسائي، وأبو جعفر الرؤاسي(190هـ) وسفيان بن عيينة (198هـ). كما تحدثت كتب التراجم عن هؤلاء وقد ساهم اتصاله بهم في اكتسابه نزعة سلفية تعتمد على الأثر وأخرى تحريرية أكتسبها من شيوخ البصرة. ومعرفة شيوخ الفراء يمكننا من تحديد طبيعة ثقافة الرجل. أما تلمذته المباشرة عن الكسائي وهو أبرز شيوخه. فإن الكسائي مزدوج الثقافة، أخذ علمه الأول عن فقهاء وقراء ولغوي الكوفة الذين نبذوا الرأي والخروج عن قيد المأثور إلى ما يسمى بالقياس، لأن الكوفة كانت مهبط الصحابة والتابعين على خلاف ما كان عليه الواقع العلمي في البصرة. ولا شك أن الكسائي قد ورث عن علماء مصره هذه النزعة السلفية والتزم مبدأ السماع من الأعرب في بحوثه اللّغوية دون السماع. ثم ورّث تلميذه الفراء هذه النظرية التي ظلت تسايره في سائر أعماله. غير أنه أخذ عن الكسائي نفسه مبادئ العمل المنطقي وآليات البحث الفلسفي، وذلك لأن الكسائي خرج إلى البصرة، واجتمع إلى علمائها، وأبرزهم

---

(1) انباه الرواة للقفطي: ج4 ص9. طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ص132.
(2) إنباه الرواة للقفطي: ج4 ص9. معجم الأدباء للحموي: ج5 ص620.
(3) الفهرست لابن نديم: ص91.
(4) معجم الأدباء للحموي: ج5 ص620. إنباه الرواة للقفطي: ج4 ص13. وفيات الأعيان ابن خلكان: ج6 ص180.
(5) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج6 ص180.

الخليل بن أحمد الذي أخذ عنه قواعد العمل النحوي، وخاصة القياس والبحث في علل التأليف، فكان ما أدخله الكسائي على طريقته في بحوثه اللّغوية والقرآنية كبير الأثر على عقلية الفراء. إنّ شدّة إعجاب الفراء بالكسائي ومنهجه أيقظت فيه روح الاجتهاد ومواصلة البحث فخرج إلى البصرة مركز العلوم والثقافات، والتقى برؤوس العلم فيها، وأخذ عن شيوخها القراءة والعربية، واطلع على ما وصلت إليه البصرة من نتائج الأعمال اللّغوية. ثم على ما اجتمع له من علوم البصرة، وما أخذه عن أستاذه الكسائي شكل أُسس مدرسة لغوية جديدة في الكوفة كان لها كبير الأثر في تطور الدرس القرآني.

وحياة الفراء كانت حياة خصبة مليئة حيوية وإنتاجا، وكانت كتبه التي خلفها تحتل مكانة رفيعة بين كتب التراث، وقد قال عنها من قبل أبو العباس ثعلب: « كتب الفراء لا يوازي بها كتاب »[1] وعددها يزيد على الثلاثين مؤلفا[2]. قسم منها في اللغة والنحو،بها شكل مدرسة لغوية تامة الأركان وهي الجزء الأكبر من النحو الكوفي، بل لا يراد عند أغلب الدارسين بالنحو الكوفي إلا أراء الفراء النحوية. وقسم من كتبه خاص بالدراسة اللّغوية للقرآن الكريم. ومن هذه الكتب نذكر على الخصوص معاني القرآن[3]، كتاب اللغات[4]، كتاب المصادر في القرآن[5]، الجمع والتثنية في القرآن[6]، كتاب المشكل الكبير والصغير[7] كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف[8]، المذكر والمؤنث وكتاب الحدود[9] وغيرها من الكتب.

ولا شك أن التأليف عند الفراء يرمي إلى غاية دينية، فهذه الكتب جميعها متظافرة على أنه ينبغي خدمة الدين بالعلوم العربية، وإن للفراء من الأفكار في خدمة الكتاب الكريم ما كان لأبي عبيدة، فلم تعد اللغة عنده بما يشد بعضها من الروابط والعلاقات وما تؤديه من الوظائف إلا صورة تامة لمادة علمية لها قدرتها الذاتية على التحليل والشرح، وعلى هذا الأساس يمكن توظيفها في النص القرآني لحمايته من الدخيل ولا سيما والمجتمع مقبل على حركة ثقافية متعددة الجذور، وتلك غاية الفراء

---

(1) إنباه الرواة للقفطي: ج4 ص10.
(2) ذكر له السيوطي في البغية ج2 ص333 أحد عشر مؤلفا، ثم قال « وغير ذلك » أما ابن النديم فقد زاد عليه واحدا إذ بلغ اثني عشر مؤلفا. الفرست: ص92. ويذهب صاحب معجم الأدباء إلى أن كتب الفراء قد بلغت زهاء العشرين ثم ذيل ذلك بقوله « وغير ذلك ». معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص621. وصاحب كتاب أبو زكرياء الفراء مذهبه في النحو واللغة يقول: وقد رأيت أن أتتبع آثاره -الفراء- في كل ما وقع تحت يدي من كتب التراجم وغيرها فوجدتها زهاء الثلاثين انظر: دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء. أحمد ديرة المختار. ط:1. بيروت: مط دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، (1411هـ-1991). ص79.
(3) الفهرست لابن النديم: ص92.
(4) المصدر نفسه: ص92.
(5) المصدر نفسه: ص92.
(6) المصدر نفسه: ص92.
(7) ابناه الرواة القفطي: ج4 ص17.
(8) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص621.
(9) مقدمة محقق معاني القرآن: ص1-1.

العظمى من كل بحوثه والتي رسم بها خطوطا عريضة لمدرسة أخرى بالكوفة جدد أركانها وأرسى لها قواعدا جديدة، وهي المدرسة التّفسيرية اللّغوية التي جعلت من النحو خاصة أكبر خصائصها.

ولم يكن إنكار الفراء على أبي عبيدة عندما أطلع على كتابه « المجاز » لاختلاف المفهوم الوظيفي للأداة اللّغوية في تفسير النص اللّغوي، وإنما كان إنكاره للصورة التي ظهر فيها الكتاب وخلوه من أقوال السلف والشرّاح التقليديين، فبدا الكتاب وكأنه تفسير بالرأي المجرد المحضور، فلأجل هذا التحدي الذي رفعه أبو عبيدة كان إنكار الفراء عليه.

إن الحصيلة الضخمة من العلوم التي توافرت للفراء، والتي عززت بعقل مبتكر ونكاء نافذ كانت قد هيأت الفراء ليكون دارسا له رأيه الخاص، وصاحب اجتهاد تؤيده تلك الموارد الضخمة من الموسوعات الثقافية المتعددة مما جعل الدارسين يعتمدون رأيه ويقتفون أثره. ظهر ذلك جليا واضحا في كتب من جاء بعده، حيث ضمت آراءه وملاحظاته في العديد منها، ولو حاول أي باحث أن يحصر مجرد حصر أسماء الذين نقلوا عن الفراء أو استشهدوا برأيه في النحو واللغة والتّفسير والدراسات القرآنية لما استطاع « ففي كتب المعاني وإعرابه وشرحه آراء للفراء لا تعد ولا تُحصى فمن الزجاج وابن قتيبة والإمام الطبري إلى أبي جعفر النحاس، وأما عن كتب اللغة والنحو والأدب أمثال لسان العرب وتهذيب اللغة وخزانة الآداب فلا تكاد تحصى أقوال الفراء »[1] وكل ذلك لأجل ما للفراء من القدرة على استنباط المعاني بطريقة التحليل والتركيب، واستخراج القواعد من النص اللّغوي، ولأجل اجتهاداته اللّغوية في القرآن وما تركه من أسس للمنهج اللّغوي في التّفسير وقد رسم له صورته النهائية، وخاصة من خلال صفحات كتابه « معاني القرآن ».

التّفسير اللّغوي عند الفراء من خلال كتابه المعاني

وكتاب « معاني القرآن »[2] من أشهر آثار الفراء، ومن أقدمها وأعظمها شأنا، كما أنه ثروة عظيمة للذين يريدون إلى تفسير القرآن تفسيرا لغويا. وضعه صاحبه في بغداد في وقت مؤخر من حياته العلمية، فقد ذكر ابن النديم أن أبا العباس ثعلب قال:« كان السبب في إملاء كتاب القرآن في المعاني أن عمر بن بكير[3] كان من أصحابه، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل[4] فكتب

---

(1) دراسة في النحو الكوفي للمختار أحمد دبره: ص113.

(2) ويطلق عليه اسم أخر في رواية محمد بن الجهم من القراء وهو « تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه » انظر رواية اللغة. عبد الحميد الشلقاني. مصر: مط دار المعارف، 1971م. ص186.

(3) كان لحويا أخباريا، رواية لسابا، ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي: ج2 ص217.

(4) « أبو محمد بن سهل بن عبد الله السرخسيّ تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرياسيتين الفضل وحضر عنده، وكان وفاته سنة ست وثلاثين ومائتين وفي مستهل ذي الحجة، وقيل خمس وثلاثين ومائتين بمدينة سخرس.» وفيات الأعيان لابن خلكان: ج2 ص170 ،173.

إلى الفراء: « أن الأمير حسن بن سهل، ربما سألني عن الشيء بعض الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه فعلت، فقال الفراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتابا في القرآن، وجعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ لناس في الصلاة، فالتفت إليه الفراء فقال له اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ الرجل ويفسر الفراء، فقال أبو العباس لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أحدا يزيد عليه »[1] .

وأهمية الكتاب تكمن في أن الرجل لم يكن يقصد إلى تفسير القرآن على النحو الذي نفهمه من التعريف التقليدي لكلمة التّفسير. وإنما كان يهدف إلى أن يتخذ من العربية وخاصة النحو سبيلا إلى فهم النص القرآني وتحليله تحليلا لغويا. وقد يذهب كثير من النحويين أن « معاني القرآن » يدخل في زمرة كتب النحو لاغير، والحقيقة أنهم قد جانبوا الصواب، لأنهم لم يروا في كتاب المعاني إلا تلك المباحث النحوية التي أثارها الفراء وأجاد فيها، مخالفا بها ما اعتمده البصريون من القواعد والأصول. كما غفلوا عن المقصد الذي أراده الفراء من كل الجهود التي قدمها. ولو تمعنا الرواية التي ذكرت سبب تأليف كتاب المعاني لأدركنا المغزى من هذا العمل، وذلك أن أحد جلساء الأمير من علماء النحو والرواية استعان بعلم الفراء للرد على تساؤلات الأمير، ولابد أن تلك التساؤلات لم تكن حول المسائل النحوية المجردة، لأن الرجل نحوي متخصص، وإنما كانت حول النص القرآني الذي تتعسر فيه عملية التوجيه بما يتلاءم مع قواعد النحو، ويضمن السلامة من التناقض مع كلام العرب، وهذا ما عجز عنه صاحب الفراء فأرسل إليه يطلب أصولا لهذا العمل أو كتابا تُجمع فيه قواعد التّفسير على طريقة النحاة وقد قال أبو العباس ثعلب راوي القصة « ... فقرأ الرجل ويفسر الفراء». وهذا يؤكد أن النحو عند الفراء لم يوضع لحفظ القرآن من اللحن فقط، وإنما ليساعد على فهم القرآن أيضا.لذلك حوى كتاب الفراء كثيرا من التّفسيرات اللّغوية والآراء النحوية والصرفية على المذهب الكوفي وإعراب ما يشكل إعرابه من الآيات مؤيدا آراءه بكثير من النقول عن العرب، فكان بعمله هذا قد استوفى أصول التّفسير اللّغوي على طريقة الكوفيين، واجتاز مرحلة الآراء والإشارات إلى مرحلة التأليف المنظم.

والفراء في تفسيره المعاني تحدث عن اللغة كثيرا فشرح غرائب القرآن وبحث في تراكيب الجمل والإعراب والاشتقاق، ووقف عند القراءات، وعنى بالإيقاع الموسيقي للألفاظ، والميزان الصرفي للمفردات، وتعرض لمسائل تتعلق بالأصوات من حيث مخارجها، ومن حيث اختلافها،

---

(1) الفهرست لابن نديم: ص91، وروية بلفظ مقارب في انباه الرواة: ج 1، ص69 .

ومن حيث ما يترتب على ائتلافها من ظواهر لغوية، كالإدغام وغيره، وتعرض لمسائل تتعلق بأوزان الكلمات وأوضاع الأبنية، وقارن بين وزن الشعر ووزن القرآن، وعرض لمسائل تتعلق بالتأليف وعلله وغيرها من المسائل الأخرى.

وبالجملة هو كتاب سخر جميع العلوم اللّغوية لتفسير القرآن مشكلا منهجا لغويا في التّفسير، ولا شك أن الطابع النحوي هو الغالب على تصنيف الكتاب وهذا طبيعي من إمام النحويين في عصره، لذلك نراه يجنح دائما إلى إبراز الجانب النحوي والإعرابي للنصوص، ولكن الفراء لم يرد النحو لذاته بل جعله وسيلة من وسائله اللّغوية التي انفرد بها عن غيره وأضافها إلى أصول التّفسير اللّغوي، فمعاني الفراء « لا يعتبر كتاب نحو يتناول بالمعنى المتعرف هذا العلم مبوبا محدد المسائل والمعالم، فما هو إلا دراسة لغوية للقرآن الكريم، يعني بما يشكل منه لغة وإعرابا، واحتجاجا لقراءاته بالدراسة العامة لأسلوبه ومعانيه»[1] ولعل غلبة المباحث النحوية في جميع أجزاء الكتاب مرجعه تسخير ما توصل إليه الفراء في دراساته من آراء في عملية تفسير النص تفسيرا لغويا وجعل تلك المباحث أدوات لتفسير لغوي صحيح.وقد يتوهم بعضهم بأن المباحث القرآنية والقراءات منها خاصة التي ساقها الفراء للاستشهاد بها على صحة قاعدة نحوية، أو سلامة بنية الكلمات وغير ذلك من العبارات. والأمر خلاف ما يظن، فعلوم اللغة هي المساقة لأجل تفسير النص وتحليله تحليلا علميا، فكتاب معاني القرآن لم يكن خاصا بالنحو وحده، ولا بالمعاني وحدها ولا بالأحكام، ولكنه كان أشبه ما يكون بدائرة معارف قرآنية تهدف إلى غاية واحدة، وهي التّفسير اللّغوي الصحيح للقرآن الكريم.

ويعد كتاب معاني القرآن للفراء دراسة مكملة من الناحية اللّغوية التّفسيرية لكتاب «مجاز القرآن»[2]،لأنه يبحث في التراكيب والإعراب و«المجاز» يبحث في الغريب والمجاز خاصة.

---

(1) دراسة في النحو الكوفي للمختار دبرة: ص109، نقلا عن كتاب النحو وكتب التّفسير لإبراهيم عبد الله رفيدة ج1 ص179.

(2) وهناك وجوه من التشابه بين كتاب المجاز ومعاني الفراء تتمثل فيما يلي:
كان الغرض من وضع الكتابين هو الاستجابة لحاجة الناس إلى مزيد من التعرف على فهم القرآن فيما تجاوز القدر المشترك، فهذا الذي سأل أبا عبيدة، واستوضحه المعنى في قوله تعالى ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات 65] وهو ابراهيم بن إسماعيل من كتاب الفضل بن الربيع وجلسائه. وذلك الذي سأل الفراء وطلب منه أن يضع له كتابا يرجع إليه هو عمر بن بكير صاحب الحسن بن سهل وكان خصيصا به ومكينا عنده، وكل من الكتابين يمثل مرحلة النضوج عند صاحبه، إذ ألف كل منهما كتابه في أواخر حياته فألف أبو عبيدة كتابه سنة 188هـ وتوفي سنة 210 هـ، وألف الفراء كتابه سنة 204هـ وتوفي سنة 207، والكتابان أشهر ما ظهر في القرن الثاني وأوائل الثالث « وأثرهما واضح أشد الوضوح عند أولئك الذين عنوا بالتفسير واللغة، ومن بعدهما كان أبو عبيدة القاسم بن سلام يعتمد عليها حين بدأ يوضع كتاب في القرآن أشار إلى ذلك الداودي في طبقات المفسرين ». رواية اللغة: ص189. إذا تناولنا تفسير الطبري وجدناه ينقل أراء الرجلين مشيرا إلى ما اختلفوا فيه.وكذلك كان الأصل في بيان معاني القرآن عند كل من الرجلين هو الرجوع إلى أساليب العرب المعروفة، أما وجوه الاختلاف بين الكتابين فتتمثل في ظهور الناحية النحوية في الكتاب الفراء أكثر منها في كتاب أبي عبيدة ولعل ذلك يرجع إلى اختلاف التكوين العلمي لكل من الرجلين.

وكأن الدراستين متعلقتان بأسلوب وتلتزمان بأشياء أهمها التحديد اللّغوي لمعاني الألفاظ الواردة في النص القرآني.

والذي يهمنا في كتاب الفراء هو إبراز الجوانب اللّغوية التي تبناها الرجل في تفسيره اللّغوي بالمعنى العام، وتوصل إليها وحللها وجعلها تعكس قدرة العربية في تناول القرآن بالشرح والتحليل، وتكون طريقا إلى الحفاظ على القرآن والانطلاق منها إلى محاولة فهم ظاهرة الإعجاز.

منهج الفراء في تفسيراته اللّغوية

نهج الفراء في كتابه المعاني نفس المنهج تقريبا الذي سار عليه أبو عبيدة فهو يبدأ بعد مقدمة صغيرة بتفسير سورة الفاتحة ثم البقرة... وهكذا بطريقة تنازلية.ويتعرض لآيات كل السور آية آية بالترتيب، وخاصة ما يراه منها في حاجة إلى تفسير لغوي.

أما طريقة التّفسير فهو يبدأ أولا بتفسير الآية بالآية، ثم يفسرها بالحديث الشريف إذا كانت ضرورة، ثم يدلل بالشواهد الشعرية، ثم بفصيح كلام العرب وأمثالهم حيث يطيل في الشرح والتحليل والتعليل لما يتوصل له من قواعد وما يميل إليه من وجوه التّفسيرات اللّغوية. وهو يقوم بشرح ما في الأيات من الغريب والإعراب شروحا مختلفة لغوية ونحوية وأخبارية وأدبية، ويقف كلما استدعاه الأمر للوقوف على القراءة في آية يصححها أو يضعفها ثم يفسرها تفسيرا نحويا أو لغويا مع ذكر الأمثلة والشواهد. وهذا المنهج الذي سار عليه الفراء هو نفسه عند كل من كتب في التّفسير اللّغوي لم يتغير، لأنه أصل متين من أصول المدرسة اللّغوية، وخاصية من أكبر خصائصها الممتدة من لدن ابن عباس ﷺ إلى ما بعد علماء القرن الثالث، فعلماء التّفسير اللّغوي لم يتجاوزوا أصل المنهج السلفي، وكذلك كان عمل الفراء في معانيه.

1 - تفسير القرآن بالقرآن

ومثال شرحه وتفسيره الآية بالآية قوله في آية : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ [الأنبياء 95-96] معناه -و الله أعلم- . حتى إذا فُتحت اقترب. ودخول الواو في الجواب في 'حتى إذا' بمنزلة قوله ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[الزمر 68] وفي قراءة عبد الله ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ ﴾[يوسف 70]. وفي قراءتنا بغير الواو. ومثله في قوله ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ ﴾[الصافات 103-104] معناه ناديناه »[1]

---

(1) معاني القرآن الفراء: ج2 ص211.

- وفسر قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[ابراهيم 33] جزمت 'يقيموا' بتأويل الجزاء. ومعناه -والله أعلم- معنى أمر[1]، كقولك: قل لعبد الله يذهب عنا، تريد: اذهب عنا، فجزم بنية الجواب للجزم، وتأويله الأمر، ولم يجزم على الحكاية، ولو كان جزمه على محض الحكاية لجاز أن تقول: قلت لك تذهب يا هذا وإنما جزم كما جزم قوله: دَعْهُ يَنَمْ، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾[الأعراف 72، هود 63] والتأويل -والله أعلم- : ذروها فلتأكل، ومثله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾[الجاثية 13] ومثله ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء 53][2].

2 - التفسير بالحديث

أما تفسيره الآية بالحديث، فمثاله عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة 93]. قال:« ذلك بعد أن ظن اليهود والنصارى أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا، فتحداهم الله بأنهم غير صادقين وإن كانوا صادقين فعليهم أن يتمنوا الموت حتى يدخلوا الجنة ويفوزوا بنعيمها غير أنهم امتنعوا عن ذلك. وأستدل الفراء بالحديث:« وَاللهِ لاَ يَقُولُهُ أَحَدٌ إِلاَّ غَصَّ بَرِيقُهُ »[3] »![4]

وجاء أيضا استشهاده بالحديث عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة 229]. وفي قراءة أبيّ جاءت هذه الآية بلفظ 'إِلاَّ أَنْ يَظُنَّا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ » قال الفراء: « الظن والخوف متقاربان في كلام العرب » واستشهد بالحديث الشريف[5]: « أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خِفْتُ الأُذْرَدَنَّ »[6] فهو يأتي بالحديث ليستدل به على تقارب المعنى بين الخوف والظن. وقد يورد الحديث في أثناء تفسيره يؤيد به وجها من وجوه القراءات، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[يونس 58] قال الفراء:« إن قراءة العامة بالياء أي 'فليفرحوا' وأما قراءة من قرأ بالتاء

---

(1) أنظر كتاب أمالي ابن الشجري: ج1 ص235.
(2) معاني القرآن للفراء: ج2 ص77.
(3) هكذا نص الحديث في كل الأصول، ورواية البيهقي عن ابن عباس مرفوعا: « لا يقولها أحدٌ إلاّ غصّ بريقه» ولهذا الحديث روايات أخرى تُطلب من مظانها.
(4) معاني القرآن للفراء: ج1 ص62
(5) وفي الجامع الصغير « أُمِرْتُ بالسِّوَاكِ حتّى خِفْتُ على أسنانى »: ج1 ص219.
(6) معاني القرآن للفراء: ج1 ص116.

'فلتفرحوا' فإنها عند الكسائي لا تستقيم مع الكثير في العربية وذلك أن لام الأمر لا تدخل على الفعل المبدوء بتاء الخطاب في الغالب، لهذا قال الفراء:« وكان الكسائي يعيب قوله 'فلتفرحوا' لأنه وجده قليلا فجعله عيبا، وهو الأصل، ولقد سمعت عن رسول الله ﷺ أنه قال في بعض المشاهد:« لِتَأْخُذُوا مَصَافَّكُمْ »[1] يريد به « خذوا مصافكم »[2] والفراء هنا يأتي بالحديث شاهدا على جواز دخول لام الأمر على الفعل المبدوء بتاء الخطاب، وبهذا الحديث كأنه فسر الآية ووجّه القراءة السليمة عنده[3].

وإلى جانب التّفسير بالقرآن والحديث قد يتعرض الفراء لأسباب النزول وأقوال السلف في التّفسير، فيروي عن الأئمة من مفسري الصحابة والتابعين، وخاصة الذين مارسوا في تفسيراتهم الاتجاه اللّغوي، فينقل عن ابن عباس والحسن البصري وقتادة وغيرهم، ويثبت بجانب هذه التّفسيرات التّفسير اللّغوي « وإن كان مقدم عنده التّفسير اللّغوي »[4] فيكون بذلك قد جنب نفسه كثيرا من الاتهام بضعف المعرفة بتأويل أهل التأويل كما تعرض أبو عبيدة لذلك، وكثيرا ما يذكر في ختام كلامه عبارة « وبذلك جاء التّفسير» أو « وجاء في التّفسير كذا » أو « وذكر المفسرون ». ومثال ذلك ما نجده في تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[الصافات 147]، يقول :« 'أو' هنا في معنى 'بل' وكذلك في التّفسير مع صحته في العربية »[5] وقد خالف الفراء فيما ذهب إليه طائفة من اللّغويين الذين يرون أن 'أو' إذا أتت بمعنى 'بل' لا تكون إلا في الغلط[6] وذهب الفراء إلى أنها قد تأتي لمعنى بلاغي ودليل ذلك في التّفسير، فقد ورد عن ابن عباس قال: « بل يزيدون كانوا مائة ألف وثلاثين ألف »[7] ويقول الفراء أيضا في الآية ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾[8]:« وهو الذهب[9] وجاء في التّفسير ونجعلها لهم من فضة ومن زخرف »[10] وأيضا في قوله تعالى ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾[الأحقاف 25] وهو من كلام العرب عاد عليهم، وجاء في التّفسير أحاط بهم ونزل بهم[11].

---

(1) المصاف جمع مصف، وهو الموقف في الحرب وموضعها التي تكون فيه الصفوف. الحديث في تفسير القرطبي: ج8 ص354. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. عبد الرحمن بن محمد الأنباري، ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف تأليف محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر. ص525. المسالة 72. مغني اللبيب: ج1 ص247. ورفعه ابن الجزري إلى الصحيح في النشر: ج2 ص247.

(2) معاني القرآن للفراء: ج1 ص470.

(3) انظر مثلا في المعاني: ج1 ص61، 65، 115، 144، 146، 264، 28، 321، 470، ج2 ص95 ، ج3 ص288.

(4) منهج الزمخشري في تفسير القرآن: ص286.

(5) معاني القرآن للفراء: ج2 ص392.

(6) قال ابن الشجري في أماليه ج3 ص77: «وللبصريين في 'أو' هذه ثلاثة أقوال: أحدهما قول سيبويه، وهو أن 'أو' هاهنا للتخيير...والقول الثاني عند بعض البصريين: أن 'أو' هاهنا لأحد الأمرين على الإبهام...والثالث أن 'أو' هاهنا للشك» .

(7) تفسير الطبري: ج23 ص104. معاني القرآن للفراء: ج2 ص393.

(8) من قوله تعالى: ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا ﴾[الزخرف 33-34] .

(9) انظر اللسان: ج3 ص1821.

(10) معاني القرآن للفراء: ج3 ص32.

(11) المصدر نفسه: ج3 ص56.

أثر الأداة اللّغوية في تفسير الفراء

شمل هذا العنصر من عناصر منهجية التّفسير اللّغوي عند الفراء وجوها كثيرة، لغوية ونحوية. وإذا وقف الدارس على مباحثها أخذ به العجب كل مأخذ، وعرف أنه أمام دارس فذ، كانت العربية بظواهرها ومشكلاتها وغوامض غرائبها طوع ذهنه الناقد يفسر ويستنبط أصولا وقواعد، ويظيف إلى التّفسير اللّغوي إضافات لم يكن له بمثلها عهد، وتفصيل أثر كل ذلك من كتاب المعاني ما يلي:

الغـــريب

أما الحديث عن غرائب اللغة في كتاب المعاني فهو واسع ومتشعب، ويكفي أن نشير إلى أن لرجال مدرسة الكوفة وخاصة الكسائي والفراء الفضل في توسيع رقعة المصادر التي تؤخذ منها الألفاظ اللّغوية إلى حد يعدون فيه المسموع من العرب متى وثقوا من سماعه صحيحا. ويستشهدون به في بحوثهم اللّغوية والقرآنية، وقد فعل ذلك الفراء عند تفسيره لكتاب الله تعالى، حيث استخدم جميع طاقته اللّغوية في شرح غريب المفردات القرآنية، ومثال ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »[ق 37] قال الفراء: « يقول لمن كان له عقل، وهذا جائز في العربية أن تقول: مالك قلب، وما قلبك معك، وأين ذهب قلبك؟ تريد العقل لكل ذلك »[1].

- وقوله: « مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ »[ق 38] يقول من إعياء[2].

- وقوله: « أَزِفَةِ الآزِفَةُ »[النجم 56] قربت القيامة[3].

- وقوله: « غَيْرَ مَدِينِينَ »[الواقعة 89] مملوكين، وسمعت مجزيين[4].

- وقوله: « فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ »[المدثر 19]، قتل أي لعن، وكذلك: « قَاتَلَهُمُ اللَّهُ »[التوبة 30] « وَقُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ »[عبس 19] ذكر أنهن اللّعن[5].

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج3 ص80. انظر تفسير غريب القرآن ابن قتيبة: ص419. قال الراغب في مفرداته ص411 : « أي علم وفهم ».
(2) المصدر نفسه: ج3 ص80. انظر مجمل اللغة لابن فارس: ج2 ص810.
(3) المصدر نفسه: ج3 ص103. أنظر مجمل اللغة لابن فارس: ج1 ص94.
(4) المصدر نفسه: ج3 ص151. أنظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص152.
(5) المصدر نفسه: ج3 ص202.

– وقوله:« فَهُمْ يُوزَعُونَ»، فهي من وَزِعْتُ، ومعنى وزعته: حسبته وكففته[1]، قال: وسمعت بعض العرب يقولون: لأبعثن عليكم من يَرَعُكُم ويُحكِمُكُم من الحَكمة التي للدابة. قال وأنشدني أبو ثروان العكلي :

فَإِنَّكُمَا إِنْ تُحكِمَانِي وَتُرْسِلا ۞ عَلَيَّ غُواةَ النَّاسِ إِيبَ وَتَضْلُعَا[2]

ويظهر الفراء حسا لغويا ممتازا في تحقيق معاني الألفاظ القرآنية وإبراز الفروق الدقيقة التي تجعلها مادة لغوية واحدة، فيقول في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[المرسلات 33] يقول: « وقد اختلفت القراءة في 'جمالات' فقرأ عبد الله بن مسعود وأصحابه 'جمالة' ».ثم ذكر رواية مرفوعة إلى عمر بن الخطاب أنه قرأ 'جمالات' ثم يقول الفراء: « وهو أحب الوجهين إلي، لأن الجمال أكثر من الجمالة في كلام العرب، وهي تجوز، كما يقول حجر وحجارة وذكر وذكارة إلاّ أن الأول أكثر، فإذا قلت جمالات، فواحدها جمال، مثل ما قالوا رجال ورجالات، وبيوت وبيوتات»![3]

كما ذكر الفراء الفرق بين لابثين ولبثين في قوله تعالى : ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾[النبأ 23] فقال عن 'لابثين' « وهو أجود الوجهين لأن لابثين إذا كانت في موضع تقع فتنصب كانت بالألف، مثل الطامع والباخل عن قليل، واللَّبْثُ: البَطِئ، وهو جائز كما يقال: رجل طَمِعٌ وطَامِعٌ، ولو قلت: هذا طَمِعٌ فيما قبلك، كان جائزا، وقال لبيد:

أو مِسْحَل عَمَل عُضَادَةَ سَمَحَجٍ ۞ بِسَرَاتِهَا نَدَبٌ لَهُ وَكُلُوم

فأوقع العمل على العضادة، ولو كانت عاملا كان أبين في العربية »[4]

الشاهد الشعري في تفسير الفراء

أما الأشعار فقد لاقى الاستشهاد بها اهتماما كبيرا من الفراء، والشاهد الشعري من الدعائم الرئيسية لتفسيره، لأن الشعر عند القدماء كتابا ضم كل المعاني اللّغوية التي نزل بها القرآن الحكيم. والفراء كغيره من رجال هذه المدرسة الذين يعتمدون على الشعر والأمثلة والأقوال المأثورة في توجيه الآيات، إلا أن الفراء امتاز عن رجال الطبقة الأولى بأنه كان راوية، وهو يستعمل في شواهده صيغا متعددة للرواية، فمرة يقول: أنشدني، ومرة أنشد بعضهم، وأخرى سمعت، وقالوا، وهو أحيانا يروي أسماء من يروي عنهم، وأحيانا لا يذكرهم، وعلى سبيل المثال أسوق أمثلة عن استعمال الفراء لهذا العنصر بجانب المعنى الذي يريده لتفسير الآيات تفسيرا لغويا :

---

(1) انظر مجمل اللغة: ج2 ص924.
(2) المصدر نفسه: ج3 ص15 . وَإيت: من أبيت وَأبى.
(3) معاني القرآن للفراء: ج3 ص225.
(4) المصدر نفسه: ج3 ص228.

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء 96] قال:« تكون 'هي' عمادا يصلح في موضعها 'هو' فتكون كقوله:﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[النمل 9] ومثله قوله: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾[الحج 46] فجاءت التأنيث لأن الأبصار مؤنثة والتذكير للعماد، وسمعت بعض العرب يقول: كان مرّةً وهو ينفع الناس أحْسَابَهُم، فجعل 'هو' عِمادًا . وأنشدني بعضهم:

بِثَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ ۞ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ

وإن شئت جعلت 'هي' لأبصار كنيت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسيرها، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينَتِي ۞ أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبِ[1]

فذكر الظعينة وقد كنى عنها في 'لعمر'[2].

- في تفسير قوله تعالى:﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[الحج 61] رفعت 'فتصبح' لأن المعنى في 'ألم تر' معناه خبر. كأنك قلت في كلام: أعلم أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض، وهو مثل قول الشاعر[3]:

أَلَمْ تَسْأَلْ الرَّبْعَ القَدِيمَ فَيَنْطِقُ ۞ فَهَلْ تُخْبِرَنْكَ اليَوْمَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ

أي قد سألته فنطق، ولو جعلته استفهاما وجعلت الفاء شرطا لنصبت: كما قال آخر :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرَكَ الدِّيَارَا ۞ عَنِ الحَيِّ المُظَلِّلِ حَيْثُ سَارَا[4]

- ويقول في تفسير لقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾[النور 15] كان الرجل يلقى الآخر فيقول: أما بلغك كذا كذا، فيذكر قصة عائشة لتشييع الفاحشة، وفي قراءة عبد الله 'إذ تتلقونَهُ' وقرأت عائشة 'إذ تلقُونَه'[5] وهو الوَلْقُ أي ترددونه. والوَلْقُ في السَّيْرِ[6]، والولق في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد ولَقَ. وقال الشاعر:[7]

إِنَّ الجُلَيْدَ زَلِقٌ وَزُمَّلِقْ ۞ جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّامِ تَلَقْ

مُجَوَّعُ البَطْنِ ۞ كِلَابِيِّ الخُلُقْ

---

(1) هو مالك بن أبي كعب من شعر يقوله في حرب كانت بينه وبين رجل من بني ظفر. محقق المعاني: ج2 ص212 .
(2) معاني القرآن للفراء: ج2 ص212.
(3) هو جميل، والسملق القاع الأملس لا شجر فيه. ديوان جميل بثيلة. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (1398هـ-1978م). ص33.
(4) معاني القرآن للفراء: ج2 ص229.
(5) « روى عبيد بن أبي عمرو أنه قرأ« إذ تُلُقُّونَهُ» مشددة التاء مثل ابن كثير يدغم الذال في التاء...وحمزة والكسائي : «إذ تَلِقُونَهُ» مدغمة الذال في التاء . وابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يظهرون الذال عند التاء وكلهم يخفف التاء » كتاب السبعة في القراءات : ص453.
(6) انظر مجمل اللغة لابن فارس: ج2 ص938.
(7) هو الشماخ. محقق معاني الفراء ج2 ص248.

ويقال في الولق من الكذب: هو الألق و الإلق وفعلت منه: ألقت و أنتم تألقونه.

وأنشدني بعضهم:

مَنْ لَي بِالمِزَرِّ اليَلاَمِق ۞ صَاحِبِ إِهَانٍ وَأَلْق آلِق[1]. »[2]

- وفسر قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾[الفرقان 21] قال: لا يخافون لقاءنا، وهي لغة تهامية: يضعون الرجاء في موضع الخوف إذا كان معهم جحد. من ذلك قوله تعالى:﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح 13] أي لا تخافون له عظمة. وأنشدني بعضهم :

لاَ تَرْتَجِي حِينَ تُلاَقِي الذَّائِدَا ۞ أَسْبَعَةً لاَ قَتْ مَعًا أَمْ وَاحِدَا .

يريد: لا تخاف ولا تبالي. قال لآخر :

إذا لَسَعَتْهُ النَحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا ۞ وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبَ عَوَامِلِ.»[3]

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[البقرة 92] يقول الفراء:« فَإِنَّه أراد حب العجل[4]. ومثل هذا مما تحذفه العرب كثيرا، قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[يوسف 82]. والمعنى: سل أهل القرية وأهل العير، وأنشدني المفضل :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عِنَاقًا ۞ وَمَا هِيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالعِنَاقِ.»[5]

ومن خلال ما سبق من الأمثلة نلاحظ أن الفراء في استعماله للشاهد الشعري « لا يفسر به الآيات تفسيرا مباشرا على معنى الآية بمعنى البيت لكنه يأتي بالبيت لتوضيح المعنى اللّغوي القريب الذي لا شبهة وراءه »[6]وهو بذلك يخالف بعض اللّغويين الذين يرون أن شعر العرب ونثرهم هو المثل الأعلى والأنموذج الصحيح في العربية، ويستشهدون بالشعر والكلام الفصيح على القرآن. ولكن الفراء يخالفهم، ويرى أن المثل الأعلى للغة العربية هو القرآن الكريم، وما الشعر والكلام

---

(1) اليلامق جمع اليلمق. وهو القباء المحشو. والادهان: الغش والخداع. محقق معاني القراء: ج2 ص248.
(2) معاني القرآن الفراء: ج2 ص248.
(3) المصدر نفسه: ج2 ص265.
(4) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص58. وهذا من حذف المضاف وهو في كلام العرب وأشعارها وفي كتاب الله أكثر من أن يحصى. قال ابن جني في المحتسب ج1 ص188: « حذف المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة ».
(5) معاني القرآن: ج1 ص61 و62. انظر أمالي المرتضي: ج1 ص202. والبغام: صوت دون الإفصاح.
(6) أثر القرآن في تطور النقد لمحمد زغلول سلام: ص52

الفصيح إلاّ أداة تساعد على فهم الأسلوب القرآني، وفي هذا المجال قد يعيب الفراء على العرب خطأهم في بعض استعمالاتهم اللّغوية، مثل ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ﴾[يونس 16]، وهناك من قرأ 'ولا أدراكم به' قال الفراء:« فإن يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعل القارئ ذهب إليها وأما أن تصلح من دريت وأدريت فلا »[1].

وذهب الفراء في الشرح بضرب الأمثلة بفساد من قال بذلك معتمدا اللفظ القرآني يقول: « وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز سمعت امرأة من طئ تقول: رَثأتُ زوجي بأبيات، ويقولون لبَأتُ بالحج، وحلاَق السويق فيغلطون، لأن حلات قد يقال في دفع العطاش من الإبل، ولبأت ذهب إلى اللبأ الذي يؤكل، ورثأت زوجي، ذهبت إلى رثينة اللبن وذلك إذا جلبت الحليب على الرائب»[2]! فالفراء يخطئ العرب في مثل هذا المثال لأنه يحكم لغة القرآن على الكلام العرب.

أثر الدراسات اللّغوية في التّفسير اللّغوي عند الفراء

ويتبين أثر هذا المبحث فيما يلي :

1 – دراسة الأصوات

كانت الكوفية موطن القراءة والقراء، وأكثر الكوفيين كانوا معنيين بالقراءات وعلومها. وعلم التجويد هو أحد هذه العلوم، وللكوفيين فيه آراء وتفصيلات شرحتها كتب التجويد، ولقد اهتم الفراء كغيره من علماء الكوفة بدراسة الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها وأحوالها المختلفة كي يقف على أسرار اللغة ونظمها وظواهرها، ومن ذلك يتجه الفراء إلى النص القرآني مفسر إياه بما يتعلق وينسجم مع نظمه المعجز. والمسائل التي نقلت عن الفراء، ولها صلة بهذه الدراسة ذهابه إلى جواز:« إدغام الراء في اللام، والحجة في ذلك: أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل وأخف من أن نأتي براء فيها تكرير وبعدها لام، وهي مقاربة للفظ الراء، فيصير كالنطق بثلاث أحرف من موضع واحد»[3]! وذلك في مثل قوله تعالى: « فَاغْفِرْ لَنَا »[4] و« اسْتَغْفِرْ لَهُمْ »[5]

---

(1) معاني القرآن الفراء ج1 ص 459
(2) المصدر نفسه: ج1 ص459.
(3) شرح المفصل لابن يعيش ج 10 ص 143
(4)البقرة: 285، آل عمران: 16، 147، 193، الأعراف: 155، المؤمنون: 110، الحشر:10، الممتحنة:5، التحريم:8
(5) التوبة: 81، النور: 60.

و« يَغْفِرْ لَكُمْ »[1]. وفي تفسير الفراء مواضع كثيرة يقف فيها على مثل هذا، فقد تناول إدغام الطاء والظاء والذال في التاء، وإدغام التاء في الطاء من تفسيره ففي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾[النمل 22] يقول الفراء:« العرب إذا ألقيت الطاء والتاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاءً، فيقولون: أحتُّ، كما يحولون الظاء تاء، في قولنا: أوعتُّ أم لم تكن من الواعظين، والذال والدال تاء، مثل: أختم 'أخذتم' ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله وأختّم، ومن العرب من يحول التاء إذا كانت بعد الطاء، فيقول: أحط »[2].

وشرح إدغام الذال في التاء أيضا، وقال في توجيه قراءة عبد الله: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾[غافر 27]: « أدغمت الدال أيضا عند التاء، وذلك أنها متناسبان في قرب المخرج والتاء والذال مخرجهما من طرف اللسان، وكذلك الطاء تشاركهما في النقل فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم، وليس تركك الإدغام خطأ »[3]. كما انتفع كثيرا بما لاحظه من قوانين صوتية في لغة العرب، وقارن بها كثيرا مما يصادفه في القرآن الكريم فتأتي تفسيره موضحا لكثير من المشكلات التي يصادفها القارئ والشارح على السواء، فمثلا يفسر مفردة 'أنلزمكموها'[4] بقوله:« وقوله: أنلزمكموها، العرب تسكن الميم التي من 'اللزوم' فيقولون: أنلزمكموها، وذلك أن الحركات قد توالت، فسكنت الميم لحركتها، وحركتين بعدها، وأنها مرفوعة، فلو كانت منصوبة لم يستثقل فتخفف، إنما يستثقلون كسرة بعدها ضمة، أو ضمة بعدها، أو كسرتين متواليتين أو ضمتين متواليتين فأما الضمتان فقوله: « لاَيَحْزُنُهُمْ »[5] جزموا النون، لأن قبلها ضمة فخفف...وأما الضمة والكسرة فمثل قول الشاعر :

وَنَاعٍ يُخْبِرُنَا بِمَهْلَكِ سَيِّد ۞ تُقَطَّعُ مِنْ وُجْدٍ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

إن شئت 'تُقَطِّع' وقوله في الكسرتين[6] :

« إِذَا أَعْوَجَجْنَ قُلْتَ صَاحِبُ قَوْمٍ »[7]

---

(1) الأحقاف: 30، الحديد: 27، الصف: 12، التغابن: 17، نوح: 4.
(2) معاني القرآن للفراء: ج2 ص289.
(3) المصدر نفسه: ج2 ص290.
(4) من قوله تعالى: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود: 28].
(5) من قوله تعالى: ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء 102].
(6) هذا زجر الظر الكتاب لسيبويه: ج4 ص203. وتكملته :
إِذَا أَعْوَجَجْنَ قُلْتَ صَاحِبُ قَوْمٍ * بِالدَّوِّ أَمْثَالَ السَّفِينِ العُوْمِ
أعوججن: يعلي الإبل، والدو: الصحراء. وشبه الإبل في الصحراء بالسفن التي تمخر عباب اليم. محقق الكتاب.
(7) معاني القرآن للفراء: ج2 ص13.

يريد صاحبي، فإنما يستثـقل الضم والكسر لأن مخرجهما مئونة على اللسان، والشفتين، تنضم الرفعة بهما، فتثقل الضمة، ويمال أحد الشدقين. إلى الكسرة، فترى ذلك ثقيلا، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة »[1].

2 – تعاقب الحروف وتقارب الأصوات

والفراء يعلل تعاقب بعض الحروف في اللغات بقرب المخرج، قال الفراء في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾[التكوير 11] نزعت، وفي قراءة عبد الله 'قشطت' بالقاف، وهما لغتان، والعرب تقول: القافور والكافور، والقف والكفّ إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات، كما يقال: جدف وجدث »[2].

وتقارب الأصوات في المخرج كما أشار الفراء قد يكون من عوامل الإبدال الذي هو مظهر من مظاهر الاختلاف بين اللهجات، وقد روت كتب اللغة كثيرا من هذه اللهجات كعجعجت قضاعة، 'العجعجة إبدال الجيم من الياء المشددة' وشنشنة اليمن 'وهي جعل الكاف شينا' وعنعنة تميم 'وهي إبدال العين من الهمزة المبدوء بها' يقول الفراء هنا: « يقال: جدف وجدث، تعاقبت الفاء والثاء في كثير من الكلام، كما قال: الأثافي و الأثاثي، ووقعوا في عاثور شر وعافور شر »[3].

3 – حذف الحرف

قد يحذف الحرف من كلمة ولا علة لذلك عند الفراء إلا كثرة الإستعمال كما جاء في شرحه للبسملة، فقال: فأول ذلك إجماع القراء وكتّاب المصاحف على حذف الألف من «بسم الله الرحمن الرحيم» وفي فواتح الكتب، وإثباتهم الألف في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[الحاقة 52] وأنما حذفها من «بسم الله الرحمن الرحيم» أول السور والكتب لأنها وقعت في موضع معرف لا يجهل القارئ معناه، ولا يحتاج إلى قراءته، فأستخف طرحها لأن من شأن العرب الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه، وأثبتت في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾لأنها لا تلزم هذا الاسم ولا تكثر معه ككثرتها مع الله تبارك وتعالى، ألا ترى أنك تقول: 'باسم الله' عند ابتداء كل فعل تأخذ فيه من مأكل ومشرب أو ذبيحة، فخف عليهم الحذف لمعرفتهم به»[4].

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج2 ص13.
(2) (3) المصدر نفسه: ج3 ص241.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص2.

ومع ذلك فهو لا يرى حذف الألف من اسم عند جره بغير الباء وإن دخلت اللام أو الكاف بقيت الألف « لاسم الله حلاوة في القلوب وليس اسم كاسم الله »[1].

ولكثرة الإستعمال أيضا تحذف الهمزة من أفعال الأمر مثل: ' سَلْ وكُلْ وخُذْ ' في قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[البقرة 21] يقول: « لا تهمز في شيء من القرآن، لأنها لو همزت كان 'أسأل' بألف، وإنما ترك همزها في الأمر خاصة لأنها كثيرة الدور في الكلام، فلذلك ترك همزة كما قالوا: كُلْ وخُذْ فلم يهمزوا في أمر، وهَمَزُوه في النهي وما سواه وقد تهمز العرب »[2].

التفسير اللغوي والدراسة النحوية عند الفراء

كان الفراء وهو إمام العربية وشيخ نحاة الكوفة كثيرا ما يلجأ إلى التخريجات النحوية التي قد تطول، ولكن الإطالة فيها للوصول إلى المعنى المناسب الذي يريده، وقد تناول الفراء جميع أبواب النحو في كتابه المعاني، فلم يترك بابا في النحو إلا وتحدث عنه وكان حديثه من خلال القرآن وتفسيره، وليس معنى ذلك إلا لأنه كان صاحب مذهب نحوي متميز. شكل بما أبدع فيه من مباحث النحو ما سمي فيما بعد « التفسير النحوي » الذي سنتحدث عنه في موضع آخر. وهذه نماذج من التفسير النحوي الذي وظف فيه الفراء الأداة النحوية لتوجيه معنى الآية. فمثلا:

- فسر قوله تعالى:﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾[الأنعام 154] رأي أن 'الذي' يمكن أن تكون مصدرية وقال:« إن شئت جعلت الذي على معنى 'ما' تريد: تماما على ما أحسن موسى، فيكون المعنى: تماما على إحسانه »[3].

- وفسر قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾[البقرة 244] بعد أن شرح معنى « مالك، ما بالك، وما شأنك » قال: « وقال الكسائي في إدخالهم 'أن' في 'مالك' هو بمنزلة قوله 'مالكم في ألا تقاتلوا' ولو كان ذلك على ما قال لجاز في كلام أن تقول مالك أن قمت، ومالك أنك قائم، لأنك

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج1 ص2.

(2) المصدر نفسه: ج1 ص2. قال العكبري في التبيان ج1 ص169: « وفي سل وجهان: أحدهما: أن الهمزة ألقيت حركتها على السين، فاستغنى عن همزة الوصل تحرك السين و الثاني: أنه من سأل يسأل مثل خاف يخاف، وهي لغة فيه. وفيه لغة ثالثة: وهي إسلْ، حكاها الاخفش، ووجهها أنه ألقى حركة الهمزة على السين وحذفها ولم يعتد بالحركة لكونها عارضة، فلذلك جاء بهمزة الوصل كما قالوا لحمر. »

(3) معاني القرآن للفراء: ج1 ص165. وبهذا المذهب قال ابن مالك في شرح التسهيل وهو الصحيح عنده، انظر التسهيل: ج1 ص219.

تقول: في قيامك، ماضيا ومستقبلا، وذلك غير جائز، لأن المنع إنما يأتي بالاستقبال تقول: منعتك أن تقوم، ولا تقول منعتك أن قمت، ولذلك جاءت في 'مالك' في المستقبل، ولم تأت في دائم –اسم فاعل– ولا ماض »[1].

– ويرى الفراء في دخول الباء الزائدة على الفاعل في الأفعال المدح والذم رأيا، يقول في تفسير قوله تعالى:﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء 14]:« وكل ما في القرآن من قوله: 'وكفى بربك'[2] و'كفى بالله'[3] و 'كفى بنفسك اليوم' فلو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعا، كما قال الشاعر:

وَيُخبِرُنِي عَنْ غَائِبِ المَرْءِ هَدْيُهُ ۞ كَفَى الهَدْيُ عَمَّا غيبَ المَرْءُ مُخبِرَا[4]

وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه، ألا ترى أنك تقول: كفاك به، ونهاك به، وأكرم به رجلا، وبئس به رجلا، ونعم به رجلا، وطاب بطعامك طعاما، وجاد بثوبك ثوبا، ولو لم يكن مدحا أو ذما لم يجز دخولها، ألا ترى أن الذي يقول: قام أخوك أو قعد أخوك، لا يجوز له أن يقول قام بأخيك ولا قعد بأخيك إلا أن يريد قام به غيره وقعد به »[5].

وفي أفعل التفضيل ومطابقته يقول الفراء: في تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ [الشمس 12] ولم يقل « أشقياها وذلك جائز لو أتى » لأنه يقول في تعليله:« المقصود بأشقاها كانا اثنين: فلان بن ذهر، والآخر قدار بن سالف، لأن العرب إذا أضافت أفعل التي يمدحون بها، وتدخل فيها 'من' إلى أسماء وحدودها في موضع أثنين والمؤنث والجمع فيقولون للاثنين: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس، ويثنون أيضا. أنشدني في تثنيته أبو القمقام الأسدي فقال:

أَلاَ بَكَرَ النَاعِي بِخَيرِي بَنِي أَسَدٍ ۞ بِعَمْرُو بنُ مَسْعُودٍ وَبِالسَيِّدِ الصَّمَدْ

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالبَيَانِ فَإِنَّهُ ۞ أَبُو مَعْقِلٍ لاَ حَيَّ عَنْهُ وَلاَ حَدَد

كما ساق الفراء دليلا آخر أن أفعل التفضيل إذا أضيفت يجوز أن تثنى أو يجمع فقال:« أنشدني آخر في التوحيد وهو يلوم ابنين له:

يَا أَخْبَثَ النَّاسِ كُلُّ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا ۞ لَوْ تَسْتَطِيعَانَ كُنَّا مِثْلَ مِعْضَادِ[6]

فوحد ولم يقل: يا أخبثي وكل صواب»[7].

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج1 ص165.
(2) الإسراء: 17، 65، الفرقان: 31.
(3) النساء: 6، 45، 70، 79، 81، 132، 166، 171، الرعد: 3، 39، 48، الفتح: 28.
(4) قائله زيد بن زيد العدوي. لسان العرب مادة 'هدى'.
(5) معاني القرآن: ج2 ص 119 و 120 .
(6) المعضاد من السيوف: الممتهن في قطع الشجر...وكذلك سيف يكون مع القصابين تقطع به العظام. انظر اللسان العرب ج4 ص2983 مادة 'عضد'.
(7) معاني القرآن للفراء: ج3 ص268.

وبناء على الإعراب يفسر الفراء قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[الأنعام 99] قال:« يعني في الرحم ومستودع في صلب الرجل، ويقرأ 'فمُسْتَقِر'[1] -بكسر القاف- يعني الولد في الرحم، ومستودع في صلب الرجل، ورفعها على إضمار الصفة كقولك: 'رأيت الرجلين عاقل وأحمق'[2] مستقر اسم مكان وهو مبتدأ، والخبر محذوف، أي فمستقر لكم ومستودع - بفتح الدال لا غير - اسم مكان، وهو مبتدأ أيضا والتقدير، فمستودع لكم، وأما 'مستقر' بكسر القاف، فهو اسم فاعل والمعنى فمستقر ومتمكن، منكم في الرحم، وأما مستودع فهو اسم مفعول أي شيء مستودع ومحفوظ منكم في الصلب »[3].

وتعرض الفراء لتفسير 'بلى' من قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة 80] قال:« وضعت 'بلى' لكل إقرار في أوله جحد، ووضعت 'نعم' للاستفهام الذي لا جحد فيه ».

ثم يسوق قوله تعالى:﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾[الأعراف 43] فيقول: « إن 'بلى' لا تصلح للإجابة في هذا الموضع لأنه لا جحد فيه، وأما عندما تصلح الإجابة بـ'بلى' فقد أورد قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾[الملك 8-9] وعلق على هاتين الآيتين بنعم، « فتكون كأنك مقر بالجحد وبالفعل الذي بعده ».ويسترسل الفراء في البحث عن أصل وجذر 'بلى' فهو عنده أن الأصل كان 'بل' ومثّل لذلك بقوله: 'ما قال عبد الله بل زيد ' فكانت 'بل' كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا فيها ألفا يصلح فيها الوقوف عليه ويكون رجوعا عن الجحد فقط. وإقرارا بالفعل الذي بعد الجحد »[4] فكأن ألف 'بلى' جاءت ليصلح الوقوف عليها وزيادتها أيضا جاءت لتدل على معنى أكثر من 'بل' لأن 'بل' تفيد الرجوع عن الجحد فقط، أما 'بلى' فتفيد الإقرار والإنعام. كما يظهر الفراء براعة كبيرة في التحقيق بين الأدوات والحرف فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف 4][5]

---

(1) قال ابن مجاهد في السبعة ص263: « واختلفوا في كسر القاف وفتحها من قوله : « فمُسْتَقَرٌ » فقرأ ابن كثير وأبو عمرو : « فمُسْتَقِرٌ» بكسر القاف».
(2) انظر أمالي ابن الشجري: ج3 ص119.
(3) معاني القرآن للفراء: ج1 ص52.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص53. انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج1 ص82.
(5) « معناه: أفنترككم ولا نذكركم بعقابنا؟ » أمالي بن الشجري: ج1 ص109.

يقول: قرأ الأعمش "إِنْ كُنْتُمْ" بالكسر وقرأ عاصم والحسن "أَنْ كُنْتُمْ" بفتح "أن" كأنهم أرادوا شيئا ماضيا وأنت تقول في كلام: أأسُبُّك أن حرمتني؟ تريد: إذْ حرمتني، وتكسر إذا أردت: أأسبك إن حرمتني، مثله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ﴾[المائدة 3] تكسر "إن" وتفتح والعرب تنشد قول الفرزدق:

أَتَجْزَعُ إِنْ أُنِسَا قُتَيْبَةَ حُزْنَا ۞ جِهَارًا، وَلَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابْنُ خَازِمِ[1]؟

وأنشدوني :

أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَ الخَلِيطُ المُوَدِّعُ ۞ وَحَبْلُ الصَفَا مِنْ عِزَّةِ المُتَقَطِّعِ؟

وفي كل من البيتين ما في صاحبه من الكسر والفتح، والعرب تقول: قد أضربت عنك، وضربت عنك إذا أردت به: تركتك، وأعرضت عنك »[2].

ومن خلال مراجعة ما تقدم من آراء الفراء النحوية والتي لم آت على كل ما ذكره الفراء، وإنما اجترأت بقدر قليل منها لأدلل على أن كتاب المعاني هو من أكبر مصادر التّفسير النحوي اللّغوي، وأنه قد أدخل جميع مباحث النحو في العملية التّفسيرية شارحا ومعللا ومحللا لكل سياق لغوي بما يمتن العلاقة بين النص القرآني ولغة العرب.وأن لا غنى لعملية التّفسير من تلك الروابط النحوية واللّغوية التي تميز الكلام.

الظواهر اللّغوية من خلال كتاب المعاني

ساق الفراء في تفسيره كثيرا من هذه الظواهر التي رتّبت فيما بعد في جدول البلاغة، والظاهر أن مصطلحات هذا الفن كالكناية والتشبيه والمجاز هي عند الفراء تعبيرات تطلق في حدود المعنى اللّغوي، وإن كانت تشير إلى المعنى البلاغي إشارات بدائية. فمثلا:

1- الكناية: لفظ ورد بكثرة عند الفراء، ويأخذ معنى معروف عند قدماء اللّغويين، فهو عندهم ضرورة تعبيرية للتعبير عما لا يراد إظهاره للناس، فكان كثير الورود في لغة وكلام الناس في العصور المتقدمة، وصاحب المعاني يرى في الكناية ما رآه أبو عبيدة، فمثلا يفسر قوله تعالى: ﴿سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾[فصلت 19] الجلود هنا -الله أعلم- الذكر وهو مما كنّى به الله عز

(1) ابن خازم: بشر بن خازم الأسدي.
(2) معاني القرآن للفراء: ج3 ص28.

وجل عنه، كما قال:﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾[النساء 43] والغائط الصحراء والمراد من ذلك: أو قضى أحدكم حاجة. كما قال: ﴿ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[البقرة 233] يريد النكاح[1].

2- **التشبيه والمثل** : ولا تزال هذه الأسماء عند الفراء كما كانت عند أبي عبيدة -فهي تطلق في حدود المعنى اللّغوي مع بعض الإشارات إلى المعنى البلاغي يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ [الفتح 29] يقول:« وفي الإنجيل أيضا » كمثلهم في القرآن، ويقال:« ذلك مثلهم في التوراة » و﴿ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾[الفتح 29] وشطوّه: السنبلة. تنبت الواحدة عشرا وثمانية وسبعة فيقوى بعضه بعضاء فذلك قوله فآزره وقواه. فاستغلظ ذلك فاستوى، ولو كانت واحدة لم تقم على ساق، وهو مَثَل ضربه الله عز وجل للنبي إذا أخرج وحده ثم قواه الله بأصحابه كما قوى الحبة بما نبت فيها »[2].

3- **المجاز** : ويريد به المجاز اللّغوي في أكثر نواحي كتابه كالذي رأيناه في مجاز القرآن. يقول في تفسير تعالى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل 10] فهل في العسرى تيسير؟ فيقال في هذا إجازته بمنزلة قوله تبارك وتعالى:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة 3] والبشارة في الأصل على المفرح والسار فإذا جمعت في كلامين هذا خير وهذا شر جاز التيسير فيهما جميعا »[3].

القراءات والتّفسير اللّغوي عند الفراء

لما كان منهج الفراء يقوم على بيان أحكام اللفظ القرآني واستغلاله في توجيه معنى النص، فقد حدد موقفه من القراءات بما يدور حول خدمة هدفه العام وهو الإستعانة بها للوصول إلى التّفسير المراد. لذلك فقد اعتمد عليها محتجا بها لصالح مذهبه مع مناقشة الخصم وترجيح ما يراه صحيحا.

والفراء يرى أن التأثير متبادل في توضيح المعنى بين الألفاظ في ذاتها وبين النصوص والسياقات التي وردت فيها الجملة. كما يراعي السياق العام في الآية فيفضل قراءة تحقق التجانس بين الكلمات المتجاورات على غيرها،وأن النسق في الآية هو الموجب لترجيح قراءة ما أو تصحيح اللفظ،

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج3 ص16.
(2) المصدر نفسه: ج3 ص 69.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص270 و271.

فهو يفضل مثلا قراءة 'ثومها' بالثاء على قراءة 'فومها'[1] بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[البقرة 61] لا تساق الثوم مع العدس والبصل، يقول الفراء: « إن الفوم فيها ذكر لغة قديمة وهي الحنطة والخبز... وهي في قراءة عبد الله 'وثومها' بالثاء فكأنه أشبه المعنيين بالصواب، لأنه معا ما يشاكله من العدس والبصل وشبهه »[2].

وإلى جانب هذا يقوم بتوجيه كل قراءة توجيها نحويا كقوله في سورة الأنبياء﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[الأنبياء 35]: « ولو نونت في 'ذائقة' ونصبت 'الموت' كان صوابا والنصب على أنه مفعول به لاسم الفاعل واعتماد عمل اسم الفاعل لأنه دال على المستقبل وأما 'إذا' دل على مضي فالمختار الإضافة».ويسوق مثلا : « فأما المستقبل فقولك : أنا صائمٌ يومَ الخميسِ إذا كان خميسًا مستقبلا، فإن أخبرت عن صوم الخميس ماضٍ قلت: أنا صائم يَوْمَ الخميسِ، فهذا وجه العمل »[3] .

وفي قراءة ﴿جَزَاءَ الْحُسْنَى﴾ [الكهف 87][4] يقول الفراء: « مضاف، وقد تكون الحسنى حسناته فهو جزاؤها، وتكون الحسنى الجنة، تضيف الجزاء إليها، وهي هو، كما قال﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾[الواقعة 98] و ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة 5] ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف 109] ولو جعلت 'الحسنى' رفعا وقد رفعت الجزاء ونونت فيه كان وجها. ولم يقرأ به أحد. فتكون كقراءة مسروق ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات 6] فخفض الكواكب ترجمة عن الزينة »[5].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل 30[ترفع الجنات لأنه اسم لنعم كما تقول نعم: الدار دارٌ تنزلها، وإن شئت جعلت « ولنعم دار المتقين » مكتفيا بما قبله. ثم تستأنف الجنات فيكون رفعها على الاستئناف، وإن شئت رفعتها بما عاد من ذكرها في « يدخلونها »[6] .

---

(1) انظر القراءة عند محقق المعالي.
(2) معاني القرآن للفراء: ج1 ص41.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص270 و271.
(4) قال ابن مجاهد في كتابه السبعة ص398: « فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عباس وعامر وأبو عمرو : « وله جزاء الحسنى » مضافا مرفوعا».
(5) معاني القرآن للفراء: ج2 ص159.
(6) المصدر نفسه: ج2 ص99.

ولا يعتمد الفراء في تعليله على قواعد النحو فقط، وإنما يرجع أيضا إلى الحس اللّغوي والذوق الصوتي كما يبدو في تعليله لخفض الدال من الحمد لله: « هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد مثل إبل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم»[1]. ويفسر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا أَشِحَّةً﴾[الأحزاب 18–19] يقول: « جبناء عند البأس، أشحة عند الإنفاق على فقراء المسلمين وهو أحبها إلي، والرفع جائز على الاستئناف ولم أسمع أحد قرأ به »[2].

ولاختلاف القراءات عند الفراء أثر في المعنى، وهو في هذا يسير جنبا إلى جنب مع معاني التركيب النحوي، ومعاني الألفاظ اللّغوية، واشتقاقاتها وتصريفها ففي قوله جل شأنه :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[ابراهيم 5] يقول: ليفهمهم وتلزمهم الحجة. ثم قال عز وجل:﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾[ابراهيم 5] فرفع لأن النية فيه الإستئناف لا العطف على ما قبله، ومثله ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾[الحج 5][3]، ومثله في براءة ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[التوبة 14] ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة 15] فإذا رأيت الفعل منصوبا بعده فعل قد نُسِقَ عليه بواو أو فاء أو ثم أو أوْ فإن كان يشاكل معنى الفعل الذي قبله نسقته عليه، وإن رأيته غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعته»[4] قال تعالى:﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ [الفرقان 75]، وهناك قراءة « يَلْقَوْنَ » لحمزة والكسائي، قال الفراء: « كل قد قرئ به يَلْقَوْنَ أعجب إلي، لأن القراءة لو كانت على « يلقون »كانت بالباء في العربية لأنك تقول : فلان يتلقى بالسلام وبالخير وهو صواب « يلقونه ويلقون به، كما تقول : أخذت بالخطام وأخذته »[5].

وقد يعلل بعض الأوجه التي قرأ بها القراء فيقول: « وقد قرأ بعض القراء فيما ذكر لي ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾[6][الجاثية 13] وهو في الظاهر لحق لأن قوما يجب أن تكون نائب فاعل، فإن كان

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج1 ص3.
(2) المصدر نفسه: ج2 ص338.
(3) قال القرطبي في تفسيره ج5 ص4403: « قرئ بنصب 'نقرّ'... رواه أبو حاتم عن أبي زيد عن المفضل عن عاصم قال: قال أبو حاتم النصب على العطف. وقال الزجاج : 'ونقرّ' بالرفع لا غير...وقرأت هذه الفرقة 'ونقر' بالرفع، المعنى ونحن نقر وهي قراءة الجمهور » .
(4) معاني القرآن للفراء: ج2 ص68.
(5) المصدر نفسه: ج2 ص275.
(6) « وهي قراءة أبي جعفر » انظر شرح التسهيل لابن مالك : ج2 ص128.

أضمر في 'يجزي' فعلا يقع به الرفع كما تقول: أعطى ثوبا ليجزى ذلك الجزاء قوما فهو وجـــه »[1]. لأنه في الآية أقام الجار والمجرور مقام الفاعل وترك قوما منصوبا، وهو مفعول به. فنجده هنا يقـرر قاعدة لغوية ويبين موضع الكلمات من الإعراب وكيفية مجالستها والقارئ لكتاب معاني القرآن يجـده مملوءا بأوجه القراءات على نمط ما ذكرت، بل هو بالأحرى كتاب يعني بالقراءات القرآنية، جعل منها أكبر أدواته التّفسيرية، فوجد فيها المجال رحبا ليصول ويجول مستندا إلى علمه بالعربية وعلمه بالقرآن وقراءاته. لذلك تطالعنا فيه أنماط من التعبير، فمرة يقول « في قراءتنا » أو « وفي قراءتي » وأحيانا يقول « وفي قراءة عبد الله » وفي بعض الأحيان يقول « لو قرئ كذا كان صوابا » أو « لو قرئ كذا لجاز ». وكل هذه القراءات التي يتحدث عنها الفراء إنما تجيزها الصنعة النحوية أو اللّغوية وربما لـم يكن هناك من قرأ بها، فالقراءة عند الفراء سنة متبعة، وليس كل ما يجوز في العربية قرأت به القراء، ولذا يقول الفراء نفسه « والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحن عندك تشنيع مشنع مما لم يقرأه القراء مما يجوز »[2]. لهذا يعلق الفراء عندما يأتي بأوجه في العربية جائزة بقوله: « يجوز من حيث العربية لا من حيث القراءة »[3] وبتعليقات أخرى لها نفس المعنى.

أما القراءة الشاذة فقبولها مشروط بأن تتفق والتّفسير وأن تكون لها وجه في العربية، ففي قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾[الفرقان 18] قال: « القراء مجتمعة على نصـــب النون في نَتَّخِذَهُ إلا أبا جعفر المدني فإنه قرأ: أن نتخذ بضم النون من دونك، فلو لم تكن في الأوليـــاء من كان وجها جديدا، وهو على شذوذه وقلة من قرأ به قد يجوز »[4].

في قوله تعالى : ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾[البقرة 68] فاللون مرفوع لأنك لم تر أن تجعل 'ما' صلة يريد ما زائدة فتقول: بين لنا ما لونها -بالفتح- ولو قرأ به قارئ كان صوابا.[5]

وفي قوله تعالى : ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران 38] قال: « الذرية جمع وقد تكـــون في معنى واحد، فهذا من ذلك... وإنما قيل : 'طيبة' ولم يقل طيبا لأن 'طيبة' أخرجت من لفظ الذرية فأنث لتأنيثها، ولو قيل « ذرية طيبا » كان صوابا، ومثله من كلام العرب قال الشاعر :

أَبُـوكَ خَلِـيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْـرَى ۞ وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ذَاكَ الـكَـمَالُ

فقال أخرى لتأنيث اسم الخليفة والوجه أن تقول: ولده آخر» [6]

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج3 ص46.
(2) معاني القرآن للفراء: ج1 ص41.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص2، 3، ج2 ص165.
(4) المصدر نفسه: ج2 ص264.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص46.
(6) المصدر نفسه: ج1 ص208.

وقد يرفض الفراء أو يقبح القراءة إذا خالفت العربية أو ابتعدت عن الفصيح منها فمن قرأ: ﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَأَتْ ﴾[الحج 5] مهموزة فهي عنده غلط قد تغلطه العرب فتقول: حلأت السويق ولبأت بالحج ورثأت الميت، وهو كما قرأ الحسن﴿ وَلَأَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾[يونس 16] يهمز. وهو مما يرفض من القرآن[1] .

والفراء لا يحبذ الخروج عما أجمع عليه القراء فيقول : « والاجتماع من قراءة القراء أحب ألي»[2] ويفضل القراءة المجمع عليها من غيرها وإن كان لها وجه في العربية لذلك يقول في بعض المواطن : « ولولا كراهية خلاف الآثار والإجتماع لكان وجها جيدا من القراءة »[3].

ولكن في بعض الأحيان قد يكون له رأي فيما أجمع عليه القراء ووجه العربية يجيزه فمثلا قوله تعالى : ﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾[البقرة 226] ما عليه القراء هو التربص إلى أربعة، أي هو جر أربعة، ولو قيل في مثله من الكلام : « تَرَبَّصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كان صوابا ».وحجة الفراء في هذا قياسه على قوله تعالى ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾[البلد 15،14] وجاء بوجه آخر جائز في العربية وهو رفع 'أربعة' قياسا على قولك : 'بيني وبينك سير طويل' 'شهرًا أو شهران' تجعل السير هو الشهر والتربص هو الأربعة»[4] .

ونخلص من هذا أن القراءة قد نالت في كتاب المعاني عناية الفراء، فهو كثيرا ما يلتمس وجها في العربية معتمدا على القياس أحيانا وعلى الشاهد أحيانا أخرى، وإذا ما تعرض لقراءة بالنقد إنما ذلك قياسا على العربية وليس من باب مخالفة القراءة.

إن الجديد في كتاب الفراء، والجدير بالاهتمام التفاته إلى أثر العمل النحوي في التّفسير، إذ لاحظ ما للنحو من قوة في التحليل، وحاول أن يتتبعه، ونراه في ملاحظاته التي أوردها مدركا للترابط الواقع بين لغة العرب، ولغة القرآن ومدركا أيضا الغاية التي عمد إليها القرآن في اصطفائه لهذه اللغة بعينها، وإذ تسترعي انتباهه هذه الظاهرة يحاول أن يضبطها ويقارنها بما عرف عن العرب خدمة للكتاب، وفتحا لمجال البحث في هذا المضمار.

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج2 ص216.
(2) المصدر نفسه: ج3 ص143.
(3) المصدر نفسه: ج2 ص217-218.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص145.

والفراء إذ يحاول أن يقعّد لأصول التّفسير اللّغوي، فإنه يريد الوصول إلى أن للقرآن أداة إجتهادية يفسربها قد يحدث حولها إجماع فيما لم يحدث في غيرها من الأدوات، وهي الأداة اللّغوية التي تربطها بالقرآن علاقة الوعاء بمضمونه، ولقد ظفر الفراء بنتائج ذات بال من وقفاته اللّغوية والنحوية أمام مختلف المباحث القرآنية. وإن ما نجده عند الفراء كعالم لغوي من دراسات تفسيرية هي غاية ما وصلت إله دراسات اللّغويين في عصره. كما أنه خطا بالتّفسير اللّغوي خطوة واسعة ظهرت جلية واضحة في كتب من بعده.

جهود الأخفش الأوسط في التّفسير اللّغوي

هو سعيد بن مسعدة[1] النحوي اللّغوي المفسر، وكنيته : أبو الحسن[2] ولقبه الأخفش المجاشعي[3]، وقد لقبه الجاشعي لأنه كان مولى بني مجاشع من دارم[4]، كما لقب بالبلخي فقد كان من أهل بلخ[5]. ولقب بالأخفش الأوسط تميزا له عن الأخفش الأكبر، أبي الخطاب عبد الحميد[6] أحد شيوخ سيبويه، والأخفش الأصغر، أبي سليمان[7] من تلامذة المبرد، فهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين[8].

وكان الأخفش بصري المذهب، وتلميذ لسيبويه وكان أسن منه[9]، وهو الطريق إلى كتاب سيبويه البصري[10]. إذ أن الأخفش هو الذي حمل « الكتاب » لسيبويه للناس بعد وفاة مؤلفه، وهو أعلم الناس به « وأحفظ من أخذ عن سيبويه كما قال المبرد »[11]، قال الأخفش: « ما وضع سيبويه في كتابه شيئا، إلا وعرضه علي، وكان يرى أنه أعلم به مني، وأنا اليوم أعلم به منه »[12].

ولم يجد سيبويه من هو أقدر من الأخفش يوجهه ليتأثر من الكسائي عقب المناظرة المشهورة التي تمت بينهما[13]، وسميت بالمسألة الزنبورية[14] والتي أخفق فيها سيبويه إخفاقا اختلقه الكوفيون، إذ لم يكن إخفاقا علميا وقد أحسن الأخفش في التأثر لأستاذه سيبويه[15].

---

(1) انباه الرواة : ج2 ص36. الفهرست لابن نديم: ص75.
(2) إنباه الرواة : ج2 ص36.
(3) الفهرست لابن نديم: ص75.
(4) بغية الوعاة : ج1 ص590. معجم الأدباء: ج3 ص382. الفهرست لابن نديم: ص75.
(5) بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص590.
(6) مراتب النحويين واللّغويين: ص72-73.
(7) بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص590. مراتب النحويين واللّغويين: ص72-73.
(8) بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص590.
(9) إنباه الرواة: ج2 ص40. معجم الأدباء: ج3 ص383. الفهرست لابن نديم:ص75. بغية الوعاة: ج1 ص590.
(10) إنباه الرواة : ج2 ص39. معجم الأدباء: ج3 ص383.
(11) معجم الأدباء: ج3 ص385.
(12) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج2 ص381. إنباه الرواة: ج2 ص39. معجم الأدباء: ج3 ص384.
(13) انباه الرواة : ج2 ص37.
(14) انظر مجالس العلماء ص9 . الإنصاف في مسائل الخلاف: ص702. الأشباه والنظائر في النحو : ج3 ص29.
(15) راجع بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص590.

ومن جانب آخر اعتبر أصحاب التراجم الكسائي والفراء ضمن تلامذة الأخفش، وذلك أن الكسائي درس على الأخفش الكتاب لسيبويه وعوّل على « معاني القرآن » للأخفش فألف الكسائي كتابه على طريقته، كما أن الفراء قد عوّل على كتابيهما في المعاني فألف كتابه كما ذكر ذلك الأخفش، إذ يقول : « جاءنا الكسائي إلى البصرة فسألني أن أقرأ عليه كتاب سيبويه ففعلت، فوجه إلي خمسين دينارا »[1] ويقول فيما أورده السيوطي في البغية : « فلما اتصلت الأيام سألني الكسائي أن أؤلف له كتابا في المعاني فجعله أمامه وعمل عليه كتابا في المعاني، وعمل الفراء كتابا في ذلك عليهما »[2].

ولقد بلغ الأخفش لدى الكوفيين منزلة عالية بما أفاض عليهم من علمه بالكتاب لسيبويه. يقول الكسائي عنه فيما أخبر به الفراء:« لم يكن في القوم يعني البصريين أعلم من الأخفش نبههم على عوار الكتاب وتكرهم »[3] يعني كتاب سيبويه.

كما تأثر الفراء بالأخفش تأثرا بالغا ، فقد كان يكرمه ويقدمه، وحينما امتدحه سعيد بن سالم بقوله لأصحابه: « لقد جاء سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ».فقال الفراء: « أما ما دام الأخفش يعيش فلا »[4] ويقول أبو العباس ثعلب عن الأخفش: « كان أوسع الناس علما وله كتب كثيرة في العروض والنحو والقوافي »[5].

وذكر له السيوطي من هذه الكتب « الأوسط في النحو، معاني القرآن، المقاييس في النحو، الاشتقاق، المسائل الكبير والصغير، العروض، القوافي، الأصوات وغير ذلك »[6]. ولعل أعظم كتبه وأعلاها شأنا في الدراسات اللغوية القرآنية كتابه « معاني القرآن » ولهذا الكتاب صيت كبير وشهرة واسعة في حياة المؤلف وبعد موته، أفاد منه تلميذه الزجاج، وأورد بعض آراء لشيخه في كتابه « معاني القرآن وإعرابه »، كما عول عليه الطبري كثيرا من جملة ما عول عليه من كتب في تفسيره المشهور، واتصل أبو علي الفارسي بكتب الأخفش ونقل منها[7]، أما ابن جني فلا أحد أعجب بالأخفش منه حيث نقل كثيرا من كتبه وأخذ بآرائه وطرح كتابه القوافي في كتاب سماه « المعرب »[8] كما جعل كتابه الخصائص صدى لكتاب الأخفش « المقاييس »[9].

---

(1) انباه الرواة : ج2 ص40.
(2) بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص590.
(3) مراتب النحويين واللغويين: ص111 و112.
(4) معجم الأدباء: ج3 ص384. وفيات الأعيان: ج2 ص381.
(5) انباه الرواة: ج2 ص40. معجم الأدباء: ج3 ص385.
(6) بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص590. معجم الأدباء: ج3 ص385.
(7) مع الأخفش الأوسط في معاني القرآن، قضايا نحوية بينه وبين الكوفيين. جمال عبد المعطي محيمر. ط:1. القاهرة: مط أبناء وهبة حسان، (1410هـ-1989م). ص14.
(8) مع الأخفش الأوسط في معاني القرآن: ص89.
(9) راجع مقدمة الخصائص لابن جني: ج1 ص2.

بين معاني الفراء ومعاني الأخفش

وإن كان كتاب الكسائي في « معاني القرآن » لم يصل إلينا فإن كتاب معاني القرآن للفـــراء الذي عمله على كتابي الأخفش والكسائي بين أيدينا، وهو على منهج ومنوال الأخفش في معاني القرآن وليس على منهج آخر. وهذا ما يفسر لنا سر التناظر الموجود في كتابي الأخفش والفراء في معـــاني القرآن فيما يزيد على ثمانين موضع[1]. وقد جاء هذا التماثل على وجهين، الأول في التّفسير اللّغـوي، والثاني في التوجيه الإعرابي، فمن مواضع التماثل في التّفسير اللّغوي ما يلي:

1- قال الأخفش : « وقوله 'فَمَا فَوْقَهَا'[2] قال بعضهم 'أعظم منها' كمـــا تقـــول: 'فـــلان صغـــير'، فيقول: 'وفوق ذلك' يريد: 'وأصغر من ذلك' »[3].

ويقول الفراء: في الموضع نفسه : « ... فأنزل الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فالذي 'فوقها' يريد: أكبر منها، وهو العنكبوت والذباب، ولو جعلت في مثله من الكلام 'فمـــا فوقها' تريد أصغر منها لجاز ذلك ولست أستحسنه، لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر، فأحب إلـــي أن أجعل 'ما فوقها' أكبر منها »[4].

2- قال الأخفش : « وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة 27] فإنما يقول: كنتم ترابا ونطفا، فذلك ميت وهو سائغ في كلام العرب »[5].

ويقول الفراء ص25 في الموضع نفسه: « وقوله ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ يعني نطفـــا وكل ما فارق الجسد من شعر أو نطفة فهو ميتة والله أعلم »[6].

3- قال الأخفش: « أما قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ [البقرة 28] وهو إنمـــا ذكـــر 'سـماء' واحدة، فهذا لأن ذكر السماء قد دل عليهن كلهن، وقد زعم بعض المفسرين أن 'السماء' جميع مثـــل 'اللبن' فما كان لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجماعة جاز أن يجمع، فقال: 'سواهن' »[7].

---

(1) ذكره محقق معاني القرآن. أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط. ت: الدكتور عبد الأمير محمد أميـــن الورد. ط:1. بيروت: مط عالم الكتب، (1405هـــ-1985م). ج1 ص89.

(2) من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة 26].

(3) معاني القرآن للأخفش تحقيق الدكتور عبد الامير محمد: ج1 ص215.

(4) معاني القرآن للفراء: ج1 ص20،21.

(5) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص61.

(6) معاني القرآن للفراء: ج1 ص25.

(7) معاني القرآن للأخفش تحقيق هدى محمود: ج1 ص61، 62. قال ابن الشجري في أماليه ج3 ص94: « ويـدل على أن السماء جمع إعادة ضمير الجمع إليها في قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾».

ويقول الفراء في الآية نفسها: « فأما قوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ فإن السماء في معنى أجمَع، فقال: 'فسواهن' للمعنى المعروف أنهن سبع سموات وكذلك الأرض يقع عليها، وهي واحدة الجمع ويقع عليها التوحيد وهما مجموعتان قال الله عز وجل ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الصافات 5]، ثم قال: « وما بينهما » ولم يقل 'بينهن' فهذا دليل على ما قلت لك »[1]

ومن مواضع التماثل في التوجيه النحوي الإعرابي نذكر ما يلي :

1- قال الأخفش:« ... والواجب يكون آخره على اوله نحو قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج 61] فالمعنى: اسمعوا أنزل الله من السماء ماء فهذا خير واجب و'ألم تر' تنبيه »[2] .

ويقول الفراء في الموضع نفسه:« وقوله ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ رفعت 'فتصبح' لأن المعنى في 'ألم تر' معناه خبر كأنك قلت في الكلام: أعلم أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض »[3]

2- قال الأخفش في معرض حديثه عن 'أن' النافية، وقال :﴿ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء 52] فهي مكسورة أبدا إذا كانت في معنى 'ما' وكذلك ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ [الأحقاف 26] فـ'إن' بمنزلة 'ما' و'ما' التي قبلها بمنزلة 'الذي' »[4]

ويقول الفراء في الموضع نفسه: « وقوله ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ﴾ يقول: في الذي لم نمكنكم فيه، و'إن' بمنزلة 'ما' في الجحد »[5]

هذه بعض النماذج تظهر مدى الإلتقاء الفكري بين الأخفش والفراء، وقد يكون الفراء قد أخذ هذا من علم الأخفش.

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج1 ص25.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص72. وإلى هذا ذهب ابن الشجري في أماليه: ج2 ص184.
(3) معاني القرآن للفراء: ج2 ص229.
(4) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص119.
(5) معاني القرآن للفراء: ج3 ص56.

صور التماثل بين مجاز أبي عبيدة ومعاني الأخفش

كما وقع تشابه كبير بين مجاز أبي عبيدة ومعاني الأخفش حتى بلغ حد القول في معاني الأخفش أنه نسخة مغيرة من كتاب أبي عبيدة. يقول أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني: « كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن، فأسقط منه شيئا وزاد شيئا، قال أبو حاتم، فقلت له : أي شيء هذا الذي تصنع ؟ من أعرف بالغريب أنت أم أبو عبيدة؟ فقال: أبو عبيدة. فقلت: هذا الذي تصنع ليس بشيء، فقال: الكتاب لمن أصلحه وليس لمن أفسده. قال أبو حاتم: فلم يلتفت إلى كتابه وصار مطروحا »[1]

وإذا كانت الموازنة والبحث تثبت صورا من التشابه والتماثل بين الكتابين فإن مقدار ما أفاده من جاء بعد الأخفش من كتابه أو أثناء حياته ينفي مقولة عدم الالتفات إليه كما سيتضح ذلك من خلال الدراسة المقبلة. ونحب الإشارة هنا إلى بعض ذلك التماثل بين كتابي أبي عبيدة والأخفش فيما أفاده الثاني من الأول، والذي دفع أبا حاتم السجستاني إلى التهجم على الأخفش.

أ- التماثل في التّفسير :

ويتضح من أمثلة كثيرة منها:

1- قال أبو عبيدة : ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾[القصص 76] أي: مفاتيح خزائنه. ومجازه: ما إن العصبة ذوي القوة لتنوء بمفاتيح نعمه، ويقال في الكلام: « إنما لتنوء بها عجيزتها » وإنما هي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله، والعرب قد تفعل مثل هذا. وقال خداش بن زهير:

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ۞ وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَيَاطِرَةِ الحُمْرِ

الخيل هاهنا الرجال، وإنما تشقى الضياطرة بالرماح[2].

وقال الأخفش: « قال الله عز وجل: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح. قال :

تَنُوءُ بِهَا فَتُثْقِلُهَا ۞ عَجِيزَتَهَا....

يريد 'تنوء بعجيزتها' أي لا تقوم إلا جهدا بعد جهد... ومثل ذلك قول الشاعر:

وَتَلْحَقُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ۞ وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَيَاطِرَةِ الحُمْرِ

و'الضياطرة' هم يشقون بالرماح[3].

---

(1) طبقات النحويين: ص73. وأورد القصة صاحب الباه الرواة: ج2 ص37، 38. بلفظ مقارب.
(2) مجاز القرآن : ج2 ص110.
(3) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص141. تحقيق هدى محمود.

2- قال أبو عبيدة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة 30] أسماء الخلق ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ أي عرض الخلق[1].

وقال الأخفش : وقوله ﴿الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ [البقرة 30] فيريد: عرض عليهم أصحاب الأسماء[2] .

3- قال أبو عبيدة : 'السلم'[3]: الإسلام[4]

وقال الأخفش : ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة 205] و 'السلم' الإسلام[5]

وغير هذه المواضع كثير مما تشابهت تفسيرات الرجلين.

ب- التماثل في التفسير اللغوي والنحوي

1- قال أبو عبيدة: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾[هود 116] مجازه: فهلا كان من القرون الذين من قبلكم ذووا بقية» أي: 'يبقون' و ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود 116] منصوب لأنه استثناء من هؤلاء القرون وهم 'ممن أنجينا'[6] وقال أيضا: ﴿لَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾[يونس 98] مجازه: « فهلا كانت قرية إذا رأت بأسنا آمنت فكانت مثل قوم يونس ». ثم استثنى منهم فقال: « إلا أن قوم يونس لما رأو العذاب أمنوا فنفعهم إيمانهم »[7]

وقال الأخفش: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ﴾[هود 116] يقول: « فهلا كل منهم من ينهى » ثم قال: « ولكن قليل منهم من ينهى » ثم قال:«ولكن قليل منهم قد نَهَوْا ». فلما جاء مستثنى خارجا من الأول انتصب، ومثله ﴿لَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾[يونس 98] يقول: « فهلا كانت » ثم قال: « ولكنْ قومَ يُونُسَ » فـ 'إلا' تجيء في معنى 'لكن' وإذا عرفت أنها في معنى 'لكن' فينبغي أن تعرف خروجها من أوله »[8]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص36.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص63. تحقيق هدى محمود.
(3) من قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة 205].
(4) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص71.
(5) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص208. تحقيق هدى محمود.
(6) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص300.
(7) المصدر نفسه: ج1 ص281.
(8) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص123. تحقيق هدى محمود.

2- قال أبو عبيدة : ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[المؤمنون 20] مجازه: تنبت الدّهنَ . والباء من حروف الزوائد[1]

قال الأخفش: « والباء زائدة نحو زيادتها في قوله «تُنبِتُ الدُّهْنَ» وإنما هي: « تُنْبِتُ الدُّهْنَ » »[2]

3- قال أبو عبيدة:﴿ فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ [طه 86-87] مجازه أنه لا يرجع إليهم قولا[3]

وقال أيضا: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة 73] فـ'تكون' مرفوعة على ضمير الهاء كأنه قال:«أنه لا تكون فتنة »[4].

وقال الأخفش وكان يتكلم على 'أن'« وتكون خفيفة في معنى الثقيلة في مثل قوله ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[يونس 10] و«أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ »[النور 7] على قولك: «أنه لعنة الله عليه» و«أنه الحمد لله» وهذه بمنزلة قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[طه 86-87] و﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[المائدة 73][5]!

أثر القضايا اللّغوية في التّفسير اللّغوي عند الأخفش

1 - كلام العرب: يعد كلام العرب في كتاب المعاني للأخفش أساسا مهما من أسس تفسيره اللّغوي، لأنه الكلام الذي يعتمد عليه في معرفة القصد من سائر النصوص اللّغوية. وإذا كان القرآن الكريم من كلام العرب فإن معرفة لغته وصرفه ونحوه وبلاغته لا تتم إلا بالرجوع إلى كلام العرب، ومعرفة خصائصه ومناهجه في التأليف والتعبير.

لذلك اختص الأخفش في كل جوانب اللغة، وأحاط بها علما وممارسة مما مكّنه من خوض غمار التّفسير بهذه الأدوات، مسجلا أروع المباحث في الدراسة التّفسيرية اللّغوية للقرآن الكريم.

ولقد كان السماع من العرب عنصرا مهما لدى دراسي القرآن والعلوم اللّغوية، لذلك عرف عن أهل العربية الرحلة إلى البادية ليشافهوا الأعراب، وكان ذلك دأب الأخفش الذي جعل من السماع أهم عنصر مادته العلمية، إذ يورد في عدد من المواطن في تفسيره النصوص المشيرة إلى ذلك إشارة واضحة. مثال ذلك:

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج2 ص56. انظر البيان في إعراب القرآن للعكبري: ج2 ص952.
(2) معاني القرآن للأخفش:ج1 ص172. تحقيق هدى محمود. وإلى هذا ذهب ابن مالك في شرح التسهيل:ج3 ص154.
(3) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج2 ص24.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص174.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص122.

- « ألا إني قد سمعت 'إسراءل' »[1].

- « وسمعت العرب الفصحاء يقولون « أرْسَلَ إبِلَهُ أبَابِيلَ » يريد: 'جماعات' فلمْ يُتَكلَّم لها بِوَاحِدٍ »[2].

- « وزعم بعضهم أن قوله﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾[المزمل 16] جمع مذكر كـ'اللّبن' ولم نسمع هذا من العرب»[3].

- «وقال : ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[الأنعام 25] فبعضهم يزعم أن واحدة 'أُسْطُورَةٌ'[4] وبعضهم قال 'أُسْطَارَةٌ' ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد نحو 'عَبَابِيدَ' و'مَذَاكِيرَ' و'أَبَابِيلَ'...ولم أجد العرب تعرف له واحدًا»[5]

ولقد أفاد الأخفش في كتابه من لغات العرب كثير من الموضوعات التي تتناولها علوم العربية بالدراسة ويمكن تصنيف ذلك في الأبواب الآتية :

أ- المذكر المؤنث : مثال ذلك من كتابه قوله:

- « قال: و'الصُّوَاع' [يوسف 73] مذكر، ومنهم من يؤنث الصُّوَاع »[6]

- وقال : « وقد تذكر 'الأنعام' وتؤنث. وقد قال في موضع ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[النحل 16] وقال في موضع آخر 'بُطُونِهَا'[المؤمنون 21] »[7]

- قال: « بعضهم يقول: « هي الإنجيل » وبعضهم يقول: « هو الإنجيل »[8]

ب- أحكام الهمزة : اختلف الناطقون العرب من الهمزة، وذلك لكونها صوتا شديدا، وقد تطرق الأخفش لأحوالها في كتابه، ورأى أن من العرب من يقلبها إلى صوت آخر قريب منها فيبدلها هاء

---

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص80. تحقيق هدى محمود.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص296.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص62.
(4) انظر أساس البلاغة للزمخشري: ص210.
(5) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص296. تحقيق هدى محمود.
(6) المصدر نفسه: ج1 ص399. تحقيق هدى محمود. قال الأنباري: « قال قوم هو بذكر وبؤنث وهو مذهب الزجاج كما في اللسان 'صوع' واحتجوا في التذكير بقوله تعالى ذكره: ﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [يوسف 12] واحتجوا في التأنيث بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ وقال أبو عبيدة: أنا لا أرى التذكير والتأنيث اجتمعتا لأنه سُمِيَّ باسمين: أحدهما مذكر، والآخر مؤنث، فالمذكر الصّواع، والمؤنث السقاية. قال ومثل ذلك الخوان والمائدة وسلان الرمح وعاليته». المذكر والمؤنث. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري. ت: طارق الخانجي. ط:2. بيروت: دار الرائد العربي، (1406هـ-1986م). ج1 ص440.
(7) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص513. تحقيق هدى محمود. وهو قول يونس وأبي الحسن الأخفش، ذكر الأنباري أن السجستاني أنكر عليهما قولهما الأنعام تذكر وتؤنث، وردد السجستاني قوله: « تذكير الأنعام يعرف في الكلام ولكن إن ذهب إلى النّعم، فجائز، كما قال تعالى: ﴿مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة 47] على معنى: أحدٍ، لأنه في معنى الجمع ».
(8) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص282. تحقيق هدى محمود.

فيقول في «إياك» «هياك» وعلى ذلك جاءت قراءة من قرأ[1] و«هيَّاكَ نَعْبُدُ»[الفاتحة 5][2] وهناك طائفة من العرب يقلبها ياء في 'إسرائيل' و'جبرائيل'[3] فتقول: 'إسرايِيل' و'جبراييل'[4]. وفي 'توظأ' فيقول 'توضيت'[5] وفي 'أرجأ' فيقول: 'أرجيت' وعلى هذا جاءت قراءة ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب 51][6] وإذا جاءت همزة الاستفهام مع همزة 'أل' التعريف خفف الثانية قوم فتحولت ألفا فقالوا: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[يونس 59] و﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾[النمل 61] و﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس 91][7]

جـ- الصرف: كما وظف الأخفش في تفسيره كثيرا من الجوانب الصرفية التي استفادها من لغات العرب المختلفة لضبط المفردة القرآنية منها :

- ورود الفاء المكسورة في الجمع مكسورة ومضمومة في جمع الجمع. فيقال في 'الجِمَالِ': 'جِمَالاَتٍ'[8] و'جُمَالاَتٍ' وليس يعرف هذا الوجه[9].
- فتح العين في جمع 'فعله' بالألف والتاء أو اتباع حركة الفاء في الوصف والاسم. فمن ذلك: ظلمة: ظُلَمَات وظُلُمَات[10]. وغرفة : غُرَفَات وغُرُفَات[11].
- وورد الوصف بسكون العين وكسرها من 'نَحْس' فيقال : 'نَحْسَ' و'نَحْسَات' و'نَحِسَ' و'نَحِسَات'[12].

---

(1) جاء في البحر ج1 ص23:«بإبدال الهمزة المكسورة هاء وبإبدال الهمزة المفتوحة هاء وبذلك قرأ ابن السوار الغنوي».

(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص18. تحقيق هدى محمود.

(3) قال القرطبي في تفسيره ج1 ص281: « وفيه سبع لغات 'إسرائيل' وهي لغة القرآن و'إسرائيل' بمدة مهموزة مختلسة حكاها سلبوذ عن ورش، و'إسراييل' بمدة بعد الياء من غير همز وهي همز وهي قراءة الأعمش وعيسى بن محمد وقرأ الحسن والزهري بغير همز ولا مد و'إسرائل' بغير ياء بهمزة مكسورة و'إسراءل' بهمزة مفتوحة ».

(4) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص145، 146.

(5) المصدر نفسه: ج1 ص335.

(6) المصدر نفسه: ج1 ص335.

(7) المصدر نفسه: ج1 ص7.

(8) جاءت في قوله تعالى:﴿ **كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**﴾[المرسلات 33].

(9) معاني القرآن للأخفش: ج2 ص563. و'جمالات' بالألف قراءة بن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: 'جَمَلَتٌ' بغير ألف. ذكر هذا ابن مجاهد في السبعة ص666.

(10) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص181. تحقيق هدى محمود.

(11) المصدر نفسه: ج1 ص181.

(12) المصدر نفسه: ج1 ص506. جاء في البحر ج7 ص490: « قرأ الحرميان وابو عمرو والنخعي وعيسى والأعرج 'لَحْسَاتٌ' بسكون الحاء...وقرأ قتادة وأبو رجاء والجعدي وشيبة وأبو جعفر والأعمش وباقي السبعة بكسر الحاء ».

- ورود اللام في اسم الفعل 'أفّ'[1] مكسورة، ومكسورة منونة ومكسورة بعدها ياء مفتوحة منونة فيقال: « أُفّ، أُفٍّ، أُفّي، أُفّ، أُفّا»[2].

د- الأصوات اللّغوية: يحاول الأخفش التطرق إلى الأصوات اللّغوية وهو يتناول عدد من الآيات الكريمة، فيصف مخارجها تقاربا وتباعدا، وجهرا وهمسا، وإطباقا وانفتاحا. ومثل تلك الأصوات كقوله:

- « وقال ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾[النمل 47] فأدغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها »[3].

- وقال ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾[المطففين 36] إن شئت أدغمت. وإن شئت لم تدغم لأن اللام مخرجها بطرف اللسان، قريب من أصول الثنايا، والثاء بطرف اللسان وأطراف الثنايا، إلا أن اللام بالشق الأيمن أدخل في الفم، وهي قريبة المخرج منها. ولذلك قيل ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾[الأعلى 16] فأدغمت اللام في التاء لأن مخرج التاء والثاء قريب من مخرج اللام »[4].

- كسر الواو في قراءة ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ﴾[البقرة 15].

- حذف الياءات في رؤوس الآي في الوقف وإثباتها في الوصل في نحو ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[ص 8] ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[البقرة 40] وحذفها في الوقف والوصل في لغة أخرى للكتاب[5].

2 – الشاهد الشعري في تفسير معاني الأخفش

يمثل الشاهد من الشعر[6] في معاني القرآن ركنا مهما من أركان التّفسير اللّغوي عند الأخفش، وهو كغيره من المفسرين يلجأ إلى هذا المعين اللّغوي ليساند به رأيه، إما في تفسيراته للألفاظ الغريبة أو في تفسيراته النحوية للآيات الكريمة، وإن كان قد اختص في الجانب الثاني أكثر من الأول. ومثال ذلك في تفسيره:

---

(1) جاءت لفظة أف في: الإسراء: 23، والأنبياء: 67، الأحقاف: 17.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج2 ص421 و422. قال ابن مجاهد في السبعة ص379: « واختلفوا في فتح الفاء وكسرها والتنوين من قوله : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ فقرأ ابن كثير وابن عامر 'أفٌّ' بفتح الفاء. وقرأ نافع 'أف' بالتنوين وكذلك في الأنبياء والأحقاف، وحفص عن عاصم مثله. وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي 'أفٍّ' حفظا بغير تنوين ».
(3) معاني القرآن للأخفش: ج2 ص466.
(4) المصدر نفسه: ج2 ص573.
(5) المصدر نفسه: ج2 ص78.
(6) يكثر الأخفش من الشاهد الشعري، فقد روى لديه سبعة عشر وثلاثمائة شاهد.

- قوله تعالى : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[البقرة 196] فالوجه النصب لأن هذا نفي ولأنه نكرة. وقد قال قوم[1] « فَلاَ رَفَثٌ وَلاَ فُسُوقٌ وَلاَ جِدَالُ فِي الحَجِّ » فرفعوه كله[2]،وذلك أنه قد يكون هذا المنصوب كله مرفوعا في بعض كلام العرب. قال الشاعر[3] :

وَمَا صَرَمَتْكِ حَتَّى قُلْتِ مُعْلِنَةً ۞ لاَ نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلاَ جَمَلُ[4]

- ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[البقرة 16] يقول الأخفش: فهو في معنى 'أوقد' مثل قوله 'فلم يستجبه' أي 'فلم يجبه' وقال الشاعر[5]:

وَدَاعٍ دَعَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ۞ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أي : « فَلَمْ يُجِبْهُ »[6]

- قال تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾[النساء 4] يقول الأخفش: « فقد يجزئ الواحد من الجماعة لأنه إنما أراد 'الهَوَى' و'الهوى' يكون جماعة. قال الشاعر[7]:

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا ۞ فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[8]

- وأما قوله: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[البقرة 69]. يقول الأخفش: « وقد قال بعضهم 'إِنَّ البَاقِرَ'[9] مثل 'الجَامِلَ' يعني 'البَقَرَ' و'الجِمَالَ' قال الشاعر :

مَالِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا ۞ خَلَقًا كَحَوْضِ البَاقِرِ المُتَهَدِّمِ

وقال[10] :

فَإِنْ تَكُ ذَا شَاءٍ كَثِيرٍ فَإِنَّهُمْ ۞ ذَوُو جَامِلٍ لاَ يَهْدَأُ اللَّيْلَ سَامِرُهُ[11]

---

(1) هي قراءة ابن كثير وأبو عمرو، أما قراءة ﴿فلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ﴾ فهي قراءة الباقون. أنظر السبعة لابن مجاهد: ص180.

(2) وذكر ابن الحاجب وجوه الرفع هنا، فقال« ووجهه أحد أمرين: إما أن يقال: المعطوف والمعطوف عليه صورة إذا بني جميعا كانا كالشيء الواحد، فكره بناء أشياء متعددات، فعدل إلى الأصل وهو الرفع. وإما أن يقال : هو واجب لمن سأل عن شيئين أو أثبت الحكم لشيئين فقال: في الدار رجل وامرأة فأجيب بقوله: لا رجل في الدار ولا امرأة، ليكون الجواب مطابقا للسؤال ».كتاب أمالي ابن الحاجب: ج1 ص421.

(3) هو الراعي النميري. محققة معاني القرآن للأخفش: ج1 ص25.

(4) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص25. تحقيق هدى محمود.

(5) هو سعيد بن كعب الغلوي. محققة معاني القرآن الأخفش: ج1 ص53.

(6) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص53. تحقيق هدى محمود.

(7) هو علقمة بن عبيدة. محققة معاني القرآن الأخفش: ج1 ص245.

(8) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص245. تحقيق هدى محمود.

(9) وهي قراءة عكرمة ويحي بن يعمر . أنظر البحر ج1 ص253.

(10) هو الحطيئة. محققة معاني القرآن للأخفش: ج1 ص113.

(11) المصدر نفسه: ج1 ص113.

– وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة 173]، قال الأخفش:« إنما هي 'الميّتَة' خففت وكذلك قوله: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[الفرقان 49] يريد به 'مَيْتًا' ولكن يخففون الياء كما يقولون في 'هَيْن' و'لَيْن': 'هَيْن' و'لَيْن' خفيفة. قال الشاعر[1]:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ۞ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

فثقل وخفف في معنى واحد. فأما 'الميتة' فهي الموت »[2].

3- العامل النحوي في تفسير الأخفش

إن كتاب «معاني القرآن» لأبي الحسن الأخفش الأوسط يعد مصدرا أصيلا من مصادر التّفسير النحوي، تمثلت فيه أراؤه النحوية التي كثيرا ما يوجه بها النص القرآني توجيها يتلاءم والمعنى الرفيع الذي أراده الله جل شأنه من كلامه، كما يتلاءم مع التخريجات النحوية للكلام العربي التي كثير ماجتهد اللّغويين في ضبطها لإحكام العبارة. وقد يقال هنا ما قيل عند الحديث عن نحو الفراء، بأن الأخفش ما أراد من كتابه القرآني هذا جعله كتابا نحويا خالصا، يورد فيه ما وصلت إليه بحوثه النحوية من نتائج لتقيد القواعد وضبط أسس الكلام. وإنما أراد الأخفش إبراز الدرس النحوي في القرآن الكريم، وجعل الأدوات النحوية التي توصل إليها اللّغويين النحاة على رأس عوامل فهم النص وضبط شكله ومعناه. أو بالأحرى تفسير النص لغويا ونحويا وتسهيل عملية تناوله في الميادين العملية الأخرى. وفيما يلي بعض هذه القضايا النحوية التي نص عليها الأخفش في « معاني القرآن »:

– استعمال 'أو' بمعنى الواو ولمطلق الجمع: نص على ذلك الأخفش في عدة مواضع كقوله : « وأما قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[الإنسان 24] فقد نهاه من الإثم والكفور جميعا، وقد قال بعض الفقهاء: إن 'أو' تكون بمنزلة الواو. وقال[3] :

يُهِينُونَ مَنْ حَقَّرُوا شَيْئَهُ ۞ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ يَفِي أَوْ يَبَرّْ

يقول: يفي ويبر

وكذلك هي عندهم هاهنا، وإنما هي بمنزلة: كل الخبز أو اللحم أو التمر، إذا رخصت له في هذا النحو، فلو أكل كله أو واحدا منه لم يعص »[4]. وقد جعل ابن الشجري 'أو' بهذا المعنى

---

(1) هو عدي بن الرعلاء. محققة معاني القرآن للأخفش: ج1 ص166.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص166. تحقيق هدى محمود.
(3) هو النمر بن تولب. محققة معاني القرآن للأخفش: ج1 ص34.
(4) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص32. انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج2 ص1261.

للإباحة، كقول الرجل تعلم الفقه أو النحو، وفصلها عن 'أو' التي تكون بمعنى التخيير بين الشيئين[1]! والفرق بين التخيير والإباحة: أنك إذا قلت: جالس فقيها أو نحويا فجالسهما أو جالس أحدهما، لم يكن عاصيا، وإذا قلت له: كم سمكا أو اشرب لبنا، فجمعهما كان عاصيًا.

- عمل 'لات' عمل 'إن' المؤكدة: يقول الأخفش:« وقال: ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[ص 2] فشبهوا 'لات' بـ'أن' وأضمروا فيها اسم الفاعل، ولا تكون 'لات' إلا مع حين. ورفع بعضهم:« وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»[2] فجعله في قوله مثل 'ليس' كأنه قال: ليس أحدٌ، وأضمر الخبر، وفي الشعر :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ ۞ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ[3]

فجر 'أوانِ' وحذف وأضمر الحين، وأضافه إلى 'أوان'، لأن 'لات' لا تكون إلا مع حين[4].

- ويعدّ الأخفش أن التعليل من معاني 'لعل' في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[طه 44] يقول: « قال 'لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ' نحو قول الرجل لصاحبه: أفرغ لعلنا نتغذى، والمعنى: لنتغذى، وحتى نتغذى، ويقول الرجل: أعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، أي: لتأخذه »[5]. وهذا وجه من الوجوه الثلاثة التي علل بها النحاة عمل 'لعل' في القرآن الكريم، حيث جعلوا الوجه الأول[6] يقوم على شك المخاطبين، فكأنه قيل: افعلوا ذلك على الرجاء منكم، والطمع أن يتذكر، إلى هذا ذهب سيبويه في تفسيره لهذه الآية، قال: معناه أذهبا على طمعكما ورجائكما أن يتذكر أو يخشى. والوجه الثاني أن يكون 'لعل' التعرض للشيء كأنه قيل:اجعلوا ذلك متعرضين لأن تذكروا.

- وجوز الأخفش دخول 'إن' و 'إذا' الشرطيتين على الجملة الاسمية، يقول في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾[النساء 127] فجعل 'إن' على الاسم لأنها أشد حروف الجزاء تمكنا، وإنما حسن هذا فيها إذا لم يكن لفظ 'ما' وقعت عليه جزما. نحو قولك:[7]

عَاوِدْ هَرَاةَ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبَا .....[8]

وهذا لا يجوز عند البصريين لأن 'إن' الشرطية لا تدخل على الأسماء.

---

(1) أمالي ابن الشجري: ج1 ص70.
(2) هي قراءة أبي السمال. والنصب قراءة الجمهور. البحر المحيط: ج7 ص383 و384. انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ج2 ص1096.
(3) هو أبو زبيد الطائي. محققة معاني القرآن للأخفش: ج2 ص492.
(4) المصدر نفسه: ج2 ص453-454.
(5) المصدر نفسه: ج2 ص207.
(6) انظر أمالي ابن الشجري: ج1 ص76، 77.
(7) هو شاعر من أهل هراة.
(8) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص246. قال العكبري: « قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ امرأة مرفوع بفعل محذوف أي وإن خافت امرأة واستغنى عنه بخافت المذكور. وقال الكوفيون: هو مبتدأ وما بعده الخبر. وهذا عندنا خطأ لأن حرف الشرط لا معنى له في الاسم فهو مناقض للفعل ». التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج1 ص395.

– ونص الأخفش على جواز وقوع الماضي حالا دون أن يقترب بـ'قد' في مثل قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ ﴾[النساء 89] أو « حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ »[1]، فـ'حصرة' اسم نصبته على الحال و'حَصِرَتْ': فَعِلَتْ وبها نقرأ »[2]. ويبدو أن الأخفش جوز ذلك مع التقدير، لأن الماضي لا يقع في موضع الحال إلا معه 'قد' ظاهرة أو مقدرة، فالظاهرة كقولك: جاء زيد وقد أعيا، أي: مُعْيِيًا. والمقدرة في الآية المذكورة. ويدل على ذلك كما ذكره الأخفش قراءة الحسن ويعقوب الحضرمي:« حَصِرَةً صُدُورُهُمْ » وقيل : إن الحال هاهنا محذوفة، و« حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ » صفتها، والتقدير: جاءوكم قوما حصرت صدورهم، وهو قول الأخفش أيضا في كتابه « مسائل الكبير »[3] أما في معانيه فلم يزد على ما ذكرتُه شيئًا.

– كما نص الأخفش على ورود الواو العاطفة زائدة وهو قول الكوفيين والبصريين[4] . يقول الأخفش: « ...وقد فسر الحسن ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾[الزمر 68] على حذف الواو، وقال: « معناها : قال لهم خزنتها، فالواو في هذا زائدة، قال الشاعر[5] :

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ ۞ إِلاَّ كَلَمَّةِ حَالِمٍ بِخَيَالِ

وقوله[6] :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلاَّ حِينَهُ ۞ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

كأنه زاد 'الواو' أو جعل خبره مضمرا، ونحو هذا مما خبره مضمر كثير »[7].

– وتطرق الأخفش إلى زيادة 'من' في الإيجاب. يقول: « جعل خبر ﴿ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾[آل عمران 80][8] « لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ». مثل: « ما لعبد الله والله لتأتينه » وإن شئت جعلت خبر 'ما' 'من كتاب' تريد : لما آتيتكم كتاب وحكمة، وتكون 'من' زائدة »[9].

---

(1) 'حصرت' قراءة الجمهور، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب 'حصرة' البحر المحيط: ج3 ص317.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص263. تحقيق هدى محمود. وذكر العكبري هذا الوجه في تأويله للآية. الظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج1 ص379.
(3) ذكره محقق ابن الشجري الدكتور محمود محمد الطناحي: ج2 ص146.
(4) راجع معاني القرآن للفراء: ج1 ص107، 108، 238. ومجالس ثعلب: ص59. والإنصاف: ص456.
(5) هو تميم بن مقبل. محققة معاني القرآن للأخفش: ج1 ص132.
(6) هو عامر بن الحليس. محققة المعاني ج1 ص132.
(7) معاني القرآن: ج1 ص132. تحقيق هدى محمود. قال العكبري في التبيان: ج2 ص1114:« والواو زائدة عند قوم لأن الكلام جواب حتى، وليست زائدة عند المحققين، والجواب محذوف تقديره: أطمأنوا، ونحو ذلك ».
(8) والآية في القرآن : ﴿ لَمَا آتَيْتُكُمْ ﴾.
(9) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص225. تحقيق هدى محمود. انظر أمالي ابن الحاجب: ج1 ص161.

- وورود 'ثم' زائدة: ذكر الأخفش ذلك، في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران 78] نصب على « ما كان لبشر أن يؤتيه الله ...» لأن 'ثم' من حروف العطف، و﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾[آل عمران 79] أيضا معطوف بالنصب على « أن وإن شئت رفعت تقول: 'ولا يأمركم ' لا تعطفه على الأول، تريد: هو لا يأمركم »[1].

- جواز ترخيم الثلاثي المتحرك الوسط: فقد أجازه الأخفش كما أجازه الكوفيون. وذلك في نحو « يا أبت» قال الأخفش: « وقال : ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾[مريم 44] فإذا وقفت قلت: يا أبه، وهي هاء زيدت كنحو قولك: يا أمه، ثم قال: يا أم إذا وصل، ولكنه لما كان 'الأب' على حرفين كان كأنه قد أُخِلَّ به، فصارت الهاء لازمة، وصارت الياء كأنها بعدها، فلذلك قال : يا أبت أقبل، وجعل التاء للتأنيث، ويجوز الترخيم، لأنه يجوز أن تدعو ما تضيف إلى نفسك في المعنى مضموما نحو قول العرب: يا رب اغفر لي ... »[2].

- وقد أشار الأخفش إلى جواز صرف ما لا ينصرف مطلقا ومنع صرف ما ينصرف للضرورة. ونص على ذلك في مواضع كثيرة منها :

1- في معرض حديثه عن قوله تعالى : « ص، ون، وق»[3] .

2- في معرض حديثه عن قوله تعالى: « اهْبِطُو مِصْرَ »[4] .

3- عند حديثه عن قوله تعالى: « أَلَا أَنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ »[هود 60].

يقول في الآية الأخيرة: « وقد يجوز صرف هذا كله في جميع القرآن والكلام »[5]

كما أثار الأخفش في تفسيره قضايا نحوية أخرى شملت أكثر أبواب النحو وظفها لخدمة النص وتحليله تحليلا يتناسب والمحصول اللّغوي الذي وصلت إليه الحركة إبان القرنين الثاني والثالث.

القراءات في تفسيرات الأخفش اللّغوية:

أما بالنسبة للقراءات فقد سار الأخفش على منهج سلفه من المفسرين اللّغويين حين تَعَرّضه للقراءات وتوجيهها، ووقف منها مواقف متعددة، فمنها ما اتفق مع المفسرين الذين سبقوه، ومنها ما اختلف معهم. والأخفش يورد الآية أو جزءا منها، ويُذكّر بقراءة غير قراءة حفص مثلا، ثم يتبع ذلك

---

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص224 و225. تحقيق هدى محمود.
(2) المصدر نفسه: ج2 ص438.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص20.
(4) من الآية 61 من سورة البقرة. المصدر نفسه: ج1 ص106.
(5) المصدر نفسه: ج2 ص384.

بقراءة حفص ثم يعرض القراءات الأخرى إن وجدت. وهو في إيراده للقراءات يوجهها إعرابيا ليسجل من خلال توجيهه الإعرابي التّفسيرات التي يراها صائبة بناء على ما يراه من الآراء النحوية. ويمكن الإستنتاج عند النظر إلى كتاب الأخفش أن القراءات عنده محكمة بضوابط ثلاث: المصحف الشريف، ولغات العرب وأساليب العرب. فلابد أن تكون القراءة عنده توافق هذه الضوابط، وقد يلجأ إلى ضابط رابع يرجحُ به بين قراءتين أو أكثر، وهو أخذ أكثر القراء أو العامة منهم بها. وفي أثناء ذلك كله يقوم الأخفش بتوجيه القراءة نحويا واختيار أحسن السبل اللّغوية التي يعلل فيها لهذه الضوابط لما لذلك من أثر عميق في توجيه معنى القراءة.

أما بالنسبة لكتّاب المصحف فقد التزم به وهو الضابط الأول وظهر التزامه في اختياره القراءة بلغة الضاد لا بلغة السين في 'الصراط' [الفاتحة 6] لأن كتابها على ذلك في جميع القرآن[1] .

اختياره «دَرَسْتَ» على «دَارَسْتَ» و « دَرَسَتْ»[2] في قوله : ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾[الأنعام 106] لأنها أوفق للكتاب[3] .

واختياره قراءة «ثمودا»[الفرقان 38]«مصروفا ما كانت فيه الألف» و«كتابها بالألف في المصحف»[4]

رد قراءة « سكن » في ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾[الأعراف 154] لأنها«ليست على الكتاب» فتقرأ «سكت»[5] .

وقال في قراءة « لاَ تُضَارَرْ » في ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾[البقرة 233][6] « إلا أن 'تضار' هاهنا غير مضعفة لأنه ليس في الكتاب إلا راء واحدة »[7].

أما الضابط الثاني، وهو موافقة القراءة لغة من لغات العرب. وقد علل الأخفش بها قراءات كثيرة منها قراءة « هياك » بالهاء في « أياك نعبد »[8][الفاتحة 5] وقراءة « هُدَيٌ » في ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[9][البقرة 37] وإسكان الهاء وكسرها في 'هي' ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾[10][البقرة 73].

---

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص17. تحقيق هدى محمود. قال ابن مجاهد في كتابه السبعة ص105: « فقرأ ابن كثير 'السراط' بالسين في كل القرآن...وروى عبيد بن عقيل عن أبي عمرو: أنه كان يقرأ 'السِّراط' بالسين ».

(2) قال القرطبي ج3 ص2494: « قرأ أبو عمرو وابن كثير 'دارست' بالألف بين الدال والراء كفاعلت. وهي قراءة علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وأهل مكة ... وقرأ ابن عامر 'دَرَسْتَ' بفتح السين وإسكان التاء من غير ألف كخرجت وهي قراءة الحسن وقرأ الباقون 'دَرَسْتَ' كَخَرَجْتَ ».

(3) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص309.

(4) المصدر نفسه: ج1 ص41.

(5) المصدر نفسه: ج1 ص339. انظر القرطبي ج3 ص2728.

(6) قرأ بها أبو عمرو وابن كثير وإبان بن عاصم وبالرفع. انظر البحر المحيط : ج2 ص354.

(7) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص17. تحقيق هدى محمود.

(8) المصدر نفسه: ج1 ص18.

(9) المصدر نفسه: ج1 ص76.

(10) المصدر نفسه: ج1 ص115.

أما الضابط الثالث فكان أساليب العرب. إذ لابد للقراءة عنده أن تكون موافقة لها. قال الأخفش: « ليس بجيد » في قراءة من قرأ[1] ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾[البقرة 183] لأن 'الطعام' تفسير للفدية، وليست الفدية بمضافة إلى الطعام»[2] .

وقال : «ليست بجائزة » في قراءة من قرأ[3] ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرِهِ ﴾ [البقرة 279] «لأنه ليس في الكلام » 'مُفْعُلٌ'»[4] .

والأخفش يحبذ القراءة الأقرب وجها إلى العربية وأوضحها. ففضل قراءة الرفع على الجزم في[5] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ [الأعراف 186] [6]! وقراءة حذف ياء المتكلم على فتحها إذا التقت بالوصل في[7] ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾[الأعراف 144][8]! وفي[9] ﴿هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ [طه 29–30][10]! وقراءة 'القتل' على 'القتال'[11] في ﴿ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ[12] إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران 154].وغير ذلك من وجوه القراءات التي وافقت الفصحى وقد تتساوى عنده هذه الوجوه من القراءات فيعبر عنها بـ«كل صواب» و«وكل حسن» مثل ما فعل مع قراءة « يُغَلَّ » و«يَغُلَّ»[13] في ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾[آل عمران 161] ![14]

وكثير ما يختار الأخفش قراءة ما من قراءتين أو أكثر، وكثرا ما كان يعلل لهذا الاختيار ومن أكثر تعليلاته «أخذ أكثر القراء أو العامة منهم بها » ولو كانت أقل في كلام العرب، فيختار قراءة

---

(1) قال ابن مجاهد في السبعة ص178: « قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي « فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ »: 'فِدْيَةٌ' منون: 'طعام مسكين' موحد. وقرأ نافع وابن عامر 'فِدْيَةُ' مضاف، و'مساكين' جمع.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص170. تحقيق هدى محمود.
(3) جاء في البحر ج2 ص340: «قرأ عطاء ومجاهد 'إلى مَيْسُرِهِ ' وبعدها ضمير الغريم ».
(4) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص204. تحقيق هدى محمود.
(5) قال ابن مجاهد في السبعة ص298: « قرأ ابن كثير ونافع و ابن عامر «وَنَذَرُهُمْ » بالنون والرفع وقرأ أبو عمرو «وَيَذَرُهُمْ » بالياء والرفع. وكذلك قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحفص «وَيَذَرُهُمْ » بالياء والرفع.
(6) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص69. تحقيق هدى محمود.
(7) في النشر ج2 ص171: «فتح ابن كثير وأبو عمرو».
(8) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص77. تحقيق هدى محمود.
(9) قال ابن مجاهد في السبعة ص418: « قرأ ابن عامر وحده «أخي أشْدُدْ بِهِ» الألف مقطوعة مفتوحة والياء ساكنة «وَأَشْرِكْهُ » الألف مضمومة على الجواب والمجازاة. وقرأ الباقون «أخي أشْدُدْ بِهِ أزْرِي وَأشْرِكْهُ في أمْرِي » مفتوحة الألف على الدعاء إلا أبا عمرو وابن كثير فإنهما فتحا الياء من أخيَ ».
(10) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص77. تحقيق هدى محمود.
(11) المصدر نفسه: ج1 ص237.
(12) جاء في البحر ج3 ص90: « وقرأ الحسن والزهري 'القتال' مرفوعا».
(13) قال ابن مجاهد في السبعة ص218: « فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم : «أن يَغُلَّ» بفتح الياء وبضم الغين. وقرأ الباقون «يُغَلَّ » بضم الياء وفتح الغين ».
(14) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص239. تحقيق هدى محمود.

'طائف'[1] في ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾[الأعراف 201] . لأن عامة القراء عليها ويترك قراءة 'طيف' فيها مع أن 'الطيف' أكثر في كلام العرب[2] .

ويبلغ أخذ الأخفش بالقراءة الكثرى حدا يحمله على اتباعها حتى لو كان وجهها نادرا في الكلام لا يكاد أحد يأخذ به. فالعرب « يجتمعون على ترك همز نحو «المِنْسَأَة»[3] ولا يكاد أحد يهمزها إلا في القرآن فإن أكثرهم قرأ بالهمز وبها نقرأ »[4] والأخفش ينتصر بجودة المعنى اللّغوي القراءة الكثرى.

وقد يختار الأخفش قراءة ما غير كثرة القراء عند موافقة القراءة من وجوه التّفسير القرآني والأخذ بالقراءة المطابقة له. مثال ذلك تفضيله قراءة[5] ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة 125]«لأنها تدل على الفرض»[6] وآثر قراءة فتح المضعفة على كسرها في[7] ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوَّمِينَ﴾[آل عمران 125] فقراءة الكسر «لأنهم سَوَّمُوا الخيل » و«قراءة الفتح» «مسوِّمين » معلمين لأنهم هم سُوِّمُوا وبها نقرأ[8].

وبهذه الضوابط يكون الأخفش قد وضع أكبر أسس التعامل اللّغوي مع القراءات، ويتمثل ذلك في عدم الخروج على القراءة وإن كانت القراءة لها وجوها من العربية، كي يبقى كتاب الله موحدا في قراءاته عند سائر المسلمين، وغلق باب الاجتهاد اللّغوي في القراءات الذي كان النقاش حوله حادا عصرئذ خاصة في دائرة النحاة البصريين.

نماذج من تفسيرات الأخفش اللّغوية :

1- في معرض حديث الأخفش عن قوله تعالى :﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا﴾[البقرة 60] يقول : « وأما قوله: « يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا » فدخلت فيه 'من' كحنو ما تقول

---

(1) قال ابن مجاهد في السبعة ص301: « قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «طَيْفٌ» بغير ألف وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة «طَائِفٌ » بألف وهمز».
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص201. تحقيق هدى محمود.
(3) في قوله تعالى : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ [السبا 14].
(4) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص107. تحقيق هدى محمود.
(5) قال ابن مجاهد في السبعة ص170: « قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «واتَّخِذُوا» مكسورة الخاء، وقرأ نافع وابن عامر «وَاتَّخَذُوا » مفتوحة الخاء »..
(6) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص155. تحقيق هدى محمود.
(7) قال ابن مجاهد في السبعة ص216: « قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «مُسَوِّمِينَ» بكسر الواو، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي مفتوحة ».
(8) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص233. تحقيق هدى محمود.

في الكلام : «أهل البصرة يأكلون من البُرّ والشعير » وتقول : «ذهبت فأصبت من الطعام » تريد «شيئا» ولم تذكر «الشيء» كذلك: « يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ» «شيئا» ولم يذكر «الشيء» وإن شئت جعلته على قولك: «ما رأيت من أحد » تريد «ما رأيت أحدا » و «هل جاءك من رجل ؟» تريد «هل جاءك رجل؟».فإن قلت «إنما يكون هذا في النفي والاستفهام » فقد جاء في غير ذلك، قال ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾[البقرة 270] فهذا ليس باستفهام ولا نفي، وتقول«زيد من أفضلها» تريد هو أفضلها، وتقول العرب «قد كان من حديث فخل عني حتى أذهب» يريد «قد كان حديث»[1]

2- يقول الأخفش: «وقال: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا﴾ [الأنعام 147] ويريد بقوله -والله أعلم- 'من البقر والغنم' أي: والبقر والغنم حرمنا عليهم، ولكنه أدخل فيها 'من' والعرب تقول: «قد كان من حديث » يريدون «قد كان حديث» »[2]

3- يقول الأخفش: «وأما قوله : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان 24] فقد نهاه عن الإثم والكفور جميعا، وقد قال بعض الفقهاء: إن 'أو' تكون بمنزلة الواو، قال [النمر بن تولب]:

يُهِينُونَ مَنْ حَقَّرُوا شَيْبَهُ ۞ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ بَغِي أَوْ يَبَرّ[3]

يقول : « يفي ويبر » وكذلك هي عندهم هاهنا، وإنما هي بمنزلة : « كل الخبز أو اللحم والتمر » إذا رخصت له في هذا النحو، فلو أكل كله أو واحد منه لم يعص »[4] لأن حرف 'أو' كما سبق في مثل ذلك نفي الأمرين.

4- يقول الأخفش: «قال: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[الصافات 147] ومعناه يزيدون، ومخرجها في العربية أنك تقول: «لا تجالس زيدا أو عمرا أو خالدا ».فإن أتى واحدا منهم أو كلهم كان عاصيا كما أنك إذا قلت : «أجلس إلى فلان أو فلان أو فلان ».فجلس إلى واحد منهم أو إلى كلهم مطيعا، فهذا مخرجه من العربية أو أرى الذين قالوا إنما 'أو' بمنزلة 'الواو' إنما قالوها لأنهم رأوها في معناها »[5]

غير أن الأخفش أجاز في الآية أيضا وجهين آخرين في الواو، أحدهما: أن تكون للشك عند الناس، لأن الله تعالى لا يكون منه الشك. والثاني: أن تكون بمنزلة 'بل' للإضراب، يدل لذلك قوله: أما قوله : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[الصافات 147] فإنما يقول « أرسلناه إلى مائة ألف

---

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص105. تحقيق هدى محمود.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص316.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص34.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص34.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص34.

من الناس » ثم قال قوم: « أو يزيدون عند الناس » لأن الله تبارك وتعالى لا يكون منه الشك، وقد قال قوم: «إنما 'أو' هاهنا بمنزلة 'بل'، وقد يقول الرجل: « لأذهبن إلى كذا وكذا » ثم يبدو له بعد فيقول : « أو أقعد » فقال: هاهنا : «أرسلناه إلى مائة ألف عند الناس » ثم يقول : « أو يزيدون عند الناس » أي : أن الناس لا يشكون أنهم قد زادوا »[1]

5- وجعل الأخفش ورود 'إلا' في بعض الآيات عاطفة بمنزلة الواو وذلك في معرض حديثه عن قوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[البقرة 149] بقوله « فهذا بمعنى 'لكن' وزعم يونس أنه سمع أعرابيا فصيحا يقول: مااشتكى شيئا إلا خيرا، وذلك أنه قيل له : «كيف تجدك؟ » وتكون 'إلا' بمنزلة 'الواو' ونحو قول الشاعر [المخبل السعدي]:

وأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةَ السِّيـــــدَانِ لَمْ يُدْرَسْ لَهَا رَسْمُ

إِلاَّ رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ ۞ عَنْهُ الرِّيَاحُ خَوَالِدَ سُحْمَ »[2]

6- قال الأخفش:« ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [فصلت 47] أي: استيقنوا، لأن 'ما' هاهنا حرف وليس باسم والفعل لا يعمل في مثل هذا فلذلك جعل الفعل ملغى »[3]

7- قال الأخفش : ﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[المؤمنون 115] أي: ما لبثتم إلا قليلا، وفي حرف ابن مسعود «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ لَقَلِيلاً».وقال الشاعر [عاتكة بن زيد]:

هَبَلَتْكَ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا ۞ وَجَبَتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ »[4]

8- يقول الأخفش : «قال : ﴿ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[الأحزاب 4] إنما هو «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وجاءت 'من توكيدا، كما تقول: «رأيتُ زيدًا نفسَهُ»، فأدخل 'من' توكيدا».[5]

9- يقول الأخفش: « وقال : ﴿ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ ﴾[التوبة 109] يريد : 'منذ' أول يوم لأن من العرب من يقول: «لم أره من كذا » يريد منذ و'من أول يوم' يريد به: أول الأيام، كقولك : «لقيت كل رجل » تريد به : كل الرجال »[6] إلا أن البصريين لو يروا ذلك، وقد علق العكبري على ذلك

---

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص34. تحقيق هدى محمود. قال العكبري في التبيان ج1 ص34: «ولا يجوز أكثر البصريين أن تحمل 'أو' على الواو، لا على 'بل' ما وجد في ذلك مندوحة » وذكر لـ 'أو' أربعة وجوه، أنها: للشك، للتخيير للإباحة وللإبهام. انظر أمالي المرتضى: ج2 ص56.

(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص162. تحقيق هدى محمود.

(3) المصدر نفسه: ج2 ص509.

(4) المصدر نفسه: ج1 ص455.

(5) المصدر نفسه: ج2 ص480.

(6) المصدر نفسه: ج1 ص119.

فقال: « والتقدير عند بعض البصريين: من تأسيس أول يوم، لأنهم يرون أن 'من' لا تدخل على الزمان، وإنما لمنذ، وهذا ضعيف هاهنا، لأن التأسيس المقدر ليس بمكان حتى تكون 'من' لابتداء غايته، ويدل على جواز دخول 'من' على الزمان ما جاء في القرآن من دخولها على 'قبل' التي يراد بها الزمان، وهو كثير في القرآن وغيره »[1] .

10- يقول الأخفش: « وقال ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة 73]. وليس قولك 'أو أشد' كقولك: «هو زيد أو عمرو »إنما هذه 'أو' التي في المعنى 'الواو' نحو قولك: «نحن نأكل البر أو الشعير أو الأرز » كل هذا نأكل. فـ'أشدُّ' ترفع على خبر المبتدأ، إنما هو : «وهي أشد قسوة»[2]. وليس بغريب أن يرجع الأخفش لمعنى: 'أو' الواو، يدل 'أو' التي تكون للإباحة، و'أو' التي تكون للتفضيل والتمييز، و'أو' التي تدخل على سبيل الإبهام، و'أو' التي بمعنى 'بل' واختيار 'أو' بمعنى الواو، والواو للجمع، وقد يقال ليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة، وأشد من الحجارة في حالة واحدة، لأن الشيء إذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها.

وقد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال: ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حال، وأشد من الحجارة في حال أخرى، فيصح المعنى، ولا يتنافى، ويكون فائدة هذا الجواب أن قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه، ربما لانت بعض الليـن، وهمت بالانعطاف، وكادت تصغى إلى الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي ربما لانت، وفي حال أخرى في نهاية البعد عن الخير والنفور عنه، فتكون في هذا الحال أشد قسوة من الحجارة. [3]

قال الأخفش: أما قوله ﴿ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ﴾[النور 2] و﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[المائدة 40] فزعموا -والله أعلم- أن هذا على الوحي كأنه يقول: «ومما أقص عليكم الزانية والزاني والسارق والسارقة، ثم جاء بالفعل بعدما أوجب الرفع على الأول على الابتداء وهذا على المجاز كأنه قال : «أمر السارق والسارقة وشأنهما مما نقص عليكم »[4].

هذه بعض النماذج سقتها للدلالة على مدى عناية الأخفش بالتّفسير اللّغوي، وقد جعل الأداة النحوية أساس اجتهاده في تحديد معنى الآية اللّغوي والوقوف على معاني النصوص القرآنية وتحقيق مقاصدها ومراميها وفق أسس علمية دقيقة.

---

(1) التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ج2 ص660.
(2) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص115. تحقيق هدى محمود.
(3) انظر أمالي المرتضى : ج2 ص60.
(4) معاني القرآن للأخفش:ج1 ص84. تحقيق هدى محمود. انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج2 ص963.

خصائص التّفسير اللّغوي عند الأخفش

امتاز كتاب المعاني للأخفش بتغليب الجانب النحوي في تفسيراته اللّغوية أكثر من الفراء، حتى صح أن يوسم كتابه بالتّفسير النحوي للقرآن. إذ كثيرا ما يفسر القرآن في ضوء إعرابه للآيات. فيكون بهذا أكثر تخصصا في جانب من جوانب التّفسير اللّغوي من غيره، وإنما جعل في المرتبة الثالثة من حيث الحديث عن مجددي المنهج اللّغوي في التّفسير بعد أبي عبيدة والفراء لأجل هذا السبب. فأبو عبيدة اختص في اللغة والغريب، والأخفش اهتم بالتّفسير النحوي اهتماما كبير، والفراء جمع بينهما، كما أن كتابي المجاز ومعاني الفراء يعدان أكثر شمولية وإحاطة ووضوحا لأصول المنهج اللّغوي في التّفسير، إذ الإعراب فرع المعنى، والمعاني أشمل من الإعراب واختص الأخفش بالإعراب.

إن اهتمام الأخفش بالتّفسير النحوي للقرآن جعل من كتابه في مقدمة الكتب التي قعدت لأصول المنهج اللّغوي، وهو مقدم في رأي على كتاب « معاني القرآن وإعرابه » لتلميذه الزجاج الذي أجاد فيه وأبدع، إلا أنه عيال على من سبقه كأبي عبيدة والفراء والأخفش خاصة، والزجاج وإن مثّلَ مرحلة الحسن بالنسبة للمدرسة اللّغوية في التّفسير بعد القرن الثالث بحكم اطلاعه على دراسات من سبقه وخاصة علماء هذا الفن التّفسيري كأبي عبيدة والفراء وأستاذه الأخفش. إلا أن الأخفش مقدم عليه بالإبداع والابتكار لما سمي فيما بعد بالتّفسير اللنحوي للقرآن الكريم.

وقد اتبع الأخفش في تفسيره نهجا لم يسبق إليه نجمله في نقطتين أساسيتين :

الأولى: لم يشأ الخروج عن المنهج المألوف في التّفسير، ولم يشذ عن سابقيه، فابتدأ كتابه بتفسير وإعراب وإيراد قراءات البسملة، وسورة الحمد، ثم أورد الحروف المقطعة في أوائل سورة البقرة. وفي أوائل السور التي وردت بها هذه الحروف المقطعة. وأورد الأقوال والآراء التي قيلت فيها، والقراءات التي تجوز القراءة بها، ثم أورد تفسيرا وقراءات وأوجها إعرابية للآيات حسب ترتيبها في سورها، وسورها حسب ترتيبها في المصحف مع بعض التقديم والتأخير كلما تقتضي عملية التحليل ذلك، فيشرح الآيات ويشرح مفرداتها، ويأتي بتصاريف الكلمة ومشتقاتها في بعض الأحيان، وقد يورد لغاتها.

الثانية: أبدع الأخفش منهجا آخر ممزوجا بالمنهج الأول. إذ أنه بعد ذكر الآيات الأولى من سورة البقرة أخضع دراساته لبعض أبواب النحو، وهو في إيراده لهذه الأبواب يحاول عدم الخروج عن منهجه الأول، فيأتي بالآيات مرتبة ثم يدخل عليها المباحث النحوية بعناوينها وهو في أثناء ذلك يأتي بتفسيره لآيات شملتها هذه الأبواب.

إن ظاهر هذه العملية قد يوحي بأن السور والآيات وكأنها تطبيقات لآراء الأخفش النحوية. إلا أن حقيقة ما في الكتاب يخالف ذلك، لأن مُراد الأخفش من كل ذلك هو التّفسير اللّغوي لآيات القرآن الكريم بما يبرز المفهوم الصحيح لهذه الآيات. ومثال هذا الجانب من منهجه ما نلاحظه في سورة البقرة مثلا[1] فنراه يورد ما يلي :

1- هذا باب من المجاز.
2- هذا باب الاستثناء.
3- هذا باب الدعاء.
4- هذا باب الفاء.
5- باب الإضافة.
6- باب المجازاة.
7- باب تفسير أنا وأنت وهو.
8- باب الواو.
9- باب اسم الفاعل.
10- باب إضافة الزمان إلى الفعل.
11- باب من التأنيث والتذكير.
12- باب أهل و آل.
13- باب الفعل.
14- باب زيادة 'من'.
15- باب من تفسير الهمز.
16- باب إن وأن.
17- باب من الاستثناء.
18- باب الجمع.
19- باب اللام.

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 بعد ذكر الآية 28 من سورة البقرة.

وغير هذه الأبواب كثير. والأخفش يعنون أبوابه النحوية من واقع الآيات التي ترد مرتبة، ويورد في هذه الأبواب جل ما يتصل بها من قواعد وأحكام مستشهدا لها بآيات من سور أخرى. وبعد فراغ الأخفش من نصب الأدلة والاستشهاد عليها بكلام العرب الفصيح ثم الخروج بالقواعد والأحكام يأتي على توجيه مدلول الآية بناء على ما وصل إليه من تلك الأحكام. ونمثل لمنهج الأخفش بما أورده في الباب الأول « باب من المجاز » يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة 28]: وهو إنما ذكر 'سماء' واحدة، فهذا لأن ذكر السماء قد دل عليهن كلهن، وقد زعم بعض المفسرين أن 'السماء' جميع مثل 'اللبن' فما كان لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجماعة جاز أن يجمع، فقال: 'سَوَّاهُنَّ'. فزعم بعضهم أن قوله ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾[المزمل 16] جمع مذكر كـ'اللَّبن' ولم نسمع هذا من العرب والتفسير الأول جيد.

... وقد تكون 'السماء' يريد به الجماعة كما تقول : هلك الشاة والبعير. يعني كل بعير وكل شاة. كما قال: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق 12] أي: من الأرضين.

ثم يفسر الأخفش قوله تعالى: ﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾[البقرة 28] فيقول: « فإن ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى لتحول، وكلنه يعني فعله كما تقول: « كان الخليفة في أهل العراق يوليهم ثم تحول إلى أهل الشام » إنما تريد تحول فعله »[1].

وبقيت في النهاية ملاحظتان عامتان حول الكتاب:

أولها: أنه نموذج لاختلاط العلوم اللّغوية بالقضايا الكلامية من أجل توجيه النص القراني وفق عقيدة صاحبه، كما أن الكتاب نموذج لاهتمام علماء اللغة بالفنون التفسيرية ورفاهة حاستهم.

الثانية: استطيع أن أقرر أن هذه الصيغة اللّغوية في تفسير الأخفش لم تكن هدفا في حد ذاتها من جهة، بقدر ما كانت وسيلة للوصول إلى معنى اللفظ والآية في القرآن الكريم.

---

(1) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص218.

أثر حركة التّفسير اللّغوي في بيئة المفسرين

إنحسار موجة التحرج

لما قام اللّغويين بتفسير القرآن مباشرة من طريق العربية،وإعداد اللغة أحد مصادر التّفسير، ازدادت موجة التحرج ونماها الظاهريون من المحدثين والفقهاء، وحتى اللّغويين كأبي حاتم والأصمعي وغيرهما ممن منع أن يكون الشعر أصلا للقرآن في زعمهم. وأن ما ثبت عن الصحابة والتابعين في باب التّفسير كفيل بالمراد من كتاب الله، ولا حاجة إلى ممارسة التّفسير من طريق الرأي. وأحب هنا عرض مناقشات العلماء لهذا الأمر الذي شاع في بداية عملية التّفسير، والذي كان جدارا سميكا صعب اختراقه، حتى نقف على أسباب انحسار هذه الموجة، والقبول بالعامل اللّغوي كعنصر جديد في التّفسير.

وقد جمع أصحاب هذه النزعة الأثرية أسباب هذا التحرج في نقطتين أساسيتين :

الأولى : أن هذا الاتجاه التّفسيري الجديد هو من قسم التّفسير بالرأي.

الثانية : الخوف من تفسير القرآن بمجرد لغة العرب فتضيع معها روح الوحي ويتحول الشعر إلى أن يصير أصلا للقرآن.

أما عن السبب الأول فيسوق أصحابه أدلة من الشرع على عدم جواز التّفسير اللّغوي الذي يرونه صورة من صور التّفسير بالرأي الذي قال فيه نبي الله ﷺ: « اتَّقُوا الحَدِيثَ عَلَيَّ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ[1] مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَمَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »[2].

---

(1) يتبوأ بمعنى ينزل ويحل. قال الشاعر :
وَبَوَّأْتُ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا* فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا. تفسير القرطبي: ج1 ص32.

(2) الحديث رواه الترمذي في أبواب التّفسير : ج2 ص157. انظر مقدمة تفسير ابن كثير ص6 ففيها أحاديث بهذا المعنى.

فكان الرأي عندهم كل ما ليس له سند إلى النبي ﷺ أو أحد صحابته. والتّفسير بالرأي يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، ولا يتوصل إلى هذا إلا بإعمال العقل والفكر، فيكون هذا النوع من التّفسير عند هؤلاء قد شمله النهي الوارد في الحديث النبوي.

إلا أن علماء القرون الأولى وما بعدها، رفضوا هذه النظرة الضيقة لمعنى الحديث وهذا التجريح الذي أراده الظاهريون على القرآن، وتعرضوا إلى شرح الحديث دفعا لهذه الشبهة التي تنافي أصول الشريعة ومفهوم الرأي في الكتاب والسنة.

يقول أبو بكر بن محمد الأنباري النحوي اللّغوي: « فسر حديث ابن عباس تفسيرين: أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله، والجواب الآخر: وهو أثبت القولين وأصحهما معنى: من قال في القرآن قولا يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار »[1] فصاحب الرأي المذموم من جار على قوانين العربية، غير موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التّفسير، أما «ما جاء منها على ما وافقه كلام العرب ومناحيهم في الخطاب مع موافقة الكتاب والسنة فجائز لا شك فيه وعليه تحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي»[2] لقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد 25] وقوله عز وجل ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص 28].

فإذا ذهبنا هذا المذهب، وهو أن الذي يفسر القرآن معتمدا على مدلول القرآن اللفظي، أو ما يحتمله اللفظ يعد مفسرا بالرأي، نستطيع القول أن «التّفسير بالرأي نشأ في أيام الصحابة الكرام على أيدي أوائلهم الذين مارسوا التّفسير، وإمامهم الأول أبو بكر الصديق ﷺ وعمر ثم عثمان ثم علي ثم عبد الله بن مسعود.وقد اتسع وأخذ شكلا مدرسيا على يد عبد الله بن عباس »[3]. ولو كان التأويل مقصودا على السماع والنقل لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بدعاء النبي ﷺ، فدل ذلك أن التأويل هو التّفسير بالرأي والاجتهاد[4]. ضف إلى ذلك أن عبد الله بن عباس نفسه راوي حديث المنع غير أنه من رؤوساء المنهج اللّغوي التّفسيري.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص32.
(2) التّفسير والمفسرون : ج1 ص264.
(3) أثر التطور الفكري في التّفسير في العصر العباسي لعبد الله مساعد مسلم: ص93.
(4) التّفسير والمفسرون: ج1 ص263.

ويقول الإمام الترمذي في هذا الشأن: « وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم: أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أن قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم »[1].

قال ابن تيمية: « فمن تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التّفسير ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموا وسكتوا عما جهلوا، وهذا الواجب على كل واحد »[2].

ويشرح الإمام الغزالي معنى حديث النهي الذي شاع في العصر الأول فيقول : « لا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة، ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسب الفهم وطول الفكر، ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيل »»[3].

وقد أرجع الغزالي سبب النهي في الحديث إلى سببين :

الأول: أن يكون للمفسر في الشيء الرأي وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، ويكون المراد بالرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح.

الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاجتهاد والحذف والإضمار والتقديم والتأخير[4].

فالتّفسير بالرأي في فهم الغزالي مشروط بشرطين: البعد عن الهوى، واستظهار النقل فيما يتعلق بأساليب القرآن. جاء في الإتقان: «... وقال في المدخل: في هذا الحديث نظر، وإن صح فإنّما من قال به والله أعلم فقد أخطأ الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة وفي معرفة ناسخه ومنسوخه»[5].

---

(1) صحيح سنن الترمذي : ج1 ص18.
(2) مقدمة في أصول التّفسير لابن تيمية: ص107.
(3) إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي. وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج مافي الإحياء من الأسفار. للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي. بيروت: دار المعرفة. ج1 ص37.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص298.
(5) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج2 ص229.

ونذكر في هذا المقام مقالة للشاطبي إذ يقول: « القول فيه أن الرأي ضربان: **أحدهما**: جار على موافقة كلام العرب، وموافقة الكتاب والسنة فهذا لا يمكن إهمال مثله. **أما الرأي الثاني**: غير الجاري على موافقة العربية أو جاري على الأدلة الشرعية فهذا هو الرأي المذموم »[1].

فليس إذن يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللّغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر، فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائل بمجرد رأيه[2] .

قال ابن كثير وهو من رؤوس المنهج النصي الأثري: « فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه »[3].

أما علم التّفسير اللّغوي فقد ذكر له علماء القرآن أدلة زائدة على ما سبق ذكره، ورأوا جواز تفسير القرآن لأهل العلم بالعربية على شرائطها ومعاني غريبها.فكانت هذه الأدلة ردا على الشبهة الثانية من قول المتحرجين بأن التفسير بمجرد لغة العرب يضيع روح القرآن، وأن الشعر سيكون بهذا أصلا للقرآن. وهو موضوع الخصومة التي حدثت بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة، فأنكروا عليهم هذه الطريقة، وقالوا كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث. وقد تكفل العلماء منذ العصر الأول بتهدئة روع هؤلاء، وسائوا لهم سلوك ابن عباس في التفسير حين ينشد الشعر « يعني كان يستشهد به على التفسير »[4] .

جاء في المقدمة الثانية من كتاب مقدمتان في علوم القرآن « إجماع أصحاب رسول الله ﷺ على تفسير القرآن على شرائط اللغة، ومن ذلك حديث ابن عباس في ليلة القدر، وقوله إنها ليلة سبع وعشرين بين يدي عمر بن الخطاب ﷺ والأشياخ من الصحابة، فاستحسن قوله، وأخذ برأيه، وما تعقبه منهم فيه مع كثرت ما روي عن ابن عباس في تفسير القرآن بالأسانيد المتصلة »[5].

ومن ذلك ما روي عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه قال قلت: لعائشة زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حدث السن: أرأيت قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ إلى أن

---

(1) الموافقات: ج3 ص421 و422.
(2) مقدمتان في علوم القرآن: ص201.
(3) تفسير ابن كثير: ج1 ص7.
(4) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج1 ص157.
(5) مقدمتان في علوم القرآن: ص201.

قال: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة 157] قالت عائشة: لو كان كما تقول، كانت فلا جناح عليه ألاّ يطوف بهما[1] فاستدلت أم المؤمنين بظاهر اللفظ على شرائع اللغة العربية وفسرت الآية. قال ابن الانباري: « جاء عن أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بيّن صحة مذهب النحويين في ذلك وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم »[2].

وقال أيضا : «ليس الأمر كما زعموا من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[يوسف 2] وقال ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء 195] وقال ابن عباس: « الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه»[3] . كما حذرت جمهرة علماء القرون الأولى المعتد بهم من فقهاء ومحدثين ووعاظ فضلا من اللّغويين من الخوض في القرآن لمن لم يملك زمام العربية.

يقول الإمام مالك: « لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا »[4]

وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال:« ما يعجبني » وهو ليس بنص في المنع عن بيان المدلول اللّغوي للعارف كما لا يخفى[5]. وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية من ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها[6] ويوجه الطاهر بن عاشور كلام الإمام أحمد بقوله: « وإن صح عنه فلعله يريد كراهة أن يذكر الشعر لإثبات صحة ألفاظ القرآن كما يقع من بعض الملاحدة، روي ابن الرواندي(298هـ)[7] وكان يزن بالإلحاد قال لابن الأعرابي (230هـ)[8] أتقول العرب لباس التقوى؟ فقال ابن الأعرابي: لا بأس لا بأس وإذا أنجى الله

---

(1) مقدمتان في علوم القرآن (المقدمة الثانية) : ص203.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج1 ص24.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص24.
(4) رواه البيهقي في الشعب. انظر الإتقان للسيوطي: ج2 ص229.
(5) روح المعاني للألوسي: ج1 ص5.
(6) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج2 ص229.
(7) « أحمد بن يحي بن إسحاق الراوندي الملحد. كان حيا في حدود الثلاثمائة كان يلازم الرافضة والملحدة، فإذا عوتب قال: أنا أريد أن أعرف مذاهبهم، ثم كاشف وناظر، وصنف في الزندقة لعنةُ الله.» انظر تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات 291-300هـ) ويروي عنه حكايات عجبا.
(8) «محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي من موالي بني هاشم قال الحافظ: كان نحويا عالما باللغة والشعر، ناسبا...رواية للأشعار، حسن الحفظ لها، ولم يكن أحد من الكوفيين أشبه رواية برواية البصريين منه، وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا. وكان أحول أعرج.» بغية الوعاة: ج1 ص105.

الناس فلا نجى ذلك الرأس، هبك يابن الرواند تنكر أن يكون محمد نبيا أفتنكر أن يكون فصيحا عربيا»[1].

أما الإمام الشافعي فقد نص على هذا المنحى التّفسيري عند ذكره لأحسن الطرق في التّفسير وهي القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ثم قال : « فإن لم يجده فليطلبه من اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي »[2].

وأخرج أبو عبيدة عن التابعي الجليل الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ آية فيعيا بوجهها فيهلك فيها »[3] وقال أبو عبيد(223هـ)[4] مفسرا سلوك ابن عباس في التّفسير حين ينشد الشعر : «يعني كان يستشهد به على التّفسير »[5]. ويقول الكافيجي(879هـ)[6]: « فإن قلت يلزم من هذا أخذ من اللغة ؟ قلت: لا يلزم ... فالعرض على العرب لمجرد الإستئناس لا لأخذ التّفسير بمجرد قول العرب »[7].

ويذكر الإمام الطبري في تفسيره وهو إمام الأثريين في القرن الثالث الهجري وجوها ثلاثة لتأويل القرآن، ويقول في الثالث منها: « والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان، الذي نزل به القرآن، وذلك علم التأويل عربيته وإعرابه، لا يتوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم ».ثم يقول: « وأوضحهم برهانا –يريد المفسرين– فيما ترجم من ذلك مما كان مدركا علمه من جهة اللسان، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة »[8].

كما رد علماء ما بعد القرون الثلاثة الأولى هذا التّفسير الضيق للحديث الشريف، ورأوا العنصر اللّغوي لب البحوث القرآنية والدراسات التّفسيرية، يقول الفرابي في خطبة ديوان العرب جاعلا من اللغة بابا للولوج إلى علوم القرآن: « القرآن كلام الله وتنزيله، فصل فيه مصالح

---

(1) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج1 ص23.
(2) أصول التّفسير وقواعده : ص80.
(3) روح المعاني للألوسي: ج1 ص5. الإتقان للسيوطي: ج2 ص231.
(4) « القاسم بن سلام أبو عُبَيد: إمام البصرة في كل فن من العلم أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وابن محمد اليزيدي ... كان أبو عبيد فاضلا في دينه وعلمه، ربانيا مفتيا في القرآن والفقه والأخبار والعربية، حسن الرواية صحيح النقل». بغية الوعاة للسيوطي: ج2 ص253.
(5) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج1 ص206.
(6) « محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محي الدين، أبو عبد الله الكافيجي، من كبار العلماء بالمعقولات رومي الأصل. اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي أربع عشرة سنة وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. ولّي وظائف منها مشيخة الخانقاة الشيخونية وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر» الأعلام: ج6 ص150.
(7) البغوي الفراء: ص236. نقلا عن التيسير في قواعد التّفسير.
(8) راجع مقدمة تفسير الطبري: ص41.

العباد في معاشهم ومعادهم، مما يأتون ويذرون، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم هذه اللغة »[1] أما السيوطي في المزهر فكثيرا ما ينبه عن أهمية العنصر الشعري ويقول: « وليعتن بحفظ أشعار العرب فإن فيه حكما ومواعظا وآدابا، وبه يستعان على تفسير القرآن والحديث »[2] ويقول أيضا : « وأما ما لم يرد فيه –يعني التّفسير– فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه : النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق »[3] لأن «علم اللغة –عنده– من الدين لأنه من فروض الكفايات وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة»[4]

ونقل القرطبي قول ابن عطية: «إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع »[5] ويُقر الإمام الشاطبي في الموافقات بهذا الأصل ويقول: «من أراد تفهمه –أي القرآن– فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة »[6] ومن المتأخرين ينتهي أبو حيان الأندلسي المفسر إلى «أنه لا يرتقي من علم التّفسير ذروته ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحرا في علم اللسان مترقيا منه مرتبة الإحسان »[7]

ومن المعاصرين يقول صاحب التحرير والتنوير في مقدمته الثانية: « إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي السليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي: وهي: متن اللغة والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان،ومن وراء ذلك استعمال العرب المتتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بُلغائهم»[8]

كما درج أكثر المتكلمين في القرآن القدماء منهم والمحدثين على تقسيم علم التّفسير إلى صنفين، تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وتفسير يرجع إلى اللسان مع معرفة اللغة والإعراب والبلاغة وتأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب[9].

---

(1) المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج2 ص302.
(2) المصدر نفسه: ج2 ص309.
(3) الإتقان في علوم القرآن: ج2 ص183.
(4) المزهر في علوم اللغة: ج2 ص302.
(5) الجامع لأحكام القرآن: ج1 ص24.
(6) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي: ج2 ص64.
(7) البحر المحيط لأبي حيان: ج1 ص7 وما بعدها.
(8) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج1 ص18.
(9) انظر مثلا الإتقان للسيوطي: ج2 ص234. الطبري: ج1 ص31. مقدمة ابن خلدون: ص439، 440. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي. ط:1. بيروت: مط دار الفكر، (1398هـ–1978م). ج1 ص7 و8. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج1 ص15 وما بعدها. وغيرها من كتب التّفسير.

ضف إلى ما سبق كله أن بعض الدارسين لمناهج التّفسير جعلوا التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم أحد أصناف التّفسير النقلي الذي لا يكاد يختلف عنه إلا فيما يميّزه عن غيره.

والمعاصرون من الدارسين ردوا فكرة التحرج القديمة أيضا ولم يقبلوا من الظاهرين الجدد في هذا العصر قولهم بلزوم النقول الأثرية، ووصلوا إلى ضرورة هذا المصدر في التّفسير مستندين إلى مجموعة من الحقائق نلخصها فيما يلي :

1 – إن كثيرا من الصحابة والتابعين ودارسي القرآن إذا سئلوا عن غريب القرآن، رجعوا إلى الشعر العربي مستشهدين به على صحة مذهبهم كما هو الشأن عن ابن عباس وعكرمة والحسن.كانوا إذا سئلوا عن معنى كلمة غريبة في القرآن رجعوا إلى شعر العرب واستشهدوا بأقوالهم وجعلوا ذلك ميزانا حاكما فيما يجيبون به.

2 – إن كبار علماء اللغة وفي طليعتهم أبو عبيدة والفراء والزجاج وقطرب والشريف الرضي والراغب الأصفهاني وأمثالهم قد ألفوا في غريب القرآن والمعاني والمشكل والمفردات والإعراب واستندوا إلى أقوال العرب.

3 – إن القرآن نزل بلسان عربي مبين وأهل اللسان هم أدرى وأعلم بما في هذا الكتاب، كما يتوجب عليهم إدراك ما جاء فيه من أمر ونهي ليكون التكليف منسجما مع الفهم، أما تكليف الإنسان بما لا يفهم ولا يعي فخلاف التبيين الذي صرح به الكتاب الكريم[1].

وبتلك الأدلة الأولى القوية التي شاعت بين المثقفين، وتناقلها طلبة العلم قبيل نهاية القرن الثاني وبعده، بدأت موجة التحرج تنحسر ويتقلص امتدادها وخاصة أمام ما ساقه علماء التّفسير اللّغوي بدءا بأبي عبيدة من بحوث لغوية جديدة كانت من أهم الأدوات في تحليل النص القرآني وتوجيه المعنى إلى ما تدل عليه مقاصد الشريعة. لقد تركت أعمال اللّغويين التّفسيرية تأثيرا بالغا في عملية التّفسير ولا سيما وأن الحضارة الإسلامية قد أقبلت على أنواع من العلوم والثقافات لم تكن لها بها عهد، وخاصة المنطق والفلسفة اللذان وظفا توظيفا تاما من قبل الفرق أصحاب الأهواء لخدمة معتقداتها. فلم يجد المفسرون بدا من الاستعانة بالتفاسير اللّغوية للدفاع عن مضمون القرآن ولغته، والذي لم تعد تجدي تلك النقول والآثار المحفوظة عن السلف، فقد كان للطاعنين في القرآن من أساليب الجدال العقلية ما يجعل مقاومة الأثريين لهم ضربا من العبث، لذلك اتجهوا إلى اللّغويين المفسرين الذين أسسوا دراساتهم على كثير من تلك الأساليب المنطقية الجديدة.

---

(1) انظر المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: ص68.

وبهذه العودة إلى الاستمداد من التّفسير اللّغوي، وإشراك المبدأ اللّغوي في العملية التّفسيرية، استطاع اللّغويون خرق نظرة التقديس اتجاه المنهج الأثري، وانحسرت موجة التحرج انحسارا تاما وقد أصبح المبدأ اللّغوي ركنا لا يصح التّفسير إلا به، ولم تعد هناك تفسيرات أثرية بالمعنى الاصطلاحي إذ ما من مفسر إلا وأخذ بشيء من الرواية، وشيء من النظر العقلي الخاص وأقله استخدام العامل اللّغوي للترجيح بين الروايات وأقوال العرب. ويمكن أن توصف كتب المفسرين بعد موجة التحرج بالتفاسير الأثرية اللّغوية.

شيوع المبدأ اللّغوي في التفاسير

ولا جدال أن هذا الاتجاه بعد انحسار موجة الاحتجاج هذه أصبح متميزا له منزعه الخاص وقدرته على التحليل الذي لا يدع النص مغلقا دون الاستفادة بكل ما فيه. وربما كان هذا الاتجاه من أهم الاتجاهات التي طورت معنى التّفسير، ودرجت مفهومه ووسعت دائرته، وبسطت أكنافه[1]. يقول الدكتور سيد خليل في دراسة له: « لا نكاد نظفر بمنهج شبه متفق عليه بين الناس بعامة سوى المنهج اللّغوي التحليلي في تفسير النص، وهو نفس المنهج الذي سلكه المفسرون اللّغويون القدامى الذين تجردوا من كل المؤثرات، وإنما تركوا النص يعطي ما عنده دون أن يفسرون لخدمة غرض من أغراضهم أو قضية من القضايا »[2]

ولكن حدث أن انقسمت في هذه الفترة بيئة المفسرين إلى فرق متعددة، وكان انقسامهما هو اختلاف في وجهات النظر التي كان يقصد أصحابها خدمة القرآن حينا أو خدمة المعتقد أحيانا أخرى.وقام جدل حول القرآن فاستغرق القرنين الثاني والثالث وما بعدهما، واشتجرت المذاهب فيه تتناوله من زوايا متعددة. وكان أول الفرق نشوءا المعتزلة الذين خرجوا على أهل السنة نتيجة كلامهم في الذات والصفات، ثم فرقة المرجئة والشيعة والخوارج. والقرآن الكريم وتفسيره هو ميدان النشاط الفكري لهذه الفرق لا سيما وقد جاء النص القرآني كثيرا من الألفاظ والتعابير تثير حساسية عقدية خاصة، كالألفاظ الموهمة للتشبيه والصفات، وغيرها مما لها صلة بقضية الجبر والاختيار والاستطاعة وإذا كانت مواضع من نحو : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه 4]، ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾[الأنعام 159]، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[الفجر 24]، ﴿ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾[الزمر 53]، ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص 74] ، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة 66]، ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح 10]، ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[هود 37]، إلخ

---

(1) دراسات في القرآن للسيد خليل : ص71.
(2) المصدر نفسه: ص161.

قد أثارت القضايا المتعلقة بالصفات والتشبيه والتجسيم، فإن مواضع مثل ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[فصلت 39]، ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف 29]، ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾[الكهف 17]، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الكهف 23] إلخ، أثارت هي الأخرى قضية الجبر والاختيار والاستطاعة وغيرها من القضايا.

وهذه المسائل تثيرها ألفاظا قرآنية بدون شك، كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة 22] لقد نقل الصاحب بن عبّاد(385هـ)[1] عن الإمام علي أنه فسرها على أن «معناها: ناظرة إلى ثواب ربها »[2] فالذي أثار شبهة إمكانية رؤية الله عز وجل هو وصف الوجوه في القرآن بالنظر إلى ربها، وهذا ما دفع أحد أصحاب الحديث إلى سؤال أبي حاتم السجستاني: «هل يكون 'الناظر' في كلام العرب بغير معنى 'الرائي'؟» فجاوبه أبو حاتم: « نعم يكون بمعنى الانتظار أما سمعت قوله تعالى:﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ ﴾[البقرة 279][3].

ولا شك أن تضارب معاني الروايات قد زادت من حدة الإشكال فيها، وتحولت كل تلك الجوانب إلى مطاعن على القرآن يوجهها أعداء الإسلام من غير المسلمين، أو ممن دخلوا في الإسلام وظلوا على جاهليتهم القديمة، يقول ابن قتيبة: « إنهم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف»[4]

وقالوا في قوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾[الرعد 36] أين الشيء الذي جعلت له الجنة مثلا، وهل يجوز أن يقال: مثل الدار التي وعدتك سكناها يطرد فيها نهر وتظلك فيها شجرة. ويمسك القائل؟...وقالوا في قوله تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾[النحل 112] كيف يذاق اللباس؟ وإنما كان وجه الكلام: فألبسها الله لباس الجوع والخوف» أو «غشّاها الله الجوع والخوف» أو «فأذاقها الله الجوع والخوف»[5].

---

(1) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج1 ص228: « قال أبو منصور الثعالبي في كتابه «اليتيمة» في حقه: ليست تحضرني عبارة أرضها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب، جلالة شانه في الجود والكرم، وتفرده بالغايات في المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ».

(2) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص38. إعراب القرآن للنحاس: ج1 ص259-260.

(3) نظرية اللغة في النقد العربي. راضي عبد الحكيم. مصر: مكتبة الخانجي. ص402.

(4) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص17.

(5) راجع جملة المطاعن بالتفصيل في تأويل مشكل القرآن: ص19-25. وراجع صور أخرى الطعن على القرآن في بيان إعجاز القرآن للخطابي. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. الرماني، الخطابي، الجرجاني. ت: محمد خلف الله محمد زغلول سلام. ط:2. مصر: مط دار المعارف، 1968م. ص37-40.

مثال آخر يوضح تلك الحيرة التي وقع فيها الناس بين شتى مواضع القرآن، فقد روي عن عبيد الله بن الحسن أنه « كان يقول: إن القرآن يدل على الاختلاف فالقول بالقدر صحيح، وله أصل في الكتاب، والقول بالإجبار صحيح، وله أصل في الكتاب، ومن قال بهذا فهو مصيب ومن قال بهذا مصيب، لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين، واحتملت معنيين متضادين. وسئل يوما عن أهل القدر وأهل الإجبار فقال: كل مصيب، هؤلاء قوم عظموا الله، وهؤلاء قوم نزهوا الله...قال: وكذلك في الأسماء فمن سمى الزاني مؤمنا فقد أصاب، ومن سماه كافرا فقد أصاب، ومن قال: هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب، ومن قال: هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ومن قال: هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب، ومن قال : هو كافر مشرك فقد أصاب ... لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني».[1]

وشاركت كل الفرق في الرد وتفنيد أصول بعضها البعض، لأن كل فرقة تدعي استمداد أصولها من القرآن الكريم الذي كان موضعا للتأويل والتخريج من جانبهم جميعا. وتحول المسلمون يدافعون عن القرآن ضد الطاعنين عليه من الخارج، وفيما بينهم يدافع كل منهم عن فهمه الخاص للنص، وهو دفاع سار في خط كبير كانت اللغة العربية بجميع فنونها أداة ضخمة لتبرئة ساحة العبارة القرآنية من تلك المطاعن والعودة بالنص إلى مفهومه الصحيح. واضطلع بهذه المهمة أصحاب اللغة الذين لم يكونوا بمعزل عن التيارات العقدية السائدة في البيئة الإسلامية، كما تكفل بذلك أيضا أصحاب العقائد المتخصصين في العلوم اللّغوية ودفاع جميعهم للحفاظ على الفهم الحقيقي للقرآن. وعلى سبيل المثال ما ذهب إليه بعض اللّغويين من ذوي الاتجاهات العقدية في توجيه قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه 118] على محمل يبتعد عن نسبة المعصية إلى آدم فذهبوا كما روى ابن قتيبة إلى:«قول العرب 'غَوَى الفَصيلُ' إذا أكثر من اللبن حتى يبشم ».وهو تخريج يخطئه ابن قتيبة، لأن 'غوى' في الآية من 'غوى' -بفتح الواو- يَغْوِي غَيًا، وهو من البَشَم 'غَوِيَ -بكسر الواو- يَغْوَى غَوًى' ثم هو لا يحمل التبرئة المطلوبة لأن في 'غَوَى' -كما يقول- ما في 'عَصَى' من معنى الذنب لأن العاصي لله التارك لأمره غَاوٍ في حالة تلك، والغاوي عاص، والغيّ ضِدُ الرُشْد كما أن المعصية ضد الطاعة[2].

مثال آخر لما ذهبوا إليه في تخريج قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى 10] قال ابن قتيبة: « وظاهر هذا يدل على أن مثله لا يشبهه شيء، ومثل الشيء غير الشيء، فقد صار على هذا

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص55-56.
(2) المصدر نفسه: ص312. وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص82.

الظاهر لله تعالى مَثَلٌ، ولكن هذا ليس هو المعنى المراد، لأن معنى ذلك في اللغة أن يقام المثل مقام الشيء نفسه ..ففي قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يريد 'ليس كهو شيء'... ويجوز أن تكون الكاف زائدة كما تقول في الكلام 'كلمني بلسان كمثل السنان' »[1]

ويكشف حديثهم عن قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[الزخرف 81] عن استماتة التخريج لظاهر النص القرآني بعيدا عن كل ما يبعث على الحرج، وذلك بالتصرف في دلالة اللفظ أو تركيبه وفقا لما هو ممكن. فقال أبو عبيدة : 'إن' في موضع 'ما' في قول بعضهم: 'ما كان للرحمن ولد' والفاء مجازها مجاز الواو: 'ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين'...وقال آخر: مجازها ' إن كان في قولكم للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم، وهي من 'عَبِدَ يَعْبَدُ عَبَدًا'[2]

وقد عمم اللّغويون وأصحاب العقائد هذا المسلك أيضا في كثير من الصفات الأخرى والأفعال المنسوبة إلى المولى عز وجل مما قد لا يخطر أنها تثير مشكلة في باب العقيدة،وعلة ذلك كما قال الزركشي : « وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة المتشابه والجسمية في حق البارئ تعالى »[3]

وما أعلنه ابن قتيبة من أن كثيرا من الناس مستوحشون : «من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا، ويحملوهم التنزيه لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله ... واستكراه التأويل وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة والحيل الضعيفة »[4].

وننتقل إلى وجه آخر من وجوه البحث، باستعراض مواقف عدد من أصحاب الدراسات القرآنية والتّفسير من أهل اللغة من أهل القرون الأولى في عدد من الآيات التي تندرج تحت أسلوب واحد.وليكن تخريج دلالات الألفاظ المفردة من الأفعال والصفات الداخلة في إطار ما يجوز على الله وما لا يجوز. ولنمثل لذلك بعدد من الآيات تندرج تحت أسلوب واحد أطلق عليه البعض «المجازاة على الفعل بمثل لفظه» في آيات : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾[البقرة 193] و ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ

---

(1) تأويل مختلف الحديث. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ت: محمد زهير النجار. بيروت: مط دار الجيل، (1411هـ-1991م). ص275.
(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج2 ص206-207.
(3) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج2 ص80.
(4) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص312.

سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى 37] و﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[البقرة 14-15].وغير هذه الآيات التي تسير على نفس الأسلوب حيث يعاد اللفظ الأول مرة أخرى على سبيل المجازاة مع اختلاف الدلالة.

فذهب أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾[آل عمران 53] إلى أن 'مكر الله' بمعنى: 'أهلكَهُم الله'،[1] ومعنى ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾[التوبة 30]: 'قتلهم الله' وقال إنه « فلّما يوجد 'فاعَلَ' إلا أن يكون العمل من اثنين...وقد جاء هذا ونظيره: عافاك الله، والمعنى: أعفَاك الله وهو من الله وحده».[2] وأما الفراء، فذهب إلى أن « المكْرَ من الله، استدراج لا على مكْرِ المخلوقين »[3]. وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة 192] يقول: « فإن قال قائل: ... أعُدْوَانٌ هذا، وقد أباحه الله لَهُم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى، إنما هو على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنه قال: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[البقرة 193] فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين، إنما هو قِصَاصٌ فلا يكون القصاص ظلما وإن كان لفظه واحدا. ومثله... ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى 37] وليست من الله على مثل معناها من المسيء لأنها جزاء».[4]

وذهب الأخفش الأوسط في معاني القرآن إلى نفس المنحى يقول : « وأما قوله ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾[البقرة 9] ولا تكون المفاعلة إلا من شيئين فإنه إنما يقول:«يخادعون الله عند أنفسهم » يُمنّونَها أن لا يُعَاقَبُوا...وقد تكون المفاعلة عن واحد في أشياء كثيرة، تقول: باعدْتُه مباعدة، وجاوزته مُجَاوَزَةً ...وقد قال:﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ فذا على الجواب...وكذلك ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ و﴿ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾على الجواب، والله لا يكون منه المَكرُ والهُزءُ، والمعنى أن المكر حاق بهم، والهزء صار بهم».[5]

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج1 ص95.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص256.
(3) معاني القرآن للفراء: ج1 ص218.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص116-117.
(5) معاني القرآن للأخفش: ج1 ص40.

أما ابن قتيبة فسمى هذا التركيب، « مخالفةُ ظاهر اللفظ معناه ».ومن أنواعه عنده « الجـــزاء على الفعل بمثل لفظه » ومن أمثلته '...مَكرَ الله' و'...سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ'.[1]

وسماه المبرد « مزج اللفظ بلفظ ما قبله » وقاسه قول الشاعر:

أَلاَ لاَ يَـجْهَلَنْ أَحَـدٌ عَلَـيْنَـا ✡ فَـنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْلِ الجَاهِـلِينَ

وقال المبرد: « إن الفعلين متساويان، والمخرجان متباينان فمثله 'وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ' والثانية ليـس سيئة تكتب على صاحبها ولكنها مثلها في المكروه ».[2]

وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾: « أي مـن ظلـم فقـاتل فـاعتدى ﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾.وسمى الثاني اعتداء لأنه مجازاة اعتداء، فسُميَ بمثل اسـمه، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقـول: ظلمَنِـي فـلان فظلمْتُهُ، أي: جازيته بظلمه، وجهل علي فجهلت عليه؛ أي: جازيته بجهله...وقـال الله جـل وعـز ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ ﴾ وقال ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾ جعل اسم مجازاتهم مكرا كمـا مكروا فكذلك ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾».[3]

كما يسمي الزجاج الظاهرة نفسها بـ«إزدواج الكلام» فعند تفسيره لقوله تعـالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة 15] ذكر لها ثلاثة أوجه: فمعنى 'استهزأ الله بهم' أنه ظهر لهم من أحكامه فـي الدنيـا خلاف ما لهم في الآخرة، كما أظهروا للمسلمين خلاف ما أسروا. ويجوز أن يكون استهزاؤه بـهم: أخْذَهُ إياهم من حيث لا يعلمون، كما قال جل وعز ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[القلم 44].

ويجوز والله أعلم، وهو المختار عند أهل اللغة أن يكون معنى « يستهزئ بهم: يجازيهم علـى هزئهم بالعذاب، فسُميَ جزاء الذنب باسمه كما قال جل وعز: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[الشـورى 37]. فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة، ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام، كذلك قوله تعـالى ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[البقرة 194] فالاعتداء الأول ظلم والثاني ليـس بظلـم ولكنه يُسَمَّى في اللغة باسم الذنب ليعلم أنه عقاب وجزاء به ».[4]

---

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص215.
(2) أثر القرآن في تطور النقد العربي زغلول سلام: ص187.
(3) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج: ص228.
(4) المصدر نفسه: ص52-53.

وذكر ابن جني في باب « فيما يؤمّنه علم العربية من الاعتقادات الدينية » ما يؤكد صحة ما قُرّرَ. فقد ذهب إلى : «أن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريق المثلى إليها فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار وحواشيها وأنحائها، وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه...منها..وذلك أنهم لما سمعوا قول الله سبحانه ... ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر 53] وقوله... ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة 115] وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص 74]... ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى.وقوله في الحديث « خُلِقَ آدَمُ عَلَى صُورَتِهِ » حتى ذهب بعض هؤلاء الجهال في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم 42] أنها ساق ربهم، ونعوذ بالله من ضعفة النظر... ولو كان لهم أنس بهذه اللغة الشريفة أو تصرف فيها ...لحمتهم السعادة بها ما أصارتْهم الشَّقْوَةُ إليه بالبعد عنها... وطريق ذلك أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة ...فلما كانت كذلك وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها ...جرى خطابهم مجرى ما يلفونه ويعتادونه منها، وفهم أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعادتهم في الاستعمال[1] .

فابن جني يقف ضد الأخذ بظاهر اللفظ في المواضع التي يجر فيها التمسك بالظاهر إلى منزلق الكفر، فيقف ضد منكري المجاز، كما أنّه يقف ضد محاولات الانسلاخ تماما عند التّفسير من كل علاقة بالدلالة الأصلية للكلمات، وهما الاتجاهان اللذان ردهما عبد القاهر الجرجاني واصفا أحدهما بأنه «تفريط» والآخر «إفارط»[2].

وقد اتُبعَتْ الطريقة السالفة التمثيل، والتي انتهجها اللّغويين، في تخريج الكثير من الأساليب ذات الحساسية العقدية في القرآن، كصدور الاستفهام أو التعجب أو الدعاء، وهي مما لا يليق عن الله سبحانه. وتطرد القاعدة عند اللّغويين في صرف العبارة عن ظاهرها في كل موضع لا يجوز صدوره من الله أو نسبته إليه، وهذا يعني «أن معاني هذه النصوص لا تتقرر غالبا من داخلها، ووفقا لما تمليه لغتها مباشرة، وإنما تتحكم في تحديد معنى النص الديني عديد من الملابسات والقرائن وليس أهمها مفردات النص وتركيب لغته »![3]

---

(1) الخصائص لابن جني: ج3 ص245- 247.
(2) سر صناعة الإعراب لابن جني: ج1 ص361-363.
(3) نظرية اللغة في النقد العربي لعبد الكريم الراضي: ص442.

ولو خصصنا الحديث عن شيوع المبدأ اللّغوي في التفاسير عند الفرق الإسلامية لكانت الأكثر تأثيرا في الفكر الإسلامي وأكثرها ثراء وإنتاجا وخدمة للدين فرقتي أهل السنة والمعتزلة. لقد كان المبدأ اللّغوي عند هاتين الفرقتين من أهم العوامل التي طورت تفاسيرهم وأرست قواعدها ولونت اتجاهاتها بما يلائم والتطور الفكري الذي آلت إليه الثقافة الإسلامية إبان القرن الثالث الهجري.

أولا : المبدأ اللّغوي في تفاسير أهل السنة [1]

اعتمدت تفاسير أهل السنة المبدأ اللّغوي وجعلته أحد أكبر ركائز التّفسير بجانب العلوم الأساسية الأخرى، وأحسن طرق النقد للروايات والأقوال ونمثل لأثر هذا المبدأ في تفاسير أهل السنة خلال القرن الثالث الهجري بما جاء في أقدم أثر تفسيري عند أهل السنة، وهو تفسير ابن جرير الطبري والذي اعتمد في تفسيره منهجية عبد الله بن عباس ﷺ، وذكر في مقدمة تفسيره وجوه التّفسير وآخرها ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، ولكن الطبري في تفسيره كثيرا ما ناقش مدرسة التّفسير اللّغوي، وقلل من شأن اللّغويين المفسرين وهاجم أعمالهم التّفسيرية بشتى الأوصاف.

ولعل هجوم اللّغويين الطبري هذا فيه كثير من التعليقات والملاحظات استخلصها الدارسون من كتابه جامع البيان في التّفسير، وأول هذه التعليقات أن الاتجاه الغالب على تفسير الطبري هو الاتجاه النقدي للآثار التي ينقلها، وسواء كانت عن السلف أو اللّغويين أو غيرهم، وكثيرا ما كرّ على الروايات والنقول بالنقد أو النقص، وما هجومه على أصحاب التّفسير اللّغوي إلا من هذا الباب، مثال ذلك قوله ما نصه « ... وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف 49] إلى وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر التي بمعنى المنجاة، من قول أبي زبيدة الطائي :

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ۞ وَلَقَدْ كَانَ عَصْرَةَ المَنْجُودِ

---

(1) نبه الإمام ابن حزم إلى بعض أصناف أهل السنة الذين وقع التنازع بينهم وقد فصل البغدادي عبارة ابن حزم، فذكر الأصناف الثمانية الذين يدخلون في أهل السنة والجماعة حتى لا يظن بهم فرقا متنازعة. الفرق بين الفرق. عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأسفرائيني. ت: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: مط المكتبة العصرية، (1411هـ-1990م). ص313 إلى 318. ومعنى ذلك أن كل من تكلم في التّفسير من الأصناف المشار إليها لا يعد كلامه مذهبا، وإنما هو اتجاه خاص أبرز فيه صناعه وغلب عليه فنه، فكل هؤلاء كما بين البغدادي أحاطوا علما بوجوه التّفسير القرآني على وفق مذهب أهل السنة دون تأويلات أهل الفرق الضالة، فالخلاف إن وقع بين أصحاب هذه الأصناف فهو خلاف في الفروع، أما الخلاف الذي وقع بين أصناف أهل السنة من جهة وأهل الأهواء الضالة من جهة أخرى فإنما هو خلاف في الأصول.

أي المَقْهُور. ومن قول لبيد :

فَبَـاتَ وَأَسْـرَى القَـوْمَ آخِرَ لَيْلِهِمْ ۞ مَا كَانَ وَقَّافًا بِغَيْرِ مُـعْصِرِ

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئهِ خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين »[1]

وكثيرا ما يقف ابن جرير مثل هذا الموقف حيال ما يروى عن الفراء أو أبي عبيدة أو غيرهما ممن يروون التفاسير اللّغوية. فمثلا مناقشته للفراء في تفسيره اللّغوي مقدما عليه ما أثر عن الصحابة والتابعين.يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[الغاشية 11]:« اللغو: الباطل فقيل للكلمة التي هي لغو لاغية كما قيل لصاحب الدرع دارع ولصاحب الفرس فارس، ولقائل الشعر شاعر، كما قال الحطيئة:

أَغْرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّـ ۞ ـك لابنٌ بِالصَيْفِ تَامِرُ

ويعني صاحب التمر، وزعم بعض الكوفيين أن معنى ذلك لا تسمع فيها حالفة على الكذب، ولذلك، قيل لاغية، ولهذا الذي قاله مذهب روجه لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجتمعين »[2]

وقد بالغ الطبري في نقده إلى حد اتهام بعضهم بضعف المعرفة باللغة [3] وكان أيضا لمنهج أبي عبيدة اللّغوي الخالص دون نظر إلى مأثور أو منقول أثر مضاد عند الطبري، وقد أفسح الطبري في كتابه مواضع كثيرة لنقد أبي عبيدة في مجازه ومهاجمته واتهامه بضعف المعرفة بتأويل أهل التأويل،قليل الرواية لأقوال السلف من أهل التّفسير[4]. وقال عنه أيضا: « وقد زعم بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل »[5]

وقال عن غيره من اللّغويين: « وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم »[6]. وهكذا نجد ابن جرير في غير موضع من تفسيره مترصدا لأقوال اللّغويين، أوقف نفسه للرد على مثل هذه الآراء التي لا تستند على شيء إلا على مجرد الرأي أو محض اللغة في رأيه. وسبب هذا الرد العنيف من الطبري راجع إلى اختلاف المنهج عند كل منهما، فمهما يكن للآية

---

(1) تفسير ابن جرير الطبري: ج12 ص198.
(2) المصدر نفسه: ج30 ص163.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص44 -45.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص44--45.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص58.
(6) المصدر نفسه: ج4 ص51.

من مذهب لغوي فهو عند الطبري مرفوض إن اصطدم بالتّفسير الأثري الموثق، « وهو بهذا يضاد منزع أبي عبيدة اللّغوي الخالص الذي يميل فيه إلى ما تقتضيه اللغة ولو عارض تفسير المفسرين »[1]

ولكننا مع ذلك نجد أثر الاتجاه عنده كبيرا، إذ يعقد فصولا متتالية عن عربية القرآن لفظا ومعنى، وما اتفقت فيه ألفاظ العرب مع ألفاظ غيرها ولا ينتهي في جميع بحوثه اللّغوية إلى أكثر مما انتهى إليه أبو عبيدة والفراء وابن قتيبة[2]. والطبري في مقدمة تفسير يعتمد قول ابن عباس في طرق التّفسير فيجعل من كلام العرب شعره ونثره من أكبر المراجع التّفسيرية لكتاب الله العزيز، ذلك ما ثبت في منهجيته التّفسيرية فكثيرا احتكامه إلى المعروف من كلام العرب إذا لم يجد التّفسير الأثري الصحيح، فيفسر لغويا بمعان عرفها العرب من منطق كلامها فالاستعمال اللّغوي عند الطبري أوثق المراجع في تفسير العبارات المشكوك فيها، كذلك نجد ابن جرير يرجع على شواهد من الشعر القديم بشكل متبعا في هذا ما أثاره ابن عباس في ذلك، بل لقد أحرز الطبري قصب السبق في مدى اتساع الشواهد الشعرية في تفسيره حتى ليكاد الباحث أن يجعله من رؤوس الاتجاه اللّغوي في التّفسير. ويقول المستشرق جولد تسيهر عن هذا الجانب من تفسيره: « وما جاء في تفسيره مما يتصل بالناحية اللّغوية لهو ركاز لا نُقدّر نفاسته في بحث مفردات اللغة، كذلك بعيدة الغاية استقصاءاته النحوية التي يتناول فيها على وجه التفصيل بحث الظواهر اللّغوية تبعا لمختلف المدارك في مدارس البصرية والكوفية»[3].

ومثال ذلك عند تفسيره الأول سور القرآن عند قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة 3]، يقول:« ومعنى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في هذا الموضع، وفقنا للثبات عليه...، فإن قال قائل: وأنّى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق؟ قيل له: ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد، فمن ذلك قول الشاعر:

لاَ تَحْرِمَنِّي -هَدَاكَ اللهُ- مَسْأَلَتِي ۞ وَلاَ أَكُونَنَّ كَمَنْ أُوْبَ بِهِ السَّفَرُ

يعني وفقك الله لقضاء حاجتي، ومنه قول الآخر:

وَلاَ تَعْجَلِينَ هَدَاكِ المَلِيكُ ۞ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالُ

---

(1) منهج الزمخشري في تفسير القرآن للجويني: ص295.
(2) راجع مقدمة تفسيره.
(3) مذاهب التّفسير الإسلامي لجولد تسيهر: ص115.

فمعلوم أنّه إنّما أراد وفقك الله لإصابة الحق في أمري »[1]

وفي سورة هود يذكر الطبري قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[هود 40]، قول القائل إن التنور عبارة عن وجه الأرض وقول من قال: إنه عبارة عن تنوير الصبح، وقول من قال: إنه عبارة عن أعلى الأرض وأشرفها، وقول من قال: إنه عبارة عما يُختَبَزُ فيه... ثم يقول: « وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله 'التنور' قول من قال: التنور: الذي يخبز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب... إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطب بما خاطبهم به لأفهامهم معنى خاطبهم به...»[2].

ومن أمثلة الشواهد الشعرية أيضا التي يسوقها ابن جرير لإثبات معاني مفردات القرآن تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[البقرة 22]: « قال أبو جعفر: والأنداد جمع ند، والند: العدل والمثل[3]، كما قال حسان بن ثابت:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍ ۞ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

بمعنى بقوله:ولست له بند ولست له بمثل ولا عدل، وكل شيء كان نظيرا لشيء وشبيها فهو له ند»[4].

ومن صور التماثل بين منهج الطبري ومنهج اللغويين والذي يدل على التأثير القوي للمنهج اللّغوي في تفاسير تلك الفترة ما نراه من اعتماد الطبري على المذاهب النحوية، فكثيرا ما يتطرق لأقوال النحاة من المدرستين البصرية والكوفية، آخذ برأي المذهبين أو موجها أقواله على أحدهما، مثال ذلك ما ساقه في سورة ابراهيم عند تأويله لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[الآية 21] يقول ما نصه: « اختلف أهل العربية في رافع 'مثل' فقال بعض نحويي البصرة: إنما هو كأنه قال: ومما نقُصُّ عليك 'مَثَلُ الذين كَفَرُوا'، وقال بعض نحويي الكوفة: إنما المثل للأعمال، ولكن العرب تقدم الأسماء، لأنها أعرف، ثم تأتي بالخبر الذي يخبر عنه مع صاحبه، ومعنى الكلام مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد...»[5].

---

(1) تفسير الطبري سورة الفاتحة من أول الكتاب.
(2) المصدر نفسه: ج2 ص38.
(3) انظر الأضداد لأبي حاتم السجستاني: ص131. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص43.
(4) تفسير الطبري: ج1 ص163.
(5) المصدر نفسه: ج13 ص196.

وهكذا نرى ابن جرير يرجع في حكمه وتفسيره إلى معهود من لغة العرب ومن الرجوع إلى الشعر القديم للاستشهاد به على ما يقول. إلا أن هذه البحوث اللّغوية المتعددة « لم تكن أمرا مقصودا لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض. كما يحاول بذلك -أحيانا- أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللّغوية بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينها »[1].

لقد كان تأثير اللّغويين في كتاب الجامع كبيرا إلى حد الذي لا ينسب فيه أقوالهم إليهم، يقول ياقوت: « وذكر فيه -في تفسيره- مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي ومن كتاب يحي بن زياد الفراء... وربما لم يسمّهم إذا ذكر شيئا من كلامهم »[2] . وهذا في مواضع عدة من تفسيره وقد يصدرها بقوله: قال أبو جعفر[3].

ومع هذا فإن ولاء الطبري للتفسير الأثري شديد، لأنه وإن استفاد كثيرا من تطبيق الأداة اللّغوية إلا أنه كان يضع الرواية النقلية في المقام الأول معطليا لها المدى الأوسع في تفسيره، ولا ينسى أن يحد من استعمال الطريقة اللّغوي بالمبدأ الأساسي وهو عدم جواز تعارضها مع راوية وثيقة للصحابة والتابعين، فهو كذلك في المسائل اللّغوية لا يطرح بذلك مذهبه في الاعتماد على الرواية والنقل، و« لا يفسر لغويا إلا في نطاق التّفسير الأثري، وهو بهذا يضاد المنزع اللّغوي الخالص »[4] بينما نجد اللّغويين يعرضون القرآن وأسلوبه ولغته على كلام العرب ويغلبون هذا المنحى في التّفسير على تفسير المفسرين، يقول الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[طه 14]: « إنما وجهنا أُخفيها بضم الألف إلى معنى استرها من نفسي لأن المعروف معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر، يقال: قد أَخْفَيْتُ الشَيْءَ إذا سترته...وأما وجه صحة القول في ذلك أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم...وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا، وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقته أهل العلم من الصحابة والتابعين إذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر»[5].

---

(1) التفسير والمفسرون: ج1 ص219.
(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص257. انظر مقدمة السيد أحمد صقر لتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: الصفحة د.
(3) راجع مثلا معاني الفراء: ج1 ص31 و32. وتفسير الطبري: ج1 ص209.
(4) مناهج في التفسير. مصطفى الصاوي الجويني. الأسكندرية: منشاة المعارف، 1971م. ص295 و296.
(5) تفسير الطبري: ج16 ص150.

إن اختلاف منهج الدراسة بين الطبري وبين اللّغويين هو الداعي لسلوكه معهم هـذا المسلك العنيف، وليس هو إنكار صلاحية المنهج اللّغوي لتفسير القرآن.فإذا كان التهجم على أبي عبيدة قد يكون سببه ما أشيع عنه من الشعوبية أو تفسيره للقرآن باللغة، فلماذا التهجم على الفراء السّني المذهب الذي ساق التفاسير النقلية مع نظراته اللّغوية في معانيه لولا ما ذكرته من اختلاف المنزع بين المنهجين .

لقد كان الطبري أكثر أهل السنة تهجما على المنهج اللّغوي في تفسير رغم شدة تأثره به والرجوع إليه كلما ضاقت به السبل. أما ما عداه من العلماء فلم يؤثر عنهم من مثل ما كان من الطبري لشدة إقرارهم بما للمنهج اللّغوي من القدرة والصلاحية على تحليل النص الذي نزل باللغة العربية التي هي الأداة الأولى لهذا المنهج في التحليل والتّفسير.

لقد برز المبدأ اللّغوي في تفاسير الأولين بقوة وكان جلّه عيال على علماء المنهج اللّغوي من أمثال الأخفش وأبي عبيدة والفراء والكسائي ويونس وابن قتيبة وغيرهم، فلم يخلُ كتاب تفسير من أسماء هؤلاء الأعلام ولا من آرائهم اللّغوية وتوجيهاتهم التّفسيرية.بل أخذ المبدأ -اللّغوي في التّفسير مساحة أوسع في تفاسير أهل السنة وحتى ما بعد القرون الثلاثة الأولى، وما محاولات الراغب الأصفهاني(502هـ) بكتابه « مفردات القرآن » والغزالي في « ميزان العمل » وأبي حيان الأندلسي في «البحر المحيط » وابن عطية في «المحرر الوجيز» إلاّ نوع من هذا التأثير والتمسك، وصدى قوي الرجع لأعمال المدرسة اللّغوية في تفسير في عهدها الأول. فإذا أخذت أبا حيان وابن عطية مثلا رأيت صورة من صور إحياء المنهج اللّغوي التّفسيري « فقد تعرض كل منهما إلى الألفاظ القرآنية الكريمة من حيث الاشتقاق والتصريف واللغات الواردة عليها إن وردت، وعرضا أوجه الإعراب وبيّنا أراء النحويين والكوفيين وغيرهم وتوسعا في ذلك وأسهبا »[1] وهكذا كان أثر التّفسير اللّغوي في بيئة المفسرين أيما أثر بدءا من تفسير يحي بن سلام التميمي العبدي الإفريقي[2]. وابن جرير الطبري في القرنين الثاني والثالث إلى دعوة الجامعيين حديثا إلى هذا المنهج[3].

وأحب التنبيه هنا إلى ما قد يفهم خطأ عن وضعية التّفسير لدى أحد الأصناف الثمانية من أهل السنة التي أشار إليها ابن حزم وهي فرقة الصوفية من أهل الإشارات الذين قد يُظن بهم دون غيرهم

---

(1) مدرسة التّفسير في الأندلس. مصطفى إبراهيم المشني. ط:1. مط الرسالة، (1406هـ-1986م). ص607.

(2) يحي بن سلام البصري، قال الذهبي في تاريخ الإسلام : « سكن افريقيا دهرا، وسمعوا منه كتابه «تفسير القرآن» وليس لأحد من المتقدمين مثلهن وكتابه «الجامع» وكان ثقة ثبتا عالما بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة العربية ».جزء حوادث ووفيات (201 -210هـ) ص443.

(3) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، تعليق المرحوم أمين الخولي على مادة 'تفسير': ج5 ص372.

من أصحاب الفرق السّنية الأخرى أنهم قد حادوا كثيرا في تفاسيرهم عن المدلول اللّغوي لألفاظ القرآن الكريم، وتكلموا في بعض آيات القرآن بمعان لا يجري على ألفاظ القرآن ظاهرا ويضيفون معان ليس لها في واقع حياة اللغة مكان.

والحقيقة أن في واقع الثقافة التّفسيرية نجد طوائف متعددة المشارب وقد ذهبت في تفسير ما نسبوه إلى الرسول ﷺ من قوله إن « لِكُلِّ آيَةٍ ظَاهِرًا وبَاطِنًا »[1] عديدا من المذاهب، فقال الحسن: « إنك إذا بحثت عن باطنها وقَسْتَهُ على ظاهرها وقعت على معناها ».وقال أبو عبيدة : « إن القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها عظة الآخرين»... وقال بعض المتأخرين : «إن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها »[2] وهناك كثير من الفرق الدينية في الإسلام شاع عنها استغلال هذين المصطلحين: الظاهر والباطن. وهناك فرقتان اشتهرتا بالأخذ بهذين المصطلحين، وهما الشيعة بحكم المنطلق العقدي والصوفية وهي الطريق إلى المعرفة،وإلاّ فلما وجدت فرقة إسلامية لم تأخذ بهذا المبدأ في الفصل بين ظاهر العبارة القرآنية وبين صورتها الباطنية. والسبب أن جميع هذه الفرق قد وجدت في ظاهر نص القرآن ما يؤيد نظرتها وما يخالف هذه النظرة أيضا، فكان من الطبيعي أن تأخذ بظاهر ما يوافقها، وأن تبحث لما يخالفها من آيات القرآن عن تخريج مناسب مثلما وردت الأخبار عن لجوء أحمد بن حنبل إلى التأويل في ثلاثة مواضع من القرآن بسبب اشتمالها على صفات وأفعال لا يصح نسبتها إلى الله[3].

والصوفية أيضا من أصحاب هذا المنهج في التّفسير على طريقة أرباب المجاهدات والأحوال. لم يهملوا ولم يردوا ظاهر القرآن كما فعل الباطنية، بل أقروا ظاهر القرآن واحترموه، وفهموا من ورائه فوق ذلك رموزا وإشارات هي ثمرة التقرب من المولى عز وجل، وهم يستندون في ذلك إلى حديث النبي ﷺ : « لِكُلِّ آيَةٍ ظَاهِرٌ وبَاطِنٌ وَحَدٌّ ومَطْلَعٌ »[4] قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري في كتابه « لطائف المنن »[5] : « اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة...ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جَلَبَتْ لَهُ الآية ودلت عليه في عرف اللسان، ثمّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه،

---

(1) الحديث رواه ابن حبان في صحيحه. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. ت: كمال يوسف الحوت. ط:1. بيروت: دار الفكر، (1497هـ-1987م).
(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ج2 ص169.
(3) راجع هذا في البرهان : ج2 ص79.
(4) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بلفظ:« لِلقُرْآن ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ » .
(5) لطائف المنن. ابن عطاء الله السكندري. ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور عبد الحليم محمود. ط:1. مط دار الكتاب اللبناني، مط دار الكتاب المصرية، (1411هـ- 1991م). ص235 و 236.

وقد جاء أنه ﷺ قال: « لِكُلِّ آيَةٍ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ » فلا يصدنّك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل معارضة: هذه إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم ».

وقد فصل حجة الإسلام الغزالي إمام الصوفية في هذا الموضوع وبيّن رأي الصوفية في ذلك، فهم يسلمون بأن للقرآن ظاهر يفهمه كل قارئ للقرآن يعلم بأساليب البيان العربي، مطلع على المأثور عن النبي ﷺ، وله باطن يفهم من الإشارات البيانية. قال الغزالي في كتاب من الإحياء:« إذا قلنا في قوله ﷺ « لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ » فهذا ظاهره وإشارته أن القلب بيت وهو مهبط الملائكة ومستقر آثارهم، والصفات الرديئة كالغضب والشهوة والحسد والحقد والعجب كلاب نابحة في القلب، فلا تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب، ونور الله لا يقذفه في القلب إلا بواسطة الملائكة، فقلب كهذا لا يقذف فيه النور. وقال: ولست أقول إن المراد من الحديث بلفظ البيت القلب، وبالكلب الصفة المذمومة ولكن أقول هو تنبيه عليه، وفرق بين تفسير الظاهر وبين التنبيه على البواطن من ذكر الظواهر »[1]

والغزالي يقول أن المعنى الذي يؤخذ من ظواهر الألفاظ العربية ويثبت بعضه من السماع عن النبي ﷺ والصحابة هو الطريق للمعنى العميق الذي يدركه الناس كلما تقدم العلم واطلعوا على ظواهر الكون وكشفوا عن خواصه ما كان مجهولا، ولا سبيل لمعرفة تلك المعاني العميقة إلا بالمعاني الظاهرة المكشوفة. ويقول الغزالي في ذلك مانصه:« والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التّفسير أولا ليتقي موضع الغلط ثم بعد ذلك يتتبع للتفهم والاستنباط واستخراج الغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إمكان الظاهر، ومن أدعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التّفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب،أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الأتراك فإن ظاهر التّفسير يجري تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم ».

ويقول الغزالي في معاني القرآن « إنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علمهم، وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب. ويكون لكل واحد حد في الترقي من درجة إلى درجة أعلى منها، فأما الإستيفاء فلا مطمع فيه، ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما

---

(1) إحياء علوم الدين: ج3 ص524. انظر التحرير والتنوير: ج1 ص34 و35.

فأسرار كلمة الله عز وجل لا نهاية لها فمن هذا الوجه يتقارب الخلق في الفهم، يعد الاشتراك في معرفة ظاهر التّفسير، وظاهر التّفسير لا يغني »[1].

ويقول الغزالي بصدد التعليق على مثال ذكره للتفسير الإشاري: « لا تظن من هذا الأنموذج وطريق ضرب الأمثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في إبطالها حتى أقول مثلا: لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾[طه 12].حاشا لله فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل، ولذلك قال عليه السلام: « لِلقُرْآنِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ » وربما نقل هذا عن علي موقوفا عليه، بل أقول:« موسى فهم من الأمر بخلع النعلين إطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بخلع العالمين »![2]

إن دلالة الألفاظ عند الصوفية تبعد عن الدلالة المستقرة في الحقيقة والمجاز، فهي أشبه ما تكون بالحقيقة العرفية الخاصة في أوساطهم، ونسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها لا تشير إلى حقيقة التّفسير في نظر الصوفية. يقول السيوطي نقلا عن ابن الصلاح[3](643هـ):« الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية »[4] . وعلل السيد أحمد خليل موقف الصوفية من الدلالة العربية في القرآن، فقال: « والواقع أن تفسير الصوفي عسير الفهم شاق على النفس إذ أنه ينهض على معجم خاص بالصوفية بعدت به الألفاظ عن دلالاتها الأولى حتى أصبحت تمثل اتجاها دلاليا خاصا أشبه بما أصطلح على تسميته بالحقيقة العرفية »![5]

ونخلص من تعامل الصوفية مع ظاهر القرآن إلى أن تفسيراتهم لم تحد عن ظاهر العربية بل هي إشارات زائدة عن ظواهر الألفاظ القرآنية كما أقر بذلك أرباب هذا الفن. وقد ظهر أثر العامل اللّغوي في تفسير هؤلاء بوجه مغاير لما هو معتاد من غيرهم، فهم يجعلونه أساس ما تثمره قلوبهم من فوائد وحكم حين يوجهون التّفسير إلى معنى من المعاني.

---

(1) المصدر نفسه: ج1 ص263 و 264 .
(2) مشكاة الأنوار. أبو حامد الغزالي. ت: أبو العلا عفيفي. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، (1983هـ–1964م). ص35. انظر مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ج2 ص89.
(3) « هو تقي الدين بن الصلاح أحد فضلاء عصره في التّفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في علوم عديدة.» وفيات الأعيان: ج3 ص243.
(4) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج2 ص235.
(5) دراسات في القرآن للسيد خليل: ص6.

ثانيا : المبدأ اللّغوي في تفاسير المعتزلة

كان اعتماد الملحدين على المتشابه في طعنهم على القرآن العامل الرئيسي في توجيه بحوث المعتزلة ناحية المتشابه، فصنف المعتزلة نوعا جديدا من الكتب في التّفسير أسموه « معاني القرآن ». استهدفوا فيها بيان مشكله ومتشابهاته ومجازاته التي أخطأ هؤلاء في تأويلها، وأشتهر المعتزلة بالتفوق في بيان مشكلات المتشابه حتى كان أهل السنة والجماعة حين يعجزون عن حل عوائصها يحيلون السائل على علماء الاعتزال. وتعتبر الطريقة اللّغوية المبدأ الأعلى والأصل المهم من قواعد تفسير القرآن عند المعتزلة.وهذا المبدأ اللّغوي يظهر أثره واضحا في تفسير للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الألوهية، أو العبارات التي تحتوي على التشبيه، أو العبارات التي تصادم بعض أصولهم. فنراهم يحاولون أولا إيصال المعنى الذي يرونه مع مذهبهم ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليها بأدلة من اللغة والشعر العربي. وعلى رأس هؤلاء المعتزلة وكبيرهم ممن قعد لهذا الدرب واصل بن عطاء(131هـ) وصاحبه عمرو بن عبيد[1](144هـ).وكان واصل صاحب بيان وقدم راسخة في العلوم اللّغوية، آمن بمذهبه ودافع عنه بحماسة كبيرة، مع من حوله جماعة من التلاميذ ولقّنهم أصول منهجه ثم أرسلهم إلى الأقاليم يحاورون أصحاب الأهواء والبدع، وعلى منهج واصل سار صاحبه عمرو بن عبيد وقد كان رجلا صالحا زاهدا. وحمل لواء الإعتزال بعد واصل وعمرو كثيرون من علماء اللغة خاصة « ومنهم من اتخذ الاعتزال مذهبا يدين به...ومنهم محمد بن المستنير قطرب النحوي...ومنهم من اكتفى من الاعتزال بمنهج بحث وحرية الرأي والفكر...ومن هؤلاء الأخفش سعيد بن مسعدة »[2].

وقد أسهم مفسري المعتزلة في خدمة القرآن والدين، وتشير مؤلفاتهم إلى الثروة الفكرية الكبيرة التي خلفتها مدرسة الإعتزال، فواصل بن عطاء له من التصانيف معاني القرآن[3] ومحمد بن المستنير قطرب البصري النحوي له من التصانيف كتاب معاني القرآن... وإعراب القرآن ... والرد على الملحدين في متشابه القرآن...ومجاز القرآن[4] ولسعيد بن مسعدة الأخفش كتاب معاني القرآن، ومن أشهر كتبهم المتداولة معاني القرآن وإعرابه للزجاج[5].

---

(1) « عمرو بن عبيد، ويكنى أبا عثمان مولى بلي العدوية من بلي تميم قال الجاحظ: كان أبوه عبيد شرطيا، وكان عمرو متزهدا، فكانا إذا اجتازا معا على الناس قالوا: هذا شر الناس أبو خير الناس، فيقول عبيد: صدقتم، هذا ابراهيم وأنا تارخ ...وذكر أبو الحسين الخياط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعا في سنة ثمانين.» أمالي المرتضى: ج1 ص169.

(2) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ص69.

(3) معجم الأدباء: ج5 ص569.

(4) المصدر نفسه: ج5 ص445.

(5) علم التّفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر. عبد المنعم النمر. ط:1. القاهرة: مط دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، (1405هـ-1985م). ص101.

ولا أحسب أننا بحاجة إلى تفصيل لأصول الاعتزال، وإنما أرمي وحسب الكشف عن طـــرق المعالجة لتلك القضايا والتي كان من أبرزها: العامل اللّغوي الذي عدّه أهل الإعتزال أكبر سند لـــهم في توجيه الآيات القرآنية وتفسيرها بما يلائم قواعدهم الإعتزالية، فندرك حينها مدى أثر المبدأ اللّغوي في بيئة المعتزلة.

كان المعتزلة يعيبون على أهل التّفسير بالمأثورات اعتمادهم على روايـــات غـــير صحيحـــة. وساعدهم على هذا القول ما اعتمده البخاري من أحاديث قليلة في التفسير، فرآه هؤلاء أن ما عدا ممـــا ذكره المفسرون واعتدّوا به في التّفسير غير صحيح، لذلك اعتمدوا بعـــد تجريـــح منـــهج الاعتمـــاد على الروايات منهجا جديدا يلبي حاجة العقول، ولا يعتمد على الرواية، بل يعتمد على اللغة العربيـــة والمعاني المستخرجة من حقيقتها ومجازها.

ثم إن المعتزلة لم يرضوا حتى بطريقة اللّغويين في معالجة أسلوب القرآن وخاصة في بيانـــه وبلاغته، هؤلاء الذين أقاموا ميزان النقد على أساس الصدق والكذب مراعين للجانب الأخلاقي فيـــها، فرد المعتزلة محاولة اللّغويين وعدوها ظاهرية سطحية بعيدة عن التعمق فيما وراء الألفاظ وتجعـــل من بيان القرآن وأسلوب خطابه إلى مجرد الفهم اللّغوي البسيط الجاف[1].

ولما كان أهل العدل من المعتزلة لم يجمدوا على المصدر النقلي توجهوا إلى اللغة يعتمـــدون عليها ويقدرون سير خطاها فيما تعرضت له دلالاتها من تغير، وتسمى هذه الظاهرة عندهم بـــالتجوز فتجاوزوا القول بالمأثور والمنصوص في اللغة إلى استغلال مرونة اللغة واستخدام طاقاتها اســـتخداما واعيا دقيقا. وتذرعوا باللغة لتأييد الحكم فيما لا دلالة عليه حقيقة، وكان الطريق إلى ذلك « أن عمـــدو إلى ما في ذلك في اللغة من إشارات ورموز قد تكون دلالاتها الأولى قد ذهبت مع الزمن ولا ســـبيل لكشف كثير من هذه الرموز إلا بالتجوز، والتجوز عادة يكون مداره العقل... كما يكون مداره القرائن اللفظية ... ولكننا مع هذا أن التحقيق في الموضوع يرجح عندهم الجنوح إلى المجال اللّغـــوي أكـــثر من جنوحه إلى الأصل العقلي، فكأنهم تذرعوا بالعقل في الوصول إلى مـــدارك العقـــل واجتهاداتـــه في النصوص القرآنية. فالنحو الذي يدرسون به النص من وجوهه المحتملة والبلاغة التـــي فرضـــت وجودها في مجالات التأويل دليل على التذرع بالعقل في استخدام اللغة »[2].

---

(1) أثر القرآن في تطور النقد العربي لزغلول سلام: ص47.
(2) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: ص64 و65.

ومن خلال محاولات سلف المعتزلة المزج بين الاتجاهين اللّغوي والعقلي، رسم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد منهجا في التأويل ذو دعامتين:« أولاهما: تخريج الآيات تخريجا نحويا ولغويا يظهر ما فيها من المعاني الكلية التي ننصرف إليها. وثانيتها: الأخذ بالراجح من هذه المعاني بناء على القرينة العقلية »[1].

وإلى هذا المنهج يرجع الفضل في استنباط المنزلة بين المنزلتين، ورفض المعتزلة المنهج اللّغوي الصرف الذي أسلم إليه الخوارج من تفكير مرتكب الكبيرة لقوله تعالى في سورة المائدة الآية 46: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2]. ولا لحكم المرجئة بنفاق الحسن لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[التوبة 67]. فقد حكم أولئك بأحكامهم لما في الآيات التي استشهدوا بها من التعريف بالألف واللام، بينما يرى واصل وعمرو أنهم لو جمعوا بين الظلم والفسق في الآيات وتدبروها بالعقل واللغة لوجدوا الفاسق ظالما لنفسه، فالفسق نوع من أنواع الظلم للنفس وليس كفرا. وقد أوضحا ذلك بجمع الآيات والأحاديث والآراء الواردة في المؤمن والكافر فلم تنطبق على صاحب الكبيرة فاستوجبا له منزلة ثانية بين هاتين المنزلتين. وبقي منهج واصل وعمرو يتكامل حتى أنتهى في آخر القرن الثاني وأوائل الثالث إلى قواعد أساسية تستمد مادتها من المنهج اللّغوي التّفسيري وضوابطها من المنهج العقلي، إذ « كانوا لا يقبلون من التأويلات اللّغوية والنحوية للآيات إلا ما صاحبه الدليل المظهر لإعجازه وروعة بيانه من الشعر العربي »[3].

فالمعاني والألفاظ ليست مقصودة في ذاتها بالبيان، وإنما ينبغي على المفسر المعتزلي أن يصل إلى ما ورائها من حقائق الألوهية، وبهذه المعاني يفسر الجاحظ القَسَمُ بالتين والزيتون في القرآن ومخاطبا غيره ممن يقف عند البيان اللّغوي لهما وذكر منافعهما قائلا له:« فقد أسأت ظنا بالقرآن

---

(1) مفهوم العدل في تفسير المعتزلة للقرآن الكريم. أحمد محمود كامل. بيروت: مط دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983م. ص92.

(2) قال قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد (415هـ) في كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن. بيروت: دار النهضة الحديثة. ص117: « ومعلوم أن كثيرا منهم ليس بكافر –يريد الخوارج– وقد كرر الله تعالى ذلك. فقال مرة: هم الكافرون، وأخرى هم الظالمون وأخرى هم الفاسقون. وجوابنا أم المراد به اليهود، لأن هذه الآيات واردة فيهم، ولأنه تعالى قال بعده : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة 18] وذلك صفة اليهود، وهم كفار وقد قيل فيه أن المراد من لا يحكم بما انزل الله مستحلا له. وقيل إن المراد ومن لم يحكم بشيء مما أنزل الله فلا يلزم ما قالوه، وإن تعلق بذلك الخوارج فلم يصح لأكثرهم. ففيهم من لا يقول بأن من لم يحكم بما أنزل الله يكون كافرا إذا كان صغيرا أو كان على التأويل أو على السهو فلا بد من أن يرجع إلى ما ذكرناه من التأويل ».

(3) مفهوم العدل في تفسير المعتزلة لأحمد محمود كامل: ص94.

وجهلت فضل التأويل »[1]. كما يرفض الجاحظ تفسير اللّغويين الحسي، وقد فسروا رؤوس الشياطين برؤوس نبات ينبت باليمن، أو شجر كريه المنظر، أو حيات قبيحة الشكل، وكل ذلك مدلولات مادية لكلمة الشيطان قد تكون لها أصل من الواقع ولكنها لا تبلغ في تأثيرها النفسي مبلغ صورة الشيطان التي تجمع في الخيال كل سمات الفزع والقبح وإن تكن غير واضحة وضوح النبات والشجر والحيات، وهذا الغموض يضفي عليها مزيدا من التخويف.

لقد توالت جهود المفسرين من قدامى المعتزلة في إبراز الصورة التطبيقية لإعمال هذا المنهج وتحقيقه، فإثباتا لعدالة الله العزيز أصطلح قطرب والأخفش على تسمية لام التعليل بلام العاقبة في كل ما يوهم مشاركته للمكلفين فيما عده المعتزلة نقصا أو قبحا لا يجوز اتصافه تعالى به، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ [يونس 88] قال قطرب والأخفش:« لم يؤتوا المال ليضلوا، ولكن لما كان عاقبة أمرهم الضلال كأنهم أوتوها لذلك فهي لام العاقبة»[2]. وتساءل عبد الجبار قاضي القضاة هنا عن جواز سؤال موسى ربه ذلك، وأن يعتقد انه تعالى رزقهم لكي يضلوا. ثم عقب بالجواب فقال: « وجوابنا أن المراد أنعمت عليهم بهذه النعم فسيرها سببا لضلالتهم، فمعنى قوله: ﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ أن عاقبتهم ذلك، كقوله ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[القصص 07]»[3]. ومن مثل ذلك الآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كقوله سبحانه وتعالى في الآيتين 21 و22 من سورة القيامة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. وقوله تعالى في سورة المطففين ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾[الآية 23] فيحاول المعتزلة تطبيق مبدئهم اللّغوي فإذا بهم يقولون: النظر إلى الله معناه الرجاء والتوقع والانتظار للنعمة والكرامة[4]. قال عبد الجبار: « النظر إلى الله تعالى لا يصح لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلبا لرؤيته، ولذلك لا يصح إلا في الأجسام، فيجب أن يتأول على ما يصح النظر إليه وهو الثواب »[5]. فالمعتزلة استدلوا بأن النظر إلى الشيء في العربية ليس مختصا بالرؤية المادية، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:

إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْكَ مِنْ مَلَكٍ ۞ وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نِعَمًا

---

(1) كتاب الحيوان. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ. ت: عبد السلام محمد هارون. بيروت: مط دار الجيل، (1412هـ-1992م). ج1 ص208.
(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج4 ص348.
(3) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص178.
(4) انظر أمالي المرتضى: ج1 ص37. الكشاف للزمخشري: ج4 ص192.
(5) تنزيه القرآن عن المطاعن : ص112.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[الفرقان 31] يجد المعتزلي أن مذهبه الذي يقول بوجوب الصلاح والإصلاح على الله لا يتفق وهذا الظاهر من معنى الجعل، ولكن سرعان ما يتخلص من هذه الضائقة العالم المعتزلي الكبير أبو علي الجبائي(303هـ)[1] فيفسر 'جعل' بمعنى 'بيّن' لا بمعنى خلق، ويستدل على ذلك بقول الشاعر:

جَعَلْنَا لَهُمْ نَهْجَ الطَرِيقِ فَأَصْبَحُوا ✡ عَلَى ثَبَتٍ مِنْ أَمْرِهِمْ حِينَ يَمَّمُوا

قال الرازي فيما نقل عنه الذهبي: « فيكون معنى هذا أن الله سبحانه بين لكل نبي عدوه حتى يأخذ حذره منه »[2] وهكذا نجد شيوخ المعتزلة يحاولون التوفيق بين مذهبهم والقرآن بكل ما يستطيعون من وسائل التوفيق، خاصة بتطبيق مبدئهم اللّغوي على كثير من الآيات، وكثيرا ما نراهم يظهرون مهارة فائقة في استعمالهم لهذا الطريقة عندما يساورهم شك في ظاهر اللفظ الذي يتعلق بالعقيدة حتى يتماش النص القرآني مع قواعد مذهبهم، أو يتخلصوا من معارضته ومصادمته على الأقل.

ومهما يكن من أمر فإن منهج المعتزلة قد لفت أنظار فريق كبير من متكلمي أهل السنة إلى ما يحتويه من قيمة ذاتية في بيان مقاصد القرآن، فأتاحوا لأنفسهم استخدام الأداة الأساسية في تأويل المعتزلة.أعني المزاوجة بين المنهج اللّغوي والتدبر العقلي للآيات.

المبدأ اللّغوي بين أهل السنة والمعتزلة

غير أن إصرار المعتزلة على تطبيق منهجهم التّفسيري على كل القرآن وإخضاع النصوص لما يلائم أصولهم مستغلين ظاهرة التجوز عندهم، قد أثار عليهم خصومهم أهل السنة، فرموهم بالعبارات اللاذعة، واتهموهم بتحريف النصوص عن مواضعها وكان أشد المدافعين عن مذهب أهل السنة، وأكثر هجوما على المعتزلة الإمام ابن قتيبة، فقام على رأس أهل السنة يردّ على ما ادعاه المعتزلة ورموا به أصحابه. وقد أدرك ابن قتيبة خطورة استعمال المنهج اللّغوي في توجيه النصوص بعيدا عن ضوابط الاجتهاد اللّغوي. والخلاف بين وجهتي نظر المعتزلة وأهل السنة تتضح لمن يتبع كتابات ابن قتيبة وخاصة في كتابيه « تأويل مختلف الحديث » و « مشكل القرآن ».

---

(1) « الجبائي أحد أئمة المعتزلة، كان إمام في علم الكلام...أخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره وله من مذهب الإعتزال مقالات مشهورة، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام.» وفيات الأعيان: ج4 ص267.

(2) التّفسير والمفسرين: ج1 ص376 و 377.

على وجه عام فقد خالف المعتزلة المحدثين في الأخذ بأشياء منها الاعتماد على الرواية لما قللوا من أهمية الإجماع. ومما أخذه عليهم تفسيرهم للقرآن حسب هواهم وعقيدتهم، وإن خالف ذلك اللغة نفسها، يقول ابن قتيبة: « وفسروا –أي المعتزلة– القرآن بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذهبهم، ويحملون التأويل على لحلهم، فقال فريق منهم في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[البقرة 254] أي علمه[1]، وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر :

وَلاَ يُكَرْسِئُ عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقُ

كأنه عندهم، ولا يعلم علم الله مخلوق، والكرسي غير مهموز و'يكرسئ' مهموز، ويستوحشون أن يجعلوا الله تعالى كرسيا أو سريرا، ويجعلون العرش شيئا آخر، والعرب لا تعرف من العرش إلا السرير، وما عرش من السقوف والآبار، يقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف 100] أي على السرير، وأمية بن الصلت يقول:

مَجَّدُوا اللهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلُ ۞ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا ۞ سَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
شَوْجَعًا مَا يَنَالُهُ الْعَيْ ۞ نُ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُوَرَا[2]

ثم يتابع ابن قتيبة قوله: « وقال فريق منهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف 24] إنها همت بالفاحشة، وهمّ هو بالفرار منها أو الضرب لها والله تعالى يقول: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف 24] أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها، فلما رأى البرهان أقام عندها، وليس يجوز في اللغة أن تقول: همت بفلان وهم بي. وأنت تريد اختلاف الهمين حتى تكون أنت تهم بإهانته، ويهم هو بإكرامك، وإنما يجوز هذا الكلام إذ اتفق الهمّان[3]. ثم يقول ابن قتيبة: « وقالوا في قوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء 87] إنه ذهب مغاضبا لقومه استيحاشا من أن جعلوه مغاضبا لربه مع عصمة الله، فجعلوه خرج مغاضبا لقومه حين آمنوا، ففروا إلى مثل ما استقبحوا، وكيف يجوز أن يغضب نبي الله عليه السلام على قومه حين آمنوا؟ وبذلك بعث وبه أمر؟

---

(1) انظر تنزيه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار: ص51.
(2) شوجعا أي طويلا، وصورا جمع أصوار وهو المائل العنق. محقق تأويل مختلف الحديث لمحمد زهير النجار: ص67.
(3) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص68.

وما الفرق بينه وبين عدو الله إن كان يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون، ولم يخرج مغاضبا لربه ولا لقومه؟ وهذا مبين في كتابي المؤلف في « مشكل القرآن » ولم يكن قصدي في هذا الكتاب الإخبار عن هذه الحروف وأشباهها، وإنّما كان القصد به الإخبار عن جهلهم وجرأتهم على الله تعالى بصرف الكتاب إلى ما يستحسنوه وحمل التأويل على ما ينتحلون »[1] ويقول ابن قتيبة أيضا: « وقال فريق منهم، في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ أي ألقينا فيها. يذهب إلى قول الناس 'نرته الريح' ولا يجوز أن يكون ذرأنا من نرته الريح لأن ذرأنا مهموز ونرته الريح تذوره غير مهموز. ولا يجوز أيضا أن نجعله من 'أذرته الدابة عن ظهرها' أي 'ألقته' لأن ذلك من 'ذَرَأْتَ' تقدير 'فعلت' بالهمز، وهذا من 'أذريت' تقدير 'أفعلت' بلا همز وأحتج بقول المثقب العبدي:

تَقُولُ إِذَا ذَرَأْتَ لَهَا وَضِينِي[2] أَهَذَا دِينُهُ[3] أَبَدًا وَدِينِي.

وهذا تصحيف، لأنه قال: تقول 'إذا درأت' أي 'فعلت' بالدال غير مجعمة »[4]

وكذا فعل ابن قتيبة ومن أقتفى وأثره مع باقي الأمثلة القرآنية التي يستوقفها المعتزلة لإثبات قواعد مذهبهم وأصوله، وجلعوا ردهم قائما على أساس لغوي. إذ كانت اللغة حكما بين ما يذهب إليه أهل السنة وبين ما يقوله المعتزلة.

لقد كان أثر الاتجاه اللّغوي التّفسيري في البيئات التّفسيرية قويا، تجاذبته تيارات متعددة كان لها كبير الأثر في الفكر الإسلامي حينها، ولقد حاول أصحاب الأهواء والملل استغلال العامل اللّغوي لتأييد مذهبهم وتحريف المفهوم الصريح من النصوص بحجة أن القرآن نزل عربيا مبينا، مما دفع المشتغلين بالتّفسير اللّغوي المنافحين عن مبادئه إلى وضع شروط وضوابط ألزموها كل معترض للتفسير من طريق العربية، استخلصها دارسو القرآن من طبيعة علاقة النص بلغته، ومن واقع التفاسير اللّغوية المعتمدة التي جسدت التّفسير اللّغوي بكل ضوابطه وشروطه ولا سيما المجاز والمعاني للأخفش والفراء وغيرهما.

---

(1) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص67 إلى 69 .
(2) الوضين عريض، منسوخ من سيور أو شعر، أو لا يكون إلا من جلد.
(3) أي عادته كما دل عليه استشهاد ابن حزم في الملل والنحل. محقق تأويل مختلف الحديث: محمد زهير النجار ص68.
(4) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص68.

ضوابط التّفسير اللّغوي

أول ما يحتاج أن يشتغل به أصحاب التّفسير اللّغوي العلوم اللفظية.« ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعَاون لمن يريد أن يـــدرك معانيه»[1]! وهذا تقرير سليم في معرفة هيئة التركيب ودلالة اللفظ، وهو اشـــتراط ضمنـــي للتوســـع في اللغة والإحاطة بوجوه النظم والتركيب، وذلك متعلق بعلم اللغة والتصريف والاشتقاق من حيـــث المفردات صيغة وجدرا ودلالة، ورد الفروع إلى الأصول، فإذا استقامت معرفة الألفاظ على هذا النحو وتألفت الجمل أريد بيان موقعها لأداء أصل المعنى فاحتيج إلى علم النحو وعلم المعاني وعلم البيـــان. ولهذا كان ما قرره أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط أمرا بديهيا حينما يقول: « ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب وعلم كيفية تركيبها في تلـــك اللغـــة، وارتقـــى إلـــى التميـــز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مُفهم ولا معلم »[2]! ويختم هذا التأكيد اللّغوي بقوله:« لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجـه منها ومع ذلك فاعلم أنه لا يرقى من علم التّفسير ذروته ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحـــرا في علم اللسان مترقيا منه إلى مرتبة الإحسان »[3].

وهذه العلوم يجب أن تكون دلائل وإمارات يتوصل فيها إلى فهم القرآن، لا أن تكون كل شيء في القرآن، وهذا ما نبه إليه أبو حيان بقوله:« كثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الإعـراب بعلل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل أصول الدين.وكل ذلـــك مقـــرر في تأليف هذه العلوم وإنما يؤخذ ذلك مسلما في علم التّفسير دون استدلال عليه »[4]!

وذكر الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره[5] في سياق كلامه عن ضوابط التّفسير اللّغوي وهـــو يحذر من « أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيها يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحـــذف والإضمـــار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التّفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي ».وقال: « والغرائب التـــي لا تفـــهم إلا بالســـماع كثـــيرة،

---

(1) مقدمة كتاب المفردات للراغب الأصفهاني: ص6.
(2) البحر المحيط : ج1 ص7.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص5.
(4) الإتقان للسيوطي: ج2 ص238
(5) تفسير القرطبي: ج1 ص34.

ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ألا ترى قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾[الإسراء 59] معناه: آية مبصرة، فظلموا أنفسهم بقتلها،فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به: أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بما ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير».

ومن الضوابط أيضا أن يتحرى في التّفسير مطابقة المفسر، يقول ابن تيمية: « وقوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به ...من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام»[1] فهؤلاء إذا فسروا هذه الآية:﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء 16] فإنه لا يأتي معهم المعنى المراد من السياق وما يليق بحق الله تعالى من أنه سبحانه لا يأمر بالفحشاء والمنكر، فلا يجوز قصر التّفسير على معاني اللغة فحسب،بل يجب اعتبار ما سيق له الكلام ثم التنبه لحق الله تعالى من التقديس لذاته العلية وتنزيه صفاته الكريمة »[2].

وإذا صادف المفسر اللّغوي في تفسير المعنى مخالفة لتقدير الإعراب، فقد خصص ابن جني في كتابه الخصائص بابا بعنوان « بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى »[3] يرشد المفسر فيقول: « فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا، فاحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فإن أمكنك تقدير الإعراب على سَمْتِ تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق تقدير الإعراب، حتى لا يشذ شيء منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه ».

وفي باب: « تجاذب المعاني والإعراب » أورد ابن جني أمثلة على ذلك من القرآن الكريم منها قوله تعالى في الآية: ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾[الطارق 8-9] يقول: « فمعنى هذا إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ لفصلك بين الظرف

---

(1) مقدمة في أصول التفسير: ص81.

(2) قد تبنت مدرسة التّفسير البياني في العصر الحديث فكرة السياق وأولته أهمية خاصة كأساس لبناء منهج لغوي في تفسير القرآن، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن في ردها على الانحرافات التّفسيرية المعاصرة: « إن ضوابط منهجنا الالتزام بصريح النص وحكم السياق...والالتزامات بدلالات الألفاظ القرآنية كما يعطيها الاستقراء الكامل لكل مواضع ورود اللفظ في المصحف والاحتكام إلى توجيه صريح السياق ».دائرة المعارف الإسلامية، التعليق على مادة 'تفسير' للأستاذ الخولي ج5 ص368. فهذه البحوث المتجددة ما هي إلا صدى لتلك القواعد التي خلفها الأولون من المفسرين واللّغويين.

(3) الخصائص لابن جني: ج1 ص283.

الذي هو 'يوم تبلى' وبين ما هو متعلق به من المصدر الذي هو الرجع والظرف من صلته والفصل بين الصلة والموصول أجنبي أمر لا يجوز، فإذا كان المعنى مقتضيا له الإعراب مانعا منه احتلت له، بأن نضمر ناصبا يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل حتى كأنه قال فيما بعد: يرجعه يوم تبلى السرائر، ودل 'رجعه' على 'يرجعه' دلالة المصدر على الفعل »[1].

ومن الضوابط أيضا العناية بالمعاني التركيبية لا الإفرادية، وقد فصل الإمام الشاطبي ذلك في كتابه الموافقات فقال: « أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب - أي في النص- هو المقصود الأعظم بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد والمعنى المقصود، ولا أيضا كل المعاني، فإن المعنى الإفرادي قد لا يعبأ به إذا كان المعنى التركيبي مفهوما دونه »[2].
ثم سرد الشاطبي قصة عمر بن الخطاب مع معنى 'الأب' و'التخوف' ثم نبه إلى عدم وجود التعارض بين القصتين فقال: « فليس بين الخبرين تعارض لأن هذا قد توقف فهم معنى الآية عليه بخلاف الأول فإذا كان الأمر هكذا فاللازم الاعتناء بفهم معنى الخطاب لأنه المقصود والمراد وعليه يبني الخطاب ابتداء، وكثيرا ما يُغفَلُ هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة، فتلتمس غرائبه ومعانيه على غير الوجه الذي ينبغي فتستبهم على الملتمس، وتستعجم على من لم يفهم مقاصد العرب، فيكون علمه في غير معمل ومشيه على غير طريق»[3].

ومن الضوابط حمل اللفظ على ما يحتمله من مقتضى لغة العرب، واستقراء الوجوه الممكنة فيه، وهذا هو التأويل المسوغ.« ثم إن هذا التأويل إن وجد وراء اللفظ دليلا يقفه على بعض الوجوه التي احتملها اللفظ من قضاء العقل أو حجة أو إجماع أو من أمر سنة صار إلى ما يوجبه الدليل،وقطع على أن الوجه المراد من الآية دون غيره، وإن لم يجد دليلا موجبا لأحد الوجوه اعتبر الوجوه التي احتملها اللفظ على وجه الإمكان من غير قطع على شيء من مغيب حكمة »[4] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾[آل عمران 173] فقد خص دليل العادة بالعقل والإجماع وتواتر الخبر أنه ليس كل الناس قالوا ذلك[5].

---

(1) الخصائص لابن جلي: ج3 ص255.
(2) الموفقات للشاطبي: ج2 ص87 و 88.
(3) المصدر نفسه: ج2 ص87 و 88.
(4) مقدمتان في علوم القرآن : ص196.
(5) المصدر نفسه: ص200.

وكما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾[الأحزاب 1] « فدل حجة العقل، والخبر والإجماع على أن هذا وإن خوطب به النبي ﷺ فإن المراد به العموم فوجب تعميمه، وإن كان لفظه خاصا، فإذا اختلف الشيء هل هو خاص أو عام جعلناه على ظاهر لفظه من تخصيص أو تعميم إلا أن يقوم الدليل بأنه خلاف ظاهر لفظه، والدليل على ذلك أن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[ابراهيم 4]...ولقد تعيبه قوم...لما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [الأنبياء 97] فسمعوا هذا فقالوا: قد عبدت الملائكة، وعبد المسيح، فوجب أنهم المعذبون، وأغفلوا مافي عقولهم من الدليل على تخصيص ما عم باللفظتين أن الله تعالى: ﴿ وَلَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[الأنعام 166] فنبههم على ما تركوا من هذا الدليل، وقال لهم بعقبه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾[الأنبياء 100] إلى قوله ﴿ خَالِدُونَ ﴾»[1]

فهذه جملة من شروط وضوابط التّفسير اللّغوي ذكرتُها على لسان علماء القرآن ممن خاضوا غمار البحث القرآني اللّغوي وهذه الضوابط وإن لم ترد في كتب الأولين من أصحاب هذا الاتجاه بلفظها، فإنها بمعانيها مبثوثة في ثنايا بحوثهم التطبيقية كي يمنعوا التّفسير بالرأي والهوى البعيد عن السند الشرعي وذلك خدمة للأمة في كتابها بوضع منهج يتكامل والتّفسير الأثري، ويُقوم دوما المناخ التّفسيري على مرّ العصور.

خصائص التّفسير اللّغوي في هذه المرحلة

للتفسير اللّغوي في هذه المرحلة خصائص تميزه عن غيره في المرحلة السابقة، وما تقدم يمكن أن يكون خصائص عامة للتفسير اللّغوي والذي كان تفسير أبي عبيدة والفراء والأخفش قطب الرحى فيه، أو هو الركيزة التي اعتمد عليها بناء علم التّفسير اللّغوي، وإن كان الدارسون الأوائل من مثل سيدنا عبد الله بن عباس ومجاهد ورؤساء القراء اللّغويين لهم الفضل الأكبر على مدرسة التّفسير اللّغوي ، لكن أبا عبيدة والفراء والأخفش هم الذين أكملوا بناء ما بدأه الأوائل، وكتبهم آثار باقية لهذا التّفسير إلى اليوم. وأما أهم هذه الخصائص فهي:

---

(1) مقدمتان في علوم القرآن: ص201.

1 – تبني مدرسة الإقراء لهذا اللون من التّفسير لوجود المناسبة بين علم الإقراء وعلم اللغة، فأدخل القراء العنصر اللّغوي والنحو خاصة في عملية القراءة، ولأن القراءة بطبيعتها صورة لغوية للهجات العربية، وإحكام هذه القراءات أساسه التعمق في العربية ومعرفة أغوارها.

2 – تبني علماء اللغة والنحو لهذا المنهج التّفسيري بعد مدرسة الإقراء، وذلك للرغبة الشديدة من اللّغويين في خدمة النص القرآني، وصونا له من الضعف الذي أخذ يسري في أتباعه، وإظهارا لمكانته. وأول ما نبه إليه هؤلاء الحرص على الدقة في فهم الألفاظ، ومعرفة معاني العبارات القرآنية وفق سنن الكلام العربي وذلك بمعرفة دقيقات المعاني، وأساليب البيان العربي في دلالة الحروف وأنواع الأسماء والأفعال، والمعاني الاشتقاقية للألفاظ مما يجعل اللغة مدخلا دقيقا ومضبوطا للمعاني. ومن ثم عملوا على الحفاظ على سلامة اللغة العربية وعلى حيويتها واستمرارها في التاريخ وقوفا أمام مظاهر الإنهيار اللّغوي، والإهمال والتسيب التي أدت إلى نشأة العامية وسيادتها. ومن الملاحظ هنا أن الدراسات النحوية واللّغوية كانت الأساس الأول الذي بني عليه اللّغويون الأوائل تفسيراتهم اللّغوية، وكان اختلاط الدراسات النحوية واللّغوية هو من أكبر مظاهر الحركة اللّغوية في الفترة الأولى.فالصلة بين النحو واللغة لا تنفصم عراها على مدى الأزمان وبخاصة الفترة الأولى التي جمعت فيها اللغة، ثم وضع النحو وتطور، وتوجيه النص القرآني وتأويله بكل ذلك.

3 – انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فرقتين. حرص أحدهما على أن يضم تفسيره ما انحدر إليه من تفاسير السلف مضيفا إليه ما أدى إليه اجتهاده اللّغوي، ونجد هذا واضحا عند الفراء والزجاج البصري من بعده. ويمثل الفريق الآخر أبو عبيدة معمر بن المثنى في محاولة جريئة اقتصر فيها على اللغة في تفسيره مستهدفا إثبات عربية القرآن بلفظه ومعناه وطريقته في التعبير.

4 – حَرَصَ أصحاب هذه الكتب كي لا تفقد إطارها التّفسيري، وتتحول إلى كتب اللغة على التزام ترتيب سور وآيات القرآن الكريم فيكون عملهم تابعا للكتاب مما قد يبعد شبهة تصنيفها ضمن الكتب اللّغوية البحتة. وكثيرا ما أخذ الكتاب على كتب التّفسير اللّغوي اختلاط القضايا التّفسيرية من جانبها اللّغوي بموضوعات العلوم الأخرى، وعدم التبويب العلمي الدقيق الذي هو أبرز خصائص المنهج العلمي [1] إلا أنني أرى الأمر على خلاف ما أثبته هؤلاء في دراساتهم، لأنهم لم يدركوا حقيقة ما قام به أعلام هذا الاتجاه التّفسيري، ولم يتنبهوا إلى المسيرة الطويلة التي سبقت هذه الكتب وكانت تدل على ما فيها، ومن البديهي أن يوصف كتاب موضوعه التّفسير وأداته اللغة وعلومها بالخلط وعدم

(1) انظر المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني لأحمد جمال العمري : ص75.

التبويب عند ما تبحث فيه عن مباحث لغوية أو بلاغية يفترض أن تكون مرتبة ومبوبة على نمط الكتب اللّغوية أو البلاغية. إلا أن هذه المباحث متوزعة في جميع أجزاء هذا التّفسير أو ذاك، والمؤلف يتحدث عن الفكرة الواحدة إلى مواد كثيرة تجدها في أكثر من موضع،وتأتي تبعا لموقع الآية من الكتاب الكريم، وقد تتكرر الفكرة الواحدة في أكثر من موضع مما يجهد الباحث اللّغوي في لمّ شتات الموضوع الواحد فيدفعه الأمر إلى رمي الكتاب بمجانبة التبويب العلمي الدقيق. والحقيقة أن الغفلة عن معرفة مناهج مختلف العلوم والفنون قد تنتهي إلى هذا الإستنتاج البعيد، لأن اللّغويين المتقدمين إنما أرادوا من كتبهم في القرآن التّفسير من طريق اللغة وليس البحث اللّغوي المجرد الذي يجعل من القرآن الحكيم أحد مصادره، وهذا هو الفارق الذي عسّر عملية استفادة الباحثين الجدد من هذه الكتب التّفسيرية.

5 – بعث روح التجديد والابتكار في البحوث القرآنية خاصة واللّغوية عامة دفعا لحركة تفسيرية جديدة قوامها العربية التي أخذت حينها في اكتساب خصائص جديدة كالتوسع في جمع مفرداتها والتّفسير والتعليل للمسموع من اللهجات العربية وضبط المسائل اللّغوية وتقعيدها وشرح الظواهر اللّغوية وتسميتها إلى غير ذلك من الخصائص التي ساهمت رأسا في عملية تحليل النص القرآني.

6 – كسر جدار التزمت على ما هو مأثور من التّفسيرات المأثورة، وإحياء طريقة ابن عباس في الاجتهاد وإعمال الرأي فيما لا نص فيه، وقد كان من ثمار هذا الجانب تقوية المبدأ اللّغوي في التفاسير قاطبة، وجعل العنصر اللّغوي أول ما يجب توفره بالنسبة للمفسر، وأحد شروط التّفسير، والتأكيد على أهمية اللغة كمدخل رئيس لفهم الوحي.

وبعد أن تمكن المنهج اللّغوي من البحوث التّفسيرية، صار القرآن الكريم وتفسيره ميدان النشاط الفكري لكثير من الفرق الإسلامية التي لاحظت من ظاهر النص القرآني كثيرا من الألفاظ والتعابير تثير حساسية عقدية خاصة، لاسيما وأن تضارب معاني الروايات قد زاد من حدة الإشكال فيها. فاندفع أصحاب الأهواء من أعداء الإسلام أو ممن دخلوا في الإسلام وظلوا على جاهليتهم القديمة مستغلين هذه الجوانب كلها للطعن في القرآن. وتحول المسلمون يدافعون عن كتابهم، وهو دفاع سار في خط كبير كانت اللغة العربية بجميع فنونها أداة ضخمة لتبرئة ساحة العبارات القرآنية من تلك المطاعن والعودة بالنص إلى مفهومه الصحيح، ولأجل ذلك نص علماء التّفسير اللّغوي واللّغويين والنحاة على كثير من الشروط والضوابط ألزموها من يخوض في التّفسير اللّغوي، جاعلين عملهم مقيدا بقيود ليس من اليسير توفرها في كل مدعي إلا من أوتي من العلم حظا وافرا.

الفصل الثالث

مقومات التّفسير اللّغوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : **الدراسات النحوية وأثرها في التّفسير اللّغوي**

المبحث الثاني: **البحوث اللغوية ووجوه التفسير اللغوي**

الدراسات النحوية وأثرها في التّفسير اللّغوي

النحو التفسير اللغوي

كان للنحّاة ولا يزال لهم نوع من الرقابة على اللّغة بفضل انقطاعهم لها وتمرسهم بأساليبها، إعرابا وبناءً وبنية ومادة، صياغة وتأليفا حتى صاروا بحق أمناء سرها، وكان نصيب القرآن الكريم من درسهم أكبر من نصيب الشعر والنثر. فاهتموا به اهتماما كبيرا، لأنه مصدر دراساتهم وفكرهم ينهلون من معينه الذي لا ينضب. والدراسات اللّغوية للقرآن عند النحّاة واللّغويين موصولة الصلة بالعقيدة الإسلامية إذ جاءت نتيجة حتمية لخدمة الكتاب، عاشت في ظله وأثمرت نتائج كانت لها كبير الأثر في الثقافة الإسلامية حينها. والحق أني أردت بهذا المبحث عن دور النحو في التفسير اللغوي أمرين أحدهما: أن أبيّن أن النحو كان ولا يزال عاملا هاما في فهم النّص وتوجيه قراءته، وثانيهما: أن يعرف القارئ أن النحو ليس صناعة تتلقى ولا رياضة عقلية بقدر ما هو أساس لتحليل النّص وبيان وجوه إعجازه. وفي سبيل هذا كله أشرت إلى أن المفسرين الأولين من أهل اللّغة كانوا يستخدمون النحو لهذه الغاية، وجعلوه عمدة بحوث التفسير اللغوي لأنه عندهم من أكبر الأدوات التي تفهم به النّصوص وتبرز وجه إعجازها.

ولقد اتجهت طائفة النحّاة إلى دراسة القرآن وفقه منهجه اتجاها نحويا، فأخذت تعنى بإعراب القرآن، ثم توسعت في ذلك فتناولت بالدراسة علل التأليف أو علل الإعراب، وكان الباحثون في النحو من النحّاة القدماء هم المعنيين بالقرآن، يدرسونه على أساس أنه أداة لتصحيح لغة القرآن، بمعنى أن تصحيح القراءات غرضا من أغراض النحو، ويؤيد هذا أنّ أوائل الدّارسين من النحّاة هم من القراء، أو ممن عنوا بالدارسة القرآنية كأبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وعلي بن حمزة الكسائي ويحي بن زياد الفراء. لقد كانت نشأة النحو مرتبطة بالقراءات ومتصلة بها أوثق اتصال، وقد شارك هؤلاء النحّاة بجهدهم في تيسير قراءة القرآن ودفع ما كان يلتبس على بعض القراء من مَرْوِيّ القراءات، من حيث الصحة والشذوذ.حتى صار دور النحو المهم في بيان موقع مفردات القرآن مضاهيا بل متفوقا على دور اللّغة في التأصيل والاشتقاق، وقد حققا معا علاقات النظم القرآني.

ولم يغال الدّارسون عندما قرروا أن النحّاة العرب كانوا من أوائل العلماء الذين لهم شرف السبق في خدمة القرآن. يقول الدكتور سيد أحمد خليل: « وإذا كان التّفسير القرآني سار أول أمره في طريق الرواية واتبع منهجا تحرجيا من المفسرين، فإن النحّاة كانوا من أوائل الدارسين الذين لفتوا إلى الاعتماد على اللّغة في التّفسير مادام القرآن نزل بهذه اللّغة »[1]. فكان شأن النحّاة كشأن اللّغويين من الدّاعين بهذا إلى تفسير القرآن في حدود اللّغة.

ومن الواضح أن اللّغويين والنحّاة كانوا يحرصون معا على جانب المعنى لكتاب الله بقدر ما كانوا يحرصون على جانب الصناعة، بمعنى أن يتم تصوير المعنى في عبارة تستوفي شرائط الصحة اللّغوية والنحوية، ومن هنا كان التقاء أصحاب اللّغة والدراسات القرآنية مع أصحاب التّفسير.

وقد أدرك النحّاة أن « بمعرفته – أي النحو – يُعقلُ عن الله عزّ وجلّ كتابه، وما استوعاه من حكمة واستودعه من آياته المبينة، وحججه المنيرة، وقرآنه الواضح ومواعظه الشافية وبه يفهم عن النبي ﷺ آثاره المؤدية لأمره ونهيه وشرائعه وسننه، وبه يتسع المرء في منطقه »[2].

لقد كان للنحو دوره في ضبط النّص القرآني، والتعليل لهذا الضبط ومقابلته بما روي عن العرب من الآثار الأدبية، والنحّاة الأولون قد شاركوا بما قدموه من جهد في تيسير قراءة القرآن، ورفع الالتباس على بعض القراءات من خلال تدارسهم للغة القرآن والكشف عن العلل الكامنة وراء النظم القرآني وتفسيره بما يلائم هذا النظم، فتقدم تلك التّفسيرات اللّغوية جوا نفسيا ملائما لسياق النّصوص، وبذلك يكون النحّاة قد «أسهموا فيما يمكن أن يوصف بأنه تحرير للنص وتوثيق له بعد صحة الرواية»[3]

وقد حدث خلال القرن الثالث الهجري أن انصرفت عن النحو طوائف من المحدثين والفقهاء، ووجهوا للنحويين وأهل اللسان من الشعراء والكتاب نقدا مرا وهجاء مقذعا، وذلك بجنوح النحو إلى كثرة العلل والأقيسة، وإلى تشعب المسائل والأصول والفروع وغيرها،وعلى هذا فلم يبال المحدثون والفقهاء باللحن والجهل بالنحو، يقول ابن فارس: « وقد كان الناس قديما يتجنبون اللحن[4] فيما يكتبونه ويقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب، فأما الآن فقد تجوزوا حتى أن المحدّث يحدث فيلحن، والفقيه يؤلف فيلحن فإذا نبها قالا: ما ندري ما الإعراب، وإنما نحن محدّثون وفقهاء، فهما يسيران بما يساءُ به اللبيب »[5].

---

(1) دراسات في القرآن: ص70.
(2) أصول التّفسير وقواعده لعبد الرحمن العك: ص159.
(3) دراسات في القرآن أحمد خليل: ص69.
(4) اللحن في الكلام: الخطأ في الإعراب والبناء كرفع المنصوب أو فتح المضموم، جمع ألحان ولحون.
(5) الصاحبي : ص66.

وروى السيوطي في الأشباه والنظائر قال: « دخل أبو يوسف القاضي، ومحمد الحسن إلى الرشيد وعنده الكسائي يحدثه، فقال: يا أمير المؤمنين قد سعد بك هذا الكوفي، وشغلك، فقال الرشيد: النحو يَسْتَفْزِعَنِي لأنّي استدلّ به على القرآن والشعر فقال: إن علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلما،والفقه إذا عرف فيه الرجل جملة أو صدرا صار قاضيا، فقال الكسائي: أنا أفضل منك، لأني أحسن ما تحسن وأحسن ما لا تحسن، ثم التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي من مسألة من الفقه.فضحك الرشيد وقال: أَبَلَغْتَ يا كسائي إلى هذا؟ ثم لأبي يوسف: أجبه، فقال الكسائي: ما تقول لرجل قال لامرأته: « أنت طالقٌ إن دَخَلْتِ الدار »؟ فقال أبو يوسف: إذا دَخَلَت الدار طُلِّقَت، فقال الكسائي: خطأ، إذ فَتَحت 'أن' فقد وجب الأمر، وإذا كُسرت فإنه لم يقع بعد، فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو »[1].

وهذه الزهادة لم تقف عند عامة الناس من المحدثين والفقهاء بل تعداهم إلى خاصة العلماء، والعلماء المتخصصين، فنجد قطربا، وهو تلميذ سيبويه ينحرف عن الجادة، ويتجه اتجاها يخالف به أستاذه، ويخرج برأي يشذ فيه عن معاصريه[2].

نظرة السخط هذه إلى النحو والإعراب حزت في نفوس كثير من الفقهاء اللّغويين مما جعل الإمام عبد القاهر(471هـ)[3] وهو النحوي المبرز يتحسر على ما آلت إليه حالة النحو، وينعي على هذه الطائفة في افتتاح « دلائل الإعجاز»[4]: « أما النحو فظننته ضربا من التكلف، أو بابا من التعسف، أو شيئا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على العقل، وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنّصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ فهو فضل لا يجدي نفعا، ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل بالملح إلى أشباه لهذه الظنون في القبيلين، وآراء لو عرفوا مغبتها وما تقود إليه، لتعوذوا بالله منها ولأنفوا لأنفسهم من الرضا بها، وذلك لأنهم بإيثارهم الجهل بذلك على العلم في معنى الصاد عن سبيل الله، والمبتغي إطفاء نور الله تعالى ».

---

(1) الأشباه والنظائر: ج3 ص534-535.

(2) يقول قطرب: « إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون، فجعلوه في الوصل محركا حتى لا يبطؤوا في الإدراج، وعاقبوا بين الحركة والسكون وجعلوا لكل واحد أليق الأحوال به، ولم يلتزموا حركة واحدة لأنهم أرادوا الاتساع.فلم يضيقوا على أنفسهم وعلى المتكلم بحظر الحركات إلا حركة واحدة ». من أسرار اللغة. إبراهيم أنيس. ط:7. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرفية، 1994م. ص220.

(3) عبد القاهر الجرجاني: « فارسي الأصل، جرجاني الدار، عالم بالنحو والبلاغة، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسين... ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحّاة والأدباء، وتصدر بجرجان، وحُثّت إليه الرحال، وصنف التصانيف الجليلة ». إنباه الرواة للقفطي: ج2 ص188.

(4) دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. ت: محمود محمد شاكر. ط: 2. القاهرة: مكتبة الخانجي، (1410هـ-1989م). ص8.

ويقول مرة أخرى موجها إليهم اللّوم: « وأمّا زهدهم في النحو، واحتقارهم لـــه، وإصغـــارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، وأشـــبه بـــأن يكـــون صـــدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه، وذلك بأنهم لم يجدو بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، وإذا كـــان قد علم أن الألفاظ مغلفة على معانيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي يتبين نقصـــان كلام ورجاحته حتى يعرض عليه، والمقياس الذي يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه.

وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون فيه وزهد فيه، ولم يـــر أن يستســـقيه من مصبه ويأخذ من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص، والكمال لها معرض، وآثار الغبينة وهـــو يجـــد إلى الربح سبيلا »[1].

لكن النحّاة لم يثنهم ما رأوه من مواقف تحقر عملهم، وتجعله لا طائل كبـــير منـــه، والتفتـــوا إلى ذلك النّص اللّغوي المعجز بالدراسة والتحليل ليبرهنوا ما للعامل اللّغوي من الطاقات التي تستطيع بها اختراق حتى نصوص القرآن.فكان أول عمل منظم لهم في تفسير القرآن ما ظهر مـــن بحوثـــهم مما اصطلح على تسميته بكتب المعاني كمجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ومعاني القرآن للزجاج، وقد شاركت هذه المؤلفات في إيجاد قواعد النحو القرآنـــي الذي نادى به بعض الدّارسين المعاصرين تفرقة له عن النحو المألوف[2].

ويُعدُّ كتابي المجاز لأبي عبيدة والمعاني للفراء من أكثر الكتب اهتماما من قبل الدارسين والباحثين في هذا المجال،لأن صاحبيهما يمثلان تدرج حياة النحو العربي وانقسامه إلى مذاهب؛ كما أن الرجليـــن « وصلا بين النحو وبين النّص القرآني على خلاف بينهما في الإكثار والإقلال، والإيجاز والتوسع »[3].

ولهذا كان التعرض للرجلين بالنقد كبيرا نتيجة اتجاههما النحوي في التّفســـير القـــائم علـــى « فهم النّص فهما لغويا بعيدا عن التأثر بدينيات قد لا تعطيها الدلالة اللّغوية »[4]. ومن خـــلال هـــذا المسلك استطاع الرجلان أن يُبتدِعَا فيما أسماه المتأخرون بـــ« نظرية النحو القرآني »[5]. ويريـــدون

---

(1) دلائل الإعجاز للجرجاني: ص28. انظر تفصيل هذا الأمر في الأشباه والنظائر للسيوطي: ج1 ص170.
(2) انظر كتاب نظرية النحو القرآني نشأتها تطورها ومقوماتها الأساسية. أحمد مكي الأنصاري. ط:1. مط دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1405هـــ. ص90 وما بعدها.
(3) دراسات في القرآن لأحمد خليل: ص71.
(4) المصدر نفسه: ص71.
(5) ذكر الدكتور أحمد مكي الأنصاري مجموعة من العلماء بعد الفراء كان لهم الفضل في الدعوة بهذه النظريـــة من أمثال: ابن خالويه(370هـــ) وأبي عمرو الداني(444هـــ) وابن حـــزم(406هـــ) والقشـــيري(475هـــ) والحريري(518هـــ) والفخر الرازي(606هـــ) وابن المنير(633هـــ) وابن تيمية(728هـــ) وأبي حيان(715هـــ) وابن الجزري(833هـــ) والسيوطي(911هـــ). نظرية النحو القرآني: ص11- 14.

بذلك: « أن القرآن الكريم قامت على أساسه قواعد، وبنيت على نهجه أصول سواء أكان معه شواهد أخرى تدعم هذه القواعد أم لم تكن؟ وسواء أكانت هذه الأصول تتفق مع أصول النحّاة أم لا تتفق؟ ذلك لأن القرآن الكريم بقراءاته المختلفة أغنى قواعد النحو، وزاد من قيمتها وأمدها بأمتن القواعد وأحسن الأساليب »[1]. وقد انطلقت الدعوة إلى هذه النظرية من خلال كتابي المجاز والمعاني، وهي عند الفراء أوضح وأكمل، ولعل الفراء أخذ الفكرة وجزئياتها من كتاب أبي عبيدة ثم وسعها وقعّد لها حتى عدّه الباحثون في الدراسات القرآنية المبدع الحقيقي لهذه النظرية[2]. فقد بيّن أصولها وأدلتها وأسبابها. وهي ثمرة المساهمة الكبيرة مع أستاذه الكسائي[3] في إنشاء المدرسة القرآنية النحوية التي ظهرت في الكوفة والتي تعتمد على عنصري الإقراء والإعراب.حيث عني أصحاب هذه المدرسة وشيوخها بإعراب القرآن ورواية اللّغة لتصحيح القراءات، وحاولوا التوفيق بين القراءات التي كانوا يروونها وقواعد الإعراب التي تعلموها في مدارس البصرة التي سبقت الكوفة في هذا الميدان.

لقد بنى الفراء نظريته على أساس علمي جديد، وجعل منها بعد أن تجاوز الإقراء والإعراب أحد ركائز المنهج اللّغوي التّفسيري العام، وقد رأى أن نظريته هي سياج الأمان لكتاب الله في زمن كثرت فيه النحل والأهواء واشتدت فيه العصبية ضد القراءات القرآنية، فوقف الفراء ينافح عن الكتاب العزيز، وقال عبارته المشهورة: « إن لغة القرآن أفصح أساليب العربية على الإطلاق »[4]. وقال:« الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر »[5] فخالف بذلك قول من يرون أن شعر العرب ونثرهم هو الأنموذج الصحيح للغة العربية، ويستشهدون بالشعر على القرآن الكريم. والجانب التطبيقي لهذه النظرية أو للنحو القرآني يتضح أكثر عند الحديث عن علاقة النحو بالقراءات، حيث نرى بوضوح ما ذهب إليه علماء التّفسير اللّغوي من نصرة النحو القرآني وتقديمه على المستنبط من الأشعار والأقوال المأثورة.

إلا أن أغلب النحويين والمتمرسين في التّفسير منهم، كثيرا ما يحاولون تخريج الظواهر المخالفة لقواعدهم في القرآن، ويكشف ذلك عن وحدة طابع العمل النحوي اللّغوي والعمل التّفسيري

---

(1) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية لعبد العال سالم مكرم. ص603.

(2) نظرية النحو القرآني لأحمد مكي الأنصاري: ص38.

(3) إذ كان الكسائي بحق مؤسس مدرسة الكوفة النحوية، وشهد له أقرانه بذلك، وعن الكسائي قال الفراء: « قال لي رجل ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو، فأعجبتني نفسي فأتيته، فناظرته مناظرة الأكفاء فكأني كنت طائرا يغرف بمنقاره من البحر ». إنباه الرواة: ج2 ص264. ولعلي بن حمزة الكسائي تصانيف كثيرة تدل على طول باعه، وسعة أفقه وغزارة علمه في النحو واللّغة والقراءة، وأذكر منها «كتاب معاني القرآن » و«كتاب مختصر النحو » و«كتاب القراءات» و«كتاب مقطوع القرآن وموصوله » و«كتاب اختلاف العدد » و «كتاب هادات الكناية في القرآن» وغيرها كثير.

(4) (5) معاني القرآن: ج1 ص16.

وعلى سبيل المثال مجيء صفة المؤنث مذكرة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف 55] إذ يلجأ النحّاة إلى كل أساليب التخريج والتقدير الممكنة لكي يبدُوَ مجيء الصفة على هذا النحو متسقا مع النمط: « قال الجوهري: ذكّرت على معنى الإحسان. وذكر الفراء أن العرب تفرق بين النسب والقرب من المكان، فيقولون 'هذا قريبتي' من النسب و'قريبي' من المكان...وقال الزجاج: وهذا غلط لأن كل ما قَرُب من مكان ونسب فهو جاز على ما يقتضيه من التذكير والتأنيث...وقال أبو عبيده: ذُكِّرَ 'قريب' لتذكر المكان، أي مكانا قريبا، وردّهُ ابن الشجري(546هـ)[1] بأنه لو صح لنُصب 'قريب' على الظرف[2]. قال الأخفش[3]: المراد بالرحمة هنا: المطر، لأنه قد تقدم ما يقتضيه فحُمل المذكر عليه. وقال الزجاج: لأنّ الرحمة والغفران بمعنى واحد، وقيل لأنها من الرّحم سواء. ومنه 'وَأَقْرَبَ رُحْمًا'، فحملوا الخبر على المعنى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف 94]، وقيل: الرحمة مصدر، والمصادر كما تجمع لا تؤنث، وقيل: 'قريبٌ' على وزن 'فَعِيلٌ' و'فَعِيلٌ' يستوي فيها المذكر والمؤنث... وقيل: من حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال: « وإن مكان رحمة الله قريبٌ » ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره. وقيل: من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي أن رحمة الله شيء قريب أو لطيف... وقيل: من باب اكتساب المضاف حكم المضاف إليه إذا كان صالحا للحذف والاستغناء عنه بالثاني...وقيل من الاستغناء بأحد المذكورين لكون الآخر تبعا له ومعنى من معانيه، والأصل هنا: « إن رحمة الله قريبة، وهو قريب من المحسنين » فاستغني بخبر المحذوف عن خبر الموجود»[4].

مثال آخر يبرز دور النحّاة في البحث والكشف عن الصورة المثالية السليمة وراء الظاهر الحائد عن قواعده. ففي قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[الأعراف 11] يقولون: إن 'لا' زائدة[5] وإن التقدير 'مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ'وكذلك في قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء 94] وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾[الحديد 28] فقالوا: التقدير في الأولى:

---

(1) ابن الشجري: « هو هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله، أبو السعادات المعروف بابن الشّجريّ البغدادي، نسب إلي بيت الشجري من قبل أمه. كان أوحد زمانه، وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللّغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعا من الأدب كامل الفضل...وصنف الأمالي وهو أكبر تصانيفه وأمتعها، أملاه في أربعين وثمانين مجلسا». معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج5 ص592.

(2) انظر: أمالي ابن الشجري: ج1 ص 346.

(3) راجع معاني القرآن للأخفش: ج1 ص326..

(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج3 ص360. 362.

(5) راجع معاني القرآني للأخفش: ج1 ص321. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص165.

'وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا رُجُوعُهَا إِلَى الدُّنْيَا' و'لا' زائدة. وقال أبو علي: إن قوله:« أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ » داخل في المصدر –الذي هو حرام– وخبر 'حرام' مضمر، والتقدير: 'حرام على قرية أهلكناها بأنهم لا يرجعون موجود، أو كائن، أو مقضى'[1].

وقد دأب النحّاة على ذلك في كثير مما صادفوه في نص القرآن من صور الخروج على القواعد النحوية ففي قوله تعالى: ﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾[الحج 13]: « قال الكسائي: اللام في غير موضعها، و'مَنْ' في موضع نصب بـ'يَدْعُو' والتقدير: 'مَنْ لَضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ' أي 'يدعو إلهًا لضرُّه أقرب من نفعِهِ '»[2].

كذلك فعل النحّاة في قضية مخالفة الشكل الإعرابي، ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾[المائدة 71] قالوا: « ورفع 'الصابئين' لأنه رد على موضع 'إن الذين' –وهو رأي الخليل وسيبويه–. وقال ابن قتيبة معللا: 'إن' مبتدأة، وليست تُحدث في الكلام معنى كما تُحدث أخواتها، ألا ترى أنك تقول: ' زَيْدٌ قَائِمٌ ' ثم تقول 'إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ ' ولا يكون بين الكلامين فرق في المعنى ... ويدُلك على ذلك قولهم: 'إِنَّ عَبْدَ اللهِ قَائِمٌ وزيدٌ' فترفع 'زيدًا' كأنك قلت 'عَبْدُ اللهِ قَائِمٌ وَزَيْدٌ'... وكان الكسائي يجيز 'إِنَّ عَبْدَ اللهِ وَزَيْدٌ قَائِمَانِ' و'إِنَّ عَبْدَ اللهِ وَزَيْدٌ قَائِمٌ' »[3]. وانتهى النحلة بعد مناقشات معمقة إلى تقدير صورة مثالية لمعنى الآية، وتقديرها: « إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله منهم وعمل صالحا فلهم أجرهم، والصابئون والنّصارى كذلك »[4].

هذه صورة توضح مدى حرص النحّاة في احتجاجهم للغة القرآن لإظهارها بمظهر مثالي سليم.

ومضى اللّغويون خلال القرن الثالث خاصة يعنون بدرس خصائص العبارات درسا لغويا، وأخذوا يتوسعون في المباحث اللّغوية الخالصة منحازين عن مباحث البيان والبلاغة، كأنهم رأوها أنّها ميدانا آخر غير ميدانهم، وإذا كان اللّغويون قد خمد نشاطهم البلاغي، فإن من المتكلمين ظل لهم نشاطهم وظل يؤتي ثماره، ذلك أنهم بحثو مباحث واسعة في إعجاز القرآن من حيث بيانه وبلاغته.

---

(1) إعراب القرآن المنسوب للزجاج: ص 132 –133.
(2) مشكل إعراب القرآن. مكي بن أبي طالب القيسي. ت: حاتم صالح الضامن. ط:3. مؤسسة الرسالة، (1407هـ–1987م). ص423. ص423.
(3) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص37.
(4) إعراب القرآن للنحاس: ج1 ص287.

ولكن بعض كتابنا لم ينصف النحّاة واللّغويين ونعت نشاطهم بأنه لم ينحسر عن دراسات خصبة،وأنهم محافظين محافظة شديدة لم يكن يعنيهم معها إلا أن يقسموا الكلام بالمقاييس العربية الخالصة.فلم يحاولوا أن يدعموا عقولهم بالتفكير الفلسفي على شاكلة المتكلمين بدءًا من أواخر القرن الثالث الهجري.

لكنّا نعرف كيف نشط البحث اللّغوي في القرن الرابع عند أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني نشاطا يتصل بالكشف عن فقه اللّغة ومعرفة أسرارها، وقد نسج على منوالها أحمد بن فارس كتابه الصاحبي، وجهود النحّاة واللّغويين قد أوحت لعلماء الإعجاز جوانب عدة في بحوثهم، وبالأخص القاضي أبا الحسن عبد الجبار الأسد آبادي(415هـ) قاضي قضاة الدولة البويهية بإيران أكبر أعلام المعتزلة في عصره، وعبد القاهر الجرجاني(471هـ) الفقيه الشافعي المتكلم الأشعري. فقد ألف عبد الجبار كتابه « المغني في أبواب التوحيد والعدل ».وفي بعض أجزائه يبحث في إعجاز القرآن وكل ما يتصل بالقرآن ونبوة الرّسُول ﷺ ، وفصّل القول في الإعجاز ودلالة القرآن على نبوة الرّسُول، وكيف أنه يقع في المرتبة البليغة التي تخرج عن العادة.

ويهمنا من حيث موضوع البلاغة أثر النحو في الإعجاز القرآني ورأي عبد الجبار في ذلك. يقول عبد الجبار: « أعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد من الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواصفة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع.وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها. ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها »[1]. وعبد الجبار يشير في صراحة إلى حركات النحو وما ترسم من فروق في العبارات، ولا شك أنّه لا يريد الحركات الظاهرة لوحدها، وإنما يريد معنى أعمق وهو النظام النحوي للكلام.

ونظرية عبد الجبار في الإعجاز هي نفسها التي توسع عبد القاهر في شرحها بدلائل الإعجاز. حتى ليُعَدُّ كتابه تفسيرا مفصلا لما أجمله عبد الجبار في هذا الفصل، وجعل عبد القاهر الفصاحة مزيتها في معاني النحو وأحكامه والإعجاز في نظم مخصوص.وعبد القاهر عالم نحوي كبير قد أشربت روحه كل ما كتبه أستاذه محمد ابن الفارسي وأبو علي الفارسي وابن جني، وله مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا، فأحدث تحولا كبيرا في مفهوم الفصاحة والبلاغة معا، ومن ثم في مفهوم النحو، فأعاد للنحو حياته وأهميته من علوم القرآن.

(1) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسد أبادي. جزء إعجاز القرآن.

ويرد عبد القاهر إعجاز القرآن إلى خصائص في أسلوبه وراء جمال اللفظ وجمال المعنى، أو بعبارة أخرى إلى خصائص في نظمه، وأنكر أن يكون لبنية اللفظ وحسن النغم وعذوبة القول والاستعارة والمجاز دخل في الفصاحة التي هي مناط الإعجاز، وإنما الإعجاز عنده ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوية. والنظم عند عبد القاهر هو معاني النحو التي يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض، ويقرر أن الفصاحة والبيان والبلاغة ترد جميعا إلى خصائص في الكلام وراء ألفاظه ومعانيه، وهي خصائص تعود إلى النظم وترتيب الكلمات على حسب ترتيب المعاني الإضافية في النفس. يقول في الدلائل: « أعلم أن ليس 'النظم' إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه 'علم النحو' وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا يخل بشيء منها »[1] ومضى عبد القاهر يسوق أمثلة مشيرا فيها إلى جمال التعبير النحوي وحسن ما يداخله من صيغة فعلية أو تقديم أو تأخير أو وضع الفاء أو ثمّ أو فصل للكلام واستئناف أو تنكير أو تعريف أو مزاوجة بين كلامين في الشرط والجزاء أو تقسيم ثم جمع.

ويلاحظ عبد القاهر أن النحويين لا يتغلغلون إلى معرفة دقائق الكلام ووجوهه، سواء في التقديم والتأخير أو في الحذف والتكرار، أو في الإظهار والإضمار، أو في الفصل والوصل، أو في غير ذلك من صور العبارات. فيحاول عبد القاهر هنا أن يرتقي بعلم النحو إلى ما يناسب مكانة العبارات القرآنية، معتبرا إياه الأداة الأولى لتفسير النصوص وإظهار مكان الإعجاز فيها.

ومثال ما سبق تناوله للآية من القرآن بذوق رفيع وقدرة فائقة على تحليل النصوص والكشف عن مراميها وأغراضها في دقة وبراعة، يقول عبد القاهر: « وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[هود 44][2] فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها، وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها؟

إن شككت فتأمل! هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية ؟

---

(1) دلائل الإعجاز: ص80-81.

(2) « 'وغيض الماء': أي نقص يقال: غاض الماء وغضته، أي نقص ونقصته ». تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص204. انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص371.

قل 'ابلعي' واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ الفطرة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ'يا' دون أي نحو 'يا أيتها الأرض'، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بها هو شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل وغيض الماء، فجاء الفعل على صيغة 'فُعِلَ' الدالة على أنه لم يفض إلا بأمر آمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: 'وَقُضِيَ الأَمْرُ' ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو ' اسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ '[1] ثم إضمار السفينة، قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة، أخرى لشيء من هذه الخصائص التي تملوك بالإعجاز روعة وتحضرها عند صورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق ؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»[2].

ونلخص رأي عبد القاهر في تحليله وتركيزه على المعاني النحوية فيما ذكره :

- أن نوديت الأرض « يا أرض » ثم أمرت « ابلعي ».
- أن كان النداء بـ « أيا » دون « أي » نحو « يا أيها الأرض ».
- إضافة الماء إلى الكاف « ماءك » دون أن يقال « ابلعي الماء ».
- أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها.
- التعبير باستخدام الفعل المبني للمجهول فجاء الفعل على صيغة « فُعِلَ ».
- التأكيد والتقرير بقوله تعالى « وقضي الأمر ».
- ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو « استوت على الجودي».
- إضمار السفينة قبل الذكر.
- مقابلة « قيل » في الخاتمة بـ« قيل » في الفاتحة.

وخلاصة ما أراده عبد القاهر هو توظيف المعاني النحوية في السياق لخدمة المعاني العامة للنص الأدبي ومنه النّص القرآني، ولا يمكن الوقوف على معاني النّص إلا عن طريق المعاني النحوية، وقد كان تفسير عبد القاهر للنظم بأنه توخي معاني النحو وعلاقاته اللّبنة التي قامت عليها مباحث « علم المعاني » وهي مباحث ومعاني مستمدة من معاني النحو وأحكامه.

---

(1) قال ابن قتيبة في غريبه: ص204 : «الجودي: جبل بالجزيرة ». انظر مفردات الراغب: ص110.
(2) دلائل الإعجاز: ص15-16.

النحو والقراءات

اهتم علماء العربية أصحاب التّفسير بعلم القراءات[1] كأداة يحتاجها المفسر اللّغوي، وركيزة يقوم عليها تفسير كتاب الله عزّ وجلّ لإظهار معانيه العظيمة وما يشمل عليه من دقيق اللفظ. ولذا فإننا نجدهم كثيرا مايتعرضون للقراءات بما يحقق مقصودهم، وقد اعتمدوا في ذلك على القراءات المتواترة التي اعتبروها أصلا في الوصول إلى استخلاص المعاني السليمة التي تليق بكلام الله عزّ وجلّ.

وارتباط النحو بالقرآن كان شديدا، ولاسيما من حيث صحة القراءة وشذوذها، فاتصل بعلم القراءات المختلفة ووجوه تصحيحها ورفضها، فكان دوره المهم في بيان موقع مفردات القرآن وفي تيسير قراءة القرآن وضبطها على الوجه الأصح والأفصح وفي الكشف عن طاقاته وتأثيرها في النفس الإنسانية.

وبحوث القراءات مهدت لكثير من الدراسات اللّغوية، وأثارت كثيرا من المسائل التي تتعلق بالإعراب، وقد تفرغ لهذه الدراسات أئمة اللّغويين والنحويين،فأقاموا علم القراءات على أسس علمية. كما كان اختلاف اللفظ الواحد في الإعراب أو الحركات دافعا لكثير من العلماء إلى الاجتهاد في الحصول على مخرج سليم يتفق والقراءة، ويتمشى مع سياق الآية، إذ لم يفتهم نقد قراءات القرآن. فالقرآن كتاب الله الخالد، ومعجزة المسلمين على مر الزمان فمن واجبهم أن يتصدوا لقراءاته بالنقد والتمحيص، ليبينوا كل ما عسى أن يشوبها من ضعف الرواية وشذوذ اللهجة، لا يصدهم عن السبيل أن يتقول متقول بما ليس فيهم، أو يزعم خصومهم أنهم بما يفعلون من ذلك إنما يتكلفون ما ليس من شأنهم « كأن القراءات لا مدخل للعربية فيها، وكأن النحّاة ليسوا من العربية ولا العربية منهم في شيء، وكأنهم افتعلوا النحو افتعالا أو ابتدعوه انتحالا، لم يرجعوا فيه إلى أصل من أصول العربية، ولا استنبطوه من أساليبها المأثورة في المنثور والمنظوم، وإذا يجوز أن يتهم النحويون في هذا المجال بالتطاول والتكلف والاجتراء، ولا يجوز أن يظن بقارئ خطأ ولا توهم، ولا سهو ولا غفلة ولا نسيان، ولا أن تؤخذ رواية بضعف أو شذوذ أو ارتياب »[2].

---

(1) يعد علم القراءات من أقدم علوم الإسلام نشأة وعهدا، فأول ما تعلمه الصحابة عن نبيهم ﷺ كان القرآن الحكيم، ثم اختلف الناس في قراءة القرآن وضبطه فقضت الحاجة إلى علم يميز الصحيح المتواتر من الشاذ وقاية لألفاظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل، ودفعا للخلاف بين المسلمين، فأفاد ذلك العلم المسلمين فائدة عظيمة، لأن البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها ييسر تلاوة القرآن ويسهل حفظه، ويستعان به على معرفة الأحكام الشرعية.

(2) بحث الأستاذ علي نجدي ناصف « بين القراء والنحّاة ». مجلة مجمع اللّغة العربية. الجزء السابع عشر. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1964. ص37 وما بعدها.

ولعل النقد الشديد للنحاة والهجوم الشرس عليهم في نقدهم للقراءات أنهم لا يفرقون في النقد بين السبعية وغير السبعية، فالقراءات السبعة لها شهرة واسعة ليست لغيرها من القراءات، فهي عند بعضهم متواترة كلها. والواقع أن هذه القراءات في رأي المحققين لا تعد أن تكون كغيرها من القراءات المروية عن الأئمة الآخرين، وليس الاقتصار على بعضهم يدل على معنى من معاني التفضيل. فما هو إلا أن كانت المائة الثالثة من الهجرة حتى بدا لبعض الأئمة القراء أن يتصدوا لجمع ما رووا عن السلف من وجوه القراءات ضبطا لها وحفاظا عليها، بسبب ما رأوا في الناس يومئذ من قلة التحرز والضبط. ثم كان أبو بكر بن مجاهد(324هـ) الذي تفرد على رأس الثلاثمائة بالاقتصار على السبعة المعروفين.ولكن ذلك لم يرق كثيرا من الأئمة ولا وقع منهم موقع القبول، فأنكروا منه وخطئوه فيه، ورأوا أن كان ينبغي ألا يقتصر على من اقتصر عليه، أو أن يبين مراده به، ليكون الناس على بصيرة من الأمر[1].

قال أبو حيان: « ...كان في زمان هؤلاء السبعة من أئمة الإسلام الناقلين القراءات عالم لا يحصون، وإنما جاء مقرئ اختار هؤلاء وسماهم، ولكسل بعض الناس وقصر الهمم، وإرادة الله أن ينقص العلم اقتصروا على السبعة، ثم اقتصروا من السبعة على نزر يسير منها »[2] وفي النشر:« وكل ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظة خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها -في الحديث-...فعلى هذا الأصل بُنِيَ قبول القراءات على سبعة كانوا أو عن سبعة آلاف، ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فأحكم بأنها شاذ »[3].
قال السيوطي نقلا عن أبي شامة في المرشد الوجيز: « لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من قراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه»[4].
ولا يشترط في الوجه الذي تتفق فيه القراءة مع العربية أن يكون جاريا على الأفصح أو المجمع عليه، بل يستوي فيه الأفصح والفصيح والمتفق عليه والمختلف فيه، فليس يعمل القراء على الأفشى والأقيس في اللّغة، بل على الأثبت والأقوى في الأثر[5]. ولم يشأ بعض العلماء أن يسكت عن صنيع مجاهد،

---

(1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج1 ص36.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص42.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص43.
(4) الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص99-100.
(5) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج1 ص10.

فألف مثله في قراءات بعض الأئمة، ولكنه لم يتقيد بالعدد الذي تقيد به ابن مجاهد، زاد عليه أو نقص منه، فألف بعضهم في القراءات الست[1] وبعضهم في القراءات الثمان[2] وبعضهم في القراءات الإحدى عشر[3] وبعضهم في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها[4].

والرأي في تواتر القراءات السبع مختلف، فينقل جماعة من القراء أن الإجماع منعقد على أن منها المتواتر والآحاد، وأن أحدا لم يقل بتواتر كل واحدة من السبع بل العشر، وإنما هو قول بعض أهل الأصول، وأهل الفن أدرى بفنهم[5].

وفي ضوء هذه الحقائق رأى النحويون أن ليس عليهم بأسا إذا هم نقدوا القراءات، سبعية وغير سبعية، ولا أنهم يقولون فيما ليس من شأنهم، فإنهم في نقد القراءات يبينون مكانها من العربية ومبلغها من شيوع الاستعمال.وليست القراءات في هذا سواء فمنها المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع[6]،والرواة يتفاوتون أيضا ضبطا وأتقانا. وقد فسر ابن قتيبة ما جاء في الحديث:« نَزَلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةَ أَحْرُفٍ...فَاقْرَأُوا كَيْفَ شِئْتُمْ ».ورأى أن المقصود بالأحرف السبعة : « سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن ».وذكر أن وجه الخلاف في القراءات سبعة:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها... **والوجه الثاني:** أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب...والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها... **والوجه الرابع:** أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها...**والوجه الخامس:** أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها **والوجه السادس:** أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير...**والوجه السابع:** أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان »[7].

على أن مسالك التفكير عند النحويين حيال القراءات كثيرة، والشرط الوحيد الذي فرضه فريق النحّاة لصحة القراءة هو صحة الرواية عن القارئ العدل حتى ولو كان فردا، وسواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الآحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة، بل حرص ابن جني على وضع القراءة الشاذة في مرتبة القراءات السبعية.

---

(1) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج1 ص84.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص72-92.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص73.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص90. انظر هذا الموضوع بالتفصيل في الإتقان للسيوطي: ج1 ص106.
(5) التبيان للعكبري : ص106.
(6) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج1 ص133.
(7) تأويل مختلف القرآن: ص28-29 .

لذلك كله عدّ اللّغويون المفسرون ضبط القراءة من جميع جهاتها أصل من أصول التّفسير النحوي للقرآن، وجانب مهم من جوانب التّفسير اللّغوي.فباختلاف حركة اللفظ الواحد في القرآن قد يغير معنى السياق جذريا وقد يعطي دلالات لا يريدها الشارع، لهذا السبب كان ذلك النزاع العلمي الحاد بين النحويين والقراء والمفسرين حول بعض القراءات، فهؤلاء يشترطون لقبول القراءات غير ما اشترطه النحّاة، فهم يرون لقبول القراءة شروطا ثلاثة[1] :

1- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

2- موافقة العربية ولو بوجه.

3- صحة سند القراءة واتصال روايتها.

وينظرون إلى القراءة على أنها تنحصر في اعتبارها وسيلة تعبد وتقرب إلى الله تعالى، وشرطا لصحة الصلاة، ومصدرا للتشريع، أما فريق النحّاة واللّغويين فقد رأوا في القراءة أحد المصادر اللّغوية المعتمدة، وشاهدا لا يصح النظر إليه بمعزل عن سائر الشواهد اللّغوية، ليس رفعا لكلام العرب إلى مستوى القرآن، وإنما حفظا له من الخطأ.وقد نص الله تعالى على أن معاني القرآن ومعاني كلام العرب يشملهما وعاء لغوي واحد، فلا يجوز إذا الخروج عن المعهود من اللّغة العربية دفعا لاحتمال الخطأ.وقد غال بعض النحّاة في هذا الأمر إلى حد معارضة القراءات المتواترة نفسها لمخالفتها قواعد كلام العرب،وخاصة من البصريين الذين لم يرتضوا قسما من النحو القرآني وتأولوه أو عارضوه معارضة صريحة أو خفية. ومهما يكن من أمر النحّاة فهم أبعد عن العصبية والجدال، وخاصة من علماء القرون الأولى، فقد عرف عنهم إخلاصهم في حفظ القرآن ورعايته. وما تلك المناقشات الطويلة حول بعض القراءات إلاّ علامات عن الرغبة الشديدة التي تملكت هؤلاء لصون القرآن من خطر اللحن الذي تفشى وانتشر. على أن النحّاة لم ينفردوا بنقد القراءات ولكن نقدها غيرهم كذلك من المتخصصين وغير المتخصصين، فأبو عمرو بن العلاء صاحب الكلمة المشهورة في قراءة ابن مروان السابقة كان من أئمة القراء كما كان من أئمة النحو. وكيف يغمز أبو عمرو بن العلاء وهو سيد القراء وأمير النحّاة، ثم هو يرفض قراءة ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[طه 63] بالألف وكان يقول: « إني لأستحي من الله تعالى أن أقرأ«إنّ هَذَانِ »»[2]، لأن أبا عمرو رأى في النحو ما لم يره الجامدون على المرويات.فنظر إلى اللّغة نظرة إحاطة تكشف عن وظيفتها في إبراز الفكرة وعرضها، لأن استقامة معنى الآية أمر حتمي عند أبي عمرو بن العلاء، لذلك لم ينزعج من معارضة النحويين

(1) النشر في القراءات العشر: ج1 ص9. انظر تفصيل هذا الموضوع في الإتقان: ج1 ص99 وما بعدها.
(2) تفسير القرطبي: ج11 ص216.

لقراءة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾[ابراهيم 24] بكسر الياء، فقد حكى البغدادي في خزانته أن النحاة في عصر أبي عمرو بن العلاء أنكروا على القراء قراءتهم:«وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ » بكسر الياء، ففزع أحدهم إلى أبي عمرو بن العلاء قائلا له: إن أصحاب النحو يلحوننا فيها، فقال له: « هي جائزة أيضا لا تبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق »[1] . وفي النشر: « قرأ ابراهيم بن أبي عبلة: الحمد لله بضم اللام الأولى، وقرأ الحسن البصري بكسر الدال، وفيهما بُعْدٌ في العربية...وقرأ أبو أيوب السختياني: ولا الضألين بهمزة مفتوحة في موضع الألف، وهو قليل في كلام العرب»[2]. يقول الأستاذ شوقي ضيف: « يكون من الإسراف أن يقال إنهم كانوا يخطئون القراء وإنما الذي ينبغي أن يقال أنهم وقفوا عند بعض الحروف في قراءات القرآن الكريم رغبة منهم في التحري الدقيق للفظ الذكر الحكيم ونطقه»[3]! وإذا لم يكن بد من أن يؤخذ النحّاة بشيء في هذا المجال، فليس هو نقد القراءات، ولكنه الأحكام القاطعة التي يحكم بها بعضهم أحيانا في مسائل لا تقبل بطبيعتها الأحكام القاطعة لأنها تقوم على الرواية والسماع، وروايات اللّغة كثيرة وطرقها متعددة لا يستطيع أن يحيط بها أحد.

إن هذه النظرة الواسعة لعلاقة النحو بالقراءات كانت سائدة في أذهان من قعّدوا للتفسير اللّغوي، وجعلوا له أهدافا محددة تعين على خدمة النّص والحفاظ على سلامة معانيه ومبانيه ولا يكون ذلك إلا بواسطة اللّغة وبالأخص النحو منها الذي هو صلب المنهج التحليلي في تفسير النّصوص.

نقد القراءات على أساس النحو

سار الدرس النحوي منذ أواسط القرن الثاني الهجري في اتجاهين مختلفين، كان سيبويه وتلاميذه يمثلون اتجاها في النحو، وكان الكسائي وتلاميذه يمثلون اتجاها آخر. وكان الدارسون القدماء يعرفون هذا ويدركون الأسس المذهبية التي كان عليها الاتجاهان. الاتجاه الأول اتجاه البصريين الذين سبقوا إلى الدرس النحوي، والاتجاه الثاني هو اتجاه الكوفيين.

فأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات لأنهم أكثر اختلاطا بالأجانب من أهل الكوفة وأكثر حرية في اعتناق المذاهب المختلفة، وأسرع إلى الأخذ من الثقافات الأجنبية لتوافر مصادرها عندهم[4]. أما أهل الكوفة فهم أصحاب فقه وحديث وقراءة، وكانت مهتمة بدراسة القرآن الكريم والحديث النبوي

---

(1) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ج4 ص434.
(2) النشر في القراءات لابن الجزري :ج1 ص46.
(3) المدارس النحوية. شوقي ضيف. دار المعارف، 1973م. ص158.
(4) انظر مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. مهدي المخزومي. مط البابي الحلبي، 1958م. ص66.

وهو شغل سكانها من أبناء الصحابة بعد أن «هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر»[1] إلى جانب ستين شيخا من أصحاب عبد الله بن مسعود. وهناك ظهرت طبقة من القراء عنيت بالجانب اللفظي وعني أصحابها وشيوخها بإعراب القرآن ورواية اللّغة لتصحيح القراءات. ولا أرى فائدة لسرد الفروق بين المدرستين، البصرة والكوفة إلاّ بماله في هذا الموضع، إذ الأصل الذي أقام القدماء عليه آرائهم في التفريق بين المذهبين، أن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ولواؤه بيد السماع، ومذهب البصريين ابتناء قواعده على الأغلب الشائع من كلام العرب وتحكيم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه. وإذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور فنزع إلى التأويل والتوجيه، أو رمي المسموع بالشذوذ.

إن منهجية البحث عند المدرستين إذن من أكبر العوامل التي هيأت السبيل لجو الخلاف النحوي الذي برز خلال تعامل المدرستين أثناء التوجيه اللّغوي لنصوص الكتاب. وهذا ما جعل القراءات القرآنية مصدر هاما من مصادر النحو الكوفي، بل هي في أعلى مراتب المصادر التي كانوا يستخلصون منها الأصول النحوية. فقد قبلها الكوفيون واحتجوا بها وبنوا على ما جاء فيها كثيرا من أحكامهم التي طبقوها في عملية التّفسير ذاته. إذ لا يردون قراءة صح سندها ولا يطعنون على قارئ، ولا يرمونه بالجهل إذا كانت قراءته تخالف الأصول الموضوعة، فقد قبلوها واحتجوا بها وعقدوا على ما جاء فيها كثيرا من أصولهم وأحكامهم. وسبب قبول الكوفيون للقراءات أنهم كانوا يعتدون بالسماع والنقل ويتخذون من المسموعات أساسا لوضع قواعدهم، ومذهبهم « لواؤه بيد السماع لا يحفر له ذمة ولا ينقض له عهدا ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله، ونسف قاعدة من قواعده ولا يهون عليه إطراح المسموع»[2]. قال السيوطي نقلا عن ابن دُرُسْتَوَيْه(347هـ)[3]: « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه »[4]! لذا عدت القراءات عندهم أوثق المسموعات لبلوغه مرتبة التواتر.

في ذات الوقت كان البصريون قد بنوا مذهبهم على الكثير الشائع من كلام العرب الموثوق به الفصيح، فتجنبوا الشاذ والقليل والنادر وغير الموثوق به ولذلك كانت قواعدهم قوية محكمة، لا يقبلون الخروج عنها ولا نقضها، واعتبروا الشاذ ما خرج عن هذه القواعد يرد إليها بالتأويل،

---

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2 ص9.
(2) الدرس النحوي في بغداد. مهدي المخزومي. ط:2. بيروت: معلد دار الرائد العربي، (1407هـ-1987م).ص62.
(3) هو عبد الله بن درستويه بضم الدال والراء أحد من اشتهر وعلا قدره وكثر علمه جيد التصنيف، صحب المبرد ولقي ابن قتيبة وأخذ عن الدارقطني وغيره. بغية الوعاة: ج2 ص 36.
(4) بغية الوعاة: ج2 ص 164.

أو النادر الذي يحفظ ولا يقاس عليه، كما اعتمد الدرس البصري على القياس وجعله أصلا من أصوله، وقد أطلق على مدرسة البصرة مدرسة القياس. ومن أجل التمسك بهذه الأصول كان البصريون لا يلتفتون لأي مسموع عدا ما انتظمته الأصول العامة والاعتبارات العقلية التي اصطنعوها.ولجؤوا إلى التأويل عندما تواجههم النّصوص الصحيحة الموثوقة الخارجة عن أصل من أصولهم، وإذا لم تصح رواية النّص عندهم ردوه. وهذا تفسير موقفهم من القراءات التي تناولوها كما تناولوا المسموعات من العرب وسائر النّصوص اللّغوية، فإن خضعت لأصول نحوهم وأقيستهم قبلوها ولو بتأويل، وإن لم تكن كذلك رفضوا الاحتجاج بها ووصفوها بالشذوذ أو الخطأ أو اللحن، وطعنوا على القراء ورموهم بالجهل بالعربية[1] كما فعلوا مع عبد الله بن عامر(118هـ)[2] مقرئ أهل الشام الذي غلّطوه في قراءته قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[الأنعام 138] بنصب 'أولادَهم' وجر 'شركائهم'، لأنهم رأوا أن المضاف 'قتل' والمضاف إليه 'شركائهم' هما كالشيء الواحد، ويجب ألا يفصل بينهما بفاصل وهو المفعول به 'أولادهم' فلا يجوز ذلك إلا في ضرورة الشعر، مع أن عبد الله بن عامر من القراء السبع، وقراءاته متصلة السند كما يقول أصحاب القراءات. وفعل البصريين ذلك أيضا مع نافع مقرئ أهل المدينة،

---

(1) وكان القراء قد عرفوا بالفصاحة والحفظ والضبط. فهذا زر بن حبيش(81هـ) قد عرف عنه إلمامه الواسع في اللّغة حتى إن عبد الله بن مسعود على جلالة قدره في العلم كان يسأله في اللّغة. انظر غاية النهاية لابن الجزري: ج1 ص294.
وعرف عن عاصم بن أبي النجود(127هـ) أنه « جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد ». غاية النهاية لابن الجزري: ج1 ص347.
وعرف عن حمزة بن حبيب(156هـ) أنه « كان ثقة كبيرا، حجة رضيا، قيما بكتاب الله ، مجودا عارفا بالفرائض والعربية ». انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج1 ص166.
أما الكسائي فحاله معلومة، فهو إمام من أئمة العربية. قال ابن خالويه (370هـ): « وبعد فإني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة، المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ المأمولين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع وقصد من القياس وجها لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طرق النقل والرواية». الحجة في القراءات السبع. لابن خلويه. ت: عبد العال سالم مكرم. ط:2. بيروت القاهرة: مط دار الشروق، (1397هـ-1977م). ص61.
والأئمة السبع الذين أرادهم ابن خالويه هم: نافع بن عبد الرحمن مقرئ المدينة، عبد الله بن كثير الداري مقرئ مكة، وأبو عمرو ابن العلاء مقرئ البصرة، وابن عامر مقرئ الشام، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة النحوي مقرئي الكوفة. وأراد بالحرف كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن فهي تسمى حرفا. انظر اللسان مادة 'حرف' : ج2 ص837.
(2) كان عبد الله بن عامر إماما ثقة فيما أخذ عنه، حافظا لما رواه، متقنا لما وعاه، فاهما لما جاء به صادقا فيما نقله، من أفاضل المسلمين وخيار التابعين، لا يتهم في دينه، ولا يشك في يقينه ولا يرتاب في أمانته، ولا يطعن عليه في روايته، صحيح نقله فصيح قوله –عال في قدره– مصيب في أمره، مشهور في علمه، مرجوع إلى فهمه، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر، ولي قضاء دمشق بعد بلال بن أبي الدرداء، واتخذه أهل الشام إماما في قراءته واختياره. تهذيب التهذيب: ج5 ص271.

فقد غلطوه في قراءته قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾[الأعراف 9] بهمز 'معائش' لأنهم كانوا يرون أنه إذا كان المد أصليا امتنع قلبه همزة مثل معايب، فلا يقال فيهما معائب، ومعائن مع أن « الأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللّغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل »[1] وذلك لأن القراءة عندهم يلزم اتباعها ولو عارضت الأفشى وخرجت عن الأقيس.

وكذلك فعل البصريون مع حمزة بن حبيب الزيات مقرئ أهل الكوفة، وغيره كثير لم يقبل قراءتهم البصريون. بينما لم يرجع الكوفيون قراءة هؤلاء وقبلوها واستشهدوا بها. وإذا رَجَّحُوا القراءات التي يجتمع القراء عليها فلا يرفضون غيرها، ولا يغلطونها لأنها صواب عندهم أيضا، فقد اجتمع القراء على قراءة « يُخْرِبُونَ» بالتخفيف من قوله تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الحشر 2]، وخالف أبو عبد الرحمن السلمي القراء وقرأها بالتشديد. وقد تناول الفراء هذه الآية وخرج القراءتين وصوبهما فقال : « كأن يخرّبون: يهدمون، ويخربون بالتخفيف: يخرجون منها يتركونها، ألا ترى أنهم كانوا ينقبون الدار فيعطلونها؟ فهذا معنى 'يخْرِبُونَ'، والذين قالوا 'يُخَرِّبُونَ' ذهبوا إلى التهديم الذي كان المسلمون يفعلونه، وكل صواب، والاجتماع من قراءة القراء أحب إلي »[2] فتوقُّف الكوفيين عند بعض هذه القراءات لا يزيد على بعض التعليقات، وهي في مجملها لا تخرج عن مثل قول الفراء: « لا أشتهي ذلك، لا آخذ به، ولا يجوز مخالفة الكتاب، ولا يصلح في القراءة ».

وكذلك رأي الدارسين الجدد لهذه الظاهرة، نقد القراءات على أساس النحو، فقدموا منهج الكوفيين على منهج البصريين، وهذا صواب، فقد يتصور العقل أن بعض القراءات الشاذة لا توافق العربية لأن القراء لا يَدَّعُونَ أن كل القراءات على أرفع الدرجات في الفصاحة[3]، ولكنه لا يتصور أن القراءات المتواترة[4] تخالف العربية.ولاشك أن الباحث المنهجي يرفض الطعن في النحو القرآني،

---

(1) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنحو لمهدي المخزومي: ص52 .

(2) معاني القرآن للفراء: ج3 ص143.

(3) البحث اللّغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر. أحمد مختار عمر. ط:6. القاهرة: مط علم الكتب، 1988م. ص19 وما بعدها.

(4) ذكر السيوطي في الإتقان أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة. الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص105. وقال الزركشي:« والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما توترها عن النبي ﷺ ففيه نظر» البرهان: ج1 ص318. وجاء عن القرطبي : « قال كثير من علمائنا كالداودي، وابن أبي صفرة وغيرهما أنهم قالوا : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف...وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ». انظر جامع الأحكام: ج1ص46.

لأن المنهج العلمي القائم يفرض عليه أن يجعل القرآن الكريم في أعلى مصادر السماع، فإذا كان الشعر الجاهلي مقدم في الاحتجاج على الشعر الإسلامي والأموي والعباسي على الإطلاق، فإن القرآن مقدم عليهم جميعا لأنه أوثق نص في الوجود، وقد أجمع الناس قديما وحديثا على أن القرآن لا يكاد يرقى إلى مثله أي توثيق آخر تلك هي النتيجة المنطقية التي تمخض عنها البحث المنهجي السليم.

ويدفعنا الحديث عن نقد القراءات إلى محاولة التعرف على رأي المفسرين اللّغويين خاصة، فهم وإن كانوا من النحّاة، فإنهم مارسوا التأويل وعرفوا شرائط التّفسير، وقد أدركوا أنهم بصدد نص مقدس يمنع أمامه إطلاق الأحكام على سبيل الظن أو من باب الصناعة النحوية.

النموذج الأول

وخير مثال أثار المفسرين والنحّاة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[طه 62] حيث قرئت كلمة 'هذان' بالألف مع تشديد النون من 'إنّ' في قراءة سبعية متواترة. قرأها الجمهور من السبعة بتشديد النون من 'إنّ' وتخفيفها في نون المثنى من 'هذان' وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وقرأ أبو عمرو بن العلاء « إِنْ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ » بتشديد نون 'إن' وبالياء في هذين بدل الألف[1]! وهي قراءة سبعية محكمة قرأ بها من السلف فريق كبير منهم: « عائشة والحسن والنخعي والجحدري والأعمش وابن جبير وابن عبيد »[2]. أما قراءة حفص فإنها بسكون النون من 'إنْ' مع الألف في 'هذان'، وقد كان بعض النحّاة قد أنكر قراءة 'هذان' لأنها تخالف قواعد العربية التي نزل بها القرآن، وفضلوا قراءة ابن العلاء 'إن هذين'.

ولقد بلغ ما كُتب عن تعليل رفع 'هذان' في هذه الآية مئات من الصفحات في المراجع المختلفة، وإني إذ أسهب في عرض ما قيل لأنه ضروري هنا لبيان منهجية التّفسير اللّغوي عند أصحابه ومدى التزامهم بمبادئ التّفسير وقواعد النحو القرآني .

لقد عُرّفت 'هذان' في الكتاب بالألف مع كونها اسم لأن، فكان الوجه النحوي أن تكون 'هذين' وعليه رأي النحّاة ولكنهم لم يذهبوا جميعا إلى هذا المذهب بالنسبة لهذه القراءة. وقدم فريق كبير منهم قراءة 'إن هذان' كما وردت في المصحف ومنهم الفراء رأس المفسرين اللّغويين والذي لا يرى في ذلك لحنا. وهو يخرّجها بقوله: « فقراءتنا بتشديد 'إنّ' وبالألف من جهتين:

---

(1) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ص242. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها لمحمد سالم محسين: ص143. البحر المحيط لأبي حيان: ج6 ص255.

(2) البحر المحيط لأبي حيان: ج6 ص255.

أحدهما: على لغة بني الحارث بن كعب، يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف، وأنشد في رجل من الأسد عنهم، يزيد بني الحارث :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ۞ مَسَاغًا لِنَابَاه الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[1]

قال: وما رأيت أفصح من هذا الأسدي، وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خط يدا أخي بعينه، وذلك -وإن كان قليلا – أقيس لأن العرب قالوا: مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة (لأن الواو لا تعرف) ثم قالوا: رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم، فلما رأوا أن الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحا: تركوا الألف تتبعه، فقالوا: رجلان في كل حال، وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان، إلا بني كنانة فإنهم يقولون: رأيت كلى الرجلين، ومررت بكلى الرجلين وهي قبيحة وقليلة، مضوا على القياس »[2].

ثم ذكر الوجه الثاني فقال: « والوجه الآخر أن تقول: وجدت الألف (من هذا دعامة وليست بلام الفعل)، فلمّا ثُنِّيَتْ زِدْتُ عليها نونا، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول على كل حال، كما قالت العرب 'الذي' ثم زادوا نونا على الجمَاع، فقالوا: الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا 'هذان' في رفعه ونصبه وخفضه، وكنانة يقولون 'اللُّذُونَ' »[3].

فالفراء لا يرى في هذه القراءة اللحن وخاصة أنها وردت في أرقى لغات العرب التي نزل بها القرآن.وقد رد على من قال بالحديث إن في المصحف لحنا وستقيمُهُ العرب بقوله: « ولست أشتهي أن أخالف الكُتّاب »[4].

ويعالج ابن قتيبة المسألة على نحو آخر في باب ما ادعى على القرآن من اللحن يقول: « وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها أو أن تكون غلطا من الكتاب كما ذكرت عائشة رضي الله عنها، فإن كانت على مذهب النحويين فليس هاهنا لحن بحمد الله، وإن كانت خطأ في الكتاب فليس على رسوله ﷺ جناية الكاتب في الخطء ولو كان هذا عيبا يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي.فقد كتب في 'إنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ' بحذف ألف التثنية، وكذلك « ألف التثنية » تحذف في هجاء هذا المصحف في كل

---

(1) الشجاع: الذكر من الحيات، الصمم: عض في العظم. محقق معاني القراء: ج2 ص184.
(2) معاني القرآن للفراء: ج2 ص184.
(3) المصدر نفسه: ج2 ص184.
(4) المصدر نفسه: ج2 ص183.

مكان مثل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾[المائدة 25] و﴿آخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾[المائدة 109]... وهذا أكثر في المصحف من أن نستقصيه »[1]

أما الزجاج فيتمسك بقراءة المصحف وبالنحو القرآني ويردُّ قراءة أبي عمرو في صراحة فيقول: « لا أجيز قراءة أبي عمرو و لأنها خلاف المصحف »[2].

ويرى ابن فارس وأبو حيان من رؤساء المنهج اللّغوي التّفسيري بعد القرون الأولى ما راه أسلافهم من عدم القول باللحن في قراءة ' هذان '. فيعقب ابن فارس على هذه القراءة بأن بعض أهل العلم ذهبوا إلى أن الإعراب يقتضي أن يقال: 'إن هذان' وقال بلزوم الألف في التثنية فيقال: 'هذان' في جميع الأحوال[3]. وقد أختار أبو حيان تخريجها على ذلك حيث قال: « والذي نختاره في تخريج هذه الآية أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائما، وهي لغة لكنانة، حكى ذلك أبو الخطاب... وقال أبو زيد : سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا »[4].

النموذج الثاني:

ومن مثل تلك المناقشات الطويلة حول النحو القرآني و القراءات اختلاف أمة الدين واللّغة حول قوله تعالى:﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾[النساء 1]، قرأ ابراهيم النخعي وقتادة والأعمش وحمزة 'الأرحامِ' بالخفض[5]! وقد كان للنحويين في هذا كلام طويل، يقول القرطبي:فأما البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به، وأما الكوفيون فقالوا: هو قبيح ولم يزيدوا على هذا ولم يذكروا علة قبحه...وقال جماعة: هو معطوف على المكني فإنهم كانوا يتساءلون بها. يقول الرجل: سألناك باللهِ والرّحمِ، هكذا فسره الحسن والنخعي ومجاهد وهو الصحيح في المسألة على ما يأتي. وضعفه أقوام منهم الزجاج، وقالوا: يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر في الخفض إلاّ بإظهار الخافض كقوله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾[القصص 81] و 'مررت به وزيد' قال الزجاج عن المازني: لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل صاحبه، فكما لا يجوز 'مَرَرْتُ بِزيدٍ وبِكَ' كذلك لا يجوز 'مَررْتُ بِكَ وَزيد' »...ثم قال: « قال الزجاج: قراءة حمزة

---

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص40 و41.
(2) البحر المحيط لأبي حيان: ج6 ص255.
(3) انظر كتاب الصاحبي لابن فارس: ص52-53.
(4) البحر المحيط لأبي حيان: ج6 ص255.
(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج5 ص2-3.

مع ضعفها وقبحها في العربية خطأ عظيم في أصول أمر الدين لأن النبي قال:« لا تحْلِفُوا بِآبائِكُمْ »[1] فإذا لم يجز الحلف بغير الله، فكيف يجوز بالرّحم؟ و رأيت اسماعيل ابن إسحاق يذهب إلى أن الحلف بغير الله أمر عظيم وأنه خاص لله تعالى. قال النحاس: وقول بعضهم 'والأرحام' قسم خطأ من المعنى والإعراب لأن الحديث عن النبي ﷺ يدلا على النّصب »[2].

وخلاصة القاعدة التي يدور حولها الخلاف هي: « عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور». وبتطبيق هذه القاعدة على الآية الكريمة نرى أن كلمة 'الأرحام' –وهي اسم ظاهر– قد عطفت على الضمير في كلمة 'به' بدون إعادة حرف الجر وهو الباء[3]. ومن هنا نشأ الخلاف بين النحّاة « فذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المخفوض...وذهب البصريون إنه لا يجوز »[4].

وابن جني في كتابه الخصائص يقول: « ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها، وذهب إليه أبو العباس بل الأمر فيها دون ذلك، وأقرب وأخف وألطف، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس : إنني لم أحمل 'الأرحام' على العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت أن تكون فيه 'باء ثانية' حتى كأني قلت : 'وبالأرحام' ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك: بمن تَمْرُرْ أمْرُرْ، وعلى مَنْ تَنْزِل أنْزِلْ »[5].

وعلق القرطبي فقال: « قلت: هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع القراءة 'الأرحام' بالخفض، واختاره ابن عطية ورده الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري، واختار العطف فقال: ومثل هذا الكلام -أي رد النحّاة للقراء وتخريجها على قواعدهم- مردود عند أئمة الدين، لأن القراءات التي قرأ بها الأئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ، واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محظور، ولا يقلد فيه أئمة اللّغة والنحو، فإن العربية تُتلقى عن النبي ﷺ ولا يشك أحد في فصاحته»[6].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان عن ابن عمر: ج4 ص 103.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج5 ص 4.
(3) الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين. أحمد مكي الأنصاري. مصر: توزيع دار المعارف، (1393هـ-1973م). ص3.
(4) الإنصاف: ج2 ص463 (المسألة 65).
(5) الخصائص: ج1 ص285 .
(6) الجامع لأحكام القرآن: ج5 ص 4.

ومناقشة القراءات نحويا بات أمرا معهودا عند المتقدمين والمتأخرين من النحّـــاة واللّغويين وحتى من مارس التّفسير منهم، فقد ناقش الفراء قراءة ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾[ابراهيم 24].وهي من قراءة حمزة بن حبيب الزيات مقرئ أهل الكوفة ووصفها بأنها من وهم القراء. قال: « -ولعله يريد يحي بن وثاب- ظن أن الباء في 'بمصرخي' خافضة للحرف كله والياء من المتكلم خارجة من ذلك»[1]. وكذلك طعن فيها أبو عبيدة وقال: « نراهم غلطوا ظنوا أن الباء تَكْسُرُ لما بعدها »[2] وطعن فيها أيضا ابو حاتم والأخفش والزجاج وغيرهم،وهاجموا هذه القراءة مهاجمة عنيفة فأنكروها تارة ورموها بالقبح تارة أخرى قال الأخفش : « ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين ». وقال النحاس: « صار هذا إجماعا ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ ».وقال الزجاج: « هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف »[3].

ويعقب أبو حيان على النحّاة حين يقول: « وما ذهب إليه من ذكرنا من النحّاة لا ينبغي أيـن يلتفت إليه، واقتفى آثارهم فيها خلف فلا يجوز أن يقال فيها إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللّغة أنها لغة، لكن قلّ استعمالها، ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع وقال القاسم بن معين -وهو من رؤساء النحويين الكوفيين- هي صواب وسأل حسين الجعفي أبا عمرو بن العلاء وذكر تلحين أهل النحو فقال: هي جائزة، وقال أيضا: لا تبالي إلى[4] أسفل حركتها أو إلى فوق، وعنه أنه قال: هي بالحفظ سنة ... ولا التفات إلى إنكار أبي حاتم على أبي عمرو وتحسينها، وقد أجازها وحسنها، وقد رووا بيت النابغة :

عَلَيَّ لَعَمْرُو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ »[5].

وقد تكون هذه المناقشة من القراء أنفسهم، فهذا أبو عمرو بن العلاء قد خطأ قراءة نافع(169هـ) وابن عامر(118هـ)[6]. ﴿ أَتُحَاجُّونِي ﴾[الأنعام 80] بنون خفيفة: « وحُكي عنه أنه

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج2 ص75.
(2) البحر المحيط لأبي حيان: ج5 ص419.
(3) المصدر نفسه: ج5 ص419.
(4) كذا بالأصل 'لا تبالي' بإثبات الياء .
(5) البحر المحيط: ج5 ص419.
(6) هو أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جعونة بن شعوب الليثي إمام دار الهجرة في القراءات قال ابن مجاهد: « وكان عالما بوجوه القراءات متبعا لآثار الأئمة الماضيين ببلده، أخذ القراءة عن جماعة من التابعين » كتاب السبعة في القراءات: ص53.
عبد الله بن عامر إمام القراءة في الشام وأحد القراء السبعة، وهو عربي مثل أبي عمرو بن العلاء، توفي بدمشق، قال عنه ابن مجاهد: « وكان عبد الله قد أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأخذها المغيرة عن عثمان بن عفان ﷺ » كتاب السبعة القراءات: ص85.

قال: هو لحن وأجاز سيبويه ذلك»[1] كما قرأ نافع ﴿ فِيمَ تُبَشِّرُونِ ﴾[الحجر 54] بكسر النون وحكي عن أبي عمر بن العلاء أنه قال:« كسر النون لحن ويذهب إلى أنه لا يقال ' أنتم تقوموا ' فيحذف نون الإعراب »[2].

بيد أن الشائع بين اللّغويين المتأخرين إذا أرادوا التعامل مع قراءة ما وفق قاعدة لغوية فإنهم يضعونها إلى جانب غيرها من النّصوص ويوازنون بينها،ثم يعتمدون على القراءة المبنية على القاعدة المستخرجة من كثير الشائع سواء كانت القراءة متواترة أو غير متواترة. لأن الأصل اللّغوي عند هؤلاء اللّغويين أن القراءة لا تتميز بوضع خاص، ولا تنفرد بنضرة معينة بالنسبة لسائر المصادر اللّغوية.لأنها في مجال التقنين والتقعيد لا تعزل عن بقية المصادر اللّغوية التي هي القرآن الكريم[3] والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي والإسلامي.فالقراءة توضع مع غيرها ويصنف الجميع ثم توضع القاعدة على ما ثبتت كثرته لأنه هو الذي يمثل اللّغة المشتركة أو القاعدة التي يجب محاكاتها، والالتزام بها[4] حفاظا على القرآن الكريم.

ولم يغب عن أذهان اللّغويين ما للقراءة من الشرف والقدر، ولكن ليس معنى هذا أنهم لابد أن يقعدوا عليها بصورة مطلقة، وأن يخالفوا أمثلتهم الكثيرة ليبنوا على ما كان منها قليلا.كما أنه ليس معنى رفضهم التقعيد على بعض القراءات أنهم يرفضون قبول القراءات ككل، لذلك كان التّفسير عندهم يشمل القراءات المقننة وفق القواعد النحوية التي تعد أكبر أدوات التحليل واستنباط المعاني.

وقد تنبه الأولون من اللّغويين المفسرين أن القرآن الكريم قد نطق في بعض حروفه بالشواذ من اللهجات العربية، فجاء على غير ما هو شائع.ولم يتسرعوا حينها كما فعل خلفهم برمي القراء بالجهل بالعربية والوهم، ووصف القراءات بالقبح والرداءة والغلط، بل وصفوها بأنها جاءت على لهجة محلية دون أن يطعنوا على قارئ أو يشككوا في صحة القراءة.لأنهم عرفوا أن ما انتهى إليهم مما قالته العرب إلاّ أقله ولو جاءهم لجاءهم علم وافر وشعر كثير، فقد روي عن الفراء قوله في مثل

---

(1) إعراب القرآن للنحاس: ج2 ص78.

(2) المصدر نفسه: ج2 ص383.

(3) ذكر صاحب البرهان أن: « القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما» البرهان:ج1 ص318. والزركشي يقصد بالقراءات: العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله. انظر البرهان: ج2 ص127. وأرى أن التغاير الذي يريده الزركشي بين القرآن والقراءات ليس على أساس أن القراءات منزلة من عند الله، وإنما على أساس أن القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن، وهناك فرق بين العلم بحقيقة الشيء وبين العلم بأداء هذا الشيء.

(4) انظر البحث اللّغوي عند العرب أحمد مختار عمر: ص25.

هذا: « ولست أشتهي أن أخالف الكتاب »[1] ويذهب النحاس في كتابه « إعراب القرآن » هذا المذهب لكنه يقول أيضا: « ولا ينبغي أن يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ »[2] وابن جني في المحتسب يقول: « الرواية تصلنا إلى رسول الله ، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[الحشر 7] وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ »[3].

وخلاصة القول هنا أن المفسرين من علماء العربية قد سلكوا مسالك متعددة تجاه القـــراءات. فجعلوا العربية أصلا من الأصول التي يقوم عليها منهجهم في التعامل مع هذه القراءات.وقد نجمل هذه المسالك فيما يلي مستغنين عن ذكر الأمثلة لكثرتها في مضانها:

المسلك الأول: التعرض إلى القراءات الواردة من غير تعقيب أو توجيه.

المسلك الثاني: استعراض القراءات الواردة في الألفاظ مع توجيهها وذكر المعاني عليها.

المسلك الثالث: ترجيح القراءات وذلك :

- إما ترجيح قراءة الجمهور.
- أو ترجيح قراءة الجمهور واستنادا إلى الحديث الشريف واللّغة .
- أو استعراض القراءات مع توجيه المعاني عليها وترجيح بعضها على بعض، مع بيان ما وقع فيه المفسرون من خطأ حسب رأي أصحاب هذه الكتب.

المسلك الرابع: الجمع بين القراءات عن طريق استعراض القراءات ثم الجمع بينها عل معنى واحـــد استنادا في ذلك إلى اللّغة والشعر .

المسلك الخامس: استعراض القراءات الصحيحة الشاذة مع توجيه ما يستحق التوجيه .

المسلك السادس: استعراض القراءات مع توجيهها وبيان الوجوه الضعيفة التي ذكرت فيـــها ونقدهـــا على أساس اللّغة والنحو. .

هذه صورة مبسطة لمدى الإسهام الذي قام به اللّغويون والنحّاة في مجال التخريج للقـــراءات في سبيل المحافظة على الصيغ والأساليب اللّغوية للنص لأجل سلامة المعنى ونقائه من كل شبهة.

---

(1) معاني القرآن: ج2 ص183.
(2) مقدمة محقق إعراب القرآن للنحاس. د. زهير غازي زاهد: ص102.
(3) المحتسب لابن جني، نقلا عن البحث اللّغوي عند العرب: ص25.

إعراب القرآن (التفسير النحوي للقرآن)

علم إعراب القرآن هو أحد أكبر فروع التّفسير اللّغوي، وثمرة البحوث النحوية في القرآن. ومن أشد آثار الدراسات النحوية في التّفسير، وهو ما يسمى بـ« التّفسير النحوي للقرآن الكريم». « فالإعراب يوضح المعنى ويبين الغرض ويشير إلى البلاغة، ويومئ إلى جمال التركيب، وحسن الصياغة، وهذه كلها مواطن الإعجاز في القرآن الكريم »[1]. ولقد كان لنشأة هذا العلم صلة كبيرة بالقرآن، فلما تحضرت الأمصار وتغيرت الملكات وقصرت السلائق ودخلت اللّغة في دور الملكة الصناعية التي تستفاد بالتعلم، كان النحو مادة أساسية للتفسير يعتمد عليها في تحليل التركيب القرآني وفي ضبط مواقع الألفاظ بقوانين الإعراب. واعتمد المفسرون على دراسات النحويين للبحث عن المعنى المستفاد من التركيب ومواقع مفرداته، وما استقر فيها من روابط الإعراب. ولقد سار التّفسير مع الإعراب أو مع النحو بوجه عام لا ينفك عنه منذ نشأته. يقول الزركشي في تعريفه علم التّفسير: « التّفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم الله والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ »[2].

ولما ظهر التّفسير بالرأي أول أمره عند الصحابة والتابعين ممثلا في بعض التّفسيرات اللّغوية البعيدة عن النقل والأثر، بدأ في النمو والتطور، ووجد فيه أصحاب الأهواء من الفرق الدينية غايتهم لتثبيت معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الضالة، فعمدوا إلى علم النحو وذهبوا به بعيدا كما ذهبوا بالإعراب بعيدا أيضا، الأمر الذي دفع علماء اللّغة إلى التنبه لهذه الأغراض عن طريق التأليف في إعراب آيات القرآن مظهرين أسلم الطرق وأصحها وأليقها بكتاب الله الجليل.

ويلاحظ الدارس أن الإعراب كان في خدمة هذا اللون من التّفسير، أي التّفسير بالرأي دون المأثور. ومرجع ذلك إلى أن التّفسير المأثور ليس له غرض خاص يبتغى من ورائه إذ هو نقل كلام الصحابة والتابعين. أما التّفسير بالرأي فيتحرى الدقة النحوية والمعاني الظاهرة ولاسيما وقد دخلت في أغلبه الأهواء لذلك كان الإعراب أكثره موجها لهذا الغرض خدمة لكتاب الله تعالى.

ولا يظن في هذا المبحث أنني عمدت إلى بعض الكلمات من القرآن وذكرت إعرابها أو وجه نظر البصريين في إعراب هذه الآية كذا، في حين أن الكوفيين يرون كذا. مع ذكر الأسباب والعلل، فموارد هذه المباحث سهلة، فليس لي فضل أن تناولتها، إنما طرقت موضوعات تطبيقية في هذا الحديث.

---

(1) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية عبد العال سالم مكرم: ص271.
(2) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص13.

وتأتي نفاسة هذا المبحث أن الإعراب من أهم سمات اللّغة العربية الفصحى إن لم يكن أهمها، إلى حدّ أن القدامى من علماء اللّغة سموا النحو إعرابا والإعراب نحوا كما سيأتي بيانه. وقد اشتملت اللّغة العربية على الإعراب منذ أقدم عهودها: « وكل ما عمله علماء القواعد حياله هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن الكريم والحديث وكلام الفصحاء من العرب، ورتبوها، وصاغوها في صورة قواعد وقوانين »[1] لذلك استعان المفسرون بهذا الفن الإعرابي في توضيح الآيات في كتبهم المفسرة، وكان من أدوات المفسر لا غنى له عنها، ولا يستطيع أن يفسر بدونه حتى: « أن بعض العلماء كان يجعل من إعراب القرآن علما، ويعده من فروع علم التّفسير لا النحو»[2] فكان التّفسير والإعراب يكمل كل منهما الآخر. ولم تكن الكتب التي ألفت في إعراب القرآن المقصود منها أنها أعربت القرآن بعد أن كان غير معرب كما ادعى المستشرق كارل فولرس ذلك، ولكن كتب الإعراب ألفت كما ألف غيرها من الكتب في الدراسات الإسلامية والعلوم اللّغوية خدمة للقرآن الكريم.

وللإعراب أهمية خاصة في القرآن الكريم، وصارت تلك الحركات المقصودة في القرآن الكريم للتمييز بين المعاني المختلفة، يقول ييهان فوك: « أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربي وهو القرآن قد حافظ أيضا على غاية التصرف الإعرابي، فهذا أمر وإن لم يكن من الوضوح والجلاء بدرجة الشعر الذي لا يترك أساليب العروض والقافية مجالا للشك في إعراب كلماته إلا أن مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك أثرا للشك فيه كذلك »[3].

ولإبراز دور الإعراب وأهميته في التفاسير اللّغوية على الخصوص لابد من معرفة ميهيته وما يفرقه عن النحو من أقوال العلماء المتخصصين.إذ النحو في الأدوار الأولى للثقافة الإسلامية كان ممتزجا باللّغة والأدب وعلم القراءات، ومن هنا نشأ الخلط بين علم النحو والإعراب، ولهذا سمّوا ما كشفوا من علل وأسباب لضبط أواخر الكلمات « علل الإعراب» أو « علل النحو » ثم لم يلبثوا أن أوجزوا فسموها « علل النحو أو الإعراب ». والواقع أن الباحث قد يفتح كتاب « إعراب القرآن » المنسوب إلى الزجاج ابن اسحاق ابراهيم السري والذي يوحي بأنه يتضمن إعراب الآيات القرآنية أو الآيات التي فيها إشكال في إعرابها، ولكن الكتاب يتضمن تسعين بابا تشمل مسائل في القراءات وفي الفقه وفي نظام الجملة من حيث تقديمها وتأخيرها، كل هذا بجانب الإعراب وهو الغرض من تأليف الكتاب كما يبدو من عنوانه، وكذلك الشأن بعد القرون الأولى فبعض الكاتبين كابن جني

---

(1) فقه اللّغة. علي عبد الواحد وافي. ط:5. مط لجنة البيان العربي، (1381هـ-1962م). ص209.
(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة: ج1 ص121.
(3) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة لمهدي المخزومي: ص248.

الذي له كتاب «سر صناعة الإعراب» الذي يتوقعه القارئ دراسة إعرابية مفصلة في النحو العربية، ولكنه يفاجأ بأن موضوع الكتاب دراسة صوتية لحروف المباني أو الهجاء مرتبة ترتيبا أبجديا، مع بعض الإشارات النحوية. وكذلك فعل ابن هشام في « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب » الذي تجاوز فيه موضوعات الإعراب إلى الفقه والأدب.فما السبب في أنهم عرفوا النحو بأنه علم الإعراب؟

ومردّ ذلك كما ذهب إليه بعض الدارسين[1] يرجع إلى أن الإعراب كان سببا في نشأة النحو فسمي باسمه، واستأثر الإعراب باهتمامهم واصبح المحور الذي يدور حوله النحو وغيره من الدراسات اللّغوية. ويؤيد هذا الرأي قول السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي: « ويطلق النحو إطلاقا آخر على ما يرادف الإعراب »[2]. ويبقى الخوض في تفاصيل ذلك يقتضينا أن نحمل هذه الرسالة ما جاء في كتب النحو التي ألفت للبحث في هذه الموضوعات، وهو ما لا طاقة لنا به، لهذا سنقتصر في البحث على أهم ما يميز النحو عن الإعراب باستعراض المعاني اللّغوية والاصطلاحية لهذين العلمين وعلاقة ذلك بالتّفسير.

أما النحو لغة: قال ابن منظور في « لسان العرب »: « النحو: القصد والطريق...نَحَاهُ يَنْحُوهُ ويَنْحَاهُ نَحْوًا وانْتَحَاهُ، ونحو العربية منه إنما هو انتحاء سَمْتُ كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم أو إن شذ بعضهم عنها ردُّ به إليها »[3]. أما المعنى الاصطلاحي، فقد ذكر السيوطي له تعريفا فقال: « حد النحو في الاصطلاح عبارة عن العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب أعني: أحكام الكلم في ذواتها وما يعرض لها بالتركيب...فالأحكام الكلم في ذواتها: هو المبحوث عنه في التصريف، وما يعرض لها بالتركيب: هو المبحوث عنه في الإعراب ويطلق النحو إطلاقا آخر على ما يرادف الإعراب ويقابل التصريف»[4] .

وعن تعريف الإعراب لغة فيقول صاحب اللسان: « الإعراب هو الإبانة يقال: أعرب عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح...ويقال: أعرب عما في ضميرك، أي: أبن...وأعرب الكلام، أعرب

---

(1) ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم. أحمد سليمان ياقوت. ط:1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م. ص16.

(2) الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التّفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي. ت: محي الدين عبد الحميد. بيروت: مط المكتبة العصرية صيدا، (1411هـ-1990م). ج2 ص461.

(3) لسان العرب مادة 'نحا': ج6 ص4371.

(4) الحاوي للفتاوي: ج2 ص461.

به: بينه...وعرَّبَ منطقه أي هذبه من اللحن. والإعراب الذي هو النحو: إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[1]. وذكر السيوطي عن ابن فلاح وجه نقل الإعراب من اللّغة إلى اصطلاح النحويين، وذكر خمسة أوجه، منه أنه منقول من الإعراب الذي هو البيان، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: « وَالثَّيِّبُ يُعْرِبُ عَنْهَا لِسَانُهَا»[2] أي يبين، والمعنى على هذا أن الإعراب يبين معنى الكلمة كما يبين الإنسان عما في نفسه »[3].

والإعراب في تعاريف النحويين إنما خص : « بالحركات والسكنات المتعاقبة على أواخر الكلم»[4] قال الزجاجي (339هـ) في كتابه الإيضاح: « الإعراب : أصله البيان ... ثم إن النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني وتبين عنها سموها إعرابا أي بيانا، وكأن البيان بها يكون »[5]. ومما جاء في كتابه : « إن الكلام سبيله أن يكون سابقا للإعراب ... فعلمنا بذلك أن الإعراب عرض داخل في الكلام لمعنى يوجده ويدل عليه،والكلام إذا سابقه في المرتبة والإعراب تابع من توابعه »[6]. ويعرّف الأستاذ عباس حسن الإعراب اصطلاحا بأنه : « تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه وما يقتضيه كل عامل »[7]. ومهما تكن التعريفات فإنها لا تخرج عن كون النحو قسمان : « قسم مصطلحات أو تسميات تضاف إليها أحكام خاصة كتسمية الفاعل والمفعول والمبني والمعرب إلخ، وقسم فهم وتمييز، وهذان قسمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا بأس أن نطلق على القسم الأول اسم « النحو » الذي هو عبارة عن استظهار المصطلحات أو التسميات، وعلى القسم الثاني « الإعراب » الذي هو التطبيق من حيث فهم وتمييز كل لفظة في مقامها، وبتحريكها بموجب هذا المقام الذي شغلته وإن كان علم النحو عند الإطلاق يشملهما معا »[8] .

وإعراب القرآن هو بيان ما تحتمله الآيات من أوجه إعرابية.وقد تكثر الأوجه الإعرابية للآية الواحدة تبعا لاختلاف فهم التراكيب وأيضا للاختلاف في تطبيق قواعد النحو على حسب مقتضيات

---

(1) لسان العرب: ج4 ص2865.
(2) في سنن ابن ماجة ج1 ص602: « الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا، وَالبِكْرُ رِضَاهَا صَمْتُهَا » وروي الحديث أيضا بألفاظ مقاربة. انظر مثلا صحيح البخاري ج4 ص131 كتاب الحيل، باب في النكاح. وصحيح مسلم ج1 ص140 باب استئذان الثيب. وقد ورد الحديث بنصه في معجم مقاييس اللغة ج4 ص299 مادة 'عرب'.
(3) الأشباه والنظائر في النحو: ج1 ص 164.
(4) مفردات الراغب: ص328.
(5) الإيضاح في علل النحو. ابن القاسم الزجاجي. ت: مازن مبارك. مكتبة دار العروبة، (1378هـ-1959م) ص91
(6) المصدر نفسه: ص67.
(7) النحو الوافي. عباس حسن. ط:9. مط المعارف. ج 1 ص74.
(8) الإعراب في القرآن الكريم جمع بيان الحديث. سميح عاطف الزين. ط:1. بيروت: دار الكتاب اللبناني، (1405هـ-1985م). ص66.

كل مذهب، ومن ثم أصبح إعراب القرآن ميدانا واسعا لعلماء العربية وكان ذلك أكثر ما كان من كتاب الله الكريم.فتعرض له كثير من النابهين في علم العربية بالإعراب استجلاء لحقائقه وفهم معانيه، يقول الزمخشري في مقدمة كتابه المفصل:« ... فإن آثاره –أي الإعراب– الحسنة عديدة الحصى ومن لم يتق الله في تنزيله فاجترأ على تعاطي تأويله وهو غير معرب ركب عمياء وخبط خبط عشواء، وقال ما هو تقوّل وافتراء وهراء، كلام الله منه براء ... فالصنّادُ منه كالسنّادِ لطرق الخير كيلا تسلك والمريد بموارده أن تعاف وتترك »[1].

والعكبري في كتابه « مشكل إعراب القرآن » المعروف باسم تفسير إعراب القرآن يقول في مقدمته: « وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه –يريد القرآن– ويتوصل إلى تبيين أغراضه ومغزاه، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه،والنظر في وجوه القراءات المنقولة عن الأئمة الأثبات »[2]. ومن هنا كانت ضرورة الرجوع فيه إلى كتب أهل الفن القائمة وعدم الخوض فيه بالظن.

وقد أدرك خطر الإعراب قبل العبكري ابن قتيبة، وهو صاحب وعي لغوي كبير، وفطنة باختلاف الأساليب وإدراكا للفروق بين التراكيب. يقول ابن قتيبة: « باب ذكر العرب وما خصهم به من المعارضة والبيان واتساع المجاز:

ولها الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحيلة لنظمها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا الإعراب. ولو أن قائلا قال: هذا قاتلٌ أخي –بالتنوين–، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قتله.

ولو أن قارئا قرأ: ﴿ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[يونس 76] وترك طريق الابتداء بـ'إنا' وأعمل القول فيها بالنّصب على مذهب من ينصب 'إن' بالقول كما ينصبها بالظن، لقلب المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقه، وجعل النبي عليه السلام محزونا لقولهم: « إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ » وهذا كفر، وضرب من اللحن لا يجوز الصلاة به، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه وقد قال رسول الله ﷺ : « لاَ يَقْتُلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ اليَوْمِ » فمن رواه 'جزما'

---

(1) المفصل في علوم اللغة. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. ت: محمد عز الدين السعيدي. ط:1. مط دار إحياء العلوم، (1410هـ–1990م). ص14.
(2) التبيان في إعراب القرآن: ج1 ص1.

أوجب ظاهر الكلام للقرشي أن يقتل إن ارتد، ولا يقتص منه إن قتل وما رواه 'رفعا' انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش: أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل. أفما ترى « الإعراب » كيف فرق بين هذين المعنيين؟ » [1].

والحق لولا الإعراب لعمي المراد على السامع، وَالْتَبَسَتْ المعاني ووقع السامعون في خطأ واستحال معرفة المدلول، لذلك قال ابن فارس : « ومن العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل عن مفعول، ولا مضاف عن منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من صدر، ولا نعت من تأكيد ...»[2].

انظر مثلا آية 28 من سورة فاطر ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ والآية 3 من سورة التوبة ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ وآية 123 من سورة البقرة ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ وآية 8 من سورة النساء ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى ﴾ فالإعراب في هذه الآيات مقصود، ولا أثر للشك فيه، فالفتحة في 'إبراهيم' ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ إنّما هو علم المفعولية، وأن الضمة في 'ربُّه' وإنما هو علم الفاعلية، لأنه لو لم يكن كذلك لما كان هناك ما يرجع اختيار الضمة والفتحة على غيرها.

وخذ مثلا أثر الأعراب في آيات الأحكام. إذ المعروف أن المعاني تختلف باختلاف وجوه الإعراب، لذلك اشترط العلماء في مفسر القرآن أن يكون مُلمّا بقواعد النحو والصرف وعلم البيان وغيرها من العلوم، فلا عجب أن يتداخل الإعراب تداخلا ملحوظا في بعض المسائل الفقهية والأحكام ويوجهها توجيهات متباينة لاختلاف وجوه الإعراب. ومن ذلك مثلا ما ذكر في حكم الميراث ولقد كان أبو عمر الجرمي(225هـ) يُدِل بمعرفته بالفقه والنحو معا ويقول: « أنا أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه » وكان يقول: « سلوني عما شئتم في الفقه فإني أجيبكم على قياس النحو، فقالوا له: ما تقول في رجل سها في الصلاة فسجد سجدتي السهو فسها؟ فقال: لا شيء عليه. قالوا له: من أين قلت ذلك؟ فقال: أخذته من باب الترخيم، لأن المرخم لا يرخم »[3]. ومثال ذلك ما ذكر في حكم

---

(1) تأويل مشكل القرآن: ص14، 15.
(2) الصاحبي: ص75.
(3) روى ابن خلكان أن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبو حنيفة سأل الفراء: « ما تقول في رجل صلّى فسها فسجد سجدتين لسهو فسها فيهما؟ ففكر الفراء ساعة ثم قال : لا شيء عليه، فقال محمد: ولم ؟ قال : لأن التصغير عندنا لا تصغير له وإنما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام. فقال محمد: ما ظننت أدميا يلد مثلك». وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج6 ص179.

الميراث الذي أوجبته الآية ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾[النساء 11]. فكلمة فوق ظرف متعلق بمحذوف صفة للنساء.ولكن بعض النحّاة حكم بزيادتها، وبذلك يتغير الحكم الشرعي في الميراث بناء على هذه الزيادة، إذ يكون للبنتين اللتين ترثان ثلثا تركة المتوفي. وقال أبو العباس المبرد: « إن في الآية ما يدل على أن للبنتين الثلثين وذلك أنه لما كان للواحدة مع أخيها الثلث إذا انفردت علمنا أن للإثنين الثلثين، واستدلوا بأن 'فوق' جاءت زائدة، في قوله تعالى ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾[الأنفال 12]. وقد رد القرطبي هذه الأقوال كلها بأن: « الظروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تزاد لغير معنى ». وقال ابن عطية: « ولأن قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ هو الفصيح وليست 'فوق' زائدة بل هي محكمة للمعنى، لأن ضربة العنق إنما يجب أن تكون فوق العظام في المفصل دون النماغ »[1] ونحن لا يعنينا هذا النقاش من حيث عند الإناث، ولكن نود أن نبين أن اختلاف الإعراب في كلمة 'فوق' ترتب عليه اختلافات جوهرية في الأحكام الشرعية.

مثال آخر حول أثر الإعراب في اختلاف الأحكام الشرعية، من ذلك اختلاف النحّاة في وظائف حروف المعاني. من ذلك اختلافهم في قوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة 7]فمن ذلك:

1 ـ حرف العطف في الآية، قال قطرب والفراء وثعلب: أنها تفيد الترتيب[2] والشافعية يستندون إلى هذا الرأي، فيرون وجوب الترتيب في غسل أعضاء الوضوء. ونرى ابن جني ينكر على الشافعية ما يرونه من الترتيب في غسل أعضاء الوضوء، ويعتمد في هذا على أن الواو لا تفيد الترتيب يقول في سر صناعة الإعراب: « لذلك لم يلزم عند أبي حنيفة وأصحابه من قوله عز اسمه 'إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ' تقديم بعض الأعضاء على بعض في الغسل وذلك أنها معطوفة بالواو ولا ترتيب فيها»[3].

ويرى الزركشي هذا الرأي أيضا، حيث يقول: « وهي لمطلق الجمع على الصحيح، ولا تدل على أن الثاني بعد الأول، بل قد يكون كذلك، وقد يكون قبله وقد يكون معه » بدليل قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾[الحاقة 6] يقول: « والأيام هنا قبل الليل، إذ لو كانت الليالي قبل الأيام كانت مساوية لليالي وأقل »[4]. واستند الحنفية إلى هذا الرأي ولم يوجبوا الترتيب في غسل أعضاء الوضوء[5].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ج5 ص63. البحر المحيط أبو حيان: ج4 ص241.
(2) مغني اللبيب لابن هشام: ج1 ص392.
(3) سر صناعة الإعراب. أبو الفتح عثمان بن جني. ت: حسن هنداوي. ط:2. دمشق: مط دار العلم، (1413هـ-1993م): ص633.
(4) البرهان في علوم القرآن: ج4 ص436.
(5) انظر المغني والشرح الكبير. موفق الدين ابن قدامة، وشمس الدين ابن قدامة المقدسي. بيروت: مط دار الكتاب العربي. (1403هـ-1983م). ج1 ص125.

الليالي قبل الأيام كانت مساوية لليالي وأقل »[1]. واستند الحنفية إلى هذا الرأي ولم يوجبوا الترتيب في غسل أعضاء الوضوء[2].

2 ـ حرف الباء هي للتبعيض أم للإلصاق في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ قال بالتبعيض الأصمعي والفارسي وابن مالك، وقيل : والكوفيون[3] ومن أصحاب الرأي الآخر وهو أن الباء للإلصاق، أبو البقاء العكبري حيث يقول : « الباء زائدة، وقال من لا خبرة له في العربية: الباء مثل هذا للتبعيض، وليس بشيء يعرفه أهل النحو، ووجه دخولها أنها تدل على إلصاق المسح بالرأس»[4] يقول ابن جني: « فأما ما يحكيه أصحاب الشافعي رحمه الله عنه من أن الباء للتبعيض فشيء لا يعرفه أصحابنا ، ولا ورد به ثبت »[5].

3 ـ الخلاف في حرف الجر ﴿إلى﴾ في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ومنشأ الخلاف أن ﴿إلى﴾ حرف مشترك يكون للغاية والمعية ؛ فهل تدخل المرافق في الغسل أم أن حد الغسل يقف قبلها؟ يقول العبكري: « قيل ﴿إلى﴾ بمعنى ﴿مع﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود 52] وليس هذا بالمختار، والصحيح أنها على بابها وأنها لانتهاء الغاية، وإنما وجب الغسل المرافق بالسنة، وليس بينها تناقض، لأن ﴿إلى﴾ تدل على انتهاء الفعل ولا يتعرض بنفي المحدود إليه، ولا بإثباته. ألا ترى أنك إذا قلت: سرت إلى الكوفة، فغير ممتنع أن تكون بلغت أوائل حدودها ولم تدخلها،وأن تكون دخلتها فلو قام الدليل على أنك دخلتها لم يكن مناقضا لقولك: سرت إلى الكوفة. فعلى هذا تكون ﴿إلى﴾ متعلقة باغسلوا »[6].

فهذه نماذج نرى فيها قوة الإعراب في تحديد الدلالة الشرعية لآيات الأحكام [7].

ولقد كان للعلماء الذين اشتغلوا بالكشف عن وجوه إعراب القرآن أثناء فترة القرون الثلاثة الأولى وما بعدها اتجاهات مختلفة، فبعضهم أقتصر على إعراب مشكلة مثل الإمام مكي بن أبي طالب القيسي (437هـ) في كتابه « مشكل إعراب القرآن »، ومنهم من عرض لإعراب غريبه كابن الأنباري

---

(1) البرهان في علوم القرآن: ج4 ص436.
(2) انظر المغني والشرح الكبير. موفق الدين ابن قدامة. وشمس الدين ابن قدامة المقدسي. بيروت: مط دار الكتاب العربي. (1403هـ–1983م). ج1 ص125.
(3) مغني اللبيب لابن هشام: ج1 ص110.
(4) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج1 ص422.
(5) سر صناعة الإعراب لابن جني: ص123.
(6) التبيان في إعراب القرآن: ج1 ص421.
(7) انظر كتاب الأنكار بالمسائل الفقهية لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي وذكر مسائله السيوطي في الأشباه والنظائر في النحو: ج4 ص585 وما بعدها، وهو كتاب حول أثر الأحكام النحوية في الأحكام الفقهية.

ولقد رسم علماء العربية والتّفسير المنهج الإعرابي السليم للقرآن الكريم بذكر شروط ضابطة لهذا الفن ليوافق أصول التّفسير وصحيح معاني القرآن المجيد ونجملها فيما يلي:

أحدها : وهو أول واجب على المفسر اللّغوي أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب، فإنه فرع المعنى، فلا يجوز أن يحمل كلام الله عزّ وجلّ ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام.لأن صناعة النحو مبنية على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب بطريق القياس الصحيح، يقول ابن هشام: « وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا أو مركبا، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول أنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه »[1] ونقل السيوطي عن ابن هشام قوله: « وقد زلت أقدام كثير من المعربين راعوا الإعراب ظاهر اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى من ذلك قوله: ﴿أَصَلَوَٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[هود 87] فإنه يتبادر إلى الذهن عطف 'أن نفعل' على 'أن نترك'. وذلك باطل، لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤن. وإنما هو عطف على 'ما' فهو معمول للترك، والمعنى: أن نترك أن نفعل، وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى أنْ والفعل مرتين وبينهما حرف عطف »[2]. وكثيرا ما ردد ابن القيم من علماء القرون الأخيرة نصحا للمعربين قوله: « للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه، والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها...فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها...فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي »[3].

الثاني: أن يراعى ما تقتضيه الصناعة، فربما راعى المعرب وجها صحيحا ولا نظر في صحته في الصناعة النحوية، كما أعرب بعضهم قوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾[الأحزاب 61] أنه حال

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام: ج2 ص 582.

(2) الإتقان للسيوطي: ج1 ص235.

(3) يقول العز بن عبد السلام: « قد يقدر بعض النحاة ما يقتضيه علم النحو، ولكن يمنع منه أدلة شرعية، فيترك ذلك التقدير، ويقدر تقدير آخر يليق بالشرع » الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ص220 نقلا عن نظرية اللّغة في النقد العربي ص408. وأوجب العلماء على مفسر القرآن ومعربه أن « يبحث عما تقتضيه الصناعة في التقدير ولا يؤخذ بالظاهر » البرهان للزركشي: ج1 ص307. فيتراجع النحوي المفسر نفسه عن مقتضيات صناعته مراعاة لمقتضيات المعنى مما يتعلق بالشرع.

من معمول "تقفوا" وهو لا يصح ومن ذلك أيضا قول بعضهم ﴿وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى﴾[النجم 50] أن ثمودا مفعول مقدم، وهذا ممتنع لأن لام النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على عاد أو على تقدير: وأهلك ثمودا. وقال بعضهم في ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[هود 43] و ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[يوسف 92] أن الظرف متعلق باسم لا وهو باطل، لأن اسم "لا" حينئذ مطول فيجب نصبه وتنوينه، وإنما هو متعلق بمحذوف»[1].

الثالث : أن يكون ملما بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت كقول أبي عبيدة في ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾[الأنفال 5] أن الكاف قسم حكاه مكي وسكت عليه فشنع ابن الشجري[2] عليه في سكوته، ويبطله أن الكاف لم تج بمعنى واو القسم وإطلاق ما الموصلة على الله وربط الموصول بالظاهر وهو فاعل أخرجك. وباب ذلك الشعر، وأقرب ما قيل في الآية أنها مع مجرورها خبر محذوف، أي هذه الحال من تنفيلك للغزاة على ما رأيت من كراهتهم لها كحال إخراجك للحرب في كراهيتهم له»[3].

الرابع: أن يتجنب الأوجه الضعيفة واللغات الشاذة، ويخرج القريب والقوي والفصيح، فإن لم يظهر فيه إلا وجه البعيد فله عذر وإن ذكر الجميع لقصد الإعراب والتكثير فصعب شديد أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب فحسن في غير ألفاظ القرآن.أما التنزيل فلا يجوز أن يخرج إلا على ما يقلب الظن إرادته فإن لم يغلب شيء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف.ومن ثم خطئ من قال في ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[ص 1] أن جوابه -إن ذلك لحق- والصواب أنه محذوف: أي ما الأمر كما زعموا أو إنه لمعجز أو إنك لمن المرسلين.ومن قال في ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾[المائدة 6] أنه مجرور على الجوار لأن الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يرد منه إلا أحرف يسيرة، والصواب إنه معطوف على برؤوسكم على أن المراد به مسح الخف. قال ابن هشام : وقد يكون الوضع لا يخرج إلا على وجه مرجوح فلا حرج على مخرجه كقراءة « نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ »[4] قيل الفعل ماض ويضعفه إسكان آخره وإنابة ضمير المصدر عن الفاعل مع وجود المفعول به. وقيل مضارع أصله ننجي بسكون ثانيه ويضعفه أن النون لا تدغم في الجيم. وقيل أصله ننجي بفتح ثانيه وتشديد ثالثه فحذفت النون الثانية، ويضعفه أن ذلك لا يجوز إلا في التاء »[5].

---

(1) الإتقان: ج1 ص235.
(2) انظر أمالي ابن الشجري ج3 ص183.
(3) الإتقان: ج1 ص236.
(4) من قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء 87]
(5) انظر الإتقان: ج1 ص236 .

الخامس: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة فتقول في نحو ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى 1] يجوز أن يكون الأعلى صفة للرب وصفة للاسم[1].

السادس: أن يراعى الشروط المختلفة بحسب الأبواب كي لا تختلط عليه الأبواب والشروط ومن ثم خطئ الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ﴾[الناس 2-3] إنهما عطفا بيان[2]، والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان. وفي قوله في ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[ص 63] بنصب تخاصم أنه صفة للإشارة لأن اسم الإشارة إنما ينعت بذي اللام الجنسية[3]. والصواب كونه بدلا. وفي قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[المائدة 119] أن "أن" مصدرية[4]، وهي وصلتها عطف بيان على الهاء لامتناع عطف البيان على الضمير كنعته[5].

السابع: أن يراعى في كل تركيب ما يشاكله فربما خرج كلاما على شيء ويشيد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه، ومن ثم خطئ من قال في ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة 1] أن الوقف على ريب وفيه خبر هدى ويدل على خلاف ذلك قوله في سورة السجدة: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الآية 1] خطئ الزمخشري في قوله ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾[الأنعام 94] أنه عطف على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[الأنعام 96][6] ولم يجعله معطوفا على "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ" لأن عطف الاسم على الاسم أولى، ولكن مجيء قوله «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» بالفعل فيهما يدل على خلاف ذلك»[7].

الثامن: أن يراعى الرّسم ومن ثم خطئ من قال في «سَلْسَبِيلاً»[8] أنها جملة أمرية، أي: سل طريقًا، موصله إليها لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة. ومن قال في ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء 18] إن اللام للابتداء والذين مبتدأ، والجملة بعده خبر، وهو باطل، فإن الرسم

---

(1) انظر الإتقان: ج1 ص 236.
(2) الكشاف: ج4 ص302.
(3) المصدر نفسه: ج3 ص380.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص656.
(5) انظر الإتقان: ج1 ص237.
(6) الكشاف: ج2 ص37.
(7) الإتقان للسيوطي: ج1 ص237.
(8) من قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[الإنسان 18].

ولا ومن قال في ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[المطففين 3] وإن 'هم' فيها ضمير رفع مؤكد للواو، وهو باطل برسم الواو فيهما بلا ألف بعدها، فالصواب أنه مفعول»[1].

التاسع: أن يتأمل عند ورود المتشابهات، ومن ثم أخطأ من قال في ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾[الكهف 12] أنّه أفعل التفضيل والمنصوب تمييز وهو باطل فإن الأمد ليس محصيا بل يحصى، وشرط التمييز المنصوب بعد أفعل كونه فاعلا في المعنى، فالصواب أنه أفعل، وأمد مفعول مثل ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[الجن28].

العاشر : أن لا يخرج على خلاف الأصل الظاهر بغير مقتضى ومن ثم خطئ بعضهم في قوله تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي... ﴾[البقرة 263] أن الكاف نعت لمصدر أي إبطالا كإبطال الذي، والأوجه كونه حال من الواو، أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي، فهذا لا حذف فيه.

الحادي عشر : أن يبحث عن الأصلي والزائد، نحو ﴿ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة 235] فإنه قد يتوهم أن 'الواو' في يعفون ضمير الجمع فيشكل إثبات النون، وليس كذلك، بل هي فيه 'لام' الكلمة فهي أصلية والنون ضمير النسوة، والفعل معها مبني، ووزنه يفعلن بخلاف ﴿ وَإِن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[البقرة 235] فالواو فيه ضمير الجمع وليس من أصل الكلمة[2].

وبعد ذكر شروط إعراب كتاب الله نبه السيوطي في إتقانه على أمرين :

الأول: قوله : « قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه، والمتمسك به صحة المعنى ويؤول لصحة المعنى الإعراب. وقد ذكر الإمام بن جني بابا في هذا الشأن عنوانه :« باب في تجاذب المعاني والإعراب »[3] قال فيه : « هذا موضع كان أبو علي يعتاده ... وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الإعراب، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ [الطارق 8-9] فمعنى هذا أنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ لفصلك بين الظرف

---

(1) انظر الإتقان للسيوطي : ج1 ص238.
(2) انظر تفصيل هذه الشروط عند ابن هشام في مغني اللبيب: ج2 ص605 وما بعدها. وفي الإتقان: ج1 ص238.
(3) الخصائص: ج1 ص255 و 256.

الذي هو 'يوم تبلى' وبين ما هو معلق به من المصدر والذي هو الرجع، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمرا لا يجوز، فإذا كان المعنى مقتضيا له، والإعراب مانعا منه، احتلت له بأن تضمر ناصبا يتناول ظرف ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل حتى كأنه قال: يرجعه يوم تبلى السرائر، ودل 'رجعه' على 'يرجعه' دلالة المصدر على فعله » .

الثاني: قد يقع في كلامهم هذا تفسير معنى وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لابد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك »[1].

وإلى هذا أشار ابن جني أيضا في كتابه الخصائص، فوضع له بابا بعنوان : « بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى » فقال: « فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا، فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب، حتى لا يشد شيء منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه »[2].

لا ريب أن هذه الشروط والضوابط التي ذكرها الأولون والمتأخرون من علماء اللّغة والتّفسير قد استوفتها كتب التّفسير اللّغوي إبان القرون الثلاثة الأولى، بل كانت نفسها المصادر التي نصت من خلال تطبيقاتها على كل ما يلزم المعرب، ويليق به إعراب القرآن الكريم، لا لهدف إلا التيسير لفهم كتاب الله عزّ وجلّ، ودفع الخطأ في الإعراب الذي كثيرا ما التجأ إليه أهل الأهواء.

الوقف[3] والإعراب

كان اهتمام أعلام القرون الثلاثة الأولى بعلم الوقف في القرآن بالغا فساروا بين تعلم القرآن نفسه. قال السيوطي: «والأصل فيه ما أخرجه النحاس قال... قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي

---

(1) الإتقان للسيوطي: ج1 ص239.
(2) الخصائص: ج1 ص283 و284. انظر تفصيل الأمر في الأشباه والنظائر للسيوطي: ج2 ص394-402.
(3) « الوقف: عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأواسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما » الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج1 ص115.

أن يوقف عنده منه. قال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن»[1]. وكل ذلك لارتباط المعنى بالموضع الذي يقف عنده القارئ، فكان ارتباط كل من الوقف والإعراب بالآخر ارتباطا وثيقا، إذ الوقف يؤثر على المعنى، وهذا بدوره يؤثر على الإعراب « ومن ثم كان لزاما لمن يدرس الوقف في القرآن أن يكون ملما بأوجه الإعراب المختلفة وما يستوجبه كل وجه من وقف في القرآن عند موضع معين »[2].

وللقراء جولات في الوقف وفصول مستفيضة في كتبهم، لم يكتفوا فيها بكيفية الوقف في الكلمة، وشرح ما يمكن أن يصيبها حينئذ من تغير، بل عرضوا أيضا لمواضع الوقف في آيات القرآن الكريم، وخرجوا لنا بأنواع منها: التام والكاف والحسن والقبيح[3]، وهي تقسيمات مقيسة بمقياس الإعراب ومرجع كل ذلك النظر في معاني الآيات، وتفادي تجزئ المعنى الواحد، تحاشي البدء بما يفسد المعنى ويقطع من أوصال الآية الواحدة ، فوضعوا في مصاحفنا رموزا وإشارات يهتدي بها المتعلم وقارئ القرآن حين تطول عليه الآية، ولا يسعفه التنفس، فيضطر للوقوف.

لكن القراء في تخير هذه المواضع كانوا يجتهدون، فأحيانا يتفقون على موضع خاص، وفي بعض الأحيان يتميز أحدهم بموضع يراه مناسبا لفهمه وتفسيره للآية الكريمة.

ولأهمية الوقف في باب القراءة والتفسير اهتم النحّاة به وكتبوا فيه في باب مستقل من أبوابهم. عنوا فيه بشرح الطرق المتعددة التي يجوز لنا أن نتبعها حين الوقف على كلمة من الكلمات. وبينوا أنواعه وأحواله من الإعراب، وتغير المعاني بتغير مواضع الوقف، وتفادي تجزئ المعنى الواحد وتحاشي البدء بما يفسد المعنى ويقطع من أوصال الآية الواحدة. وقد نسب ابن النديم لحمزة والفراء وابن الأنباري وآخرون كتبا باسم كتاب الوقف والابتداء[4].

أما طريقة الوقف[5] بين القراء والنحّاة فنراهم اشتركوا في أمور واستقل النحّاة بأمور. ومما اشتركوا فيه : الوقف بما يسمى الإشمام[6] أو الرَّوْم[7]، فقد شرحوا لنا طريقة الإشمام وطريقة الروم.

---

(1) الإتقان للسيوطي: ج1 ص109.
(2) ظاهرة الإعراب في النحو العربي لأحمد سليمان ياقوت: ص209.
(3) البرهان: ج1 ص350.
(4) الفهرست: ص54.
(5) انظر الإتقان للسيوطي : ج1 ص116.
(6) « الإشمام عند النحّاة هو مزيج من الضمة والكسرة في حركة واحدة عندما يبنى الفعل الأجوف الماضي للمجهول.» كاتم العرب في قضايا اللغة العربية: حسن ظاظا. بيروت: دار النهضة العربية، 1976م. ص12. وإلى هذا الإشمام أشار ابن عقيل في شرح ألفية ابن مالك قال : « والإشمام عبارة عن ضم الشفتين بعد تسكين الحرف الأخير ولا يكون إلا فيما حَرَكَتُهُ ضَمَّةٌ » شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ابن عقيل بهاء الدين عبد الله. تحقيق هادي حسن حمودي. ط:1. بيروت: مط دار الكتاب العربي، (1411هـ-1991م). ج2 ص277.
(7) الرَّوْمُ : هو إخفاء الصوت بالحركة، قال بعضهم إنه « ضعف الصوت بالحركة من غير سكون فتكون حالة متوسطة بين الحركة والسكون وهذا يدركه الأعمى والبصير » ظاهرة التنوين في اللغة العربية. عوض المرسي الجهاوي. ط:1. القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي. (1403هـ-1982م): ص62. وقال ابن عقيل: « الروم : عبارة عن الإشارة إلى الحركة بصوت خفي ». شرح ابن عقيل: ج2 ص277.

وإحدى هتان الظاهرتان « تهدف مع الوقف بالسكون إلى الرمز إلى الحركة بالشفتين، فإذا قرأ المتعلم قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص 24] بما يسمى بالسكون مع استدارة الشفتين، ليرمز إلى أن الكلمة في حالة الوصل مشكلة بالضم، فالحركة هنا لا تسمع بل ترى، لذلك اشترطوا في مثل هذا الوقف أن يكون هناك معلم بصير يرى بعينه صحة مثل هذا الوقف »[1].

وتعريف الظاهرة الثانية عند الفريقين « هي اختلاس الحركة وتقصير زمن النطق بها حيث تسمع ويدركها أصحاب السمع في زمن أقل مما تتطلبه الحركة العادية »[2]. وقد يقع للقارئ الناشئ أن يعجز عن تمييز الوقف عند أواخر آيات بعض السور كسورة القمر مثلا، فأنّى له ذلك ما لم يكن على علم تام بقواعد النحاة في الإعراب.لذلك لجأ القراء إلى علم النحو وأصول الإعراب كما وضعها النحاة لتسهل عملية القراءة. كما كان للنحاة كثير من المصنفات في الوقف. وكانت هذه المؤلفات بغرض أن لا يقف القارئ لكتاب الله على موضع يخل بالمعنى ويؤدي إلى التعسف في الإعراب، يقول ابن الجزري: « ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفا أو ابتداء ينبغي أن يعتمد الوقف عليه، بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه »[3].

ثم يسوق ابن الجزري أمثلة من التعسف في الوقف الذي يؤدي إلى التعسف في الإعراب، كما يقول في الآية: ﴿وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا﴾[البقرة 285]:« كأن يقف القارئ على 'أنت'، فتكون أي 'أنت' تأكيدا لضمير الفاعل في 'أرحمنا'، وتكون 'مولانا' منادى بحرف نداء محذوف»، ومن ذلك أيضا أن يقف على 'لا تشرك' في الآية ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان 12] على معنى القسم، ويصف ابن الجزري هذا النوع من الأمثلة بقوله:« كله تعسف وتحمل وتحريف للكلم عن مواضعه.»[4] ولا يأتي بالوقف على تمامه إلا من كان عالما بالنحو والإعراب، قال ابن مجاهد: « لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض عالم باللّغة التي نزل بها القرآن»[5]. ولنذكر أمثلة عن أثر الوقف وعدمه في الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾[يوسف 24] والابتداء بقوله 'وَهَمَّ بِهَا' وذلك للفصل بين الخبرين[6]، أي أن 'الواو' في الآية استئناف وليست من باب العطف، لأنها لو كانت من باب العطف لكان يوسف وامرأة العزيز مشتركين في ذنب واحد، وهو أنه همّ بها تماما مثلما همت هي به، ولكنه عليه السلام

---

(1) من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس: ص222.
(2) المرجع نفسه: ص222.
(3) النشر في القراءات العشر: ج1 ص231.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص231 و232.
(5) الإتقان للسيوطي : ج1 ص114.
(6) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص346.

همّ بدفعها، أي على حذف مضاف، في حين أنها همت به أي أرادت الفاحشة معه، لذلك أوجب العلماء الوقف على قوله ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[يوسف 29] والابتداء بقوله ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ فإنه بذلك يتبين الفصل بين أمرين، لأن يوسف أمر بالإعراض، وهو الصفح عن جَهْل من جَهِل قدره، وأراد ضُرَّه، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها، لأنها همت بما يجب الاستغفار منه، ولذلك أمرت به[1].

ويبدو تحكيم صنعة الإعراب في موضع الوقف من قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[يوسف 66] إذ يجب الوقف على 'قال' وقفة لطيفة، لئلا يتوهم كون الاسم الكريم فاعلا للفعل 'قال'، وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام. لذلك يجب الوقف على قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس 65]،ثم يبتدئ ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[يونس 65] لئلا يتوهم أن الآية الأخيرة في مقول قوله في محل نصب بل هي مستأنفة[2].

كذلك يجب الوقف على 'عوجا' من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾[الكهف 01] ثم يبتدئ فيقول ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا ...﴾[الكهف 2] لئلا يتخيل كون 'قيما' صفة 'عوجا' في حالة عدم الوقف. إذ العوج لا يكون قيما. ومن قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[الحج 78] إن 'ملة' منصوبة بنوع الخافض –أي 'الكلمة'– أو أعمل فيها ما قبلها، لم يقف على ما قبلها[3].

السبق التاريخي لدراسة الإعراب في القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثالث الهجري

كان سيبويه في كتابه أول من تعرض لإعراب القرآن الكريم من خلال بعض الشواهد القرآنية أثناء شرحه للقاعدة النحوية. ففي باب ما ينتصب على التعظيم والمدح يورد الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة 1]، ويرى أن في 'ربّ' ثلاثة وجوه من الإعراب: الجر لأنه صفة لله، والنصب على التعظيم والمدح، والرفع على القطع والابتداء[4]. وقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾[النساء 161] يعلل سيبويه لنصب 'المقيمين' مع أنها معطوفة على مرفوع وهو 'الراسخون' فيرى أن ذلك من باب ما ينتصب في التعظيم والمدح

(1) البرهان في علوم القرآن: ج1 ص346 بتصرف .
(2) المصدر نفسه: ج1 ص345 بتصرف .
(3) المصدر نفسه: ج1 ص344 بتصرف.
(4) انظر الكتاب لسيبويه: ج2 ص62.

أي و... أمدح المقيمين[1]. وفي باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم يتعرض سيبويه لإعراب كلمة 'حمالة' من قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾[المسد 04]، فيقول: « وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصبا: وامرأتَه حمالة الحطب، لم يجعل 'الحمالة' خبرا للمرأة ولكنه كأنه قال اذكر الحطب شتما لها »[2].

وإنما أراد سيبويه من ذلك توثيق قواعده النحوية المستخلصة، وليس غرضه ما أراده الكتّاب المعربون فيما بعد من مثل الفراء في كتابه « معاني القرآن » الذي رمى فيه إلى ربط المعاني بالإعراب، وهو أول من فعل ذلك فكان صاحب منهج في الإعراب مغاير تماما لمنهج سيبويه، ففي سورة البقرة مثلا يربط الفراء المعنى بالإعراب في الآية ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾[آية 214] يقول الفراء: « قرأها القراء بالنّصب إلا مجاهدا وبعض أهل المدينة هو نافع فإنهما رفعاها، ولها وجه في العربية: نصب ورفع، فأما النّصب فلأن الفعل الذي قبلها مما يتطاول كالترداد، فإذا كان الفعل على ذلك المعنى نُصبَ بعده بحتى وهو في المعنى ماض، فإذا كان الفعل الذي قبل حتى لا يتطاول وهو ماض رُفع الفعل بعد حتى إذا كان ماضيا، فأما الفعل الذي يتطاول وهو ماض فقولك: جَعَل فلان يُديم النظر حتى يعرفك، ألا ترى أن إدامة النظر تطول، فإذا طال من قبل حتى ذُهب بما بعدها إلى النّصب إن كان ماضيا بتطاوله »[3].

مثال آخر في قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[الأعراف 63]، يقول الفراء: « هذه واو نسق أدخلت عليها ألف الاستفهام، كما تدخلها على الفاء، فتقول: أفعجبتم، وليست بأو، ولو أريد بها 'أو' لسكنت 'الواو' »[4].

مثال ثالث مع الفراء صاحب الملكة اللّغوية الممتازة والفهم السليم لطرق الأداء النّغوية يقول عند ارتباط الضمائر بالمعاني أمام قوله تعالى : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾[آل عمران 49] « نصبت 'مصدقا' على فعل جئت، كأنه قال: وجئتكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، وليس نصبه بتابع لقوله 'وجيها' لأنه لو كان كذلك لكان 'ومصدقا لما بين يديه' »[5] وهكذا مع باقي ما ساقه الفراء في كتابه المعاني الذي هو في جملته شرح لغوي وتحليل إعرابي كما رأينا فيما سبق.

---

(1) انظر الكتاب: ج2 ص63.
(2) المصدر نفسه: ج2 ص70.
(3) معاني القرآن: ج1 ص133.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص383.
(5) المصدر نفسه: ج1 ص216.

وقبل الفراء بقليل ظهر كتاب المجاز لأبي عبيدة الذي قلّت فيه المسائل الإعرابية. وما تعرض إليه أبو عبيدة من هذه المسائل كان قليلا دون الغوص في التحليل الإعرابي المعمق كما فعل الفراء. وأول ما تطرق إليه في كتابه في باب الإعراب عند الآية « آلم » يقول: « سُكنت الألف واللام والميم لأنه هجاء ولا يدخل في حروف الهجاء إعراب »[1] ثم هو لا يتعرض لإعراب الآيات الموالية حتى يصل إلى الآية السابعة عشرة التي يقف عندها وقفة سريعة ثم يمضي ولا يذكر شيئا من الناحية الإعرابية إلا في مواطن قليلة من كتابه مقدما الاهتمام بالمعاني، وقد يعلل ذلك بأن الناس قد فتنوا بقواعد الإعراب وتعمقوا في البحث عن عللها، فأراد أبو عبيدة أن يصرفهم عن درس ما سوى الإعراب مما في العربية من قواعد لربط الكلام وتأليف الجمل .

وبعد أبي عبيدة والفراء ظهر كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط، وكانت تحليلاته النحوية والإعرابية هي أبرز ما يميز الكتاب، ومن ذلك إعرابه للآيات:

- ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنعام 28] قال الأخفش: « نصب، لأنه جواب للتمني، وما بعد 'الواو' كما بعد 'الفاء' ، وإن شئت رفعت وجعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: « والله لَا نُكَذِّبُ والله بآيات ربنا ونكون والله من المؤمنين» وهذا ، إذا كان ذا الوجه منقطعا من الأول، والرفع وجه الكلام، وجه تقرأ الآية »[2].
- ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾[هود 77] رفع. كان عيسى يقول: « هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ » وهذا لا يكون، إنما ينصب خبر الفعل الذي لا يستغنى عن خبر إذا كان بين الاسم وخبره هذه الأسماء المضمرة التي تسمى « الفصل » يعني : «هي» و« هو » و« هن »، وزعموا أن النّصب قراءة الحسن أيضا »[3].
- ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[البقرة 116] فرفعه على العطف، كأنه إنما يريد أن يقول: «إنما يقول كن فيكون» وقد يكون أيضا رفعه على الابتداء، وقال: ﴿ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[النحل 40]، فإن جعلت 'يكون' هاهنا معطوفة نصبت، لأن 'أن تقولَ' نصب بـ« أن » كأنه يريد: أن نقول فيكون، فإن قال: « كيف » و « الفاء » في هذا المعنى؟. إن 'الفاء' و 'الواو' قد يعطفان على ما قبلهما ما بعدها وإن لم تكن في معناه نحو :'مَا أنتَ وَمَا زَيْدٌ'؟ وإنما يريد: لم تَضْرِبُ زَيْدًا؟، وترفعه على 'ما أنتَ وما زَيْدٌ'؟ وليس ذلك معناه. ومثل قولك :'إياك والأسدُ' والرفع في قوله 'فيكونُ' على الابتداء »[4].

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج1 ص28.
(2) معاني للقرآن: ج1 ص297.
(3) المصدر نفسه: ج1 ص386.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص152.

ثم ظهر بعد ذلك كتاب « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج أبي اسحاق إبراهيم بن السري ابن سهل النحوي، والزجاج يتبع منهجا متميزا عن مناهج كتب إعراب القرآن الأخرى، فكان ذا منهج جديد ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفريقه بين نصب 'سلامًا' ورفعها 'سلامٌ' في قوله تعالى:﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾[هود 68]، قال الزجاج: « وكما في قوله تعالى ﴿ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ فقد قال أبو علي في نصب الأول: إنه لم يَحكِ شيئا تكلموا به فيُحكَى كما تُحكَى الجُمل، ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل، كما أن المؤذن إذا قال: لا إله إلا الله. قلت: حقا وقلت: إخلاصا، أعملت القول في المصدرين، لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تَحكِ نفس الكلام الذي هو جملة تُحكَى. فلذلك نصب 'سلاما' في قوله 'قَالُوا سَلَامًا ' لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه. وقولهُ 'قَالَ سَلَامٌ' أي أمري سلام ... فحذف المبتدأ وقدر مرة حذف الخبر أي سلام عليكم »[1].

ويربط الزجاج بين الإعراب والتشريع ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[الطلاق 1] « المعنى: لقبل عدتهن، لأن العدة الحيض، والمرأة لا تطلق في حيضها، ألا ترى أن ابن عمر لما طلق في الحيض أمره الرسول بأن يرجعها ثم يطلقها. فإذا كانت العدة الحيض، وإذا لم يجز ذلك ثبت أنه لقبل عدتهن، إذ ذلك هو الظرف، وهو المأمور بإيقاع الطلاق فيه »[2].

ثم لم يكد ينتصف القرن الثالث الهجري حتى انتشرت المؤلفات في الإعراب وعمت وأصبح الإعراب غرضا مستقلا وعلما يكتب من أجله، وكان أول من ألف في إعراب القرآن خالصا لهذا الغرض:

- قطرب أبو علي محمد بن المستنير (206هـ)[3].
- ثم تلاه أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان القرطبي (239هـ)[4].
- ومن بعدهما أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (248هـ)[5].
- ثم عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري (276هـ)[6].
- ثم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (286هـ)[7].
- وأخيرا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (291هـ)[8].

---

(1) إعراب القرآن المنسوب للزجاج: ج1 ص208.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص79.
(3) ذكر له صاحب إنباه الرواة: ج2 ص62 كتابا في إعراب القرآن. انظر كشف الظنون: ج1 ص123.
(4) وذكره كشف الظنون. ج1 ص123.
(5) انظر إنباه الرواة القفطي: ج2 ص62. كشف الظنون: ج1 ص123. معجم الأدباء: ج3 ص404.
(6) ذكر له في الفهرست ص106 ، وانباه الرواة ج2 ص146 كتاب في إعراب القرآن قال محمد بن إسحاق النديم في كتابه:« إن ابن قتيبة كوفي، وإنما سمي الدينوري لأنه كان قاضي دينور، وكان يغالي في مذهب البصريين إلا أنه خلط المذهبين، حكى في كتبه عن الكوفيين وكان صادقا فيما يرويه، عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف» إنباه الرواة: ج2 ص147.
(7) انباه الرواة: ج3 ص251. الفهرست: ص83. كشف الظنون: ج1 ص123.
(8) انظر انباه الرواة القفطي: ج1 ص186. كشف الظنون: ج1 ص123.

ويلحق بهذا العصر :

- أبو بكر بن الأنباري (328هـ)[1].
- أبو جعفر النحاس (338هـ)[2].

أما الذين كتبوا في إعراب القرآن ضمن كتب المعاني والأمالي فهم طائفة كبيرة منهم: أبو عبيدة[3]، ويحي بن زياد أبو زكرياء الفراء في كتابه « معاني القرآن »،وسعيد بن مسعدة الشهير بالأخفش الأوسط في كتابه « معاني القرآن »،وابراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج(311هـ) وكتابه مختصر في إعراب القرآن ومعانيه[4] واشتهر باسم « معاني القرآن وإعرابه »،وابراهيم بن محمد بن عرفة أبو عبد الله المعروف بنفطويه(323هـ)[5] .

وأود هنا الإشارة إلى الفرق بين كتب معاني القرآن وكتب إعراب القرآن، فلعلم المعاني تعريف خاص ذكره صاحب مفتاح السعادة إذ يقول: « وهو تتبع خواص تراكيب الكلام، ومعرفة تفاوت المقامات، حتى يتمكن من الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الأول على الثاني وذلك لأن للتراكيب خواص مناسبة لها يعرفها البلغاء إما بسليقتهم أو بممارسة علم البلاغة »[6] .

وكتب معاني القرآن هي النواة الأولى للتفسير النحوي للقرآن الكريم، فإذا كان الإعراب فرع المعنى كما يقولون فتكون المعاني أوسع من الأعراب « فالإعراب فرع والمعاني أصول، فإذا أضفنا « المعاني » إلى « القرآن » وكانت الإضافة على معنى « في » فكأنما كتب معاني القرآن إنما هي: أصول النحو في القرآن، ويتضح هذا في كتاب « معاني القرآن » للأخفش وفي « معاني القرآن » للفراء من بعده وفي كتاب « معاني القرآن وإعرابه » من بعدهما للزجاج »[7].

وخلاصة القول أن الإعراب والتّفسير قد اختلطا معا وسارا في طريق واحد، حتى أن الزجاج ألف كتابا جامعا بين الفنين اسمه: « معاني القرآن أو إعراب القرآن ومعانيه »، فالإعراب والمعاني متكاملان. وبذلك كان الإعراب أحد أعمدة التّفسير اللّغوي وأكثر فروعه لما يحققه من أغراض متنوعة في عملية التّفسير عامة.

---

(1) كشف الظنون: ج1 ص123.
(2) كشف الظنون: ج1 ص123. معجم الأدباء: ج1 ص620.
(3) ذكر له صاحب الفهرست ص77 كتابا في إعراب القرآن، وذكر له السيوطي في البغية معاني القرآن: ج2 ص295
(4) ذكر له السيوطي في البغية المعاني فقط: ج1 ص412. وكذلك فعل ابن النديم في الفهرست: ص85.
(5) ذكر صاحب كشف الظنون أسماء من ألفوا في هذا العلم إلى غاية سنة ست وثمانين وتسعمائة: ج1 ص123.
(6) مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة: ج1ص200.
(7) مقدمة محقق معاني القرآن للأخفش: ص25 .

ولكن ما هو السبب في كثرة هذه المؤلفات التي كتبت في إعراب القرآن؟ والجواب في رأي يتفرع إلى سببين، الأول رئيسي وهو المراد، والثاني تابع للأول ومكمل له. أما عن السبب الرئيسي، فإن القرآن الحكيم كتاب الله، وكان له منزلة مقدسة عند أهله، فدراسة أي علم يتصل به، إنما لغاية دينية، وهي التعبد والتقرب إلى الله جل جلاله عن طريق دراسة كتابه. وعلماء العربية كانوا ممن تجردوا لهذه الغاية الشريفة فعكفوا على دراسة القرآن من واقع ثقافتهم وعلمهم، وأعربوا بدورهم القرآن الكريم إعرابا تاما كاملا سواء من خلال كتب المعاني أم التي عنونت بكتب الإعراب. فأسهموا بذلك في تفسير إشكالات النَص اللّغوية، ويسروا على الناس فهم المعاني فهما سليما لتلك السياقات القرآنية المعجزة التي لم تكن في متناول جميع الناطقين بالعربية، فكونوا بذلك اتجاها ومنهجا له أسسه وقواعده، ضم أثناء ذلك إلى ما نسميه اليوم في ميدان مناهج العلوم، المنهج اللّغوي في التّفسير.

أما عن السبب الثاني فيتعلق بتلك النهضة العلمية الشاملة التي سادت العصر كله بعد أن كتب سيبويه كتابه في النحو، فقد قامت عليه الدراسات النحوية واللّغوية في شتى البلاد أحقابا طويلة،واتسعت المدونات في النحو واللّغة وسائر الفروع الأخرى تحت رعاية الخلفاء والأمراء،حتى تحولت البصرة والكوفة وبغداد إلى أكبر العواصم العلمية في تاريخ العلوم والثقافات.

وأيضا كان القراء أكثرهم من النحّاة، فكان طبيعيا أن يحاول كل منهم تأليف كتاب في إعراب القرآن حتى يخرج القراءة وفق أصول العربية من مبدأ أن لا تناقض بين لغة القراءات ولغة العرب، ومن أشهر هؤلاء القراء النحويين أبو عمرو بن العلاء قارئ البصرة وعلي بن حمزة الكسائي قارئ الكوفة.

وأيضا إظهار الملكات العقلية القديرة عند النحّاة، لأن الإعراب مجال واسع، وميدان يتسابق فيه الفرسان لا غير، يحتاج المعرب إلى العقل الفذ والذكاء والنادر والقدرة على التخريج مع التزام المنهج السليم في الإعراب. كل ذلك جعل النحويين يساهمون بقسط وافر من المؤلفات لإبراز تلك الكفاءات العقلية.

الإعراب القرآني والمدارس النحوية

لقد أخذ التّفسير اللّغوي نفس الطابع النحوي في انقسامه حسب وجهة المدارس، وذلك لارتباط موضوع التّفسير اللّغوي بموضوعات النحو ارتباطا وثيقا. فالقرآن الكريم بما احتواه من قراءات كان المادة الأولى للعمل النحوي، لذا كان الاختلاف في توجيه قراءة ما أو ضبط أواخرها بالإعراب ثابت بين المدارس النحوية، وحتى بين المدرسة النحوية الواحدة مما أدى إلى اختلاف التّفسير اللّغوي داخل هذه المدارس.

وبدخول المدرستين إلى مجال التّفسير اللّغوي دخل إليه اختلاف اللّغويين والنحويين، كما انعكست الانقسامات بين النحويين على بعض التفاسير وجعلت مدارا لتوجيه بعض النّصوص موضع الاختلاف، لأن تركيب الجملة كان أحد الأسس الهامة في تحديد المعنى. وسبق أن أشرت إلى أن الإعراب هو أكبر مظاهر الاختلاف بين المدارس النحوية لأنه ثمرة النحو ومدار البحث عند الدارسين لذلك سأعرض أمثلة من التوجيه الإعرابي في الآيات القرآنية على حسب الأصول لتلك المدرستين، البصرية التي وجهت الآيات في ضوء مقاييسها وأصولها، والمدرسة الكوفية كذلك نظرت إليها من زاوية منهجها ومذهبها. ولا أستطيع حصر الآيات التي امتد إليها الجدل، وثار حولها النزاع لأنها كثيرة، ولكن أكتفي بنماذج منها لترسم لنا صورة مصغرة عن ذلك الخلاف.

– فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى﴾[الكهف 88] فكلمة 'جزاء' شملتها قراءات عديدة، ولكل منها وجه من التخريج الإعرابي، والمعنى المترتب عليه « فقرأ أبو عمرو –من البصريين– برفعها دون تنوين لإضافتها إلى 'الحسنى' وتكون هي مبتدأ أي له جزاء الحسنى عند الله تعالى في الآخرة وهي الجنة فأضاف الجزاء إلى الجنة »[1] قال العكبري: « يقرأ بالرفع وبالإضافة، وهو مبتدأ، أو مرفوع بالطرف، والتقدير: فله جزاء الخصلة الحسنى »[2] . وقرأ سائر الكوفيين « 'جَزَاءً' منصوبا منونا، أي: فله الحسنى جزاء[3] وقال الفراء بنصبها على التمييز ... وقال الزجاج –من البصريين– هو مصدر في موضع الحال[4] : أي مجزيا بها جزاء. وقرأ ابن عباس:« فَلَهُ جَزَاءَ الحُسْنَى » منصوبا غير منون، وهي عند أبي حاتم على حذف التنوين لالتقاء الساكنين، ولكن النحاس لم يرتض هذا، لأنه موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين وقدره: فله الثواب جزاء الحسنى، فتكون جزاء مفعول لأجله»[5].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج11 ص52–53.
(2) التبيان في إعراب القرآن: ج2 ص859.
(3) المصدر نفسه: ج2 ص860.
(4) المصدر نفسه: ج2 ص860.
(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج11 ص52–53.

- ومن مثل ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنعام 28] بالرفع في الأفعال الثلاثة عطفا على قراءة أهل المدية والكسائي« فتكون هذه الأفعال الثلاثة كلها داخلة في المعنى التمني أي يا ليتنا نرد[1]، ويالليتنا لا نكذب ويا ليتنا نكون من المؤمنين « واختار سيبويه القطع في 'ولا نكذب' فيكون غير داخل في التمني، والمعنى: ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب أي لا نكذب رُدِدْنَا أو لم نُرَد ... وقرأ حمزة وحفص بنصب 'نكذب' و'نكون' جوابا للتمني...قال أبو إسحاق: معنى 'ولا نكذب' أي إن رددنا لا نكذب، والنصب في 'نكذب' و'نكون' بإضمار 'إن' كما ينصب في جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض»[2].

- ومثال ثالث في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى﴾[الحج 5] « فقد قرأ عاصم 'ونقرّ' بالنصب على العطف، والمعنى إنا خلقناكم لكي نبين لكم ولكي نقر، وقال الزجاج: 'نقرّ' بالرفع لأنه ليس المعنى: فعلنا ذلك لنقر في الأرحام ما نشاء، وإنما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح، وقراءة الجمهور[3] 'ونقرّ' على القطع والأخبار »[4].

- والمتتبع لكتاب الإنصاف لابن الأنباري ومسائل الإعراب المختلف فيها ومن ثم اختلاف معاني الآيات يجد تصديق ما قرر سابقا فالأحكام الكوفيين فيها مبنية على قراءات في حين يبتعد البصريون عن الأخذ بها في الغالب. فيذكر ابن الأنباري في إنصافه مسألة « هل يقع الفعل الماضي حالا؟». وذكر أن الكوفيين يجوزون ذلك، وذهب البصريين إلى أنه لا يجوز أن يقع حالا وأجمعوا على أنه إذا كانت معه 'قد' أو كان وصفا لمحذوف فإنه يجوز أن يقع حالا. ثم استدل الكوفيون بقوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[النساء 89] وهنا نلاحظ تغير معاني الآيات، فالفعل الماضي في هذه الحالة عندهم 'حَصِرَتْ' في محل نصب حال وتقديره حصرت صدورهم[5]، واستدلوا على هذا التقدير بقراءة من قرأ 'أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ ' هي قراءة الحسن البصري ويعقوب

---

(1) التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ج1 ص489.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج6 ص408.
(3) التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ج2 ص933.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج12 ص11.
(5) الإنصاف في مسائل الخلاف: ج1 ص252.

الحضرمي(205هـ)[1] والمفضل بن عاصم[2]. أما البصريون فقد أنكروا هذا الإعراب ورأوا « أن الفعل الماضي لا يقع حالا لأنه لا يدل على الحال فينبغي ألا يقوم مقامه واستدلالهم بالآية لا حجة لهم فيه. وكان إعرابهم للفعل الماضي في الآية قائما على أربعة أوجه:

الوجه الأول: أن يكون صفة 'قوم' المجرورة في أول الآية ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[3].

الوجه الثاني: أن يكون صفة لـ 'قوم' مقدر ويكون التقدير فيه: أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم. والماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالا بالإجماع.

الوجه الثالث: أن يكون خبرا بعد خبر، كأنه قال أو جاؤكم، ثم أخبر فقال حصرت صدورهم.

الوجه الرابع: أن يكون محمولا على الدعاء[4] لا على الحال، كأنه قال: ضَيَّقَ اللهُ صُدُورَهُمْ، كما يقال: جَاءَنِي فُلَانٌ، وَسَّعَ اللهُ رِزْقَهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيَّ غَفَرَ اللهُ لَه، وسَرَقَ قَطَعَ اللهُ يَدَهُ، وأشبه ذلك »[5].

– ذكر صاحب الإنصاف مسألة : « هل تكون 'إلا' بمعنى الواو؟ » وأشار إلى رأي الكوفيين وأنهم يرون ذلك [6]،وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو. واحتج الكوفيون بأن قالوا : إنما قولنا لمجيئه كثيرا في كتاب الله تعالى وكلام العرب، ثم ذكروا قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[البقرة 149] وقالوا: « أي ولا الذين ظلموا، يعني والذين ظلموا لا يكون لهم أيضا حجة ويؤيده ذلك ما روى أبو بكر بن مجاهد عن بعض القراء أنه قال: « إلى الذين ظلموا » مخففا بمعنى مع الذين ظلموا منهم، كما قال تعالى: ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[المائدة 7] أي مع المرافق ومع الكعبين وكما قال تعالى: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ﴾[آل عمران 51] أي مع الله، وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ أي مع أموالكم، وكقولهم في المثل: « الذَّودُ إلى الذَّودِ إبِلٌ » أي مع الذود »[7].

أما البصريون فيوجهون ما سبق من الآيات توجيها آخر، يقول ابن الأنباري رادا على الكوفيين:

---

(1) « هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن إسحاق أبو محمد الحضرمي بالولاء، البصري أبو يوسف وأبو محمد القارئ ثامن القراء العشرة، الإمام في القراءات والعربية ولغة العرب والفقه...روى عن حمزة والكسائي ». معجم الأدباء :ج5 ص644.

(2) « المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب اللغوي النحوي كان لغويا نحويا كوفي المذهب، أخذ عن أبيه وعن أبي عبد الله الأعرابي، وأبي العباس ثعلب، وابن السكيت وغيرهم » معجم الأدباء: ج5 ص514.

(3) انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ج1 ص379.

(4) المصدر نفسه : ج1 ص379.

(5) الإنصاف في مسائل الخلاف: ج1 ص252 المسألة 32.

(6) وهو قول الفراء. مغني اللبيب: ص86.

(7) الإنصاف في مسائل الإنصاف : ج1 ص266.

« أما احتجاجهم بقوله تعالى: « ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ فلا حجة لهم فيه، لأن 'إلاّ' هاهنا استثناء منقطع، والمعنى: لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة[1] والاستثناء المنقطع كثير في كتاب الله تعالى وكلام العرب، قال الله تعالى ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء 156] معناه لكن يتبعون الظن، وقال تعالى: ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ [الليل 20] ومعناه لكن يبتغي وجه ربه الأعلى...وعلى ذلك أيضا يحمل ما احتجوا به من قوله تعالى: ﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء 148] فإن معناه: لكن المظلوم يجهر بالسوء، لما يلحقه من الظلم فيكون في ذلك أعذر ممن يبدأ بالظلم »[2].

ثم يرد ابن الأنباري على قراءة الكوفيين 'إلى الذين ظَلَمُوا' بالتخفيف فيقول: « فإن صحت وسلم لكم ما ادعيتموه على أصلكم من أن 'إلى' تكون بمعنى 'مع' فليس لكم فيه أيضا حجة تدل على أن 'إلا' تكون بمعنى 'الواو' لأنه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى، وإذا اعتبرتم هذا في وجدتم الاختلاف في معانيها كثيرا جدا. وهذا مما لا خلاف فيه، وإذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة من قرأ: 'إلى الذين' بالتخفيف بمعنى مع، وقراءة من قرأ: 'إلا' بالتشديد بمعنى لكن، على ما بيّنا »[3].

مسألة أخرى من مسائل الإنصاف نقف عندها لنبين أثر اختلاف النحاة في توجيه القرآن. قال ابن الأنباري: « ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع 'إن' قبل تمام الخبر » وهو رأي الكسائي والفراء. « وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال »[4].

واحتج الكوفيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة 71] قال ابن الأنباري: « وجه الدليل –عند الكوفيين– أنه عطف 'الصابئون' على موضع 'إنّ' قبل تمام الخبر، وهو قول : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [المائدة 71] .

وعدم حجية هذا القول عند البصريين يذكره ابن الأنباري لأن تقدير المعنى عندهم قد لا يكون صوابا، يقول: « أما احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ فلا حجة لهم فيه من ثلاثة أوجه [5]:

---

(1) كذلك ذهب أهل التفسير. انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج2 ص47.
(2) المصدر نفسه : ج1 ص269.
(3) الإنصاف في مسائل الإنصاف: ج1 ص272.
(4) المصدر نفسه: ج1 ص176.
(5) انظر التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ج1 ص451.

أحدها: أنا نقول في هذه الآية تقديم وتأخير، والتقدير فيها: 'إن الذين أمنوا والذين هدوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك...'

والوجه الثاني: أن تجعل قوله تعالى: ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ خبر للصابئين والنصارى، وتضمر للذين آمنوا والذين هادوا خبرا مثل الذي أظهرت للصابئين والنصارى...

الوجه الثالث: أن يكون عطفا على المضمر المرفوع في 'هادوا' و هادوا بمعنى تابوا. وهذا الوجه عندي ضعيف، لأن العطف على المضمر المرفوع قبيح وإن كان لازما للكوفيين...»[1]

ويقول الطاهر بن عاشور في تفسيره هنا: « فالذي أراه أن يجعل خبر 'إنّ' محذوفا. وحذف خبر 'إن' وارد في الكلام الفصيح غير قليل كما ذكره سيبويه في كتابه. وقد دل على الخبر ما ذكر بعده من قوله: « فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ » إلخ . ويكون قوله « وَالَّذِينَ هَادُوا » عطف جملة على جملة، فيجعل 'الَّذِينَ هَادُوا' مبتدأ ولذلك حُقّ رفع ما عطف عليه، وهو 'الصابئون' وهذا أولى من جعل 'والصابئون' مبدأ الجملة وتقدير خبر له، أي 'والصابئون كذلك' كما ذهب إليه الأكثرون ».

ويقول صاحب التحرير بعد ذلك: « وجمهور المفسرين جعلوا قوله تعالى 'الصابئون' مبتدأ وجعلوه مقدما...وقدروا له خبرا محذوفا لدلالة خبر 'إن' عليه، وأصل النظم : أن الذين أمنوا والذين هادوا والنصارى لهم أجرهم إلخ، والصابئون كذلك، جعلوه كقول ضابي بن الحارث :

فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ »[2]

وهذا قليل يغني عن الكثير الذي خالف فيه الكوفيون البصريين في مسائل الإعراب وتغيير المعنى، ذكر أكثرها ابن الأنباري في الإنصاف وهو خلاف كان لابد منه لأنه انعكاس للخلاف في الأسس المذهبية وقد لا يؤثر هذا التباين في مسائل الإعراب دوما على المعنى المستخلص من الآية. ويبقى اختلاف المعاني بين المدارس النحوية عند تناولها لتفسير القرآن وتوجيه آياته هو أكبر آثار التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم.

لقد رأينا إذن مدى ارتباط النحو بالقرآن ومدى علاقته به، وكان لذلك آثار كبيرة منها :

- ثروة عظيمة في ميدان التأصيل.
- معاني كثيرة شاسعة من جراء العلاقات النحوية أو النظم.
- تأويل القرآن بأكثر من رأي.
- غلق الباب أمام الجهلة للخوض في القرآن.
- مد النحو بحوث الأعجاز بأهم أركانه وهي فكرة النظم التي أخذت تتبلور من خلال البحوث النحوية.

---

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف: ج1 ص187.

(2) التحرير والتنوير: ج6 ص269-270. والبيت كما ذكره ابن عاشور في الصفحة نفسها :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَةِ رَحْلُهُ * فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

البحوث اللّغوية ووجوه التّفسير اللّغوي

كان القصد من كتب اللغة حراسة القرآن من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم، وحراسة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية، وصيانة هذه الثروة من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم.

والنشاط اللّغوي بدأ مع ابن عباس، فهو أول من فسر للناس غريب القرآن، ثم توسع الناس في جمع مفردات اللغة دون ترتيب، يجمعونها كما يتفق لهم ويصادفهم، ثم تقدم العلماء في جمع الكلمات وتدوينها، فكانوا يجمعون المفردات بحسب المعاني والموضوعات، ويدخل في هذا الباب الكتب التي ألفت في موضوع واحد مثل: كتاب الإبل، وكتاب الحشرات، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب النبات، وكتاب النخيل، وكتاب اللّبن. وأول من ألف في الحشرات أبو خيرة الأعرابي[1] الذي روى عنه أبو عمرو بن كركرة الأعرابي (175هـ)[2] صاحب النوادر، وأحد شيوخ الخليل بن أحمد، ولكل من أبي عمرو الشيباني(206هـ)[3] والأصمعي[4] كتاب النحل والعسل، ولابن الأعرابي(231هـ) كتاب الذباب[5]، ولأبي نصر أحمد بن حاتم(231هـ)[6] كتاب الجراد وللنضر بن شميل(204هـ)[7] كتاب خلق الفرس وما أكثر ما ألف في هذا الباب. كما يدخل فيه ما ألف في النوادر، وأول ما ألف

---

(1) « أبو خيرة واسمه نهشل بن زيد أعرابي بدوي من بني عدي، دخل الحاضرة، وأفاد وأخذ الناس عنه، وصنف في الغريب كتبا، منها: كتاب الحشرات.» انباه الرواة : ج4 ص117.

(2) «عمرو بن كركرة أبو مالك الأعرابي...يقال: أنه كان يحفظ لغة العرب، وكان بصري المذهب...قال أبو الطيب اللّغوي في كتابه مراتب النحويين: كان ابن المظفر يقول: كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها.» معجم الأدباء: ج4 ص510.

(3) «إسحاق بن مرار، أبو عمرو الشيباني...قال الخطيب: كان أبو عمرو نبيلا، فاضلا عالما بكلام العرب، حافظا للغاته..وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور معروف.» معجم الأدباء : ج2 ص170.

(4) ذكر القفطي للأصمعي كتاب النحل والعسل. انباه الرواة : ج2 ص203.

(5) ذكره ياقوت في معجم الأدباء: ج5 ص340.

(6) « أحمد بن حاتم أبو نصر النحوي، صاحب الأصمعي. روى عن الأصمعي كتب اللغة والأدب وصنف كتبا في اللغة، وحكي عن الأصمعي أنه كان يقول:« ليس يصدق علي أحد إلا أبو نصر... » ذكره له القفطي كتاب الجراد. انباه الرواة : ج1 ص71.

(7) « النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم التميمي المازني النحوي اللّغوي الأديب ولد بمرو ونشأ بالبصرة وأخذ عن الخليل بن أحمد، وأقام بالبادية زمنا طويلا...وهو ثقة حجة احتجوا به في الصحاح.» وذكر له ياقوت الحموي خلق الفرس. معجم الأدباء: ج5 ص563.

فيها كتاب منسوب إلى أبي عمرو بن العلاء، رواه أحد تلاميذه، ومن أوائل من ألفوا في النوادر: القاسم بن معن[1] الكوفي (175هـ)، ويونس بن حبيب الضبي(183هـ)[2] وعمرو بن كركرة، وأبو شبيل العقيلي[3] وأبو زيد الأنصاري[4].

والسبب الأول الذي دعا العلماء إلى العناية بهذه الموضوعات اللّغوية كان فهم القرآن الكريم والدفاع عنه، وهو دفاع سار في خطين متوازيين، يتصل أحدهما بالاحتجاج لسلامة العبارة القرآنية من الوجهة النحوية واللّغوية، ويتصل الآخر بالاحتجاج لبلاغة هذه العبارة وارتفاعها في مدارج الاستخدام الفني للغة إلى مستوى معجز.

على أن أحد الخطين كان سابقا على الآخر، وهو الخط المتصل بسلامة النص وصحته لغويا ونحويا وتفسير فهمه، وتذليل المواضع الصعبة فيه، ومن هنا كانت كثرة المؤلفات في غريب القرآن، وإعرابه، ومعانيه، ومشكله، ومتشابهه، ومشتركه، ومبهماته، ومجازاته وتشبيهه، ولغاته، ومنطوقه ومفهومه. كما ألفوا في أساليبه الخاصة نحو: مقدم القرآن ومؤخره، وجواباته، وأسرار التكرار فيه، وفي مصادره، وضمائره، وبعض ألفاظه، وبعض البنيات الخاصة فيه، ووصل الأمر إلى حد اختصاص الآية الواحدة بكتاب أو رسالة خاصة[5]. وهو مسلك طبيعي إزاء ما يروى من أن في القرآن ثلاث آيات في كل منها مائة قول.

ومن هنا نرى أن التّفسير قد اتصل بكل ما وصل إليه علم اللغة والأدب من بحوث سخرها لفهم ألفاظ القرآن وتراكيبه. فكان اختلاط البحوث اللّغوية بقضايا التّفسير من أكثر ما ميز الدرس القرآني في هذه المرحلة، حيث وجدت تلك البحوث اللّغوية الكثيرة ذات الصلة بالدراسات التّفسيرية، فشكلت بدورها روافد هامة لعملية التّفسير اللّغوي ثم ما لبثت أن تحولت إلى وجوه كاملة في عملية التّفسير اللّغوي، وعلى رأس هذه السلسلة الجديدة في هذا الاتجاه اللّغوي التّفسيري كتب معاني القرآن،

---

(1) « القاسم بن معن المسعودي أبو عبد الله. قال الحموي: كان فقيها على رأي أبي حنيفة ولقيه، وكان عالما وولي القضاء بالكوفة...وكان عالما بالحديث والفقه والشعر والنسب وأيام الناس، وكان يقال له شعبي زمانه، وكان ثقة سخيا.» وذكر له ياقوت الحموي كتاب النوادر. معجم الأدباء: ج5 ص4.

(2) ذكره القفطي في انباه الرواة : ج4 ص77.

(3) « أبو شبيل العقيلي أعرابي فصيح، واسمه الخليج، وله شعر جيد، وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة. وصنف كتابا في الغريب، ومنها كتاب "النوادر".» إنباه الرواة : ج4 ص130.

(4) ذكره القفطي في إنباه الرواة : ج1 ص144.

(5) ذكر القفطي في إنباه الرواة: ج3 ص316. أن لمكي شرح اختلاف العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾[آل عمران 7].انظر كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين لحسن حسني عبد الوهاب ج1 ص132. ويذكر أن له كتابا آخر في شرح قوله تعالى: ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ﴾[آل عمران 13] . انظر العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين: ج1 ص135.

وكتب مشكل القرآن ومنه الغريب والمشترك والأضداد في القرآن وما شاكل ذلك. ولا أرى من المناسب أن أذكر كل ما أحصيت من عناوين الغريب أو المشكل أو غيرها فيناك في نهاية البحث جدول خاص بذلك.

إن هذه العناوين صارت وجوها متعددة لاتجاه لغوي صاعد في ميدان التّفسير إبان القرون الثلاثة الأولى، وهي بالنسبة للتفسير اللّغوي كحلقات في سلسلة يربط بعضها بعضا، وسنعرض هنا لهذه الوجوه بالتحليل مبينين أثرها في التّفسير اللّغوي، وقد سماها بعض الدارسين مناهجا. والحقيقة أنها لا تعد أن يكون بعضها وجوها بارزة لهذا اللون من التّفسير، وتحليل بعض هذه الوجوه قد لا تميزه تميزا كاملا عن البحوث اللّغوية، إلا أن الفارق فيما لأجله كانت الدراسة وهي تفسير القرآن الكريم .

ومن أبرز وجوه البحث القرآني تأثيرا عند المفسرين اللّغويين،وكان لها نشاط واسع ضمن التفاسير اللّغوية: أربعة وجوه: **المشكل والغريب والمشترك والأضداد.**

المشكل

ألفت تفاسير في القرآن الكريم تناولت بعض الآيات التي تبدو مشكلة من ناحية عقدية أو بلاغية أو لغوية أو غيرها من نواحي العلم والمعرفة وهي تعرف بكتب 'مشكل القرآن'. والمراد بـ'مشكل القرآن' المبهم أو الغامض المختلف عليه، والذي تضاربت حوله الآراء كالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه، أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود، أو يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط، أو تكون ألفاظه مشتركة. وعرّفه السيوطي بأنه « ما يوهم التعارض بين الآيات...ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا، وليس به في الحقيقة فاحتج لإزالته»[1]. وهذا الاسم مشتق من : شَكَلَ الفرس أو الدابة بالشِّكَلِ إذا شد قوائمَها بحبل، أو من الشكلة وهي الحمرة المختلطة بالبياض[2].

وكان أعداء ملة الإسلام قد تناولوا القرآن الكريم بالنقد، وتحدثوا عن تعارض بين الآيات واختلاف في بعض معانيه، واتخذوا من الآيات المتشابهات ركيزة ينطلقون منها في هجومهم على القرآن الكريم. فتجرد لردّ هذه المطاعن عدد من العلماء الأثبات، وأخذوا في تفنيد هذه المطاعن بأن تناولوا الآيات التي أتخذها أولئك الطاعنون من الفلاسفة والدهريين وغيرهم ذريعة، فدفعوا عنها الإشكال ، وأزالوا اللبس مع كراهتهم التعرض لما استشكل من آيات القرآن ورعا وخوفا من عدم

(1) الإتقان في علوم القرآن: ج2 ص35.
(2) لسان العرب لابن منظور: ج4 ص2311.

موافقة أقوالهم مراد الله الجليل، يقول أبو بكر الأنباري: « قد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير 'المشكل من القرآن' ، فبعض يُقدر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله عز وجل فيحجم عن القول، وبعض يشفق من أن يجعل في التّفسير إماما يبنى على مذهبه ويُقتفى طريقته »[1].

وعلماء اللغة كغيرهم من العلماء ساءهم ما كان من أمر الطاعنين في القرآن، وردوا إلى جبل هؤلاء باللغة وأساليبها، وبمناحي الكلام عند العرب. فتجندوا لتقديم بحوث ودراسات حول المشكلات اللّغوية التي يطرحها أعداء الدين أو المستعربون من أبناء الأمم الوافدة على الإسلام.

وشهدت حركة التأليف عددا من الكتب التي ألفت في هذا اللون، كما حفظت لنا تلك المدونات بعض الإشارات التّفسيرية لبعض المشكلات اللّغوية عند التابعين وخاصة عند الإمام التابعي مجاهد بن جبر، ومن تلك النماذج تأويله لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[الزخرف 81] يقول:« يريد: قل إن كان لله ولد –في قولكم– فأنا أول من عبد الله وحده وكنبكم بما تقولون ». وارتضى الأزهري رأي مجاهد في تأويل هذه الآية المشكلة،وقال عنه بعد أن ذكر أقوال السلف فيها إنه « أحسن من جمع ما قالوه وأسوغ في اللغة وأبعد من الاستكراه، وأسرع في الفهم »[2].

وكذلك فعل مجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾[النازعات 30] بعد ذلك أي بعد أن خلق السماء وبناها ورفع سمكها[3] وسواها. ووجه الإشكال أنه في آيات أخرى جعل خلق الأرض قبل ذلك والجواب، قال مجاهد: 'بعد ذلك' في هذا الموضع بمعنى 'مع ذلك' و'مع' و'بعد' في كلام العرب سواء[4]. وفي قوله تعالى : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[الإسراء 16] أكثرنا مترفيها[5].

فهذه إشارات أولى حُفظت عن مجاهد رضيَ الله عنه من خلال تفسيره المشهور الذي سبقت الإشارة إليه،والذي بدا أول معجم شرح فيه كلمات القرآن وغريبه ومشكله على طراز كتب اللغة. إلا أن أقدم مصنفات المشكل كتاب 'مشكل القرآن' لقطرب(205هـ)[6]،ولكنه لا يعد أن يكون توفيقا بين بعض الآيات القرآنية التي تبدو متعارضة متناقضة. ويبقى أهم كتاب في هذا الحقل: كتاب 'تأويل مشكل القرآن' لابن قتيبة(276هـ). وقد شرحه وعلق عليه الأستاذ السيد أحمد صقر، وعن قيمة الكتاب

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج1 ص34.
(2) تأويل مشكل القرآن: ص373. لسان العرب: ج4 ص2780.
(3) قال الراغب في مفرداته ص249: « السَّمْكُ سَمْكُ البيت وقد سَمَكَهُ أي رفعه ».
(4) تأويل مشكل القرآن: ص68. الصاحبي لابن فارس: ص150.
(5) تفسير الثوري : ص128. أحكام القرآن للجصاص: ج3 ص165.
(6) انظر ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج2 ص146.

ومؤلفه يقول الأستاذ المحقق:« كان كتاب 'مشكل القرآن' ثمرة طيبة من ثمار ذلك الدفاع القديم الذي أبلى فيه ابن قتيبة بلاء حسنا، فقد هاله ما رأى من كثرة الشكوك التي تثار حول القرآن، والمطاعن التي تسدد نحوه، وخشي أن تكون عاقبة أمرها خسرا للأعمار والأحداث، فانتدب نفسه لدرئها، وتبيين عوجها، ورد كيدها إلى نحو أصحابها، وقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام البيان المشرق الرّصين، واقتداره على النقد العلمي المتين »[1].

ويحدثنا ابن قتيبة في كتابه عن سبب تأليفه له فيقول: « وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا 'مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ' بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبيله، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور، ولو كان ما نحلوه إليه على تقديرهم وتأوّلهم لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله ﷺ يحتج عليه القرآن، وتجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله، وهم الفصحاء البلغاء والخطباء والشعراء، والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد، واللدّد في الخصام، مع اللّب والنّهي وأصالة الرأي،وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب ».

ثم ذكر الغرض من نفسه فقال : « فأحببت أن أنضح عن كتاب الله وأرى من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة وأكتشف للناس ما يلبسون فألفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن مستنبطا ذلك من التّفسير بزيادة في الشرح والإيضاح »[2]! وقد تأثر ابن قتيبة بأبي عبيدة في مصنفه 'مجاز القرآن' تأثرا حقيقيا، إذ مضى يعرض صور الآيات القرآنية المشكلة متأثرا إلى أبعد حد بما ساقه من صيغها ووجوه تعبيرها مما سماها أبو عبيدة 'المجاز'[3].

يقول ابن قتيبة : « وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها : الإستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعويض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الإثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز »[4]. وكأن كلمة المجاز عند ابن قتيبة لا تزال تستخدم

---

(1) مقدمة تأويل مشكل القرآن. المحقق السيد أحمد صقر. ص22.
(2) المصدر نفسه: ص22.
(3) أثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول سلام : ص102.
(4) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ص15.

بمعناها الواسع الذي استخدمها فيه أبو عبيدة. ولقد أقام ابن قتيبة منهجه على عرض بعض آي القرآن والاستشهاد لها بنصوص من الشعر ليقيم الحجة على مقالته،ويذهب بدعوى الطاعنين على بعض التعبيرات والاستعمالات اللّغوية في القرآن.وعدته ووسيلته في المحاجة هي اللغة فأوضح لهؤلاء الطاعنين أن المجاز مثلا أصل من أصول العربية ومن جهته غلط كثير من الناس في التأويل. وهكذا يفعل ابن قتيبة مع باقي المسائل اللّغوية كالحذف والزيادة وتكرار الكلام وغيرها، ثم خص بعد ذلك جزءا كبيرا من كتابه للحديث عن مشكل السور القرآنية بدون أن يستوفي السورة كاملة. ولم يرتبها على وجه من الوجوه، وإنّما كان يعرض للمشكلة في السور حسبما تراءى له من مشاكلها. وقد يعود للسورة نفسها في سياق شرحه لباقي السور.

وكتاب مشكل القرآن قد ساهم في عملية التّفسير اللّغوي لما حواه من دراسات لغوية لأسلوب القرآن، إذ كان إلى حدّ ما محصورا في تفسير المشكلات اللّغوية والنحوية.

وكنموذج على تفسير المشكل عند ابن قتيبة في تفسيره :

- « الضلاّل » في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾[الأضحى 7] بقوله : « الضلال الحيرة والعدول عن الحق والطريق. يقال ضلّ عن الحق، كما يُقال: ضل عن الطريق »[1]. « وقد يكون الضلال أيضا بمعنى النسيان. النّاسي للشيء عادل عنه وعن ذكره، قال تعالى: ﴿ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[الشعراء 19] أي من الناسين. وقال : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ [البقرة 282] أي: إن نسيت واحدة ذكرت الأخرى »[2].

ولرفع الإشكال عن الآيات التي تحمل في سياقها اللفظة نفسها ذكر ابن قتيبة المعنى المناسب مستدلا بقول العرب. من مثل شرحه لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾[السجدة 15] أي: بطلنا ولحقنا بالتراب. ويقال : أضلّ القوم ميّتهم، أي: قبروه قال النابغة:

وَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ

أي قابروه.[3]

---

(1) تأويل مشكل القرآن: ص457. انظر مفردات الراغب: ص300.
(2) المصدر نفسه: ص457. انظر مفردات الراغب: ص300.
(3) المصدر نفسه: ص457. قال الراغب في الآية ص301: « كناية عن الموت واستحالة البدن ».

وذكر ابن قتيبة في باب من أبواب المشكل «دخول بعض حروف الصفات مكان بعض». مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه 70] قال ابن قتيبة: أي على جذوع النخل. قال الشاعر:

وَهُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ ۞ فَلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلاَّ بِأَجْدَعَا[1]

وقال عنترة:

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ۞ يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

أي على سرحة من طوله[2].

كما قام ابن قتيبة في باب من أبواب مشكلة تفسير حروف المعاني وما شاكلها من الأفعال التي لا تتصرف لرفع اللبس على كثير منها في القرآن الكريم. مثل ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾[الطلاق 8] أي وكم من قرية قال ابن قتيبة، وفيه لغتان:

'كأيّن' بالهمز وتشديد الياء، و'كائن' على تقدير قائل وبائع، وقد قرئ بهما جميعا في القرآن، والأكثر والأفصح تخفيها، قال الشاعر:

وَكَائِنْ أَرَيْنَا المَوْتَ مِنْ ذِي تَحَيُّةٍ ۞ إِذَا مَا ازْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لِمَأْثَمِ

وقال آخر[3] :

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ۞ زِيَادَتُهُ أَوْ نُقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ[4]

ويرى ابن قتيبة أن 'سِوى' و'سُوى' بمعنى غير، وهما جميعا في معنى بدل، وهي مقصورة وقد جاءت ممدودة مفتوحة الأول، وفي معنى غير. قال ذو الرُّمَّة:

وَمَا تَجَافَى الغَيْثُ عَنْهُ فَمَا بِهِ ۞ سَوَاءَ الحَمَامِ الحُضَّنِ الخُضْرِ حَاضِرُ[5]

---

(1) البيت غير منسوب في أدب الكاتب، والإقتضاب، والبحر المحيط، وتفسير الطبري والصاحبي والكامل، وهو في اللسان لامرأة من العرب. محقق كتاب مشكل القرآن سيد صقر: ص567.

(2) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص567. والسرحة: ضرب من الشجر، ويُحذى: يلبس. والسِّبت -بالكسر- كل جلد مدبوغ، وفي اللسان ج2 ص343. « مدحه بأربع خصال كرام: أحدها أنه جعله بطلا أي شجاعا، والثاني: أنه جعله طويلا، شبهه بالسرحة، والثالث: أنه جعله شريفا للبسه نعال السبت، الرابع أنه جعله تام الخلق ناميا لأن التوأم يكون أنقص خلقا وقوة وعقلا وخُلقا. محقق المشكل: سيد صقر: ص567.

(3) البيت لزهير .

(4) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص519.

(5) سوى: غير، الحمام: جمع حمامة، الحضن: جمع حاضنة. الخضر: جمع أخضر. يصف ماء ومفازة بعيدة عن الريف. وقيل: أراد ماء بئر لا ماء مطر. محقق المشكل السيد أحمد صقر: ص521.

يريد غير الحَمَام.

و'سَوَاء' -مفتوحة الأول ممدودة- بمعنى: وسط قال: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾[الصافات 55]، أي في وسطه. وقد جاءت أيضا بمعنى: وسط، مكسورة الأول مقصورة. قال الله تعالى: ﴿ مَكَانًا سِوًى ﴾[طه 58] أي وسطا[1]. وعلى هذا النمط سار ابن قتيبة في تفسير المشكل اللّغوي في كتابه مساهما في حل إشكالات النص القرآني وما يوهم التناقض.

الغريب

كثرت الدراسات حول غريب القرآن كثرة لم يصل إليها ركن من أركان التّفسير اللّغوي، أو فن من فنون القرآن.وبين السيوطي وجه أهمية الغريب، يقول: « إن القرآن إنّما نزل بلسان عربيّ في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنّما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله تعالى:﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[الأنعام 82] فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسره النبي ﷺ بالشرك واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان 12].وكسؤال عائشة عن الحساب العسير فقال: ذَلِكَ العَرْضُ، وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود، وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التّفسير.ومعلوم أن التّفسير بعضه يكون من قبل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض »[2]. والتصنيف في هذا الفن أقدم ما ألف وما كتب في علوم القرآن وأول وجوه التّفسير اللّغوي ظهورا. وأول ما عُرف مصطلح 'الغريب' كان عند عبد الله ابن عباس رئيس التّفسير اللّغوي ومؤسس مدرسته وكان ذلك في مجلسين من مجالسه، مرة في سياق التأويل حين يقول: « إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب »[3]. ومرة مقرونة بالعربية والشعر والكلام حين كان يأمر صاحبه أن يخرج للناس وقد اجتمعوا على بابه ليقول لهم: « من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ص521.
(2) الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص113.
(3) المصدر نفسه : ج1 ص157.

من كلام فليدخل »[1]. وقد سبق وأن أشرنا في الفصل الأول إلى تلك المحاورة التي وقعت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق وعرضت جزءا منها[2]. ومما لاشك فيه أن ابن عباس وضع نواة 'المعجم العربي' وكان من الفاتحين الرواد. يقول أحمد عبد الغفور عطار: « وصنيع ابن عباس ﷺ، صنيع معجم، فهو قد وقف على لغات العرب ونوادرها وفصحها ودلالات مفرداتها، وأعانه رسوخه في اللغة وعلمه بها أن يفسر للناس معاني الألفاظ تفسير لغويا »[3]. ومن تلامذة ابن عباس الذين أخذوا عنه علم الغريب يحي بن يعمر، وصفه الزبيدي بقوله: « كان فصيحا بالغريب »[4]. وهناك آخر يعد ممن اختطوا طريق التأليف اللغوي ولعله سار على نهج ابن عباس، أو سار على نهجه حقا، وذلك هو أبان ابن تغلب بن رباح الجريري، أبو سعيد البكري مولى بني جرير بن عباد، وكنيته أبو أميمة (141هـ)، وكان قارئا فقيها لغويا إماما ثقة عظيم المنزلة، روى عن علي بن علي بن الحسين، وأبي جعفر وأبي عبد الله عليهم السلام، وسمع من العرب وألف 'غريب القرآن' وذكر شواهده من الشعر[5]. ثم بدأ هذا التعبير في الانتشار حتى كاد يكون مظهرا من مظاهر الدراسة اللغوية، ولقد استفاض التأليف في الغريب من وقت مبكر في سياق تفسير القرآن والحديث، ومن أوائل الكتاب الذين ألفوا في غريب القرآن خلال القرون الأولى أبو عبيدة ومؤرج السدوسي(195هـ) وأبو محمد اليزيدي وأبو عمر الزاهد (345هـ) وابن دريد (321هـ) ومن أشهر كتب الغريب بعد القرن الثالث كتاب العزيزي(330هـ) فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو شيخه أبو بكر بن الأنباري[6]. وترجع البداية الحقيقية لشرح غريب القرآن واستعمال الأداة اللغوية في التفسير إلى تلك المحاولة التي وقعت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق[7]، إذ عدت الأساس الأول الذي بني عليه علم غريب القرآن والمنهج اللّغوي في التفسير.

وغريب ألفاظ القرآن هي التي يغيب معناها عن العامة أو الخاصة لأن الغريب يرجع إلى المعنى وإلى المجاز حينا آخر وإلى الإعراب. وأصول هذا التعريف ترجع إلى معنى 'الغرابة' في القول والناس، فالغريب من الناس إنّما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، والغريب

---

(1) حلية الأولياء أبو نعيم: ج1 ص320.
(2) انظر الصفحة من 30 إلى 33 من هذا البحث.
(3) مقدمة الصحاح : ص28.
(4) طبقات النحويين واللغويين: ص23.
(5) معجم الأدباء ياقوت لحموي: ج1 ص67. بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص404.
(6) «أبو بكر السجستاني صنف غريب القرآن المشهور فجوده، يقال: أنه صنفه في خمس عشرة سنة وكان يقرؤه على شيخه ابن الأنباري ويصلح فيه مواضع.» بغية الوعاة للسيوطي: ج1 ص171.
(7) انظر تساؤلات نافع بن الأزرق لابن عباس الصفحة 30 إلى 33 من هذا البحث.

من الكلام إنّما هو الغامض البعيد من الفهم[1]، وكان الصحابة رضيّ الله عنهم يُسمُّون فهم هذا الغريب 'إعراب القرآن' لأنهم يستبينون معانيه ويخلصونها[2].

فغرائب القرآن لا يراد بها الألفاظ المنكرة أو الشاذة، فإن القرآن منزه عن هذا. قال الراغب الأصفهاني في مقدمة مفرداته: « ألفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء ... وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء ... وما عداها...كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة »[3]. وإنّما هجر الخلف لصميم العربية وانسياق الدخيل عليها واحتكاكها بالعجم وإغراقها في الترف والحضارة باعد بينها وبين الإهتمام بلغتها حتى وجب أن يجمع لمفرداتها كتب خاصة تعرف المنتمين إليها حقائقها. وأورد أبو سليمان الخطابي(388هـ) معنى لفظ 'الغريب' واشتقاقه بشكل أكثر تفصيلا ودقة، حيث قال: « الغريب من الكلام إنّما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنّما هو البعيد عن الوطن والمنقطع عن الأهل، ومنه قوله للرجل إذا نحيته وأقصيته: أغْرُبْ عَنّي: أي أبعد، ومن هذا قوليم: نَوًى غَرْبَةٌ: أي بعيدة، وشأوٌ مُغْرَبٌ وعَنْقَاء مُغْرَبٌ: أي جَانِية من بُعد، وكل هذا مأخوذ بعضه من بعض، وإنّما يختلف في المصادر، فيقال: غَرَبَ الرجل يَغْرُبُ غَرْبًا إذا تنحى وذهب، وغَرُبَ غُرْبَةً إذا انقطع عن أهله، وغَرُبَتْ الكلمة غَرَابَة ، وغَرَبَت الشمس غُرُوبًا، ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به بعيد كلام من بَعُدَتْ به الدار ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنّما هي كلام القوم وبيانهم، وعلى هذا جاء عن بعضهم وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب. فقال: هو كلام القوم إنّما الغريب أنت وأمثالك من النُّخَلاَء فيه»[4].

وقد أشار أحمد بن فارس (395هـ) إلى اللفظ الغريب في باب : « مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله ».وذكر الكلام المشكل وعدّد جملة من العوامل المؤدية إلى الإشكال ومن بينها غرابة اللفظ، التي ساق لتوضيحها مجموعة من الشواهد قائلا[5] : « فأما المشكل الغرابة اللفظة، فقول القائل: يَمْلَخُ في الباطل مَلْخًا –أي يردد فيه ويكثر منه[6]–، ينفُضُ مِذْرَوَيْهِ –إذا جاء باغيا يتهدد[7]–، وكما جاء أنه قيل أيُذَالِكُ الرَّجُل المرأة؟ قال : نعم إذا كان مُلَفَّجًا[8]» .

---

(1) جاء في اللسان ج5 ص3226: « رجل غُرُبٌ. بضم الغين والراء، غريب : بعيد عن وطنه، الجمع الغرباء... والغريب: الغامض من الكلام.» انظر تعريف الغريب في كشف الظنون: ج2 ص1203.
(2) أصول التفسير وقواعده عبد الرحمن النعك : ص151.
(3) مفردات الراغب : ص10.
(4) غريب الحديث. الخطابي. ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. جامعة أم القرى، 1983. ج1 ص70–71.
(5) الصاحبي : ص74.
(6) انظر اللسان 'ملخ' : ج6 ص4260.
(7) انظر اللسان 'ذرا': ج3 ص1501.
(8) انظر اللسان 'دلك': ج2 ص1412 : « وذالكَ الرجل غريمَه، أي مَاطلهُ، وسئل الحسن أيُذَالِكُ الرَّجُل امرأتَه؟ فقالَ: نعم إذا كانَ مُلَفَّجًا » وملفج: أي مفلس» انظر الصحاح 'لفج': ج5 ص4052.

وعرض ابن الأثير(630هـ) اللفظ الغريب فقسمه إلى خاص وعام فقال: « فأما الخاص فهو ما ورد من الألفاظ اللّغوية والكلمات الغريبة الحشوية التي لا يعرفها إلا من عنى بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانها وقليل ما هم، فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الألفاظ أهم مما سواه، وأولى مما عداه، مقدما على الرتبة على غيره، ومبدوأ في التعريف بذكره إذ الحاجة إليه ضرورية في البيان لازمة في الإيضاح والعرفان، ثم معرفته تنقسم إلى معرفة ذاته وصفاته. أما ذاته فهي معرفة وزن الكلمة وبنائها وتأليف حروفها وضبطها لئلا يتبدل حرف بحرف أو بناء ببناء. وأما صفاته فهي معرفة حركاته وإعرابه...فمعرفة الذات استقل بها علماء اللغة والاشتقاق، ومعرفة الصفات استقل بها علماء النحو والتصريف، وإن كان الفريقان لا يكادان يفترقان لاضطرار كل منهما إلى صاحبه في البيان»[1].

وشرح غريب القرآن يشكل جزءا رئيسيا في كتب التّفسير جميعها على اختلاف اتجاهاتها وتنوع مذاهب أصحابها،من علماء اللغة إلى نحاة إلى فقهاء إلى علماء الكلام إلى الصوفية. فنراهم جميعا يضمون في تفاسيرهم شرحا لمعاني هذه الألفاظ التي سموها غريب القرآن ولابد أن تفسر ألفاظ الغريب على قاعدة مراعاة اللغة التي نزل بها القرآن. واستعمالات الكلمة في لغة العرب، إذ مرجع معرفة الغريب تعود أساسا إلى النقل وهذا إنّما يكون بالإحاطة الشاملة باللغة أو بأكثرها.وقد يكون للرأي هنا مجال كالترجيح بين غرائب لغات العرب. يقول العلامة حجة الله الدهلوي صاحب الفوز الكبير:« من جملة ذلك شرح الغريب، وبناؤه على تتبع لغة العرب أو التقطن لسياق الآية وسابقتها، والعلم بمناسبة اللفظ بأجزاء الجملة وقع فيها، فهاهنا أيضا مدخل للعقل وسعة للإختلاف، لأن الكلمة الواحدة تجيء في لغة العرب لمعان شتى، والعقول مختلفة في تتبع استعمال العرب، والتقطن لمناسبة السابق واللاحق، لهذا اختلف أقوال الصحابة التابعين في هذا الباب، وكل سلك مسلكا، فينبغي للمفسر المصنف أن يزن شرح الغريب مرتين؛ في استعمال العرب مرة، وفي معرفة أقوى الوجوه وأرجحها، ومناسبة السابق واللاحق أخرى فيعلم أي الوجهين أولى وأقعد بعد إحكام المقدمات وتتبع موارد الاستعمال وتفحص الآثار»[2]. قال السيوطي: « وليتثبت في تفسير غريب وقع في القرآن أو في الحديث »[3]. ويؤكد السيوطي أن الغريب يجب أن لا يخوض فيه الخائضون إلا بعد « التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن، وعدم الخوض بالظن، فهذه الصحابة وهم العرب العرباء، وأصحاب

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر. مجد الدين أبي السعدات المبارك محمد الجزري ابن الأثير. ت: طاهر أحمد الزواي، محمد الطناحي. بيروت: الناشر المكتبة الإسلامية، دار إحياء التراث العربي. ص4.

(2) الفوز الكبير في أصول التفسير. حجة الله الدهلوي. بيروت دمشق: مط دار قتيبة. (1409هـ-1989م).ص100.

(3) المزهر في علوم اللغة: ج2 ص325.

اللغة الفصحى، ومن تنزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا فيها شيئا»[1]. وفي المزهر عقد السيوطي فصلا عن التثبت في غريب القرآن فقال:« وليتثبت كل التثبت في تفسير غريب وقع في القرآن »[2].

وذكر صاحب الإتقان أن الغريب يحتاج الكاشف له إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالا وحروفا، فقال في النوع السادس والثلاثين 'في معرفة غريب القرآن': « معرفة هذا الفن ضرورية...يحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة وأسماء وأفعالا وحروفا، فالحروف لقلتها تكثر النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم، وأما الأسماء والأفعال فتؤخذ من كتب علم اللغة »[3]. فنلاحظ من مقولة السيوطي ذلك التطور الذي حدث في علم غريب القرآن، إذ كان يعرف على عهد ابن عباس ومن تلاه من تلاميذه بتلك الألفاظ المستعصية على الفهم،ثم صار ينتبي إلى تقسيمه حسب أقسام الكلمة العربية فمس الاسم والفعل والحرف طبقا لتقسيمات النحاة.

ولقد كان لبحوث الغريب في العصور الأولى أكبر الأثر في ظهور المنهج المعجمي لتفسير لغة مفردات القرآن الكريم فيما بعد، وبرع في هذا وأجاد الراغب الأصفهاني(502هـ) في كتابه 'المفردات'. إذ تتبع أغلب ألفاظ القرآن الكريم ورتبها على الطريقة الحديثة في تنسيق المعاجم، فقام بعمل جليل يكاد لم يسبق إليه في بابه. وعلى نهج الراغب في تفسير غريب القرآن سار مجمع اللغة العربية في القاهرة فأصدر معجم ألفاظ القرآن الكريم في مجلدين ضخمين قام بإعداده جماعة من العلماء والأساتذة والمتخصصين،وما زالت هذه المجهودات وتلك عيال على بحوث الأقدمين حول الغريب في القرآن.

وأحسن الطرق في شرح الغريب ما اعتمده علماء اللغة وأقره المفسرون قاطبة. وهو ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة، وخاصة من طريق ابن أبي طلحة[4]. الذي اعتمده البخاري غالبا، ثم طريق الضحاك[5] عن ابن عباس.واتبع علماء الفترة الأولى في تعاملهم مع الغريب مناهج عدة نجملها في ثلاثة منها :

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: ج1 ص113.
(2) المزهر في علوم اللغة: ج2 ص325.
(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ج1 ص150
(4) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة بن سهل المتوفي سنة 132هـ. الفوز الكبير في أصول التفسير : 46.
(5) الضحاك بن مزاحم الهلالي التابعي توفي سنة 105هـ. المرجع نفسه: ص46 و47.

المنهج الأول: الترتيب حسب السور، بحيث رتب أصحابه غريب كل سورة، بداية من الفاتحة.

وقد سار على هذا المنهج علماء كثيرون أبرزهم ابن قتيبة في كتابه 'غريب القرآن'.

المنهج الثاني: ترتيب الكلمات الغريبة حسب ترتيب المواد اللّغوية بعد التجريد من الزوائد، وهذا النوع من التصنيف قليل في هذه الفترة، وكان ابن حيان الأندلسي من علماء القرون المتأخرة أكثر المتخصصين في هذا الصنف من خلال كتابه 'تحفة الأريب'[1]. وكتابه هذا أكثر وضوحا وعمقا من مصنفات الأولين.

المنهج الثالث: الترتيب حسب الحرف الأول وترتيبه على حروف المعجم،لكنه لا ينظر إلى الكلمة إلا من حيث الكلمة التي وضعت فيه من تجريد من الحروف الزائدة.

ويبقى المنهج الأول أكثر المناهج سريانا خلال القرون الثلاثة الأولى، وهو أيضا أقرب منالا من كتب المؤلفة على حسب حروف المعجم. لأن الطالب لمعرفة غريب الآية أو السورة يجد طلبته مجموعة أمامه، ولا يبذل ذهنه في الكشف عن معاني الكلمات في مواردها المختلفة. وسبب هذا النوع من التأليف على هذه الطريقة في هذه الفترة: أنه كان له بالتّفسير علاقة متينة، إذ لم يكن تأليفا في باب اللغة، بقدر ما كان يرمي إلى التّفسير بهذه اللّغة.

ولنأخذ نموذجا من كتب الغريب مع شيء من التحليل والدراسة لتتبين لنا من خلالها قيمة الغريب ضمن حركة التّفسير اللّغوي وقوة أثر بحوث اللغة في كل ذلك.

كتاب غريب القرآن لابن قتيبة ومنهجه اللّغوي في التّفسير

وهو أشهر ما ألف في هذه الفترة وفق المنهج الأول، وإن كان قد سبقه إلى التأليف في الغريب كثيرون[2]. إلا أن كتاب ابن قتيبة كان أكثر توفيقا من غيره، وأحسن ما مثل التّفسير اللّغوي في جانب من جوانبه، وإن كانت مساهمته لا ترقى إلى مستوى مجاز ابن قتيبة أو معاني الفراء والأخفش،

---

(1) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون: ج1 ص362.

(2) ذكر منهم محقق غريب القرآن السيد صقر عشرة. انظر مقدمة محقق تفسير غريب القرآن. وقد لاحظ المحقق أن « الأسماء الثلاثة 'غريب القرآن ومعاني القرآن ومجاز القرآن' مترادفة أو كالمترادفة في عرف المتقدمين». ولا أدري طريقة استنباط الأستاذ لهذا المفهوم رغم الفارق الشاسع بين ما يسمى بغريب القرآن وبين كتب المعاني، إذ لكل مادته وموضوعه رغم النقاط المشتركة من جهة الموضوع. فكتب معاني القرآن قد تضم بعض ما في كتب الغريب لكنها لا تترصد لكل ما هو غريب في القرآن، كما تفعل كتب الغريب. أما كتب المعاني فلها مباحث كثيرة زائدة لا تتطرق لها كتب الغريب بشكل مركز ومقصود. إلا أن كلام الأستاذ قد يحمل على أحسن المحامل، فقد يريد أن كتب الغريب والمعاني هي كالوحدة الواحدة في باب الشرح اللغوي لألفاظ القرآن وأساليبه، فهي بالإضافة إلى العناصر المشتركة بينها فإنها مكملة لبعضها البعض، كما أنها تلخص في مجموعها بعض الصور التعامل اللّغوي في القرآن الكريم.

لضيق المعاجلة اللّغوية واختصاصها بالغريب. إلا أن ابن قتيبة قد ساهم بكتابه مساهمة فعالة وخاصة في إثراء وجه من أكثر وجوه التّفسير اللّغوي تأثيرا،لاختصاصه بالمفردة القرآنية وما يحيط بها من أحوال لغوية.

وكتاب 'غريب القرآن' في حقيقة أمره تتمة لكتاب 'التأويل مشكل القرآن' لأن اللفظ الغريب من غامض المشكل الذي أراغ ابن قتيبة إلى توضيحه وتبيين دقيقه، وإنّما أفرد الغريب بكتاب لئلا يطول كتاب المشكل، وهو يحرص أشد الحرص على أن تكون كتبه وجيزة لدفع السآمة التي يجنيها التطويل والإكثار .

ولا يمكن التعرض لكتاب الغريب للتعرف على قوة تأثير هذا الوجه التّفسيري في العملية التّفسيرية بصفة مجملة، إلا إذا اتبعت لذلك عناصر أكثر دقة تبين بوضوح منهج ابن قتيبة في كتابه 'الغريب'.

أولا : المنهج العام للكتاب.

1- تفسير ألفاظ كثر ترددها في الكتاب.

2- التنظيم الداخلي لتفسير الغريب وشرحه.

ثانيا: منهجه في شرح الألفاظ الغريبة وتوثيق معانيها .

1- ذكر الألفاظ الغريب وبيان معانيها

2- توثيق المعاني

أولا: المنهج العام للكتاب

يخبرنا ابن قتيبة بأن كتابه الغريب مستنبط من كتب المفسرين وأصحاب اللغة العالمين، وأنه لم يخرج فيه عن مذاهبهم ومعانيهم ولم يتكلف في شيء منه إلا الافصاح عن ألفاظهم بلفظه، واختياره في تأويل الحرف أولى الأقوال في لغة العرب وأشبهها بقصة الآية التي يفسرها[1]. ثم يقول إنه نبذ منكر التأويل، ومنحول التّفسير، لذلك اتبع هنا مسلكين في التبيين:

1 – تفسير ألفاظ كثر ترددها في الكتاب

ولكنه قبل التعرض لهذه الألفاظ بالشرح والتحليل يسبقها بشرح مجموعة ألفاظ أخرى تتعلق بأسماء الله جل جلاله وصفاته.

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص4.

أ – اشتقاق أسماء الله وصفاته وإظهار معانيها :

قام ابن قتيبة في هذا الباب بتفسير ستة وعشرين حرفا من الحروف المعبرة عن ذلك، مفتتحا بها كتابه، مظهرا لأصولها ومعانيها اللّغوية والاصطلاحية. ومن الملاحظ أن ابن قتيبة هنا لم يتعرض لجميع اشتقاقات الأسماء الحسنى والصفات العلا، وإنّما اقتصر على بعض منها دون الأخرى. ولعله فعل ذلك لتفسير غرابة رآها في هذه الأسماء أو تلك الصفات أو ما أحيط بهذه الأسماء بمعان غريبة غرابة مفتعلة، لا سيما وعصر ابن قتيبة قد أدركته كثيرا من الثقافات الأجنبية، وامتزجت بعلومه فلسفات الأمم الأجنبية التي لم يتورع أصحابها حتى بإدخالها في مجال العقيدة، وما يتعلق بأمور الذات العلية وصفاتها والسّنية. وقد ذهبت الفرق في ذلك مذاهب لا تحصى، وجانبوا فيها الصواب والحق، وأغرقوها بالتعليلات المنطقية حتى صار بين معانيها الأصلية وما انتهت إليه من تلك المعاني المستحدثة بعدا شاسعا، وغرابة حقيقة نتيجة لذلك التأويل المنكر والتّفسير المنحول الذي ذكره ابن قتيبة في مقدمته[1]. فأراد أن يعود بالناس إلى ما ذهب إليه أهل الصواب من المفسرين واللّغويين، مبتدأ بها لشرفها على سائر المعاني، ومنبها إلى خطورة الحياد عن معانيها الصحيحة. لذلك أفرد لها بابا خاصا صدّر به كتابه، ولو جعلها ضمن التّفسير حيث مواقعها من السور لما نبه ذلك إلى كل الإشارات الجليلة التي ذكرها في هذه المقدمة.

ومن تلك الأسماء والصفات التي ذكرها ابن قتيبة: الرّحمن، الرّحيم، السّلام، القيوم، الرب، المؤمن، المهيمن، الغفور، الواسع، البارئ، الودود، ... وغيرها.

وانظر مثلا تفسيره لصفة « السّلام » قال: « ومن صفاته « السّلام». وقال: ﴿ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾[الحشر 23]. ومنه سمي الرجل: عبد السلام، كما يقال: عبد الله ». ثم ينتقل إلى تفسير هذه الصفة لغويا فيقول: « ويرى أهل النظر من أصحاب اللغة: أن 'السلام' بمعنى السلامة، كما يقال: الرَّضَاعُ والرِّضَاعَةُ، واللَّذَاذُ واللَّذَاذَةُ. قال الشاعر:

تُحَيِّي بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ ۞ فَهَلْ لَكِ -بَعْدَ قَوْمَكِ- مِنْ سَلَامُ؟ »

ومن خلال هذا المعنى ينتهي ابن قتيبة الى تحديد المعنى النهائي لهذه الصفة فيقول: « فسمّى نفسه -جلّ ثناؤه- «سلاما» : لسلامته مما يلحق الخلق[2] من العيب والنقص، والفناء والموت.

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص4.
(2) انظر مفردات الراغب: ص245.

قال الله جل وعز: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾[يونس 25]، فالسلام: الله، وداره: الجنة. يجوز أن يكون سماها 'سلاما': لأن السائر إليها سلَمُ من كل ما يكون في الدنيا من مرض ووصب، وموت وهرم، وأشباه ذلك، فهي دار السلام. ومثله: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[الأنعام 128]»[1].

– ومن صفاته «المهيمن» وهو عنده: « الشهيد . قال الله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة 50]. أي شاهدا عليه[2]. هكذا قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه. وروي عنه –من غير هذه الجهة– أنه قال: « أمينا عليه » وهذا أعجب إلي وإن كان التّفسيران متقاربين».

ثم يلجأ إلى حل هذه الغرابة من طريق اللغة، فيقول: « أهل النظر من أصحاب اللغة يرون: أن 'مهيمنا' اسم مبني من 'آمن'[3]، كما بني 'بَطيرٌ' و 'مُبَيْطِرٌ' و 'بَيْطَارٌ' من 'بَطَرَ' قال الطِّرِمّاحُ:

كَبَزْغِ البَطيرِ الثَّقْفِ رَهْصَ الكَوادِنِ»[4].

وقال النابغة :

شَكَّ المُبَيْطِرِ إذْ يَشْفي منَ العَضَدِ[5]

وكان الأصل، « مُؤَيْمِنٌ » ثم قلبت الهمزة هاء لقرب مخرجها»[6].

– ومن صفاته ما جاء على «فعيل» بمعنى «مُفْعِل» نحو «بَصيرٌ» بمعنى «مُبْصِرٍ» و«بَديعُ الخَلْق» بمعنى « مُبْدِعُ الخَلْق »[7]. كما قالوا : « سَميعٌ » بمعنى « مُسْمِعٍ» قال عمر بن مَعْدِ يكرب:

أمِنْ رَيْحانَةَ الدّاعي السَّميعُ »[8].

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص6، 7.

(2) قال الزمخشري في أساس البلاغة ص488: «وهيمن على كذا إذا كان رقيبا عليه حافظا والله عز سلطانه مهيمن»

(3) في اللسان: ج1 ص111« والمهيمن الشاهد وهو من أمن غيره من الخوف، وأصله «أأمَنَ» فهو «مُؤَأمِنٌ» بهمزتين، قلبت الهمزة الثانية ياء كراهة اجتماعهما، فصار «مُؤَيْمِنٌ» ثم صيرت الأولى هاء، كما قالوا: هراق وأراق، وقال بعضهم «مهيمن» معنى «مؤيمن» والهاء بدل من الهمزة. كما قالوا: هرقت وأرقت، وكما قالوا: إيّاك وهياك. قال الأزهري: وهذا على قياس العربية صحيح مع ما جاء في التّفسير أنه بمعنى «الأمين» وقيل: بمعنى «مُؤْتَمِنٌ»

(4) وصدره: « يُسَاقِطُها تَنْرَى بِكُلِّ خَميلَةٍ» يصف ثورا طعن الكلاب بقرنيه، والبطر: الشق، وبه سمي البيطار بيطارا، والثقف: الحاذق. والرهص: جمع رهصة وهي مثل الوقرة. وهي أن يذوى حافر الدابة من حجر تطؤه». المحقق. ص11.

(5) وصدره: « شَكَّ الفَريصَةَ بالمَدْرَي فأنْفَذَها » والمدري هنا: قرن الثور. يريد أنه ضرب بقرنه فريصة الكلب وهي اللحمة تحت الكتف التي ترعد منه ومن غيره. وعضد داء يأخذ الإبل في أعضائها. المحقق: ص12.

(6) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص12.

(7) قال الراغب في مفرداته ص49: « إذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله ».

(8) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص12 .

و« عَذَابٌ أَلِيمٌ » أي: مؤلم. « وَضَرْبٌ وَجِيعٌ » أي: مُوجِعٌ. ومنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[النساء 85] أي: كافيا. من قولك: «أَحْسَبَنِي هَذَا الشَّيْءُ» أي: كَفَانِي[1]، و«اللهُ حَسِيبِي وَحَسِيبُكَ» أي: كافينا، أي يكون حكما بيننا كافيا. قال الشاعر:

وَنُقْفِي وَلِيدَ الحَيِّ: إِنْ كَانَ جَائِعًا ✡ وَنَحْسِبُهُ : إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ[2]

أي نعطه ما يكفيه حتى يقول حسبي[3].

وعلى هذا المنوال يتابع ابن قتيبة سائر الأسماء والصفات الست والعشرين.

ب – تفسير ألفاظ كثر ترداد في الكتاب :

وقد فسر من تلك الألفاظ أربعين حرفا. وهي كما قال:« حروف كثرت في الكتاب ».فرأى أن يخصص لها بابا مستقلا يكون عونا للقارئ على الولوج إلى ما سيورده ابن قتيبة من غير أن تحول بينه وبين الفهم السليم تلك الألفاظ، وهي كثيرة الوقوع داخل النص. فجمعها في باب واحد يغني متصفح الكتاب عن كثير من العنت. وكذا ذكر منها ابن قتيبة أربعين حرفا كالجن، الإنس، الملائكة، إبليس، اللعن، الفسق، النفاق، الشرك، الإفك، الفجور، السلطان، القرآن، السورة، الآية، التوراة، الإنجيل والزبور وغيرها من الكلمات والعبارات.

لنأخذ مثلا لفظة 'الإنس' يقول ابن قتيبة:« وسمي « الإنس » إنسا: لظهورهم وإدراك البصر إياهم. وهو من قولك: آنَسْتُ كَذَا، أي: أبصرتُه. قال الله جل ثناؤه ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾[طه 9] أي أبصرت.

وقد روى ابن عباس أنه قال: إنّما سمي إنسانا: لأنه عُهِد إليه فنَسِيَ[4]! ويرى وابن قتيبة أن ما ذهب إليه ابن عباس يؤيده المنطق اللّغوي وأن اللّغويين ذهبوا إلى ذلك. يقول: « وذهب إلى هذا قوم من أهل اللغة، واحتجوا في ذلك بتصغير إنسان. وذلك: أن العرب تصغر « أُنَيْسِيَان » بزيادة ياء، كأن مكبره « إِنْسِيَانٌ» – إِفْعِلاَنٌ– من النسيان. ثم تحذف الياء من مكبره استخفافا: لكثرة ما يجري على اللسان، فإذا صُغر رجعت الياء ورد إلى أصله لأنه يكثر مصغرا كما يكثر مكبرا. والبصريون يجعلونه « فُعَيْلاَنًا » على التّفسير الأول. وقالوا: زيدت الياء في تصغيره كما زيدت في تصغير ليلة، فقالوا: لُيَيْلَةٌ وفي تصغير رجل، فقالوا: رُوَيْجِلٌ »[5].

---

(1) كذلك شرحها الزمخشري في أساس البلاغة: ص83.

(2) قوله: نقفيه: أي نؤثره بالقفية، ويقال لها القفارة أيضا، وهي ما يؤثر به الضيف والصبي. محقق غريب القرآن لابن قتيبة: ص17. والبيت غير منسوب .

(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص17.

(4) انظر مفردات الراغب: ص18.

(5) تفسير غريب القرآن: ص21 22.

وكذلك شرح ابن قتيبة لفظة « الشرك» فقال: « و'الشرك' في اللغة مصدر شَرِكْتُهُ في الأمر أَشْرَكُهُ، وفي الحديث: أن معاذا أجاز بين أهل اليمن الشرك. يراد في المزارعة أن يشترك فيها رجلان أو ثلاثة. فكان الشرك بالله هو أن يجعل له شريكا قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[يوسف 106]. قال أبو عبيدة: « كانت تلبية أهل الجاهلية: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. فأنزل الله هذه الآية»»[1].

- وكلمة: « 'النفاق' في اللغة « مأخوذ من نَافِقَاءِ اليَرْبُوع »[2]. وهو جحر من جِحَرَتِهِ يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي دخل فيه. فيقال: قد نَفَقَ ونَافَقَ، شبه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. وكذلك المنافق يدخل في الإسلام ويخرج منه بالعقد...والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه »[3].

- و« القرآن » عند ابن قتيبة « من قولك: ما قرأت الناقة سَلَى قطُّ، أي: ما ضمت في رحمها ولدا. وكذلك ما قرأت جنينا. وأنشد أبو عبيدة:

هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

وقال في قوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[القيامة 16] أي تأليفه. قال: وإنّما سمي قرآنا لأنه جمع السورة وضمها، ويكون القرآن مصدرا كالقراءة، يقال: قرأت قراءة حسنة وقرآن حسنا. وقال الله: ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[الإسراء 78] أي قراءة الفجر، يعني صلاة الفجر. قال الشاعر في عثمان بن عفان ﷺ :

ضَحُّوا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ۞ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا.

أي تسبيحا وقراءة »[4].

ويفعل ابن قتيبة مع باقي المفردات مثل ما فعل مع ما ذكرت من النماذج، وهي كما تظهر شروحات لغوية صرفة، يحاول ابن قتيبة في كل مرة أن يربط الدلالة اللغوية بالدلالة الاصطلاحية الشرعية، مستدل على ما يذهب إليه بأقوال العرب وأشعارها ليكسي شروحاته بتلك الشرعية الممثلة في لغة القرآن.

---

(1) تفسير غريب القرآن: ص27 .
(2) انظر مفردات الراغب: ص504. أساس البلاغة للزمخشري: ص469.
(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص29.
(4) المصدر نفسه: ص33، 34.

2 ـ التنظيم الداخلي لتفسير الغريب وشرحه

وافق ابن قتيبة سائر المفسرين اللّغويين وكتّاب الغريب في طريقة تنظيمه الداخلي لتفسير الغريب، وخاصة أبي عبيدة الذي يبدو تأثره به شديدا حتى في طريقة شرحه، كما اعتمد على الفراء أكبر اعتماد، وانتفع بالكاتبين انتفاعا عظيما.

وفي كتابه غريب القرآن عمل ابن قتيبة على تنظيمه وترتيبه وتنقيته من الاستطراد الذي تموج به كتب اللّغويين وخاصة من نهجوا مسلك الجاحظ في التأليف. وقد أنبأنا ابن قتيبة في صدر كتابه الغريب بقوله:« وغرضنا الذي امتثلنا في كتابنا هذا : أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل وأن نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل وأن لا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد»[1].

ونجمل طريقة ترتيب ابن قتيبة لتفسير الغريب في النقاط التالية:

2-1 غلبة الطابع اللّغوي على النقول الأثرية، وهذا أمر طبيعي من عمل لغوي يراد منه تفسير المفردات القرآنية وشرح معانيها. وقد يكثر من الشرح والتعليق لتوضيح المعنى اللّغوي خاصة، الذي هو طريق فهم تلك الألفاظ على حقيقتها. من ذلك شرحه لصفة «الربُ» إذ يقول: « الرّب المالك، يقال هذا ربُّ الدار، وربُّ الضيعة، ورب الغلام أي مالكه، قال الله سبحانه: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف 50] أي إلى سيدك، ولا يقال لمخلوق: هذا الرّبُ معرفا بالألف واللام كما يقال لله، إنّما يقال: هذا ربٌ كذا، فيعرف بالإضافة، لأن الله مالك كل شيء فإذا قيل الربُ دلّك الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: ربٌ كذا وربُ كذا نسب إلى شيء خاص لأنّه لا يملك شيئا غيره »[2].

وعلى هذا المنوال في الشرح والتعليق والترتيب ذكر ابن قتيبة تأويل جميع الأسماء التي ذكرت في الكتاب العزيز وسائر المفردات الغريبة مع تقويتها في بعض الأحيان بالآيات والحديث أو الأشعار.

2-2 تفسير غريب الكلمات القرآنية على حسب ترتيب المصحف. هو في هذا متبعا لطريقة المفسرين من أصحاب اللغة كأبي عبيدة والفراء والأخفش، الذين سنوا الطريق المثلى للمفسر اللّغوي في تناوله للعمل التّفسيري كي لا تخرج أعمالهم عن إطارها التّفسيري. وفي هذا العنصر اتبع ابن قتيبة طريقتين:

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص3.
(2) المصدر نفسه: ص09.

أ- **إما يذكر الكلمة مستقلة عن الآية ثم يتبعها بالشرح**، ومثال ذلك في النماذج التالية:

- « العَالَمُونَ »[1]: أصناف الخلق الروحانيين، وهم الإنس والجن والملائكة، كل صنف منهم عالم[2].

- « الغَمَامُ »[3]: السحاب. سمي بذلك لأنه يغم السّماء أي يسترها[4]، وكل شيء غطيته فقد غممته ويقال: جَاءَنَا بِإِنَاءٍ مَغْمُومٍ أي مغطى الرأس. وقيل له : سَحَابٌ بمسيرِهِ، لأنه كأنه ينسحب إذا سار[5].

- « وَلاَ تَعثُوا »[6]: من عثى، ويقال أيضا من عثا، وفيه لغة أخرى عَاثَ يَعِيثُ وهو أشد الفساد[7].

- « وَالخَيْلُ المُسَوَّمَةُ »[آل عمران 13]: الراعية . يقال : سَامَتِ الخيل فهي سَائِمَة إذا رعت. وأَسَمْتُهَا فهي مُسَامَةٌ ، وسَوَّمْتُهَا فهي مُسَوَّمَةٌ: إذا رعيتها. والمُسَوَّمَة في غير هذا: المعلَّمة في الحرب بالسُّومَةٌ وبالسِّمَاءِ أي بالعلامة[8]! وقال مجاهد: الخَيْلُ المُسَوَّمَةُ: المُطَهَّمَةُ الحِسَان، وأحسبه أراد أنها ذات سيماء. كما يقال: رجل له سيمَاءٌ، وله شَارَةٌ حسنة[9].

- « مَنْ قَضى نَحبَهُ »[الأحزاب 22] أي قُتِلَ. وأصل 'النحب': النَّذْرُ. وكان قوم نَذَرُوا -إن لقوا العدو- أن يُقَاتلوا حتى يُقْتَلُوا أو يَفتحَ اللهُ، فقُتِلُوا. فقيل : قَضَى نَحْبَهُ، إذَا قُتِلَ[10].

ب- ذكر الآية كاملة وشرح معاني ألفاظها لفهم السياق وتبسيط معناها. ومثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾[البقرة 09]، « يريد : أنهم يخادعون المؤمنين بالله، فإذا خادعوا المؤمنين بالله: فكأنهم خادعوا الله. وخداعهم أياهم، قولهم لهم إذا لقوهم: ﴿ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾[البقرة 13] أي: مردتهم﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة 13] وما يخادعون إلى أنفسهم: لأن وبال هذه الخديعة وعاقبتها راجعة عليهم وهم لا يشعرون»[11].

---

(1) الآية الأولى من سورة الفاتحة.
(2) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص38.
(3) من قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾[البقرة 56].
(4) انظر مفردات الراغب: ص367.
(5) تفسير غريب القرآن: ص49.
(6) من قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة 59].
(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص50.
(8) قال الراغب في مفرداته ص226:«والسِّيمَاءُ والسِّيمِيَاءُ العلامة. قال الشاعر: لَهُ سِيمِيَاء لا تُشَقُّ على البَصَر ».
(9) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص102.
(10) المصدر نفسه: ص349. انظر مفردات الراغب: ص187.
(11) المصدر نفسه: ص10.

- قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾[الإسراء 13] قال أبو عبيدة: « حظه. وقال المفسرون: ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه.

وهذان التفسيران يحتاجان إلى تبيين. والمعنى فيما أرى -والله أعلم-: أن لكل امرئ حظا من الخير والشر قد قضاه الله عليه، فهو لازم عنقه. والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه. وهو لازم صليف عُنُقِهِ[1]. وهذا لك عَلَيَّ وفي عنقي حتى أخرج منه. وإنّما قيل للحظ من الخير والشر: طائر، لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الخير. وجرى الطائر له كذا من الشر على طريق الفأل والطِّيَرَةِ، وعلى مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا فخاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطائر، هو مُلْزِمُهُ أعناقهم. ونحوه قوله: ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾[الأعراف 130]. وكان الحسن وأبو رجاء ومجاهد يقرؤون: « وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَيْرَهُ فِي عُنُقِهِ» بلا ألف. والمعنيان جميعا سواء، لأن العرب تقول: جَرَتْ له طيرُ الشمال. فالطير الجماعة، والطائر واحد »[2].

- وقوله: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾[الإسراء 13] أي نخرج بذلك العمل كتابا. ومن قرأ « ويخرج له يوم القيامة كتابا »، أراد: ويخرج ذلك العمل كتابا[3].

2-3 وقد يكون اللفظ له معنى يخالف معنى السياق، وكثيرا ما يجنح ابن قتيبة إلى هذا السبيل ليزيده بسطا وشرحا مثلما أورده في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾[البقرة 27]:« يريد أن الله سبحانه أمرهم بأمور فقبلوها عنه، وذلك أخْذُ الميثاق[4] عليهم، والعهد إليهم ونقضهم ذلك نبذهم إيّاه بعد القبول وتركهم العمل به[5].

2-4 ويلاحظ من تفسير غريب ابن قتيبة أنه لم يلتزم ذكر الغريب فقط في كتابه بل زاد في شرح ما يظن أنه يحتاج إلى شرح أو تفسير، إذ هي ألفاظ واضحة الدلالة لا غرابة فيها مثل قوله في سورة الفاتحة: « يَومَ الدِّينِ »: يوم القيامة. « الصِرَاط »: الطريق، « المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ »: اليهود، « الضَالِينَ»: النصارى واتباع الرجل هذه الطريقة قد تكون لأجل أمرين:

---

(1) الصليف: جانب العنق. انظر اللسان: ج4 ص2484.
(2) تفسير غريب القرآن : ص252.
(3) المصدر نفسه: ص252.
(4) الميثاق: عقد مؤكد بيمين وعهد. مفردات الراغب: ص527.
(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص44.

الأول : إنّما أراد إعطاء التأويل المتعارف عليه عند جميع العرب ليبقى عبر الدهور قائما مهما تطورت اللغة، لأن ما كان عند سالف العرب بديهيا أصبح في مجتمعه غريبا، وما هو في زمانه بينا قد يصير بعده شديد الغرابة، ففضل رحمه الله إدراج المعلوم في كتابه لأجل هذا السبب.

الثاني : أن بعض الشروح في حقيقتها تفسيرات رويت عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، وهو القسم الذي أشار إليه حين صرح أن كتابه مستنبط من كتب المفسرين[1]، فكان في أسلوبه يشبه المفسرين في أثناء تفسيرهم للقرآن فلا يغفلون عن تأويل أي شيء .

ثانيا: منهج ابن قتيبة في شرح الألفاظ الغريبة وتوثيق معانيها

أولا: بيان معاني الألفاظ

1- شرح الألفاظ: وللوقوف على منهجه العام في تناول معاني الألفاظ لابد من ملاحظة النقاط التالية:

1-1 بيان أصل اللفظة ومعناها : وهذا من الأمور المهمة في عملية الشرح ولاسيما إذا تعلق الأمر بمفردات القرآن الكريم، وابن قتيبة اتبع هذه المنهجية العلمية، ولم يكتف بذكر الألفاظ فقط، بل الرجوع إلى أصولها وربط هذه الأصول بمعانيها القديمة أو الجديدة أمر ضروري في مثل هذا الموقف.

وقد اتبع في ذلك طريقتين:

الطريقة الأولى: إيراد الأصل اللّغوي ، وذلك نحو:

- في قوله: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[البقرة 20]: يذهب بها[2]. وأصل الإختطاف: الإستلاب، يقال: اختطف الذئب الشاة من الغنم. ومنه يقال لما يخرج به الدلو: خُطّافٌ، لأنه يختطف ما علق به. قال النابغة :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ ۞ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ[3]

- « لاَ شِيَةَ فِيهَا »[البقرة 70] أي: لا لون فيها يخالف مُعظم لونها، كالقُرْحَةِ والرُّثْمَةِ والتَحْجِيلِ[4] وأشباه ذلك. والشية: مأخوذة من: شَيْتُ الثوبَ فأنا أَشِيَهُ وَشْيًا، وهي من المنقوص[5] .

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص04.

(2) قال الراغب في مفرداته ص158 : « الخطف والاختطاف : الاختلاس بالسرعة ».

(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص42.

(4) القرحة: الغرة في وسط الجبهة. اللسان: ج5 ص3573. وقيل : كل بياض يكون في الوجه. ورثمة: بياض في طرف الأنف. اللسان: ج3 ص 1581. والتحجيل: بياض يكون في القوائم. اللسان: ج2 ص789.

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص51. انظر الراغب في مفرداته ص539.

- « إِدَّارَأْتُمْ فِيهَا »[البقرة 71]: اختلفتم. والأصل: تَدَارَأْتُمْ. فأدغمت التاء في الدال. وأدخلت الألف ليسلم السكون للدال الأولى. يقال : كان بينهم تَدَارُؤٌ في كذا. أي اختلاف»[1].

- « أَوْ يَكْبِتَهُمْ » « قال أبو عبيدة : الكَبْتُ: الإهلاك[2]. وقال غيره : هو أن يغيظهم ويحزنهم...وهو بما قال أبو عبيدة أشبه...لأن أهل النظر يرون أن 'التاء' فيه منقبلة عن 'دال' كأن الأصل فيه: يَكْبِدُهُمْ أي يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيض وشدة العداوة ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده. وأحرقت العداوة كبده. والعرب تقول : أسود الكبد. قال الأعشى:

فَمَا أُجْشِمَتْ مِنْ إِتْيَانِ قَوْمٍ ۞ هُمُ الأَعْدَاءُ وَالأَكْبَادُ سُودُ

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة أسودت. ومنه يقال للعدو : كَاشِحٌ لأنه يخبأ العداوة في كَشْحِهِ . والكَشْحُ: الخاصرة، وإنّما يريدون الكبد لأن الكبد هناك. قال الشاعر :

وَأُضْمِرَ أَضْغَانًا عَلَيَّ كُشُوحُهَا[3]

والتاء والدال متقاربتا المخرجين، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى. وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولك : هَرَتَ الثوب وهَرَدَهُ: إذا خرقه، كذلك كبت العدو وكبده. ومثله كثير[4].

الطريقة الثانية: إيراد الأصل المعنوي، وذلك نحو قوله:

- « السَّائِحُونَ »[التوبة 112]: الصائمون. وأصل السائح: الذاهب في الأرض. ومنه يقال ماء سائح وسَيْحٌ إذا جرى وذهب. والسائح في الأرض ممتنع من الشهوات، فشبه الصائم به. لإمساكه في صومه عن المطعم والمشرب والنكاح[5].

- « لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ » [الرعد 14]« أي : لا يصير في أيديهم منه إذا دعوهم إلا ما يصير في يدي من قبض على الماء ليبلغه فاه. والعرب تقول لمن طلب ما لم يجد: هو كالقابض على الماء. قال الشاعر :

فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ ۞ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُهْ [6]

لم تَسِقْهُ : أي لم تحمله. والوسق: الحِمْلُ »[7].

---

(1) المصدر نفسه: ص54، 55. انظر الراغب في مفرداته: ص174.
(2) قال الزمخشري في أساسه ص384 : « كبت الله عدوك : كبه وأهلكه ».
(3) للنمر بن تولب. وتمامه : أقارضُ أقوامًا قَوَوْنِي قُرُوضَهُمْ * وَعِفُّ إِذَا أُرْدَى اللِّئَامُ شَحِيحُهَا
تَنَفَّذُ مِنْهُمْ لَافِذَاتٌ تَسُوءُنِي * وَأُضْمِرَ ..... المحقق: ص111.
(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص110، 111.
(5) المصدر نفسه: ص193. انظر أساس البلاغة للزمخشري: ص226.
(6) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي ومعناه: ليس في يدي شيء من ذلك كما أنه ليس في يد القابض على الماء شيء
(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص226.

- « الأَنْكَاثُ »[النحل 92]:« ما نقض من غزل الشعر وغيره. واحدها نِكْثٌ، يقول: لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثا»[1].

- « وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى »« أي لولا أن الله جعل الجزاء يوم القيامة، وسبقت بذلك كلمته لكان العذاب لزاما، أي ملازما لا يفارق. مصدر لازمته وفي تقديم وتأخير. أراد : لولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان العذاب لزاما»[2].

1-2 العناية بذكر المعاني المتعددة للفظة

تتبع ابن قتيبة الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى أو قد تكون من المشترك بذكر الأوجه الدلالية المختلفة لها، إمعانا في الشرح والتحليل من جهة وتمكين للقارئ من خلال السياق من الإطلاع على ما تتوفر عليه الألفاظ العربية من اتساع لغوي من جهة ثانية. ومثال هذا في كتابه الغريب نذكر ما يلي:

- « وقَدِّرْ فِي السَّرْدِ » [سبأ 11] أي في النسج، أي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتُكَسِّرَ الحلق ... والسَّرْدُ: الخرز أيضا[3]. قال الشماخ:

« كَمَا تَابَعَتْ سَرْدَ العِنَانِ الخَوَازِرُ »[4]

ويقال للإثفي : مِسْرَدٌ وَسِرَادٌ »[5].

- « وَإِذَا رَأَوا آيَةً يَسْتَسْخِرُون »[الصافات 14] « أي يسخرون. يقال : سَخِرَ واسْتَسْخَرَ، كما يقال: قَرَّ واسْتَقَرَّ ومثله: عَجِبَ واسْتَعْجَبَ... ويجوز أن يكون : يسألون غيرهم – من المشركين – أن يسخروا من النبي ﷺ . كما تقول : اسْتَعْتَبْتُهُ : سألته العُتْبَى، واسْتَوْهَبْتُهُ: سألته الهِبَةَ، واسْتَعْفَيْتُهُ: سألته العَفْوَ»[6].

- « لاَ فِيهَا غَوْلٌ »[الصافات 47] : « أي لا تغتال عقولهم، فتذهب بها. يقال: « الخمر غَوْلٌ للحِلْم، والحَرْبُ غَوْلٌ للنفوس». وغالني غَوْلاً. و'الغَوْلُ': البُعْدُ »[7].

- « فَسَاهَمَ » [الصافات 141] : « أي فَقَارَعَ... وقال ابن عُيَيْنَة : 'فساهم' أي قَامَرَ»[8].

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص283. كذلك ذهب إليه الراغب، انظر مفرداته ص506.
(2) المصدر نفسه: ص248. انظر أساس البلاغة للزمخشري: ص472.
(3) وهو تفسير الراغب في مفرداته: ص236.
(4) صدره : شَكَكْنَ بِأَحْشَاءِ الدَّنَايِي عَلَى هُدًى.
(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص354.
(6) المصدر نفسه: ص370.
(7) المصدر نفسه: ص370.
(8) المصدر نفسه: ص374.

وبالإضافة إلى هذه العناية بذكر المعاني المتعددة للفظة فإن ابن قتيبة قد يتوقف عند معنيين للفظ معين، فتارة يورد الاحتمالين دون الإشارة إلى أقربهم من السياق لجواز الوجهين معا ومثاله ما ذكرته من الامثلة الأخيرةوتارة أخرى يرجع المعنى المقصود فى السياق ويصرح بذلك، وهذه بعض الشواهد :

– « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ »[النمل 89]. قال أبو عبيدة: « وهو صورة. يقال : صُورَةٌ وصُوَرَ وصَوَرَ » قال: ومثله سُورَةُ البناء وسُورُهُ. وأنشد:

سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ[1]

قال : وسور المجد أعاليه، أي ينفخ في صُوَرِ الناس.

وقال غيره : الصُّور القرن بلغة قوم من أهل اليمن، وأنشد :

نَحْنُ نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْنِ ۞ بِالضَّابِحَاتِ فِي غُبَارِ النَّقْعَيْنِ[2]

نَطْحًا شَدِيدًا لاَ كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ

وهذا أعجب إلي من القول الأول. لقول رسول الله ﷺ : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدْ التَقَمَهُ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ »[3].

– و«الفُوم»[4]: فيه أقاويل: يقال: هو الحنطة. والخبز جميعا. قال الفراء[5]:« هي لغة قديمة يقول أهلها: فَوِّمُوا، أي اختبزوا. ويقال: الفوم الحبوب. ويقال: هو الثوم. والعرب تبدل الثاء بالفاء فيقولون: جَدَثٌ وجَدَفٌ. والمَغَاثِيرُ والمَغَافِيرُ. وهذا أعجب الأقاويل إلي لأنها في مصحف عبد الله:«وثُومِهَا »»[6]

–« وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ»[الزخرف 35] أي يظلم بصر. هذا قول أبي عبيدة. قال الفراء: « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ » أي يعرض عنه. ومن قرأه:« وَمَنْ يَعْشَ » بنصب الشين، أراد: من يعم عنه[7]. وقال في موضع آخر: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾[الكهف 101]. ولا أرى القول إلا قول أبي عبيدة. ولم أر أحدا يجيز:« عَشَوْتُ عن الشيء »: أعرضت عنه،

---

(1) معنى سُرْتُ: وَثَبْتُ.
(2) الضابحات: الخيل الصاهلة. اللسان: ج4 ص2546.
(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص25–26.
(4) من قوله تعالى : ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة 61].
(5) معاني القرآن للفراء: ج1 ص41.
(6) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص51.
(7) معاني القرآن للفراء: ج3 ص32.

إنّما يقال:« تَعَاشَيْتُ عن كذا »، أي تغافلت عنه كأني لم أره. ومثله «تَعَامَيْتُ» والعرب تقول:«عَشَوْتُ إلى النار »: إذا استدللت إليها ببصر ضعيف »[1] .

1- 3 التدقيق في ذكر المعاني المتقاربة :

توسع ابن قتيبة في الشرح والتحليل، كما تعمق في إيضاح الفروق اللّغوية بين الألفاظ المتقاربة في اللفظ والمعنى، فكتابه ميدان فسيح لذلك. ومن الأمثلة في هذا الباب:

- «ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً»[البقرة 206]: الإسلام. وتقرأ: في السَّلْمِ بفتح السين أيضا، واصل السلم الصلح. فإذا نصبت اللام فهو الإستسلام والإنقياد. قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾[النساء 94]: استسلم وانقاد[2].

- « وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ »[البقرة 220]: أي ينقطع عنهن الدم. يقال: طَهُرَتْ وطَهَرَتْ، إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء. ومن قرأ « يَطَّهَّرْنَ » أراد : يغتسلن بالماء. والأصل: « يَتَطَهَّرْنَ ». فأدغم التاء في الطاء[3].

- « يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ »[البقرة 228]: وهي الحيض، وهي الأطهار أيضا. واحدها قُرْءٌ، ويجمع على أَقْرَاءٍ أيضا. قال الأعشى :

وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ ۞ تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُوَرِّثَةٍ مَالاً وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةً ۞ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

فالقروء في هذا البيت الأطهار. لأنه لما خرج للغزو لم يغش نساءه فأضاع قروءهن أي أطهارهن.

وقال النبي ﷺ في المستحاضة: « تَقْعُدُ عَنِ الصَّلَاةِ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا »[4] يريد أيام حيضها قال الشاعر:

يَارُبَّ ذِي ضِبْغِنٍ عَلَيَّ فَارِضٍ ۞ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الحَائِضِ[5]

فالقرء في البيت: الحيض. يريد: أن عداوته تهيج في أوقات معلومة كما تحيض امرأة لأوقات معلومة.

---

(1) تفسير غريب القرآن: ص398.
(2) المصدر نفسه: ص81. انظر مفردات الراغب: ص246.
(3) المصدر نفسه: ص84.
(4) ورد الحديث في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي المتقي ابن حسام الدين الهندي البرهان فوي. ت: بكري جباني، صفوة السقا. بيروت: مؤسسة الرسالة، (1413هـ-1993م): « تقعد أيام اقرائها وتغتسل وتصلي عند ظهرها » .
(5) انشده ابن قتيبة في معاني الكبير. صححه الكرنكوي. بيروت: دار النهضة الحديثة، 1953م، ج2 ص850-1143. وقال في شرحه: « فارض: ضخم، قال الله تبارك وتعالى :﴿ لا فارض ولا بكر ﴾ [البقرة 67]. قروء: أي أوقات تهيج فيها عداوته. يقال: رجع فلان لقرئه : أي لوقته.

وإنّما جعل الحيض قرأ والطهر قرأ: لأن أصل القرء في كلام العرب: الوقت. يقال: رجع فلان لقرئه، أي لوقته الذي كان يرجع فيه. ورجع لقارئه أيضا. قال الهذلي:

كَرِهتُ العَقْرَ عَقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ ۞ إذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ[1]

أي لوقتها، فالحيض يأتي لوقت، والطهر يأتي لوقت »[2].

1- 4 منهج ابن قتيبة في إيراد المادة اللّغوية

لم يكن ابن قتيبة في إيراده للمادة اللّغوية في غريبه على نمط موحد، بل جاء ذلك وفق طرق ثلاث :

أ – ما كان عرضه موجزا ، نحو قوله :

- « النَّجْوَى »[المجادلة 7، 8، 10]: السِّرار[3].
- « تَفَسَّحُوا » [المجادلة 11] أي توسعوا [4] .
- « مِهَادًا » [النبأ 6] أي فراشا[5].

ب- ما كان عرضه مستوفيا للمعنى، نحو قوله:

- « عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا »[ص15] والقط: الصحيفة المكتوبة وهي: الصكّ. وروي في التّفسير: أنهم قالوا ذلك حين أنزل عليه: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » و« بِشِمَالِهِ»[الحاقة 24] يستهزئون. أي عجّل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب فقال الله «فاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ»[طه 128][6]!

- « وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ »[يس 58] أي انقطعُوا عن المؤمنين، وتميزوا منهم. يقال: مِزتُ الشيءَ من الشيء –إذا عزلته عنه– فانماز وامتاز ومَيَّزْتُهُ فتميَّزَ »[7]!

- « مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ »[القصص 76] أي تميل بها العصبة –إذا حملتها من ثقلها. يقال: ناءت بالعصبة، أي مالت بها، وأناءت العصبة: أَمَالَتْهَا ونحوه في المعنى قوله: ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾[البقرة 255] أي لا يثقله حتى يؤوده أي يميله »[8].

---

(1) البيت لمالك بن الحارث. ديوان الهذليين: ج3 ص83. والأضداد لابن الأنباري: ص28. ونسبه ابن الأنباري لمالك بن خالد الهذلي .

(2) المصدر نفسه: ص87. انظر معاني القرآن للأخفش: ج1 ص188.

(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص457.

(4) المصدر نفسه: ص457.

(5) المصدر نفسه: ص508. قال الراغب ص379: «والمهاد: المكان الممهد الموطأ، قال: الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَدًا ومهادًا » .

(6) المصدر نفسه: ص378. انظر معاني القرآن للفراء: ج2 ص400.

(7) المصدر نفسه: ص367.

(8) المصدر نفسه: ص334 . انظر معاني القرآن للفراء: ج2 ص310.

ج-ما كان عرضه مطولا ، نحو :

- « وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا » [الزخرف 14] أي نَصيبا[1].

ويقال : شيبها ومِثلا، إذا عبدوا الملائكة والجن.

وقال أبو اسحاق الزجاج : « إن معنى 'جُزْأً' ههنا: بنات. يقال له جزء من عيال، أي بنات » .

قال : « وأنشدني بعض أهل اللغة بيتا يدل على أن معنى 'جزء' معنى 'إناث' قال: ولا أدري: البيت قديم؟ أم مصنوع ؟

وَإِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَومًا، فَلاَ عَجَبٌ ۞ قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارَ أَحْيَانًا.

فمعنى « إن أجزأت » أي أنثت، أي أتت بأنثى ».

وقال المفضل بن سلمة : « حكى لي بعض أهل اللغة : أجزأ الرجل، إذا كان يولد له بنات. وأجزأت المرأة: إذا ولدت البنات. وأنشد المفضل :

زُوِّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مَجْزِئَةً ۞ لِلعَوْسَجِ اللُّدْنِ فِي أَبْيَاتِهَا زَجَلُ [2]

- « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » [الرحمن 45] : بستانان في الجنة.

قال الفراء : « وقد تكون في العربية جنة واحدة. (قال) : أنشدني بعضهم:

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنَ ۞ قَطَعْتُهُ بِالسَّمْتِ لاَ بِالسَّمْتَيْنِ[3]

يريد: مهمها واحدا، وسمتا واحدًا .

(قال) وأنشدني آخر:

يَسْعَى بِكَبْدَاءَ وَخَرْسَيْنِ ۞ قَدْ جَعَلَ الأَرْطَاةَ جَنَّتَيْنِ.

(قال) : وذلك للقوافي، والقوافي تحتمل -من الزيادة والنقصان- مالا يحتمله الكلام »[4].

وهذا من أعجب ما حُمل عليه كتاب الله. ونحن نعوذ بالله من أن نتعسَّف هذا التعسف، وتجيز على الله -جل ثناؤه- الزيادة والنقص في الكلام لرأس الآية. وإنّما يجوز في رؤوس الآي: أن يزيد هاء للسكت، كقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴾[القارعة 9]، وألفا كقوله:﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾[الأحزاب 10]

---

(1) كذلك فسرها الراغب في مفرداته: ص99.
(2) المصدر نفسه: ص396.
(3) البيت لخطام المجاشعي .
(4) انظر معاني القرآن للفراء: ج3 ص118.

أو يحذف همزة من الحرف، كقوله: ﴿ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴾[مريم 74] أو ياء كقوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[الفجر 4] لتستوى رؤوس الآى. على مذهب العرب في الكلام: إذا ثم ، فأذنت بانقطاعه وابتداء غيره. لأن هذا لا يزيل معنى عن جهته، ولا يزيد ولا ينقص. فأمّا أن يكون الله عز وجل وعد جنتين، فيجعلها جنة واحدة من أجل رؤوس الآي: فمعاذ الله !

وكيف يكون هذا : وهو -تبارك اسمه- بصفات الإثنين، فقال: ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[الرحمن 48]، ثم قال : « فِيهِمَا ... » ، « فِيهِمَا ... » [الرحمن 50-52] ؟! ولو أن قائلا قال في خزنة النار: إنهم عشرون، وإنّما جعلهم تسعة عشر لرأس الآية، كما قال الشاعر :

نَحْنُ بَنُو أُمِّ البَنِينَ الأَرْبَعَة [1]

وإنّما هم خمسة، فجعلهم للقافية أربعة: ما كان في هذا القول إلا كالعزاء »[2].

2- وسائل تفسير الألفاظ

استعمل ابن قتيبة عدة وسائل لتفسير الألفاظ وبيان معانيها. منها:

2-1 التّفسير المترادف:

وهو الأسلوب الأكثر استعمالا في كتابه الغريب، حيث حاول ابن قتيبة استقصاء مرادفات الألفاظ الغريب، فظهر كتابه وكأنه معجم لغوي حافل بالشروحات وهذه عينة من الشواهد على هذه الوسيلة ، فمثلا :

- « البُرُوج » [البروج 1]: القصور[3].
- « الأُخْدُود » [البروج 4]: الشق في الأرض. وجمعه أخاديد[4].
- « النَّمَارِق » [الغاشية 15]: الوسائد واحدتها: « نُمْرُقَةٌ » و « نِمْرُقَة»[5].
- « الزَّرَابِي » [الغاشية 16]: الطنافس. ويقال : هي البسط . واحدتها « زربية » [6].
- « سُطِحَت » [الغاشية 20]: أي بسطت [7].

---

(1) وعجزه: وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةِ . والبيت منسوب للبيد.
(2) تفسير غريب القرآن : ص439-441.
(3) المصدر نفسه: ص522. وهو تفسير الراغب في مفرداته ص52.
(4) المصدر نفسه: ص522.
(5) (6) (7) المصدر نفسه: ص225.

- « الفَاقِرَة » [القيامة 25]: الداهية [1].

- « يَتَمَطَّى» [القيامة 32]: يتبختر [2].

- « نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ » [الجن 1]: يقال : « النفر » ما بين الثلاثة إلى العشرة [3].

- « فَزَادُهُمْ رَهَقًا » [الجن 6]: أي ضَلَالاً [4].

- « شُهُبا » [الجن 8]: جمع شهاب ، وهو النجم المضئ [5].

- « الغِلِّ » [الحجر 47]: العداوة والشحناء[6].

- « للمُتَوَسِّمِين » [الحجر 75]: المتفرسين. يقال : توسمت في فلان الخير، أي تبينته [7] .

2- 2 التفسير بالمقارب: وهي تفسير بلفظ يحمل دلالة قريبة من دلالة اللفظة المراد شرحها، مثال ذلك:

- « أَئِنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَة » [النازعات 10]: أي إلى أول أمرنا. يقال : رجع فلان في حافرته وعلى حافرته . أي رجع من حيث جاء [8].

- « أَيَّانَ مُرْسَاهَا » [النازعات 41]: أي متى تأتي فتستقر؟ لأن الأشراط تتقدمها[9].

- « بُعْثِرَتْ »[الإنفطار 4]: قلبت وأخرج ما فيها. يقال: بعثرت المتاع وبحثرته، إذا جعلت أسفله أعلاه[10].

- « وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ » [الانشقاق 18]: أي امتلأ في الليالي البيض [11].

2- 3. التفسير الأعجمي : استخدام ابن قتيبة ألفاظ أعجمية معربة في أثناء التفسير، وهو يفيد بأن هذه الألفاظ معربة كانت شائعة مثل :

- « السُّنْدُسُ »[الكهف 31] ثخينة. يقول قوم: فارس معرب، أصله: استبره وهو الشديد[12].

---

(1) المصدر نفسه: ص500- 501 وهو تفسير الراغب في مفرداته: ص385.
(2) المصدر نفسه: ص500 501.
(3) (4) (5) المصدر نفسه: ص489.
(6) المصدر نفسه: ص238- 239.
(7) تفسير غريب القرآن: ص238- 239. انظر اساس البلاغة للزمخشري: ص499.
(8) تفسير غريب القرآن : ص513. انظر أساس البلاغة: ص88.
(9) تفسير غريب القرآن : ص513.
(10) تفسير غريب القرآن : ص518.
(11) المصدر نفسه: ص521. قال الراغب في مفردات ص538: « الإتساق : الاجتماع والإطراد، قال الله تعالى: ﴿ وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾[الانشقاق 18] ».
(12) تفسير غريب القرآن : ص267.

– « بِالقِسْطَاسِ » [الإسراء 35]: الميزان يقال: هو بلسان الروم، وفيه لغة أخرى : « قُسْطَاسُ » بضم القاف. وقد قرئ باللغتين جميعا[1].

– « القَنَاطِيرِ »[آل عمران 14] واحدها قنطار. وقد اختلف في تفسير. فقال بعضهم: القنطار ثمانية آلاف مثقال ذهب بلسان أهل إفريقية. وقال بعضهم ألف مثقال ... »[2].

– « حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ »[هود 81] : يذهب بعض المفسرين إلى أنها « سَنْكِ وَكِلْ » بالفارسية [3].

ثانيا: توثيق المعاني

دأب اللّغويون منذ بداية نشاطهم اللّغوي على توثيق مادتهم اللّغوية وما يذهبون إليه من الدلالات بالشواهد المعتمدة، كألفاظ القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، وألفاظ الحديث، وكلام العرب من شعر ونثر. والمفسرون من أهل اللغة كان لهم نفس وسائل التوثيق كما رأينا مع أبي عبيدة والفراء والأخفش ومن سبقوهم، ولم يخرج ابن قتيبة في كتابه الغريب الذي ساهم به ومساهمة جادة في دعم العمل التّفسيري اللّغوي عن هذا المنهج الأصيل، فقد جاء كتابه غنيا بهذه الشواهد، وهو في هذا الموطن قد حقق شيئين في آن واحد :

– ففي مجال التّفسير لم يفسر القرآن الكريم برأيه، بل احترم طريق السلف في التّفسير، ولم يتعد على حرمة هذا السبيل، وذلك باعتماده أولا على المعاني التي جاء بها القرآن وأقرها أهل التّفسير، ولجوئه إلى حديث رسول الله ﷺ كلما أجاز المقام ذلك، وقد استدل في كتابه بستين حديثا، ولم يهمل ابن قتيبة القراءات واللّهجات المتعددة مقدما إياها على كلام العرب لما لها من قدر وشرف. أما الجزء الأكبر من عمله التوثيقي فكان من طريق لغة العرب شعرا ونثرا. مستخدما إياها في تفسير غريب القرآن الكريم.

– الشيء الثاني : أنه في المجال اللّغوي قد استعمل أمثل الطرق في عملية توثيق المعاني حيث بدأ بلغة القرآن والقراءات لكونها أعلى مراتب التوثيق ثم تلاها بسائر الوسائل الأخرى.

وفي هذا المقام يتعين تفصيل الحديث في هذا المبحث :

1– التوثيق بألفاظ القرآن الكريم: التزام المؤلف بلغة القرآن، وأكثر من الاستشهاد بالآيات، واستعل ابن قتيبة ذلك لغرضين:

---

(1) تفسير غريب القرآن: ص254.
(2) المصدر نفسه: ص102.
(3) المصدر نفسه: ص207.

أ- *الاستشهاد على الأصل الدلالي للفظة*، نحو :

- « وَحَجُّ الْبَيْتِ » [آل عمران 97]: مأخوذ من قولك: حججت فلانا إذا عدت إليه مرة بعد مرة. قال الشاعر:

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً ۞ يَحُجُّونَ بَيْتَ الزِّبْرِقَانِ الْمُزَعْفَرَا[1] .

أي : يكثرون الاختلاف إليه لسؤدده.

وكان الرئيس يعتم بعمامة صفراء تكون علما لرياسته، ولا يكون ذلك لغيره ونحو قوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾[البقرة 125] أي يثوبون إليه، يعني يعودون إليه في كل عام [2].

- «الإِفْكَ»[3]: الكذب لأنه كلام قلب عن الحق وأصله من أفكت الرجل إذا صرفته عن رأي كان عليه. ومنه قيل لمدائن قوم لوط: «الْمُؤْتَفِكَاتِ» [التوبة 71، الحاقة 8] لانقلابها، ومنه قوله عز وجل: ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾[الأنعام 96، يونس 34، فاطر 3]أي: من أين تحرمون وتصرفون عن الحق، قال الشاعر:

إِنْ تَسْكُ عَنْ أَحْسَنِ الصَّنِيعَةِ مَأْ ۞ فُوكًا فَفِي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا [4]

أي : إن تكن عن احسن الصنيعة معدولا »[5].

ب- *الإستشهاد على المعنى*، نحو :

- « فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ »[البقرة 281] أي: ولي الحق[6].

- « إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا »[النساء 102] أي موقة. يقال وَقَّتَهُ الله عليهم، ووقته، أي جعله لأوقات، ومنه: ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[المرسلات 11]. و« وُقِتَتْ » أيضا مخففة[7].

- « الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ »[الأنعام 82] أي: لم يخلطوه بشرك. ومنه قول لقمان: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان 12] »[8].

---

(1) البيت للمخبل السعدي كما ذكر ابن قتيبة في المعاني الكبير ج1 ص478، وقال في شرحه: « يحجون: يعودون مرة بعد مرة، والسب: العمامة. المزعفر: المصبوغ بالزعفران، وكان السيد يعتم بعمامة مصبوغة لا يكون ذلك لغيره، وإنما سمي الزبرقان بذلك، ويقال لكل شيء صفرته: زبرقته، وإنما أراد: أنهم يأتون الزبرقان لسؤدده».

(2) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص32.

(3) وردت هذه اللفظة من القرآن في سبعة وعشرين موطنا.

(4) البيت لعروة بن أذينة : يقول : إن لم توفق للإحسان فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك أيضا.

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص31.

(6) في معاني القرآن للفراء ج1 ص183: « يعنى صاحب الحق، فإن شئت جعلت 'الهاء' للذي ولي الذين. وإن شئت جعلتها للمطلوب، كل ذلك جائز ».

(7) تفسير غريب القرآن: ص135.

(8) المصدر نفسه: ص156.

– « وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً » [الأنعام 111] جماعة قبيل. أي : أصنافا، ويقال : القبيل الكفيل[1] كقوله تعالى: ﴿وَتَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾[الإسراء 92] أي ضمناء ومن قرأها « قِبَلا » أراد: معاينة [2].

2– التوثيق بالقراءات القرآنية

تشغل القراءات القرآنية حيزا من كتاب « تفسير غريب القرآن ». والمؤلف قلّ ما ينسبها إلى أصحابها،وهو يستعين بالقراءات في التوجيه الدلالي للألفاظ القرآنية، فيستدل بها على إثبات معنا معين دون غيره. وهذه صورة تبين مدى اهتمام ابن قتيبة بالقراءات.

–« فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ »[النساء 87] أي فرقتين مختلفتين. « وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ »:أي نكسهم وردهم في كفرهم[3]. وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «رَكَّسَهُمْ ». وهما لغتان: ركَستُ الشيء [4].

– « لَهَا طَلْعٌ نَضِيد »[ق 10]: أي منضود: بعضه فوق بعض[5]، وذلك قبل أن يتتح فإذا انشق جُفّ الطلعة وتفرق: فليس بنضيد.

– ونحوه قوله: « وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ » [الواقعة 31]. وقد قرأ بعض السلف « وطلع منضود » كأنه أعتبره بقوله في ق: « لها طلع نضيد »[6] .

– « وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ »[الأنبياء 94][7] أي حرام عليهم أن يرجعوا. ويقال: حرَامٌ : واجبٌ.

وقال الشاعر[8] :

فَإِنَّ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا ۞ عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو

أي واجبا .

ومن قرأ : ' حِرْمٌ ' فهو بمنزلة 'حَرَامٌ'. يقال : حرْمٌ وحَرَامٌ، كما يقال : حِلٌّ و حَلَالٌ »[9].

---

(1) المعنيان ذكرهما الراغب في مفرداته ص 392.
(2) تفسير غريب القرآن: ص158.
(3) انظر أساس البلاغة: ص176.
(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص133.
(5) كذلك فسره الراغب في مفرداته ص498.
(6) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص418.
(7) جاء في النشر لابن الجزري ج1 ص324: « واختلفوا في « وحرام » فقرأها حمزة والكسائي وأبو بكر « وَحِرْمٌ» بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون بفتح الحاء والراء والألف بعدها ».
(8) البيت لعبد الرحمن ابن جمانة المحاربي الجاهلي.
(9) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص288.

- « لِيَعْلَمَ »[الجن 28] محمد أن الرسل قد بلغت عن الله عز وجل، وأن الله حفظها ودفع عنها، وأحاط بما لديها ... ويُقرأ : « لتعلم » بالتاء. يريد : لتعلم الجن أن الرسل قد بلغت عن إلهـــهم بمـــا ودُّوا: من استراق السمع »[1].

3 - الاستشهاد بالحديث الشريف:

وهذا من أكثر مواضيع الجدل بين اللّغويين وغيرهم. فقد لقي الاحتجاج بـــالحديث الشـــريف في مسائل اللغة والنحو خلافا كبيرا بين علماء العربية، وخاصة المتأخرين منهم. والنحويون لم يقفـوا موقفا موحدا من الاستشهاد بالحديث النبوي، فالقدماء كالخليل وسيبويه من البصريين والكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين كانوا مقلين من الاستشهاد له لأمور منها:

1 - أنهم وجدوا بغيتهم في القرآن الكريم، والشعر العربي الفصيح مما صرف وجهتهم عن الحديث.

2 - إجازة المحدثين نقل الحديث بالمعنى دون التقيد باللفظ.

3 - المحدثون والرواة لم يكونوا جميعا من العرب، ولا من المعنيين بصناعة النحو.

وذهب جماعة من المتأخرين إلى التوسع في الاستشهاد بالحديث وعلى رأسهم ابـــن مـــالك. ووقف بعض النحاة بين الفريقين موقفا وسطا، فأجازوا الاحتجاج بالأحاديث التي عني بنقل ألفاظها[2].

والحديث عن سبب عدم حجية الحديث الشريف في باب الاستشهاد اللّغوي طال فيـــه الكـــلام إلى حد تجاوز الحق، وابن قتيبة في غريبه يحتج بالحديث الشريف ويستشهد به لعدة أغراض يمكـــن الوقوف على أهمها كما يلي :

أ - الإستشهاد بالحديث على الأصل الدلالي للفظة، نحو :

- « الشِّرك » في اللغة مصدر شركته في الأمر أشْرَكُهُ، وفي الحديث: أن معاذا أجاز بين أهل اليمن الشِّرْكَ. يراد في المزارعة أن يشترك فيها رجلان أو ثلاثة. فكان الشرك بالله هو أن يجعل له شريك. قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف 106][3].

- « إِدَّارَأْتُمْ فِيهَا »[البقرة 71] اختلفتم. والأصل: تَدَارَأْتُمْ. فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم السكون للدال الأولى. يقال: كان بينهم تدارؤ كذا أي اختلاف. ومنه قول القائل في رســـول الله ﷺ: « كَانَ شَرِيكِي فَكَانَ خَيْرَ شَرِيكٍ: لاَ يُمَارِي وَلاَ يُدَارِي»[4] أي لا يخالف »[5].

---

(1) تفسير غريب القرآن: ص492.
(2) انظر خزانة الأدب: المقدمة، المدارس النحوية ص80.
(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص27.
(4) الحديث في سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في كراهية المراء. صحيح البخاري كتاب البيوع، باب: السهولة والسماح في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف. مسند ابن ماجة كتاب التجارات، بـــاب الشـــركة والمضاربة. واحمد في مسنده، مسند الكوفيين.
(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص54-55.

- «وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ»[الحجرات 11] أي لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين[1]. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تتداعوا بها. و'الألقاب' و'الأنباز' واحد. ومنه قيل في الحديث « قَوْمٌ نَبْزُهُمْ الرَّافِضَةُ ». أي لقبهم، وقوم من أصحاب حديث يغيرون اللفظ »[2].

- « فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ »[المرسلات 23] بمعنى « قدَّرنا » مشددة. يقال: قَدَرْتُ كذا وقدَّرته[3]. ومنه قول النبي ﷺ في الهلال: « إِذَا غُمَّ عَلَيْكُمْ فَقْدُرُوا لَهُ »[4]، أي فقدروا له المسير والمنازل »[5].

ب- الاستشهاد بالحديث على المعنى، نحو :

- « فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ »[البقرة 36] أي قبلها وأخذها، كأن الله أوحى إليه أن يستغفره ويستقبله بكلام من عنده ففعل ذلك آدم « فتاب عليه ».وفي الحديث أن رسول صلّى الله عليه وعلى آله كان يتلقى الوحي من جبريل، أي يتقبله ويأخذه[6].

- « مُسَوِّمِينَ »[آل عمران 125] معلمين بعلامة الحرب. وهو من السِّيمَاء مأخوذ. يقال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم صُفْرًا. وكان حمزة مُسَوِّمًا يوما أحد بريشة. وروي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر « تَسَوَّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ »[7].

- «بِعِجْلٍ حَنِيذٍ»[هود 68] أي مشوي. يقال: حَنَذْتُ الجمل: إذا شويته في خَدٍّ من الأرض بالرَّضَفِ، وهي الحجارة المحماة[8].وفي الحديث أن خالد بن الوليد أكل مع رسول الله ﷺ فأُتي بضب مَحْنُوذٍ[9].

- « ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى »[النجم 8،9] أي قدر قوسين عربيتين. وقال قوم: «القوس: الذراع، أي كان ما بينهما قدر ذراعين»[10]. والتّفسير الأول أعجب إليَّ، لقول النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلم: « لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِدِّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » والقِدُّ: السوط [11] .

---

(1) كذلك شرحها الفراء في معانيه: ج3 ص72.
(2) تفسير غريب القرآن ص416. وأخرج الدارقطني عن علي مرفوعا، بلفظ : « سيأتي من بعد قوم لهم نبز يقال لهم: الرافضة» فلعل هذا هو التغيير الذي أشار إليه ابن قتيبة.
(3) أنظر أساس البلاغة للزمخشري: ص357.
(4) والحديث ذكره البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا. وسنن أبي داوود كتاب الصيام، باب: الشهر يكون تسعا وعشرين. وذكره السيوطي في كتابه زيادة الجامع الصغير. حرف الهمزة رقم 420
(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص506.
(6) المصدر نفسه: ص47.
(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص109.
(8) قال الفراء في معانيه ج2 ص21:«والحنيذ: ما حفرت له في الأرض ثم غممته وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصل فقيل حنيذ، كما قيل طبيخ للمطبوخ، وقتيل للمقتول. »انظر أساس البلاغة ص97.
(9) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص205.
(10) قال الراغب في مفرداته ص391: « القاب، ما بين المقبض والسِّيَة من القوس، قال:«فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى»» .
(11) تفسير غريب القرآن : ص428. وانظر القاموس المحيط للفيروزبادي، مادة "قدّ" ج1 ص325.

4 - الاستشهاد بالشعر:

«الشعر ديوان العرب»، ظلت هذه النظرة عند ابن قتيبة كما كان ينظر إليها سابقوه من اللّغويين والمفسرين، فللشعر في مجال الاستشهاد مقام لا يدانيه ولا يفوقه غير القرآن الكريم، فبه تعرف المعاني، وتحدد الدلالات ويصحح نطق الألفاظ، ويُتوسع في شرح العبارات توسعا عجيبا، ولقد كان الشعر العربي الفصيح رافدا غزيرا من الروافد التي أمدت النحو العربي بالمادة التي تعينه على التقعيد والتثبت.

وابن قتيبة كسابقيه من العلماء، قد اعتمد الشعر مصدرا أصيلا للاستشهاد في مختلف الجوانب فنراه يكثر الاستشهاد بالشعر. ولابد أن ثقافة الرجل ألهمته مقام الشعر بجانب تفسير كتاب الله وتوجيه معاني مفرداته. فكتابه « غريب القرآن » يعطي أقوى دلالة على ذلك، حيث استشهد بمائتين وأربعين بيتا أو صدر بيت أو عجزه من الشعر على مختلف الألفاظ والمعاني القرآنية، فشمل بذلك استشهاده الشعري مساحة واسعة من تفسيره، والمتتبع لشواهد الغريب يرى أنها تأخذ إتجاهات متعددة، وأستطيع أن أعطي صورة مختصرة لأوجه الاستدلال بالشعر العربي على التّفسير عند المؤلف.

4-1 منهج ابن قتيبة في الاستشهاد بالشعر

ولابن قتيبة في تفسيره بالشاهد الشعري منهج خاص، إمتاز بالدقة والتعمق، وابتعد عن الزيادة والحشو، واختار الشاهد المعروف، ونفر من شعر المولدين، ووظف شاهده في أغراض لها بالتّفسير صلات مباشرة، وتنتهي كلها إلى شرح المفردة أو العبارة القرآنية وتفسيرها تفسيرا لغويا على طريقة أصحاب المنهج اللّغوي في التّفسير وهذا بيان ذلك :

أ - ذكر اللفظة ومعناها، والتعقيب عليها بالشاهد الشعري، وذلك في نحو :

- « إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ » [هود 54] أي أصابك بخبَل، يقال : عراني كذا وكذا واعتراني: إذا ألم بي . ومنه قيل لمن أتاك يطلب نائلك: عَارٍ. ومنه قول النابغة:

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي ۞ عَلَى خَوْفٍ تَظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ »[1]

- « وَقَصْرٍ مَشِيدٍ » [الحج 43]: يقال: هو المبني بالشِّيدِ وهو الجص. والمَشِيدُ: المُطَوَّلُ. ويقال: المَشِيدُ المُشِيدُ سواء في معنى الطول. وقال عدي بن زيد :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـ ۞ ـسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذَرَاهُ وُكُورُ »[2].

---

(1) تفسير غريب القرآن : ص204-205.

(2) المصدر نفسه: ص294. كذا فسرها الراغب في مفرداته ص274.

- « لأُولِي النُهَى »[طه 53] أي أولى العقول. والنُّهْيَةُ : العقل. قال ذو الرّمة:

لِعِرْفَانِهَا والعَهْدُ وَقَدْ بَدَا ۞ لِذِي نُهْيَةٍ إلاَّ إلَى أُمِّ سَالِمِ »[1].

- « مَأْوَاكُمُ النَّارُ، هِيَ مَوْلاَكُمْ » [الحديد 14] أي هي أولى بكم. قال لبيد:

نَفَدَتْ كِلاَ الفَرْجَيْنِ يَحْسِبُ أَنَّهُ ۞ مَوْلَى المُخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا »[2].

- « أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ » [الطور 36] أي درج. قال ابن مقبل:

لاَ تُحْرِزُ المَرْءَ أَمْجَادُ البِلاَدِ، وَلاَ ۞ تُبْنَى لَهُ فِي السَّمَوَاتِ السَّلاَلِيمُ »[3].

- « يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا » [الطور 21] أي يتعاطون قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَازَعَنِي ۞ لاَ بِالحَصُورِ، وَلاَ فِيهَا بِسَوَّارِ

أي عطافي [4].

ب – ذكر الدلالات المختلفة للكلمة والاستشهاد عليها جميعا، نحو:

- قال تعالى: « فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ » [النساء 80] أي: خرجوا « بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ » أي: قالوا قدروا ليلا غير ما أعطوك نهار. قال الشاعر :

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا ۞ وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيْءٍ نُكُرْ [5].

والعرب تقول: هذا أمر قدر بليل، وفزع منه بليل. ومنه قول الحارث ابن حلزة :

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا ۞ أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ

وقال بعضهم: بيت طائفة: أي بدّل، وانشد [6]:

وَبَيَّتَ قَوْلِي عَبْدُ المَلِيـ ۞ ـكِ قَاتَلَكَ اللهُ عَبْدًا كَفُورَا[7].

- وقال تعالى:« وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا » [النساء 85] أي مقتدرا، أقات على شيء: أقتدر عليه. قال الشاعر:

وَذِي ضِبْنٍ كَفَفْتَ النَّفْسَ عَنْهُ ۞ وَكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيتَا »[8].

---

(1) أراد لا سبيل إلى أم سالم. تفسير غريب القرآن : ص279.
(2) الفَرْجُ: الثَّغْرُ المَخُوفُ. أنظر اللسان: ج5 ص3370.
(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص426.
(4) المصدر نفسه: ص425.
(5) البيت لعبيدة بن حمام .
(6) البيت للأسود بن عامر بن جوين الطائي.
(7) تفسير غريب القرآن: ص131–132.
(8) البيت للزبير بن عبد المطلب.

المقيت أيضا: الشاهد للشيء الحافظ له قال الشاعر:

إِلَى الفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُو ✿ سِبْتُ إِنِّي عَلَى الحَسَابُ مُقِيتُ »[1]

ونحو قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾[النمل 87]. قال أبو عبيدة : « وهو جمع صورة. يقال: صُورَةٌ وصُوَرٌ وصَوَرٌ.» قال: ومثله سُورَةٌ البناء وسُورُهُ. وأنشد:

سُرْتُ[2] إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ

قال : وسور المجد أعاليه، أي ينفخ في صُوَرِ الناس.

وقال غيره : الصُّور القرن بلغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْنِ ✿ بِالضَّابِحَاتِ فِي غُبَارِ النَّقْعَيْنِ[3]

نَطْحًا شَدِيدًا لاَ كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ »[4]

جـ- شرح الشاهد الشعري:

وذلك إما بالاكتفاء **بشرح المفردة محل الشاهد** نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا، وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[الجاثية 32] أي ما نعلم ذلك إلا ظنا وحدسا وما نستيقنه. و'الظن' قد يكون بمعنى 'العلم' قال: ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾[الكهف53]، وقال دريد:

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظُنُّوا بِأَلْفِي مُدَجَّجٍ ✿ سَرَاتُهُمُ فِي الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ

أي أيقنوا بإتيانهم إياكم[5].

وإما بشرح الألفاظ الأخرى الواردة في الشاهد. نحو:

- « التَصْدِيَة » [الأنفال 34]: التصفيق. يقال: صدى إذا صفق بيده[6]. قال الراجز:

ضَنَّتْ بِخَدٍّ وَثَنَتْ بِخَدِّ ✿ وَإِنِّي مِنْ غَزْوِ الهَوَى أُصَدَّى.

الغَزو : العجب. يقال : لا غزو من كذا وكذا: أي لا عجب منه »[7].

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص132-133.
(2) معنى سرت: وثبت. محقق غريب القرآن: ص26.
(3) الضابحات : الخيل الصاهلة . محقق الغريب ص26.
(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص26.
(5) المصدر نفسه: 406.
(6) أنظر أساس البلاغة: ص251.
(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص179.

- « وَلاَ تَعْثَوا »[البقرة 59] من عَـثِـيَ. ويقال أيضا من عثا، وفيه لغة أخرى عاث يعيث. وهو أشد الفساد. وكان بعض الرواة ينشد بيت ابن الرّقاع:

لَوْلاَ الحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَثَا ۞ فِيهِ المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ

وينكر على من يرويه : 'عسا'. وقال كيف يعسو الشيب وهو إلى أن يرق في كبر الرجل ويلين، وأقرب منه إلى أن يغلظ ويعسو أو يصلب ؟ واحتج بقول الآخر:

وَأَنْبَتَتْ هَامَتُهُ المِرْعِزِّي

يريد أنه لما شاخ رق شعره ولان. فكأن مرعزي. والمرعزي: نبت أبيض »[1].

وإما يعدد الشواهد للفظة الواحدة. نحو:

- قوله تعالى: « وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ »[التوبة 75] أي ليس ينقمون شيئا، ولا يعرفون من الله إلا الصنع الجميل[2]، وهذا كقول الشاعر :

مَا نَقِمَ النَّاسُ مِنْ أُمَيَّةَ إِلاَّ ۞ أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا[3]

... وكقول النابغة:

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ۞ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

أي ليس فيهم عيب »[4].

وكذلك فعل عند تفسيره: « فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ »[إبراهيم 9] ... والمعنى ردوا أيديهم في أفواههم، أي عضوا عليها حنقا وغيظا. كما قال الشاعر :

يَرُدُّونَ فِي فِيهِ عَشْرَ الحَسُودِ [5]

يعني : أنهم يغيظون الحسود متى يعض على أصابعه العشر ونحوه، قال الهذلي :

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ ۞ فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفَا[6]

يقول : قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأضحى يعض على وظيف الذراع »[7].

---

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص50-51.

(2) قال الراغب في مفرداته ص506: « نقمت الشيء ونقمته إذا انكرته إما باللسان وإما بالعقوبة، قال تعالى: « ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ﴾ [التوبة 75]».

(3) لعبيد الله بن قيس بن الرقيات. وفي رواية أخرى « ما نقموا من بني أمية إلا * أنهم يحلمون إن غضبوا » الجامع لأحكام القرطبي. سورة البروج. ج8 ص207.

(4) تفسير غريب القرآن : ص190.

(5) قال ابن قتيبة في المعاني الكبير: ج2 ص834 : « يعني أصابع يديه العشر بعضها غيضا عليهم وحنقا ».

(6) البيت لصخر الغي. كما في ديوان الهذليين ص73 :« أفنى أنامله، يقول : يعض علي يديه من الغيض، والأزم العض، يقال قد أزم يده يَأْزِمُهَا أَزْمًا إذا عضها».

(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص230- 231.

وإما بيان الفكرة العامة لمعنى الشاهد الشعري، نحو تفسيره:

- « حِجَارَةً مِنْ سِجِيل »[هود 82] قال أبو عبيدة : السجيل : الشديد . وأنشد لابن مقبل:

ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّينَا[1]

وقال يريد ضربا شديدا. ولست أدري ما سجيل[2]من سجين. وذلك باللام وهذا بالنون. وإنما سجين في بيت ابن مقبل 'فِعِّيل' من سجنت، أي حبست. كأنه قال: ضرب يثبت صاحبه بمكانه، أي يحبسه مقتولا أو مقاربا للقتل. و'فِعِّيل' كما دام منه العمل. كقولك : رجل فِسِّيقٌ وسِكِّيرٌ وسِكِّيتٌ : إذا أدام منه الفسق والسكر والسكوت. وكذلك 'سِجِّين' وهو ضرب يدوم منه الإثبات والحبس »[3].

- وتفسيره لقوله تعالى: « وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ »[الحجر 22] العرب تسمي الرياح لواق، والريح لاحقا[4] قال الطِّرِمَّاح وذكر بردا مده على أصحابه في الشمس يستظلون به:

قَلِقٌ لأَفْنَانِ الرِّيَا ۞ حِ لِلاقِحِ مِنْهَا وَحَائِلْ

فاللاقح: الجنوب. والحائل : الشمال. ويسمون الشمال أيضا : عقيما. والعقيم التي لا تحمل. كما سموا الجنوب لاقحا. قال كُثَيِّر:

وَمَرٌّ بِسِفْسَافِ التُّرَابِ عَقِيمُهَا [5]

يعني الشمال. وإنما جعلوا الريح لاقحا- أي حاملا- لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرّفه، ثم تحمل فينزل. فهي على هذا الحامل. وقال أبو وَجْزَةَ يذكر حميرا وردت ماءً :

حَتَّى رَعَيْنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ فِي مَسَكٍ ۞ مِنْ نَسْلِ جَوْبَةَ الآفَاقِ مِهْدَاجِ

ويروى « سَلَكْنَ الشَّوَى » أي : أدخلن قوائمهنّ في الماء حتى صار الماء لها كالمَسَكِ. وهو الأَسْوَرَة ثم ذكر أن الماء من نسل ريح تجوب البلاد، فجعل الماء للريح كالولد : لأنها حملته وهو سحاب وحلته. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾[الأعراف 56].

---

(1) صدره : « ورجلة يضربون البيض عن عرض » وهو من قصيدة لتميم بن مقبل العامري. المحقق ص208.
(2) قال الراغب في مفرداته ص230-231 : « السجيل حجر وطين مختلط وأصله فيما قيل فارسي مقرب...والسجين ... قيل هو اسم للأرض السابعة ».
(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص208.
(4) أساس البلاغة للزمخشري: ص112.
(5) تكملته: « إذا مَتَنَابَاتُ الرِّيَاحِ تَنَاسَمَتْ » .

د- الشعراء الذين أستشهد بهم :

إذا كان علماء العربية قد قسموا الشعراء إلى طبقات: جاهليين، مخضرمين، إسلاميين ومولدين. فإن ابن قتيبة قد سار على سنن من سبقوه، فلم يحتج بكلام أحد المولدين، ولم يتجاوز ابن قتيبة الطبقة الثانية من الشعراء.

4-2 الأغراض الذي أستشهد عليها

أ- الاستشهاد على الأصل الدلالي نحو:

في قوله تعالى: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة 5] : من الفلاح وأصله البقاء[1]. ومن قول عبيد:

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ، فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضَـ ۞ ـعْفِ، وَقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ [2]

أي : ابق بما شئت من كيس أو غفلة . فكأنه قيل للمؤمنين : المفلحون، لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم. هذا هو الأصل ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزم، وتكاملت فيه خلال الخير .

ب- الاستشهاد على المعنى :

- نحو تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا ﴾[الإسراء 47]. قال ابن قتيبة : « قال مجاهد في قوله 'إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً': أي مخدوعا، لأن السحر حيلة وخديعة. وقالوا في قوله: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾[المؤمنون 90]: أي من أين تخدعون ؟ و ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾[الشعراء 153] أي من المعللين[3]. وقال امرئ القيس :

وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ [4]

أي نعلل ، فكأنا نخدع. وقال لبيد :

فَإِنْ تَسْأَلِينَا: فِيمَ نَحْنُ؟ فَإِنَّنَا ۞ عَصَافِيرِ مِنْ هَذَا الأَنَامِ المُسَحَّرِ.

أي المعلل . والناس يقولون : سحرتني بكلامك. يريدون خدعتني »[5].

---

(1) كذا ذهب الراغب في مفرداته ص386. أنظر أساس البلاغة ص347.

(2) في اللسان ج5 ص3458 : « عش بما شئت من عقل وحمق فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل ».

(3) في اللسان ج3 ص1952 : « وسحروه بالطعام والشراب: غذاه وعلله، وقيل خدعه ».

(4) وصدره :« أرانا مُوضعينَ لأمر غَيْبٍ » ديوان امرئ القيس ص387. وفي اللسان ج3 ص1952.« قال ابن بري قوله: موضعين أي مسرعين، وقوله : لأمر غيب ، يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته، ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب. والسحر : الخديعة . وقول لبيد ... يكون على وجهين ».

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص256.

- وفي قوله تعالى: « لِدُلُوكِ الشَمْسِ »[الإسراء 78] قال : « غروبها . وقال: زوالها. والأول أحب إلي، لأن العرب تقول : دلك النجم ، إذا غاب . قال ذو الرمة :

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا ۞ نُجُومٌ وَلاَ بِالآفِلاَتِ الدَّوَالِكِ[1]

وتقول في الشمس: دَلَكَتْ بِرَاحِ[2] يريدون غربت. والناظر قد وضع كفه على حاجبه ينظر إليها قال الشاعر :

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفَا ۞ أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا[3]

فشبهها بالمريض في الدَّنف، لأنها قد همت بالغروب كما قارب الدنف الموت وإنما ينظر إليها من تحت الكف، ليعلم كما بقي لها أن تغيب ويتوقى الشعاع بكفه »[4].

جـ- الاستشهاد على ابنية الألفاظ

مثل قوله: « ومن صفاته جاء على « فَعِيل» بمعنى « مُفْعِل »، نحو : 'بَصِيرٌ' بمعنى 'مُبْصِرٌ'، و'بَدِيعُ الخلق' بمعنى 'مُبدِعُ الخلق' كما قالوا 'سَمِيعٌ' بمعنى 'مُسْمِعٌ'. قال عمرو بن معدي كرب : [الزبيدي]

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ[5]

- و'عَذَابٌ أَلِيمٌ' أي: مُؤْلِمٌ . و'ضرب وَجِيعٌ' أي : مُوجِعٌ. ومنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[النساء 86]، أي: كافيا[6]. من قولك: « أحسبني هذا الشيء » أي كفاني و« الله حسبي وسحيبك » أي: كافينا، أي : يكون حكما بيننا كافينا . قال الشاعر:

وَنَقْفِي وَلِيدَ الحَيِّ : إِنْ كَانَ جَائِعًا ۞ وَنَحْسِبُهُ : إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ[7]

أي : نعطيه ما يكفيه ، حتى يقول : حسبي »[8].

---

(1) المصابيح: يعني الإبل تصبح في مباركها، والأفلات: الغائبات، يقال: أفل النجم: إذا غاب، والدوالك: يقال: دلكت: إذا غابت أو دنت للمغيب. محقق الغريب ص260.

(2) براح: بفتح الباء: اسم الشمس، ومن كسر الباء فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر. محقق غريب القرآن ص260.

(3) يقال للشمس إذا مالت للمغيب وذالت من كبد السماء نصف النهار: قد تزحلفت. المحقق ص260.

(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص260.

(5) وعجزه « يُؤرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ ». وريحانة هي أخت عمرو كما قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء وقيل طبقات الشعراء. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. لندن: مط بريل، 1902م. ص219 .

(6) انظر اللسان: ج2 ص863.

(7) في اللسان ج4 ص865 : البيت منسوب لامرأة من بني قشير : « وقولها : نقفيه ، أي نؤثره بالقفية ويقال لها : القفارة أيضا، وهي ما يؤثر به الضيف والصبي ».

(8) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص16 17.

5- الاستشهاد بالنثر

نريد بالنثر الأقوال والأمثال. ولقد كانت أقوال العرب وأمثالهم ولغاتهم معينا ثرا للعلماء في إحكام قواعدهم النحوية والصرفية. وفي توجيه معاني المفردات الألفاظ والعبارات. وابن قتيبة لم يغفل هذا الجانب في تفسيره، فقد ساق فيه على سبيل الاستشهاد وتوثيق فيما ذهب إليه، ما يزيد عن الخمسين مثلا وقولا مأثورا عن العرب.

وقد اتبع ابن قتيبة نفس منهج وسائل التوثيق السابقة عند استشهاده بالنثر فجاء وفق مايلي:

أ – الاستشهاد على الأصل الدلالي للفظة :

وذلك في مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾[الدخان 9] قال ابن قتيبة:

« أي بجدب، يقال: « إن الجائع فيه كان يرى بينه وبين السماء دخانا من شدة الجوع »[1].

ويقال[2]: « بل قيل للجوع: دخان ليُبْس الأرض في سنة الجدب، وانقطاع النبات وارتفاع الغبار، فشبه ما يرتفع منه بالدخان. كما قيل لسنة المجاعة: غَبْرَاء، وقيل جُوعٌ أَغْبَر، وربما وضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا، فيقولون: كان بيننا أمر ارتفع له دخان »[3].

واستشهد بالقول: « وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ » في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾[النحل 72]

الحفدة: الخدم والأعوان ويقال: هم بنون وخدم. ويقال : الحفدة الأصهار. و أصل الحفد: مداركة الخطو والإسراع في المشي[4]. وإنما يفعل هذا الخدم، فقيل لهم: حفدة، واحدهم حافد، مثل كافر وكفرة، ومنه يقال في دعاء الوتر:إِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ »[5].

وفسر « المُمَرَّدْ » [النمل 45]: الأملس. يقال: مَرَدْتُ الشَّيْءَ، إذا بلَّطته وأملسْتُهُ. ومن ذلك «الأَمْرَد» الذي لا شعر على وجهه. ويقال للرملة التي لا تُنبت «مَرْدَاء». ويقال: الممرد المطول. ومنه قيل لبعض الحصون : « مَارِدْ ». ويقال في مثل « تَمَرَّدَ مارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَق »[6] وهما حِصْنان »[7].

---

(1) اللسان: ج2 ص1344.
(2) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص402.
(3) اللسان: ج2 ص1344.
(4) أساس البلاغة للزمخشري: ص88.
(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص246-247.
(6) قال أبو هلال العسكري: « يضرب مثلا للرجل المنيع الذي لا يقدر على إهتضامه. والمثل للزُّبَّان الملكة. ومَارِدٌ: حَصْنٌ ذومَة الجندل. والأبْلَقُ: حصن تيماء. وكانت الزبَّان أرادت هذين الحصنين، فامتنعا عليها فقالت: « تمرد مارد وعز الأبلق » وعز: أي امتنع من الضيم ». كتاب جمهرة الأمثال. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. ت: أحمد عبد السلام. ط:1. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1408هـ-1988م). ج1 ص208.
(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص325.

ب- **الاستشهاد على المعنى** : وذلك في نحو:

- « رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ » [ص 35] أي رخْوَةً لَيِّنَةً، أي حيث أراد من النواحي قال الأصمعي[1]: العرب تقول: أصاب الصواب، فأخطأ الجواب. أي أراد الصواب »[2].

- « أَءِنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَة »[النازعات 10] أي إلى أول أمرنا. يقال: رجع فلان في حافرته. أي رجع من حيث جاء »[3] .

- « وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًا »[هود 92] أي: لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عنه. تقول العرب: جَعَلْتَنِي ظِهْرِيًا وَجَعَلْتَ حَاجَتِي مِنْكَ بِظَهْرٍ، إذا اعرضت عنه وعن حاجته[4].

- « الكَوْثَر » [الكوثر 1] : الخير الكثير. قال ذلك ابن عباس. وقال ابن عيينة : « قال عبد الكريم أبو أمية: قالت عجوز: قَدِمَ فُلَانٌ بِكَوْثَرٍ كَثِيرٍ »[5].

- « يَومَ الدِّينِ »[الفاتحة 4] : سمي بذلك لأنه يوم الجزاء والحساب، ومنه يقال: دِنْتُهُ بما صنع. أي جازيته. ويقال في مثل : « كَمَا تَدِينُ تُدَانُ »[6] يراد : كما تصنع يصنع بك، وكما تُجَازِي تُجَازَى[7].

-وفسر كلمة 'الآية' جماعة الحروف. قال الشيباني:وهو من قولهم: خرج القوم بآيتهم،أي بجماعتهم[8].

الظواهر اللّغوية في كتاب غريب القرآن

الحديث عن الظواهر اللّغوية في تفسير غريب ابن قتيبة طويل ومتشعب، ويربطه بالتّفسير اللّغوي أو بالمادة اللّغوية للنص المقدس صلات كثيرة، ولكنه موضوع يتجاوز النطاق الذي رسمناه لهذه العجالة، وحسبي ما سأذكره بصدد هذا الموضوع في المبحث التالي دون تخصيص كتاب غريب ابن قتيبة بالدراسة.

وهكذا استطاع ابن قتيبة أن يقدم لنا هذه الألوان من الدراسات اللّغوية في حقل الكلمات القرآنية، والتّفسير اللّغوي. وهي دراسة جمة أنارت الطريق أمام الدارسين لكتاب الله تعالى من خلال الكلمات اللّغوية في ظلال القرآن الكريم. وهو بهذه الدراسة كشف الغموض عن كثير من الألفاظ التي عرض لها العلماء ، وتناولها اللّغويون بالبحث والاستيعاب والدراسة الجادة.

---

(1) كما في اللسان: ج3 ص1618.
(2) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص379-380.
(3) المصدر نفسه: ص513.
(4) المصدر نفسه: ص209.
(5) المصدر نفسه: ص540.
(6) أساس البلاغة للزمخشري: ص140.
(7) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص38.
(8) المصدر نفسه: ص 34.

المشترك اللفظي والأضداد

كانت الاتجاهات اللّغوية السابقة الذكر أصلا في بحوث مدلول اللفظ، وكان لكتب « مشكل القرآن » و « غريب القرآن » أكبر الأثر في توجيه البحوث اللّغوية إلى هذا المدلول. وقد ظل الحرص على لغة القرآن ودفع الطعن عنها وراء كل ما قدم من بحوث. ومن أهم تلك البحوث وأشدها ارتباطا بالأعمال القرآنية بحوث الأضداد. وتناولها اللّغويون بهذا الاسم، وعنونوها بكتب الأضداد، كما فعل الأصمعي وأبو حاتم وغيرهما .

ولقد سار التأليف في كتب الأضداد جنبا إلى جنب مع حركة جمع اللغة وغرائبها التي بدأت في أواسط القرن الثاني من الهجرة، أي في الوقت الذي نهض فيه علماء اللغة، وشدوا الرحال إلى البادية لتدوين اللغة من مصادرها الأصلية.

وقد واجه المفسرون أثناء عملهم التّفسيري صعوبات لغوية كبيرة، حينما التقوا بألفاظ قد يفهم تكرارها في مواطن كثيرة من القرآن الحكيم أنها متضادة. وذلك بالقياس إلى الشاهد الشعري، مما دعا بعض الطاعنين إلى رمي أسلوب القرآن بالتناقض.

وفي مقدمة كتاب الأضداد لأبي حاتم يذكر صاحبه سبب اهتمام العلماء بالكتابة في الأضداد . فقال: « حملنا على تأليفه أنّا وجدنا من الأضداد في كلامهم -يريد العرب- والمقلوب شيئا كثيرا فأوضحنا ما خطر منه، إذ كان يجيء في القرآن الظن يقينا وشكا، والرجاء خوفا وطمعا، وهو مشهور في كلام العرب وضد الشيء خلافه وغيره، فأردنا أن لا يكون يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾[البقرة 44-45] يمدح الشّاكين في لقاء ربهم. وإنما المعنى يستيقنون، وكذلك في صيغة من أوتي كتبه بيمينه من أهل الجنة ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[الحاقة 18-19] ولو كان شاكا لم يكن مؤمنا »[1].

ويقول محمد عبد القادر أحمد محقق أضداد السجستاني: « كان دافعهم -علماء اللغة- خوفهم أن يتسرب اللحن إلى القرآن الكريم ثم تطور هذا الدافع مستقبلا إلى خدمة لغة القرآن »[2].

فلأجل هذه الأغراض كلها قامت بحوث علماء اللغة خدمة لكتاب الله ، ودفاعا عما وجه إلى لغته وأسلوبه من التناقض والإحالة إذ كانت العرب توقع بعض الكلمات والحروف على المعاني المتضادة، فيكون اللفظ منها مؤديا لمعنيين مختلفين فيظن أهل الزيغ من الزنادقة أن ذلك كان من العرب نقصانا، ومن القرآن عيبا وتناقضا. وظن أولئك بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾[البقرة 247]

---

(1) كتاب الأضداد أبو حاتم السجستاني: ص128.

(2) مقدمة محقق أضداد أبي حاتم السجستاني: ص83.

أراد: الذين يتيقنون ذلك، فهل يذهب عاقل بوهمه إلى أن يمدح الله الجليل قوما يشكون في لقائه، أو في مثل قوله تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾[الأنبياء 86].

ولفظة 'ظن' رآها علماؤنا تحمل معان كثير، فأصلها الإعتقاد الراجح كقوله تعالى: ﴿ إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾[البقرة 228]، وقد تستعمل في اليقين كقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة 45]. أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد، قال: « وكل ظن في القرآن يقين » قال السيوطي: وهذا مشكل بكثير من الآيات لم يستعمل فيها معنى اليقين كالآية الأولى.

وقال الزركشي في البرهان: الفرق بينهما في القرآن ضابطان:

أحدهما: أنه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين وحيث وجد مذموما متوعدا عليه بالعقاب فهو الشك.

الثاني: أن كل ظن يتصل بعده 'أن' الحقيقة فهو شك، نحو﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[الفتح 12]. وكل ظن يتصل به 'أن' المشددة فهو يقين كقوله:﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة 20] ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾[القيامة 28]، وقرئ: 'وأيقن أنه الفراق'...وقال ابن الأنباري: وقال ثعلب: العرب تجعل الظن علما وشكا وكذبا، فإن قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك، فالظن يقين. وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك، فالظن شك، وإن زادت الشك على براهين اليقين، فالظن كذب. قال الله ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[الجاثية 23] أي يكذبون »[1].

قال أبو حاتم: الظن في القرآن شك والظن يقين، فالشك قوله : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[الجاثية 32] وقوله تعالى: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾[الحشر 2] أي توهموا ذلك، ومن اليقين ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[البقرة 46] ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[الحاقة 19] وقوله﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ [القيامة 28] »[2].

---

(1) انظر معترك الأقران للسيوطي: ج2 ص161-162.

(2) كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني: ص135. انظر ابن الأنباري في كتابه الأضداد: ص14 رقم1.

حقيقة المشترك اللفظي والأضداد في اللغة والقرآن

التضاد هو دلالة اللفظ على معنيين متقابلين بمساواة بينهما: « وقد عده علماء اللغة نوعا من المشترك لدلالة اللفظ الواحد على أكثر من معنى، ولذلك قالوا: المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجون – للأبيض والأسود–،وجلل –للصغير والعظيم–، وما يقع على غير ضدين كالعين.وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه جاز وقوعها للشيء وضده،إذ الضد ضرب من الخلاف.وصرح السيوطي بأن المتضاد نوع من المشترك ووافقه على ذلك بعض الباحثين المحدثين[1].

إلا أن الأستاذ المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ليس على وفاق مع السيوطي في هذا الأمر. فعرف الدكتور المشترك اللفظي بأنه هو اللفظ الواحد للدلالة على أمرين مختلفين اختلافا بينا[2].ولا بد هذا التعريف بعيدا عن تعريف السيوطي الذي يرى أن المشترك: « هو الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهان وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر »[3]. إلا أن موضع الخلاف بين الرجلين هو الكثرة والقلة، فيرى السيوطي أنه كثير الوقوع في القرآن، وفي اللغة أكثر وقوعا، ويدل على ذلك أن أبا عبيدة (244هـ) له كتاب في المشترك اللفظي وهو: « الأجناس من كلام العرب، وما اشتبه في اللفظ واختلف لمعنى »[4]. والأصمعي له كتاب: « ما اتفق لفظه واختلف معناه »[5]. أما الأستاذ أنيس فيرى أن المشترك اللفظي نادر أو قليل الوجود، أما في القرآن الكريم فهو عنده قليل جدا. يقول: « وأما ما وقع في القرآن الكريم من ذلك المشترك اللفظي فقليل جدا، جله إن لم يكن لله مما نلحظ فيه الصلة المجازية كالعين للباصرة ولعيون الأرض »[6]. ويخالف السيوطي هذا الرأي ويقول: « والأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر. ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين، وهذا على أن اللغات غير توقيفية».بل إن السيوطي يتجاوز مسألة الخلاف في المشترك اللفظي من حيث وقوعه أو عدم وقوعه ويقرر أنه واجب الوقوع، فيقول :« ومن الناس من أوجب وقوعه لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية، فإذا وزع لزم الإشتراك »[7].

---

(1) علم اللغة بين القديم والحديث. عبد الغفار حامد هلال. ط:2. مط الجبلاوي، (1406هـ 1986م).
(2) أنظر دلالة الألفاظ. إبراهيم أنيس. ط:6. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، 1991م : ص212.
(3) معترك الأقران: ج1 ص514.
(4) انظر دلالة الألفاظ: ص214–215.
(5) المرجع نفسه: ص214–215.
(6) المرجع نفسه: ص215.
(7) المزهر في علوم اللغة: ج1 ص369.

ورحم الله الفارسي، فقد بيّن وجه الغموض في هذه القضية فقد تنطق قبيلة بكلمة لمعنى، وتأتي قبيلة أخرى وتنطق بهذه الكلمة ذاتها لمعنى آخر. وحينما جمعت اللغة وسجلت في المعاجم لم يضع اللّغويون في اعتبارهم أن ينسبوا لكل قبيلة المعنى الذي تعينه هذه الكلمة، وإنما كان همهم جمع الكلمات مع جمع المعاني التي تحتملها بغض النظر عن مصادر هذه المعاني، وبذلك أصبحت الكلمة الواحدة ذات معان متعددة .

ويورد السيوطي مثلا للمشترك من كتاب الأجناس للأصمعي ويختار لفظ العين فيقول:« العين النقد من الدراهم والدنانير، والعين مطر أيام لا يقع، يقال: أصاب أرض بني فلان عين، والعين عين الإنسان التي ينظر بها، والعين البئر وهو مخرج مائها، والعين القناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها، والعين الفوارة التي تفور من غير عمل، والعين ما عن يمين القبلة قبلة أهل العراق، ويقال نشأت السماء من العين، والعين عين الميزان وهو ألا يستوي، والعين عين الدابة والرجل، وهو الرجل نفسه، أو الدابة نفسها أو المتاع نفسه، يقال:لا أقبل منك إلا درهما بعينه: أي لا أقبل بدلا -وهو قول العرب-، لا أتبع أثر العين والعين عين الجيش الذي ينظر لهم، والعين عين الركبة وهي النقرة التي عن يمين الرضفة وشمالها وهي المشاشة التي على رأس الركبة، والعين عين النفس، أي يعين الرجل الرجل، وينظر إليه فيصيبه بعين، والعين السحابة التي تنشأ من القبلة -قبلة أهل العراق-، والعين عين اللصوص»[1] .

أما عن الأضداد وهو يعد جنسا من الأجناس الكلام عند العرب في الاتفاق والافتراق والتي هي نوع من المشترك عند السيوطي، فيستشهد صاحب المزهر في هذا المقام بآراء ابن فارس في « فقه اللغة » الذي يقول: « ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون للأبيض، وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده، وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهند والفرس طرفًا، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد »[2] .

وقد كانت الأضداد وما زالت إلى اليوم موضعا للجدل والرأي عند العلماء والدارسين، فمنهم من قال بإمكان وقوعها، وعد وضعها في مألوف القوانين اللّغوية. وذكروا عللها وأسبابها وشواهدها الشيء الكثير، ومن هؤلاء الأصمعي وأبو عبيدة والسجستاني وابن السكيت وقطرب وابن الأنباري وغيرهم.

---

(1) انظر المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج1 ص372، 373.
(2) المصدر نفسه: ج1 ص387.

ومنهم من أنكر هذه الأضداد إنكارا عنيفا، وأبطلها إبطالا تاما، وتأول ما ورد منها في اللغة ونصوص العربية، وأشهر من أعلن هذا الرأي درستويه، فإنه ألف كتابا أسماه « إبطال الأضداد » وذهب إلى جحد الأضداد جميعها.

ومنهم من قال بوجود الأضداد، إلا أنهم عدوها منقصة للعرب ومثلبة من مثالبهم واتخذوها دليلا على نقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم،وزعموا أن ورودها في كلام العرب سببا في كثرة الالتباس عند المحاورة وهؤلاء هم الشعوبية أو من كان يسميهم الأنباري «أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب»[1].

وقد حاول الشعوبيون الذين يزدرون بالعرب رمي العربية بالقصور وخلوها من الحكمة وافتقارها إلى الدقة والبلاغة في إطلاق الألفاظ وتحديد المعاني. واتخذوا من هذه الظاهرة في اللغة سببا للزراية بالعرب ورميهم بنقصان الحكمة وقلة البلاغة والميل إلى الالتباس والتلبيس في الكلام[2] .

وللرد على هؤلاء ساق أبو بكر الأنباري(328هـ) جملة من الأجوبة أحدها: « أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين، لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر »[3].

ثم حاول الأنباري رفع اللبس عن هذه اللفظة متتبعا نشأتها. فأورد لذلك رأي علماء آخرين يرون أنه:« إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الإثنين على جهة الاتساع، فمن ذلك الصريم، يقال الليل صريم، وللنهار صريم، لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصر من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع »[4].

وبعد التحليل والتعليل النظريين يبدو أن الأنباري قد التفت أخيرا إلى الواقع اللّغوي والذي يحمل في طياته العديد من حقائق الظاهرة في مجال الاستعمال، لذلك ساق رأي جماعة أخرى ترى أنه:« إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمجال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحي غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء. قالوا: الجون الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر »[5]. وقد توسع بعضهم في معنى الضدية فأدخل في هذا **النوع ما دل على معنى في زمن ودل على المعنى في زمن آخر . قال أبو عبيدة** : « كان من الأضداد

---

(1) الأضداد الأنباري: ص3.
(2) انظر مقدمة الأنباري في كتابه الأضداد: ص1.
(3) الأضداد الأنباري: ص2.
(4) المصدر نفسه: ص8.
(5) المزهر في علوم اللغة للسيوطي: ج1 ص401.

يقال 'كان' للماضي، و'كان' للمستقبل فأما كونها للماضي فلا يحتاج إلى شاهد، وأما كونها للمستقبل فقول الشاعر:

فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ ۞ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي القَصَائِدِ مَصْنَعَا

أراد : لمن يكون بعدي [1].

وقال : و'يكون' من الأضداد ، يقال 'يكون' للمستقبل، ويقال 'يكون' للماضي فكونه للمستقبل لا يحتاج فيه إى شاهد، وكونه للماضي قول الصُّلَتَانِ يرثي المغيرة بن المهلب:

قُلِ لِلْقَوَافِلِ وَالغُزَاةِ إِذَا غَزَوْا ۞ وَالبَاكِرِينَ لِلْمَجْدِ الرَّائِحِ

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالشَّجَاعَةَ ضُمِّنَا ۞ قَبْرًا بِمَرْوَةَ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ ۞ كُومَ الجِلَادِ وَكُلَّ طِرْفٍ سَابِحِ

وَانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا ۞ فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَائِحِ

أراد : فلقد كان [2].

ويرى الأنباري أن هذا لا يجوز إلا إذا وضح المعنى، فيحمل أحد الفعلين على الآخر. غير أن الدكتور عبد الواحد وافي لم يوافق الفريق الذي قال في استعمال الأضداد، وذلك عنده أن كثيرا من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها من هذا الباب[3]. وذكر وجوها عدة أهمها :

1- قد يجيء التضاد في الظاهر من انتقال اللفظ عن معناه إلى آخر مجازي لنكتة بلاغية أو لعلاقة ما. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة 67] فالفعل الثاني غير مستعمل في معناه الأصلي لأن الله لا يجوز عليه السهو، بل مستعمل في معنى الإهمال والترك لمقصود على سبيل الاستعارة، وقد حسن هذه الاستعارة ما تحققه من مشاكلة بين اللفظين وتجانس بين الجزاء والعمل.

2- وقد يجيء التضاد في الظاهر من دلالة الكلمة في أصل وضعها على معنى عام يشترك فيه الضدان، فتصلح لكل منهما لذلك المعنى الجامع. وهذا ما يسميه أحيانا علماء الأصول بالمشترك المعنوي، وقد يغفل الناس عن ذلك المعنى الجامع فيظن الكلمة من قبيل التضاد.ومثال ذلك 'القرء' في إطلاقه على الحيض والطهر، لأن معناه في الأصل الوقت المعتاد ومن ثم يستعمل في الحيض والطهر لأن كليهما وقت معتاد للمرأة[4]. و'الزوج' في إطلاقه على الذكر والأنثى، و'الصريم' في إطلاقه على الليل والنهار.

---

(1) انظر الأضداد لابن الأنباري: ص60.
(2) المصدر نفسه: ص60-61.
(3) فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي: ص188.
(4) راجع تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص87.

3- وقد يجيء التضاد في الظاهر من اختلاف مؤدي المعنى الواحد باختلاف المواقع. وذلك مثل كلمة 'فوق' التي قالوا إنها قد تستعمل في ضد معناها الأصلي فتأتي بمعنى 'دون' كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة 26] أي فما دونها. والحق أنها في هذا المثال وما إليه تدل على معناها الأصلي، إذ تفسير الآية ما يفوق الذبابة حقارة، فهي لم تستخدم بمعنى دون، وإنما جاءها هذا المدلول من مؤدي معناها الأصلي في مثل هذه الآية[1].

والتأليف في الأضداد بدأ منذ بداية القرن الثالث الهجر واسبق من ألف في هذا الموضوع أبو عبيدة(208هـ)، لكن كتابة غير موجود ثم قطرب(206هـ).وتبعهم جماعة على رأسهم الأصمعي(213هـ) والتوزي(233هـ)[2] وابن السكيت(244هـ)[3] وأبو حاتم السجستاني(255هـ) وابن الأنباري(328هـ).

وهذه قائمة أسماء أصحاب كتب الأضداد من أول ظهورها إلى نهاية القرن الثالث الهجري مثلما وردت في مضانها من كتب التراجم:

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى كما في الفهرست ص86 ومعجم الأدباء ج5 ص513، وإنباه الرواة ج3 ص286، وفيات الأعيان ج5 ص239.

2- أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي كما في الفهرست ص82-83-130، وإنباه الرواة ج2 ص203،وكشف الظنون ج1 ص115، وفيات الأعيان ج3 ص176.

3- أبو عبيدة القاسم بن سلام (224هـ) كما في مقدمة أضداد التوزي.

4- أبو محمد بن المستنير قطرب (225هـ) كما في الفهرست ص78، وإنباه الرواة ج3 ص220، ومعجم الأدباء ج5 ص445،وكشف الظنون ج1 ص115،وفيات الأعيان ج3 ص312، المزهر ج1 ص397.

5- أبو محمد عبد الله بن محمد التوزي(233هـ) كما في الكامل ج1 ص255، ج3 ص228، وإنباه الرواة ج2 ص126، والمزهر ج1 ص397، وبغية الوعاة ص290، تاريخ الإسلام للذهبي ص188 جزء [حوادث ووفيات 251-260هـ].

6- أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت (244هـ أو 246هـ) كما في الفهرست ص108-130 ومعجم الأدباء ج5 ص643، إنباه الرواة ج4 ص61، وفيات الأعيان ج6 ص400.

---

(1) فقه اللغة لعبد الواحد وافي: ص188-190.

(2) « هو عبد الله بن محمد بن هارون أبو محمد التوزي مولى قريش وكان يدعى بالقريشي وقال المبرد: قرأ التوزي كتاب سيبويه على أبي عمر الجرمي. قال: ما رأيت أعلم بالشعر منه، وكان أعلم من الرياشي والمازني وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة وقد قرأ الأصمعي وغيره» إنباه الرواة: ج2 ص126.

(3) «يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت، كان أبوه من أصحاب الكسائي عالما بالعربية واللغة والشعر...أخذ ابن السكيت عن أبي عمر والشيباني والفراء وابن الإعرابي والأثرم وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة. كان عالما بالقرآن ولحو الكوفيين، ومن أعلم الناس باللغة والشعر راوية ثقة ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله.» معجم الأدباء: ج5 ص642 643.

7- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (248هـ أو 254هـ) كما في الفهرست ص93، وكشف الظنون ج1 ص115، انباه الرواة ج2 ص62، وفيات الأعيان ج2 ص432.

8- أبو العباس أحمد بن يحي بن سيار الشيباني ثعلب (291هـ) .

9- أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بالأنباري (328هـ) كما في المزهر ج1 ص397،وكشف الظنون ج1 ص116، معجم الأدباء ج5 ص415، وفيات الأعيان ج4 ص342.

وكانت لهذه البحوث كبير الأثر في ميدان التّفسير اللّغوي على الخصوص إذ كانت تمثل وهي في مَضانها أهم الروافد التي تمد أصحابه لحل أكثر الاشكالات اللّغوية في القرآن انتشارا، وهي مشكلة الأضداد والتي تنجر عنها معان قد توظف في أكثر من ميدان.

وهذا كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني، وكذا أضداد ابن الأنباري خيرا نموذج لتلك العلاقة بين بحوث الأضداد والتّفسير اللّغوي.

كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني

كان أبو حاتم تلميذا عند أستاذه الأصمعي، كما روى عن أبي عبيدة وغيره من أعلام اللغة والتّفسير. وقد كان يمعن النظر فيما كتبه هؤلاء من كتب الأضداد، ويكثر التفكير فيما جاء في الذكر الحكيم من تلك الألفاظ التي يختلف مدلولها وهي على صورة واحدة، وكان أبو حاتم يبحث حتى في الألفاظ التي تختلف معانيها باختلاف السياق. ومنهجه «أنه يأتي باللفظ الذي يشمل على الضدين ثم يذكر المعنيين ويستشهد على المعنيين بما جاء في القرآن الكريم والشعر العربي القديم الذي يمثل العصرين الجاهلي والإسلامي فقط»[1]. وكتاب أبي حاتم واسع الشاهد من القرآن الكريم بما يدل أن الرجل كان يبتغي من ذلك شيئا وهو خدمة للقرآن ولغته. كما يدل ذلك أيضا على سعة وحفظ الرجل وقوة الاستشهاد لديه. فمثلا إذا أخذنا المادة الأولى 'ندّ' نجده يستشهد فيها بعشرة شواهد من آيات القرآن، يقول أبو حاتم:« اجتمعت العرب على أن ند الشيء مثله وشبهه وعدله[2]، ولا أعلمهم اختلفوا في ذلك، قال لبيد :

أَحْمَدُ اللهُ فَلاَ نِدَّ لَهُ ۞ بِيَدَيهِ الخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ

والجمع أنداد. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[البقرة 21] وكثير من العرب يجعلون الند أيضا للجمع من النساء والرجال، وللاثنين من الرجال والنساء كما يجعلون المثل والشبه والعدل والضد

(1) محقق الاضداد لأبي حاتم: ص96.
(2) راجع مفردات الراغب ص489.

قال الله تعالى: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[المؤمنون 47]، ولو قال مثلينا لكان جيدا في الكلام، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾[النساء 139] وقال عز اسمه في موضع آخر ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد 39] ولو قيل: إنكم إذا أمثالكم، وثم لا يكونوا مثلكم لجاز الكلام. قال الله تعالى: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾[مريم 83]، ولو قالوا في الكلام أضدادا لكان جائزا كما قال أندادا ويقال أيضا الأشباه، والأعدال ونحو ذلك. قال الشاعر :

أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدًا ۞ وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ [1]

وأما حسان فقال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍ ۞ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

فأراد الواحد، ويقال: ند ونديد، ونديده بالهاء. كما في الحديث : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمَةُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » أي كريم قوم. قال لبيد:

لِيَكْلَأَ يَكُونَ السِّنْدَرِي نَدِيدَتِي ۞ وَأَشْتِمُ أَقْوَامًا عُمُرْمًا عَمَاعِمَا »[2].

أما أثر القرآن الكريم في كتاب أبي حاتم فهو بيّن، إذ يورد الكلمة وينص على استعمالها في القرآن الكريم، فيقول: وفي القرآن كذا .. وكذا .. ثم يأتي بالمعنى المختلف أو المتضاد إذا ورد اللفظ مستعملا في الضد مثال ذلك عنده : « 'وراء' ومن ذلك وراء تكون في معنى خلف ومعنى قدام ففي القرآن معنى بَعْدٍ وخَلْفٍ قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾[هود 70]. ﴿ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾[مريم 4] والمولى هم بنو العم، وقول العرب بلغني ذاك من وراء وراء، وفي القرآن في معنى قدام قوله ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[الكهف 78] يعني قدامهم، حدثني أبو عامر أن ابن عباس قرأ 'وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سفينة صالحة غصبًا' وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[ابراهيم 20] أي من بين يديه وهو كثير في القرآن »[3].

– ومثال آخر عن لفظة «عَسَى» قال أبو حاتم: « 'عسى' وقالوا عسى شك وعسى يقين، وهي من الله يقين، ويروى في الحديث في تفسير ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة 103] عسى من الله واجب، والشك قول الشاعر:

عَسَى الكَرْبُ الذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ ۞ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ[4]

---

(1) البيت لجرير. وتيم: قبيلة، جماعة.
(2) كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني: ص131. انظر كتاب الأضداد لابن الأنباري: ص23 المفردة رقم6.
(3) المصدر نفسه: ص144. راجع الأضداد ابن الأنباري: ص68 المفردة رقم34.
(4) البيت لهدبة بن خشرم من كلمة له في أمالي القالي: ج1 ص70–72.

وراءه هاهنا بعده وخلفه...[1]

وقد ناقش أبو حاتم أبا عبيدة في لفظة «عسعس» قال: «قال أبو عبيدة : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير 17] أقبل ويقال أدبر. وأنشد لِعِلْقَةَ بن قُرْطٍ التميمي فجعله إقبالا:

مُدْرِعَاتِ اللَّيْلِ لَمَّا عَسْعَسَا ۞ وَادَّرَعَتْ مِنْهُ بَهِيمًا جَنْدَسَا

البهيم الأسود الذي لا يخالطه بياض، والجندس الشديد السواد، قال: زعموا أن ابن عباس رحمه الله قال « عسعس» أدبر، والله أعلم، قال أبو عبيدة : وقال الزبرقان في الإدبار:

وَمَاءٍ قَدِيمٍ عَهْدُهُ مَا يُرَى بِهِ ۞ سِوَى الطَّيْرِ قَدْ بَاكَرْنَ وِرْدَ المُغَلَّسِ

وَرَدْتُ بِأَفْرَاسِ عِتَاقٍ وَفِتْيَةٍ ۞ فَوَارِطَ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ مُعَسْعَسِ

قال أبو حاتم: قد تقلد أبو عبيدة أمرا عظيما ولا أظن هاهنا معنى أكثر من الإسوداد، عسعس أظلم، وأسود في جميع ما ذكر، وكل شيء من ذا الباب في القرآن فتفسيره يتقى وما لم يكن في القرآن فهو أيسر خطبا»[2].

ويبدو أن أبا حاتم كان له رأي في أضداد القرآن الكريم لخصه الأستاذ محمد خلف الله في النقاط التالية :

1- أنه لا يرى التوسيع في نظرية الأضداد في اللغة وخاصة في لفظ القرآن الكريم، ولا يرى التسليم بما قاله المفسرون واللّغويون من قبل .

2- الاقتصار في ألفاظ الأضداد على ما جاء منها مما لا يحتمل الشك ويؤيده السياق والشواهد الصحيحة.

3- إرجاع باقي ما جاء منها إلى أصولها من تصحيف وتغاير في اللهجات أو مجرد أخطاء وقع فيها الشعراء نتيجة الاختلاط بالمولدين.

4- الاكتفاء في بعضها بذكر ما جاء في تفسير العلماء مع الوقوف بين الآراء المتعارضة موقفا وسطا. يقول: « قال بعضهم في المسجور الفارغ ، بلغني ذلك ولا أدري ما الصواب ؟!! ولا أقول في 'البحر المسجور ' شيئا ولا 'وإذا البحار سجرت' لأنه قرآن فأنا أثق به »[3].

هذا ما كان يراه أبو حاتم حول قضية الأضداد في القرآن الكريم، مما زاد من اهتمام علماء اللغة والتّفسير بكتابه واللجوء لرأيه .

---

(1) كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني: ص163. راجع أضداد ابن الأنباري : ص22 المفردة رقم5.
(2) المصدر نفسه: ص166-167.
(3) أثر القرآن في تطور النقد العربي لمحمد زغلول سلام: ص75.

كتاب الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباري (328هـ)

ولعل كتاب الأنباري هذا من أحاسن ما ألف في هذا الموضوع لغزارة مادته، وكثرة شواهده، وسعة علم مؤلفه. وعلى نفس منهج أبي حاتم سار الأنباري في شرحه لأضداد القرآن وهذه نماذج من أضداده :

- « المُتَفِكّة »: وقال بعض أهل اللغة أيضا: المُتَفِكّة من الأضداد، يقال: رجل متفكّه، إذا كان منعما مسرورا، ورجل متفكّه، إذا كان حزينا متندما. قال الله عز وجل: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[الواقعة 68]، فمعناه، تندمُون[1]، وعُكْل تقول : 'تَفَكَّنُون' بالنون. ويقال : معنى قوله جل وعز 'تَفَكَّهُون' تعجبون[2] مما وقع بكم في زرعكم، يقال : قد فكّه الرجل يفكّه، إذا عجب، أنشد اللِّحْيَانِي أبو الحسن :

ولَقَدْ فَكِهْتُ مِنَ الذينَ تَقَاتَلُوا ۞ يَوْمَ الخَمِيسِ بِلاَ سِلاَحٍ ظَاهِرِ

أراد: عجبت... ويقال رجل فكه وفاكه، إذا كان معجبا بالشيء قال الله عز وجل: ﴿ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[الطور16] فمعناه معجبين[3] »[4].

- « رَاغَ »: قال قطرب: راغ حرف من الأضداد يقال: راغ فلان على القوم إذا أقبل عليهم، وراغ عنهم إذا ولى عنهم وذهب، وقال: وفي كتاب الله عز وجل: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[الصافات 93]، معناه: أقبل عليهم، وفي كتاب الله عز وجل في موضع آخر: ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾[الذاريات 26] فمعناه ذهب إلى أهله. وقال الفراء[5]: « لا يقال لمن رجع: راغ، إلاّ أن يكون مخفيا رجوعه، قال: فلا يجوز أن يقال راغ الحاج من مكة، لأنهم لا يخفون رجوعهم، فمتى أخفى ذلك مخف قيل: راغ فهو رائغ. وقال غير الفراء: لا يكون: 'راغ' أبدا إلا بمعنى رجع. على سبيل الذي ذكر الفراء[6] وليس بحرف من الأضداد على ما أدعى قطرب[7] .

---

(1) ذكره الفراء في معانيه: ج3 ص128.
(2) ذكره الفراء في معانيه: ج3 ص128، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن: ص450.
(3) كذلك فسره ابن قتيبة في غريبه ص425.
(4) كتاب الأضداد لابن الأنباري: ص32.
(5) معاني القرآن للفراء: ج3 ص86.
(6) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص421.
(7) كتاب الأضداد لابن الأنباري: ص92.

- « الأمّة »: والأمة حرف من الأضداد. يقال : الأمّة للواحد الصالح الذي يؤتم به، ويكون علما في الخير، كقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾[النحل 120].

ويقال للأمة الجماعة [1] كقوله عز وجل: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ ﴾[القصص 23].

ويقال: الأمة أيضا للواحد المنفرد بالدين، قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قلت : يا رسول الله، إن أبي قد كان على ما رأيت وبلغك، أفلا استغفر له؟ قال:« بلَى، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ »[2].

ويفسر هذا الحرف من كتاب الله تعالى تفسيرين متضادين، وهو قوله: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[البقرة 211] فيقول بعض المفسرين[3]: معناه كان الناس مؤمنين كلهم. ويقول غيره: معناه كان الناس كفارا كلهم[4]، فالذين قالوا: الأمة هاهنا المؤمنون، ذهبوا إلى أن الله عز وجل لمّا غرق الكافرين من قوم نوح بالطوفان ونجّى نوحا والمؤمنين، كان الناس كلهم من ذلك الوقت مؤمنين ثم كفر بعضهم بعد ذلك الوقت فأرسل الله إليهم أنبياء يبشرون وينذرون، و يدلونهم على ما يسعدون به، ويتوفر منه حظهم. ومن قال: الأمة في الآية ومعناه الكافرون، قال: تأويل الآية: 'كان الناس قبل إيصال الله نوحا كافرين كلهم، فأرسل الله نوحا وغيره من النبيين المبعوثين بعده يبشرون وينذرون، ويدلون الناس على ما يتدينون به مما لا يقبل الله يوم القيامة غيره'، والله أعلم بحقيقة القولين وأحكم[5].

- « أو »: و 'أو' حرف من الأضداد تكون بمعنى الشك في قولهم: يقوم هذا أو هذا، أي يقوم أحدهما. وتكون معطوفة في الشيء المعلوم الذي لا شك فه كقول جرير :

نَالَ الخِلاَفَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ۞ كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ[6]

أراد وكانت . وقال توبة بن الحمير :

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ ۞ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا

أراد : وعليها.

---

(1) مفردات الراغب: ص33.
(2) حكى ذلك الراغب في مفرداته ص33. والحديث رواه أحمد في مسنده. مسند سعيد بن زيد بن عمرو.
(3) تفسير ابن كثير: ج1 ص251.
(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص81.
(5) كتاب الأضداد لابن الأنباري: ص269-271.
(6) ديوانه: ص211 .

وقال أبو عبيدة في قوله الله جل وعز: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[السبأ 24]، معناه: وإنا لعلى هدى وإنكم في ضلال مبين، فأقام 'أو' مقام الواو، لأن المسلمين ما شكوا في أنهم على هدى، نشد:

فَلَوْ كَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًا ۞ بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

عَلَى المَرْأَيْنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا ۞ لِشَأْنَيْهِمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

أراد: على بجير وعفاق، فأقام 'أو' مقام 'الواو'. ويجوز أن تكون 'أو' دخلت في هذه على غير شك لحق المسلمين فيما هم عليه، بل لمعنى الاستهزاء بالمشركين، كما قال أبو الأسود :

يَقُولُ الأَرْذَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ ۞ طَوَالَ الدَّهْرِ مَا تَنْسَى عَلِيًّا

بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبُوهُ ۞ أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمُ إِلَيَّا

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِبْهُ ۞ وَلَيْسَ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيًّا

... وقال الفراء[1] وغيره: معنى الآية أن المؤمنين أدخلوا 'أو' في كلامهم وهم لا يشكون فيما هم عليه من الهدى، على جهة الترفق بالمشركين، والاستمالة لهم إلى طاعة الله، كما يقول للرجل إذا كذب: قل إن شاء الله، وربما قال له أحد: يا كاذب، فمعناه كذبت، إلا أنه حسن اللفظ. وتكون 'أو' بمعنى التخيير. كقوله للرجل: جالس الفقهاء أو النحويين، فمعناه: إن جالست الفقهاء أصبت، وإن جالست النحويين أحسنت، وإن جالست الفريقين فأنت مصيب أيضا، وتكون 'أو' بمعنى 'بل' كقوله جل وعز: ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[الصافات 147] معناه 'بل' يزيدون. قال ابن عباس: كانوا مائة ألف، بصفة وعشرين ألف....

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[الإنسان 24] يفسر تفسيرين: أحدهما: آثما وكفورا، والآخر : أثما ولا كفورا . قال الشاعر :

لا وَجْدُ ثَكْلَى كَمَا وَجَدْتُ ولا ۞ ثُكْلُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ

وَلَا وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ ۞ يوم تَوَافَى الحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

أراد : ولا وجد شيخ[2].

---

(1) معاني القرآن للفراء: ج2 ص362.

(2) كتاب الأضداد لابن الأنباري: ص279-282.

وغير كتابي أبي حاتم و الأنباري كثير، أهتم أصحابها من علماء القرن الثاني والثالث بالكتابة في اختلاف اللفظ والمدلول نتيجة اختلافهم في فهم غريب القرآن وتعارض الآراء فيه، وكان دافعا لدراسة هذه الظواهر، فكتب ابن السكيت كتابا في الأضداد، وأبو عبيدة القاسم بن سلام كتاب ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد كتاب 'ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد'. وغير هؤلاء من علماء القرنين الثاني والثالث مما ينبه إلى أثر البحوث اللّغوية في عملية التّفسير[1].

إن هذه الوجوه الثلاثة الغريب والمشكل والأضداد وقبل ذلك المعاني هي أشد الوجوه تأثيرا في تفسير النصوص، إذ كثيرا ما يتوقف عليها فهم المعنى المراد من الآية الكريمة، ولا سيما والقرآن تحكم معانيه قوالب عربية شديدة الارتباط بلهجات القبائل قبل نزول القرآن. لذلك أضحت البحوث اللّغوية في اللفظ والسياق العربيين وعلاقات الربط بينهما من أكثر البحوث أهمية بالنسبة للمفسر، إذ يتعذر عليه الخوض في القرآن أو الوصول إلى إيضاح المعنى منه إذا جهل جزءًا يسيرًا من هذه المسائل اللّغوية.

إن وجوه التّفسير اللّغوي تعد من أدوات التّفسير في جانب، ووجوه تفسيرية مقصودة في ذاتها من جانب آخر، وهي في مجموعها تقدم نموذجا متفوقا في باب التّفسير. لذلك عدّ علماء القرآن أن التّفسير اللّغوي بهذه الصيغة هو من أحسن مناهج التّفسير وأسلمها، لأنه يبعد عن كل ميول فكري قد تصبغ به النصوص، لوضوح الوسيلة والأداة وهي لغة عرب أساسا وسائر علوم القرآن، ومن ثم يبعد أن يقع المفسر اللّغوي فيما وقع فيه غيره من الأخطاء أثناء التأويل.

الدلالة اللّغوية في العمل التّفسيري اللّغوي

اتخذت بحوث الدلالة اللّغوية من جهد الباحثين الشيء الكثير، فقد اتجهت بحوثهم وجهات متباينة، اختلفت تبعا لاختلاف الفرع الذي وجهت العناية لمعالجته، ومن ذلك التطور الدلالي لألفاظ القرآن الكريم .

إن الألفاظ اللّغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم، بل تطورت دلالاتها. فقد يحمل اللفظ الواحد معان لغوية، ومعاني شرعية، ومعان عرفية، بعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن، وبعضها لا علم للعرب به وقت نزول القرآن.

---

(1) انظر جدول كتب البحوث القرآنية عند اللّغويين ص336 وما بعدها من هذا البحث.

وكان للقرآن الأثر الكبير في تغيير مفاهيم كثيرة من الألفاظ التي عبرت عن مقررات هذا الدين عقيدة وشريعة، من ذلك المؤمن والكافر والمسلم والمنافق والصلاة والزكاة والحج والعمرة والجهاد، وغيرها من الألفاظ التي صارت فيما بعد حقائق يدل بها على أبواب العبادة وطرائق التشريع وهو ما يسميه المحدثون بتخصيص الدلالة، وهو عبارة عن « الخروج عن معنى عام إلى معنى خاص»[1]، وذلك بتخصيص مجال الدلالة من المعنى الكلي أو العام إلى المعنى الجزئي أو الخاص، وهو ما عبر عنه ابراهيم أنيس بقوله : « فإذا تحددت الدلالة أو ضاق مجالها قيل إن اللفظ أصبح جزئيا، وقيل إن الدلالة قد تخصصت »[2]. وقد أشار عبد الواحد وافي وهو بصدد الحديث عن أثر القرآن والحديث والإسلام في اللغة العربية إلى ما اكتسبته مفردات العربية من معاني جديدة، وما عرفته من تضييق وتحديد أديا إلى تخصيص دلالات كثير منها في دائرة المفاهيم الإسلامية الجديدة. قال : « وأما المفردات ودلالاتها فكان الأثر فيها واضحا كل الوضوح، فقد تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة القديمة، وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو الشؤون السياسية والإدارة والحرب أو مصطلحات العلوم والفنون »[3].

ويدخل في هذا المجال ما جاء عن علماء العربية المفسرين حين عرضوا للألفاظ الواردة في القرآن لتعرف جذور تلك الحروف فيستدل بأصولها في اللغة على معانيها...وقد تتبع ابن قتيبة في غريبه هذه الظاهرة وذكر كثيرا من الألفاظ التي خصصها الإسلام ومثال ذلك 'النفاق' قال ابن قتيبة: في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جحر من جحرته يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي دخل فيه، فيقال: قد نَفَقَ ونَافَقَ، شُبِّه بفعل اليربوع، لأنه يدخل من باب ويخرج من باب، وكذلك المنافق ... والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب من قبل الإسلام تعرفه »[4]. وقال ابن منظور في اللسان: «هو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروف »[5] .

و'الفسق' في اللغة : الخروج عن الشيء. قال الفراء[6]: ومنه يقال فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ إذا خرجت من قِشْرِهَا[7]. ثم جُعِل هذا اللفظ لكل من خرج عن طاعة الله عز وجل[8]. قال تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[الكهف 49].

---

(1) علم اللغة بين القديم والحديث لعبد الغفار حامد هلال: ص230.
(2) دلالة الألفاظ لابراهيم أنيس: ص152.
(3) فقه اللغة: ص115. انظر علم اللغة بين القديم والحديث: ص213.
(4) تفسير غريب القرآن: ص29.
(5) اللسان: ج6 ص4509.
(6) معاني القرآن: ج2 ص147.
(7) اللسان: ج5 ص3414.
(8) انظر مفردات الراغب: ص382.

وهناك ما يسمى بتعميم الدلالة، وهو عبارة عن توسيع معنى اللفظ المفهوم « وذلك عند الخروج من المعنى الخاص إلى المعنى العام »[1]. ويشير ابراهيم أنيس عند حديثه عن هذه الظاهرة، إلى أن: «تعميم الدلالات أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها»[2] وتعرض الأولون من المفسرين إلى هذه الظاهرة في أثناء تفسيرهم للألفاظ الغريبة حيث لاحظوا أنه كلما كثر استعمال اللفظ كلما كان عرضه للتغير، وقد يفقد خلال ذلك معناه القديم، ويكتسب معنى جديد بحيث لا يبقى بينه وبين المعنى الأصلي سوى ظلال خفيفة لا تكاد تبين من ذلك ما أورده ابن فارس نقلا عن الأصمعي بأن « أصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء ورد»[3] .

ظاهرة أخرى سماها المحدثون بتغيير مجال الاستعمال أو ارتباط المعنى الجديد بالقديم[4] وهو « وجود علاقة غالبا بين المعنى الأصلي والمعنى المنتقل إليه »[5]. وهذا الانتقال يحصل بطرق أبرزها الاستعارة أي المجاز الذي علاقته التشبيه، والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته غير التشبيه كالسببية والحالية والجزئية والكلية وبحصول هذا الانتقال تصبح الكلمة حقيقة في المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه، وقد ينسي المعنى القديم أو ينقص. وقد انتبه الأوائل إلى هذا النوع من التطور الدلالي وذلك حين قال ابن قتيبة: « وقد يسمى الشيء باسم غيره إذا كان منه أو سببه » قال ذلك تعليقا على المعنى الذي اكتسبته لفظة 'النضد' حين تعرض له بقوله: « النضد: هاهنا السرير وأصل النضد ما نضد من الثياب بعضه على بعض...وإنما سمي السرير نضدا، لأن النضد يكون عليه »[6].

وما تجدر الإشارة إليه أخيرا أن ابن قتيبة وهو يتتبع دلالات الألفاظ وما طرأ عليها من تبدل وتغير وانتقال كان قد تلمس أثر الاستعارة وما قد يجره من سوء فهم أو ابتذال معاني بعضها.

ومحاولتهم هذه أيضا، غايتها تيسير الفهم وذلك بالإحاطة بمعاني اللفظة الصريحة والمحتملة، الأصلية والمكتسبة، وهي الغاية التي لا تخرج عن سياق هدفهم العام المتمثل في التفسير اللغوي لكل غريب من الألفاظ.

---

(1) علم اللغة بين القديم والحديث لعبد الغفار حامد الهلال: ص230.
(2) دلالة الألفاظ ص154.
(3) الصاحبي لابن فارس: ص96 97.
(4) انظر علم اللغة بين القديم والحديث لعبد الغفار حامد الهلال: ص230.
(5) المرجع نفسه: ص230.
(6) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، انظر اللسان: ج6 ص4453.

وقد تعرض السيوطي بدوره إلى بعض المظاهر التي تصحب التطور من تخصيص وتعميم[1]. وتفيدنا هذه الإشارات بأن اللّغويين القدامى والمفسرين منهم قد التفتوا إلى مسألة التطور الدلالي وإن لم يصرحوا بلفظة « التطور ».أما الباحثون المحدثون فقد تناولوا ظاهرة « التطور » بالدرس والتحليل، وعرضوا للعوامل المؤدية إليه وأجملوها في « الاستعمال والحاجة »[2] واستخلصوا ما يصحب ذلك من مظاهر، والتي تتمثل في تطور الدلالة بالتخصيص والتعميم، والانحطاط والرقي وكذا تغير مجال الاستعمال[3].

أما سائر دلالات الألفاظ العربية فقد تعامل معها علماء القرون الثلاثة الأولى كما استعملتها العرب وقت نزول القرآن، بل نشطت حركة التأليف اللّغوي لأجل الحفاظ على تلك الدلالات الأولى التي كانت عليها المفردات حينها، وذلك لأجل غاية سامية ارتبطت بالنص المنزل وهي تلقي معاني الألفاظ القرآنية كما أرادها الله تعالى. أما ظهور تلك الدلالات اللّغوية الجديدة في العمل التّفسيري فهي باطلة بإجماع الباحثين اللّغويين وشراح النصوص القرآنية. فهذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن الكريم، وجعلها تدل على معان جدت باصطلاح حادث بعد نزول القرآن بأجيال توسع باطل. وما تلك التفاسير التي تتناول النص بعيدا عن تلك الدلالات المنصوص عليها إلا صورة من صور الترف الفكري السائد عبر العصور. وإني شديد العجب من مقولة الدكتور محمد ابراهيم شريف في كتابه « اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر » الصفحة 536 حين قال: « ليس ما يمنع أن تحتمل ألفاظ القرآن الكريم وهي كلام الله سبحانه وتعالى الذي يشابه كلام بشر معان لم تظهر بعد ادخارها الله سبحانه وتعالى لأهل العصور التالية ليكون ما فيها من مفاهيم وحقائق إعجازا لهم وأي إعجاز »؟! بل ذهب من يساند هذا الرأي بقوله : « فإن التزام المنهج البياني وهو شبيه بالمنهج اللّغوي لمدلول الكلمة ومعناها وقت نزول القرآن الكريم تعطيل لها عن معان أخرى لم تظهر بعد تحمل معها مطابقة القرآن الكريم لمقتضى حال كل عصر من العصور، معلنة إعجازا مستمرا متجددا لا ينقطع وداعيه إلى زيادة التأمل والتدبر في آيات الله »؟![4].

---

(1) المزهر للسيوطي (النوع التاسع والعشرون): ج1 ص426.
(2) انظر دلالة الألفاظ . ابراهيم أنيس ص134-145.
(3) المرجع نفسه: ص152 وما بعدها .
(4) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط:3. مؤسسة الرسالة. (1418هـ-1997م). ج3 ص978.

ونثبت هنا في آخر البحث بعض أسماء المؤلفين ممن صنفوا في القرآن وتفسيره في المجال اللّغوي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ولهذه الأنواع من التآليف صلة مباشرة بالتّفسير اللّغوي كما رأينا مثل كتب المعاني والغريب والإعراب، والآخر منها اختص بأجزاء من هذا التّفسير، كبحوث مصادر القرآن ولغاته، وما اتفقت ألفاظه ومعانيه وكتب القراءات وغيرها مما سنثبته هنا في هذا الموضع. وسنلاحظ غزارة تآليف اللّغويين في القرآن الحكيم إبان هذه الحقبة من تاريخ التّفسير اللّغوي. واهتمامهم بلغته، حيث أحاطوها بالدراسة من جميع الجوانب، ولم تمر عليهم شاردة ولا واردة مما يتصل بعربية القرآن إلا وأشاروا إليها أو صنفوا فيها شرحا وتحليلا، فشكل هذا التراث اللّغوي الضخم في القرآن منهجا لغويا تفسيريا متعدد الاتجاهات عدّه دارسو القرآن ضمن المناهج التّفسيرية الكبرى في تفسير القرآن الكريم.

الكتب المؤلفة في معاني القرآن

ومن العلماء الذين صنفوا في هذا النوع من التأليف نذكر من بينهم:

1- يُونس بن حَبِيب، أبو عبد الرحمن الضَّبِّيُّ(182هـ) له « معاني القرآن الصغير ».[معجم الأدباء ج5 ص553، معاني القرآن الكبير ج5 ص652، إنباه الرواة ج4 ص77، وفيات الأعيان 7-245.]

2- علي بن حمزة الكِسَائِي(182هـ).[معجم الأدباء ج4 ص105، إنباه الرواة ج2 ص257 و265، كشف الظنون ج2 ص1730].

3- محمد بن الحسن بن أبي سارة الرُّؤَاسِيُّ (187هـ)[1]. [معجم الأدباء ج5 ص294 و 377، إنباه الرواة ج4 ص136] .

4- محمد بن المُسْتَنِير بن أحمد، أبو علي المعروف بقطرب البصري النحوي اللّغوي(206هـ)[معجم الأدباء ج5 ص445، إنباه الرواة ج3 ص14 و220، وفيات الأعيان 4-312، كشف الظنون ج2 ص1730].

5- يحيى بن زياد بن عبد الله، ابن منظور بن مروان الأسلمي الكوفي (210هـ) المعروف بالفراء. [معجم الأدباء ج1 ص314، ج3 ص451، ج4 ص429 و ج5 ص621، إنباه الرواة ج3 ص187، وفيات الأعيان ج6 ص178 و181 ، كشف الظنون ج2 ص1730].

---

(1) « محمد بن أبي سارة علي (أو الحسن) الكوفي الرؤاسي، أبو جعفر، أول من وضع كتابا في النحو من أهل الكوفة وهو أستاذ الكسائي والفراء. وكلما قال سيبويه في كتابه « قال الكوفي » على الرؤاسي ولقب بذلك لكبر رأسه» الأعلام ج6 ص281.

6- معمر بن المثنى، أبو عبيدة التميميّ البصري (210هـ).[إنباه الرواة ج3 ص14 و285، وفيات الأعيان ج5 ص238، كشف الظنون ج2 ص1730].

7- سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري (214هـ).[إنباه الرواة ج2 ص35.]

8- أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط(221هـ).[إنباه الرواة ج2 ص42، كشف الظنون ج2 ص1730].

9- القاسم بن سلام أبو عبيد(223هـ)[1]. [معجم الأدباء ج4 ص596، إنباه الرواة ج3 ص14و22، تاريخ الإسلام ص325 (حوادث ووفيات 221-230هـ)، كشف الظنون ج2 ص1730].

10- محمد بن الجَهْم بن هارون السَّمَّرِيُّ (277هـ)[2]. [معجم الأدباء ج5 ص285].

11- اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد، ابن زيد بن درهم أبو اسحاق الأزديُّ (282هـ)[3]. [معجم الأدباء ج2 ص195، تاريخ الإسلام ص12 جزء (حوادث ووفيات 281-290هـ)].

12- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير أبو العباس المبرد (285هـ) واسم كتابه « الحروف ومعاني القرآن إلى طه ».[معجم الأدباء ج5 ص186، إنباه الرواة ج3 ص251 و252، تاريخ الإسلام ص300 جزء (281-290هـ)].

13- أحمد بن يحي بن يسار، أبو العباس ثعلب (291هـ).[تاريخ الإسلام للذهبي ص84 جزء(291-300هـ). معجم الأدباء ج2 ص77، إنباه الرواة ج1 ص185، وفيات الأعيان ج1 ص104، كشف الظنون ج2 ص1730].

14- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كَيْسَان، أبو الحسن(299هـ)[4].[معجم الأدباء ج5 ص94، إنباه الرواة ج3 ص59، كشف الظنون ج2 ص1730].

15- أحمد بن مَخْلَد أبو الحسين الأصبهاني البزار (299 أو 300هـ)[5].اسم كتابه « سراج الهدى في معاني القرآن ».[تاريخ الذهبي ص90 (حوادث 291-300هـ)].

---

(1) « كان أبوه روميا مملوكا لرجل من أهل هراة، وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم ، وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك. » معجم الأدباء ج4 ص596.

(2) وهو صاحب الفراء، وروى كتابه في معاني القرآن، وهو أحد الثقات من رواة المسند. معجم الأدباء ج5 ص285.

(3) «كان فاضلا، عالما، متقنا على مذهب مالك بن أنس شرح مذهبه ولخصله، واحتج له وصنف السنن، وكتبا عدة في علوم القرآن وجمع كتاب حديث مالك، وكتاب يحيى ابن سعيد الأنصاري وكتاب أيوب السختياني، واستوطن بغداد قديما وولِيَ القضاء بها، ولم يزل يتقلده إلى حين وفاته،... وكان – واحد زمانه، ومن انتهى إليه العلم في النحو واللغة في أوانه، وهو نظير المبرد» معجم الأدباء ياقوت الحموي ج2 ص195.

(4) «كان يحفظ المذهبين الكوفي والبصري في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، وكان أبو بكر بن مجاهد يقول: أبو الحسن بن كيسان النحوي من الشيخين يعني المبرد وثعلبا.» معجم الأدباء ج5 ص94.

(5) قال الذهبي في تاريخ الإسلام ج[291 -300هـ] ص90: « قال أبو نعيم الأصبهاني : لا بأس به ».

16- ابراهيم بن السري بن سهل، أبو الحسن النحوي الزجاج(311هـ). [معجم الأدباء ج1 ص95، إنباه الرواة ج1 ص194-200، وفيات الأعيان ج1 ص49، كشف الظنون ج2 ص1730، تاريخ الإسلام الذهبي ج5 (حوادث ووفيات 301-310هـ)].

17- المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب اللغوي(308هـ)[1].[إنباه الرواة ج3 ص306].

18- محمد بن أحمد بن منصور، أبو بكر بن الخياط النحوي(320هـ)[2]. [معجم الأدباء ج5 ص96، إنباه الرواة ج3 ص54، كشف الظنون ج2 ص1730].

19- سلمة بن عاصم أبو محمد النحوي(325هـ)[3] [إنباه الرواة ج2 ص56، كشف الظنون ج2 ص1730، معجم الأدباء ج3 ص392].

20- عبد الله بن محمد بن سفيان، أبو الحسن الخزاز النحوي(325هـ)[4]. [إنباه الرواة ج2 ص131].

21- محمد بن عثمان بن مسيح أبو بكر المعروف بالجعد الشيباني النحوي(مات سنة ليف وعشرين وثلاثمائة)[5]. [ياقوت الحموي ج5 ص375، إنباه الرواة ج1 ص304 و ج3 ص184].

المصنفات في غريب القرآن

ونذكر من بين من صنفوا في الغريب حسب الترتيب الزمني ما يلي :

22- أبَانُ بن تَغْلِب بن رَبَاح الجريري(141هـ)[6]. [معجم الأدباء ج1 ص68].

23- محمد بن السائب الكلبي الكوفي(146هـ). [محقق غريب ابن قتيبة الصفحة 'ج'].

---

(1) « كان فهما فاضلا، ..وأبوه سلمة بن عاصم صاحب الفراء، وابنه أبو الطيب بن المفضل بن سلمة، ..لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء. واستكثر من الرواية ونقل اللغة واستدرك على الخليل في كتاب « العين »، وحكاه في كتاب كبير ألفه وسماه « البارع » ». انباه الرواة ج3 ص306.

(2) «من أهل سمر قند، قدم إلى بغداد واجتمع مع ابراهيم بن السري الزجاج وجرت بينهما مناظرة، وكان يخلط المذهبين. » إنباه الرواة ج3 ص54.

(3) «أخذ عن أبي زكرياء يحيى الفراء وروى عنه كتبه...وأخذ عن سلمة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وكان يقول: كان سلمة حافظا لتادية ما في الكتب، والطوال حافظا بالعربية.» معجم الأدباء ج3 ص391.

(4) « حدث عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما، وروى عن عيسى بن علي بن عيسى الوزير، وكان ثقة» إنباه الرواة: ج2 ص130.

(5) «أحد أصحاب أبي الحسن بن كيسان كان من العلماء الفضلاء مقدما في النحو واللغة والأدب » معجم الأدباء ج5 ص375.

(6) قال أبو جعفر: « هو ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا...قال: وكان قارئا فقيها، لغويا نبيها ثبتا وسمع من العرب وحكى عنهم، وصنف كتابه الغريب في القرآن» معجم الأدباء: ج1 ص67.

24- مُؤَرِّج بن عمرو بن الحارث بن منبع السَدُسيّ البصري النحوي (174هـ)[1]. [معجم الأدباء ج5 ص537، إنباه الرواة ج3 ص327-330، وفيات الأعيان ج5 ص304].

25- النضر بن شُمَيْل (203هـ). [محقق غريب ابن قتيبة الصفحة 'ج'].

26- قطرب(206هـ) -سبقت الإشارة إليه- واسم كتابه«المصنف الغريب».[معجم الأدباء ج2 ص77].

27- أبو عبيدة معمر بن المثنى(210هـ) -سبقت الإشارة إليه- [معجم الأدباء ج5 ص512، إنباه الرواة ج3 ص285، وفيات الأعيان ج5 ص238، تاريخ الإسلام جزء (حوادث ووفيات 201-210) ص399].

28- أبو عبيدة القاسم بن سلام(223هـ)[معجم الأدباء ج4 ص592و595، إنباه الرواة ج3 ص22].

29- محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي (232هـ)[2][معجم الأدباء ج5 ص345].

30- ثعلب، أبو العباس(291هـ). [معجم الأدباء ج2 ص77].

31- عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الكاتب الدينوري النحوي العالم(276هـ). [وفيات الأعيان ج3 ص42، تاريخ الإسلام جزء (حوادث ووفيات 261-270هـ) ص382].

32- محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية(321هـ)[3]. [معجم الأدباء ج5 ص301، إنباه الرواة ج3 ص97، وفيات الأعيان ج4 ص324].

33- محمد بن عثمان المعروف بالجعد - سبقت الإشارة إليه-. [إنباه الرواة ج1 ص304].

34- أحمد بن محمد بن يزداد بن رُستُم النحوي البصري[4]. [إنباه الرواة ج1 ص163، معجم الأدباء ج1 ص598].

35- إبراهيم بن محمد نفطويه (323هـ)[5]. [معجم الأدباء ج1 ص170، إنباه الرواة ج1 ص215].

36- محمدُ بنُ عُزيزٍ أبو بكر السِّجِستانيّ(330هـ) اسم كتابه « غريب القرآن الكريم »[أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون ص234].

---

(1) « هو من أعيان أصحاب الخليل، عالم بالعربية والحديث والأنساب، أخذ عن أبي زيد الأنصاري وصحب الخليل بن أحمد ... ويقال إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان الخليل يحفظ ثلث اللغة، وكان مؤرج يحفظ الثلثين، وكان مالك يحفظ اللغة كلها. » معجم الأدباء ج5 ص536.

(2) « كان من أعيان الأدب، ألف كتابا في طبقات الشعراء وله غريب القرآن، وأخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة، وروى عنه الامام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وابو العباس ثعلب وأحمد بن علي الأبار » معجم الأدباء ج5 ص345.

(3) « قال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عند ذكر ابن دريد: هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد. وتصدر ابن أبي دريد في العلم سنين سنة ». معجم الأدباء ج5 ص297.

(4) « كان بصيرا بالعربية، حاذقا في النحو، أخذ القراءات عن نصير بن يوسف، أبي المنذر النحوي، صاحب الكسائي، وأخذ نصير عن الكسائي.» معجم الأدباء ج1 ص598.

(5)« كان عالما بالعربية واللغة والحديث، أخذ من ثعلب والمبرد وغيرهما،... وكان - الكلام للمبرزباني - من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة، والصدق فيما يرويه، على حال ما شاهدت عليها أحدا ممن لقيناه » معجم الأدباء ص161.

المصنفات في إعراب القرآن ومجازاته ومشكله وما شاكل ذلك

كتب إعراب القرآن

37- أبو حاتم السِّجِسْتانِيّ(248هـ) له « إعراب القرآن ». [وفيات الأعيان ج2 ص432، تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 251-300هـ) ص163].

38- ابن قتيبة الدينوري(276هـ) له « إعراب القراءات ». [وفيات الأعيان ج3 ص42، تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 261-270هـ) ص382].

39- أبو العباس المبرد(285هـ) له « إعراب القرآن ». [معجم الأدباء ج5 ص486].

40- أبو العباس ثعلب(291هـ) له « إعراب القرآن » [وفيات الأعيان ج1 ص104، تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 291-300) ص84].

كتب مجاز القرآن

41- قطرب، محمد بن المستنير(206هـ) له «مجاز القرآن». [معجم الأدباء ج5 ص445، كشف الظنون ج4 ص428].

42- أبو عبيدة معمر بن المثنى(210هـ) «مجاز القرآن». [معجم الأدباء ج5 ص512، إنباه الرواة ج3 ص278-285، وفيات الأعيان ج5 ص236، تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 201-210هـ) ص399].

كتب مشكل القرآن

43- يحيى بن زياد، الفراء(210هـ) له كتاب «كتاب كبير في المشكل». [وفيات الأعيان ج6 ص181]

44- ابن قتيبة الدينوري(276هـ) له كتاب «مشكل القرآن». [إنباه الرواة ج2 ص144، وفيات الأعيان ج3 ص42، تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 261-270هـ) ص382].

كتب ما اتفق لفظه واختلف معناه

45- « ما اتفق لفظه واختلف معناه » للأصمعي (216هـ). [وفيات الأعيان ج3 ص176، تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 211-220هـ) ص280].

46- « ما اتفق لفظه واختلف معناه » لإبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي اللغوي. [تاريخ الإسلام للذهبي جزء (حوادث ووفيات 221-230هـ) ص78].

47- « ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن » لحفص بن عمر بن عبد العزيز أبو عمر الدوري(246هـ)[1]. [معجم الأدباء ج3 ص227].

48- « ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن » للمبرد (285هـ).[معجم الأدباء ج5 ص486].

كتب الوقف والابتداء

49- « الوقف والابتداء الصغير » و « الوقف والابتداء الكبير » لمحمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي(187هـ).[معجم الادباء ج5 ص294و377، انباه الرواة ج4 ص107].

50- «الوقف والابتداء» ليحيى بن زياد الفراء(210هـ)[معجم الأدباء ج3 ص452، إنباه الرواة ج4 ص22، وفيات الأعيان ج6 ص180].

51- « الوقف والابتداء » لأبي العباس ثعلب (291هـ).[معجم الأدباء ج2 ص77، إنباه الرواة ج1 ص136 و ج3 ص59، تاريخ الإسلام جزء (حوادث ووفيات 291-300هـ) ص84].

52- « الوقف والابتداء » لمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان (299هـ).[معجم الأدباء ج5 ص94].

53- « الوقف والابتداء » لأبي بكر بن الأنباري (327هـ).[معجم الأدباء ج5 ص414].

كتب القراءات

54- « القراءات » لعلي بن حمزة الكسائي (182هـ).[معجم الأدباء ج4 ص105].

55- « قراءة أبي عمرو » لأبي زيد الأنصاري (214هـ).[معجم الأدباء ج3 ص378].

56- «القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام(223هـ).[معجم الأدباء ج4 ص596، وفيات الأعيان ج4 ص62] .

57- « القراءات » لأبي حاتم السِّجِسْتَانِيّ(248هـ).[معجم الأدباء ج3 ص404، وفيات الأعيان ج2 ص432، تاريخ الإسلام جزء (حوادث ووفيات 251-260هـ) ص163].

58- « القراءات » لأبي العباس ثعلب(291هـ).[معجم الأدباء ج2 ص77، وفيات الأعيان ج1 ص104، تاريخ الإسلام جزء (حوادث ووفيات 291 300هـ) ص84].

59- « القراءات » لمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان(299هـ).[معجم الأدباء ج5 ص94].

---

(1) قال الحموي:« إمام القراء وشيخ العراق، ثقة ثبت كبير ضابط، رحل في طلب القراءات، وقرأ بالحروف السبعة، وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئا كثيرا، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي وروى عنهما، وقرأ العربية على أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي » معجم الأدباء ج3 ص227.

كتب المصادر في القرآن

60- «المصادر في القرآن»ليحيى بن زياد الفراء [انباه الرواة ج4 ص22، وفيات الأعيان ج6 ص181].

61- « المصادر » أو « مصادر القرآن »للأصمعي (216هـ).[إنباه الرواة ج2 ص203].

62- « مصادر القرآن » لإبراهيم بن يحيى بن المبارك اليزيدي اللّغوي.[تاريخ الإسلام جزء (حوادث ووفيات 221-230هـ) ص79].

كتب أخرى

63- « متشابه القرآن » لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب (206هـ).[معجم الأدباء ج5 ص445].

64- « أمثال القرآن » لإبراهيم بن محمد نفطويه(323هـ).[معجم الأدباء ج1 ص170].

65-«الإدغام»لأبي حاتم السجستاني(248هـ).[معجم الأدباء ج3 ص404، وفيات الأعيان ج2 ص433]

66- « كتاب أجزاء القرآن » لحفص بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمر الدُوريّ (246هـ) [معجم الأدباء ج3 ص227].

كتب الأضداد [1]

وبعد، هذا غيض من فيض مما كتبه علماء القرون الثلاثة الأولى حول لغة القرآن وأسلوبه. ولا يناسب المقام هنا أن أذكر كل ما ألفه هؤلاء في هذا المجال، إلا أنني بعد كل ما ذكرت سأختصر ذلك بذكر عناوين أبواب في أسماء الكتب المؤلفة في سائر وجوه التأليف اللّغوي في القرآن مما كتبه ابن نديم في فهرسته، وسنلاحظ من خلال ذلك أن تلك البحوث المتنوعة العناوين كلها روافد لذلك الاتجاه اللّغوي في تفسير القرآن الكريم. وقد وضع ابن نديم أبوابا في :

1 - تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن الكريم ص50.
2 - الكتب المؤلفة في معاني القرآن وشكله ومجازه ص51.
3 - الكتب المؤلفة في غريب القرآن ص52.
4 - الكتب المصنفة في لغات القرآن ص53.
5 - الكتب المصنفة في القراءات ص53.
6 - الكتب المصنفة في النقط والشكل للقرآن ص53.
7 - الكتب المصنفة في لامات القرآن ص54.
8 - الكتب المصنفة في الوقف والابتداء في القرآن ص54.

---

(1) سبقت الإشارة إليها . أنظر الصفحة 325-326.

9 – الكتب المصنفة في اختلاف المصاحف ص54.

10 – الكتب المصنفة في وقف التمام ص54.

11 – الكتب المصنفة في فيما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن ص55.

12 – الكتب المصنفة في متشابه القرآن ص55.

13 – الكتب المصنفة في هجاء المصاحف ص55.

14 – الكتب المصنفة في مقطوع القرآن وموصوله ص55.

15 – الكتب المصنفة في أجزاء القرآن ص55.

16 – الكتب المصنفة في فضائل القرآن ص55.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

هذا البحث « **خصائص المنهج اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري** » حاولت فيه –ما وسعتني المحاولة– أن أكون في كل ما قلت أقرب ما أكون إلى الواقع والصواب والوضوح والجلاء. وغاية حديثي في هذه الرسالة أني عرضت لنشأة المدرسة التفسيرية اللغوية ونشأة رجالها، وعرضت لأعمالهم وتطبيقاتهم على القرآن الكريم، والمنهج الصارم الذي سلكوه في تفسير ومعالجة الآيات القرآنية الكريمة.

ولما اصطلح علماء المناهج على أن تكون الخاتمة مكانا مختارا لتلخيص المعالم الكبرى التي انتهى إليها البحث في نتائج واقتراحات، وتحقيقا لهذا المنهج أقول:

أولا: إن البحث في التفسير اللغوي لم يبدأ من نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، إنما بدأ مبكرا عن ذلك، إذ بدأ بداية حقيقية من عصر الصحابة والتابعين ولم تكن الحياة العقلية في هذا العصر مجدبة عقيمة التفكير. ففي عصر الصحابة بدأ التفسير اللغوي كاتجاه بارز قوي، حيث جعلوا ﷺ من التفسير على مقتضى لغة العرب اتجاها أو ما يقرب المنهج، فرأينا كيف اعتمدوا الطريقة اللغوية في التفسير، إذ يرجعون في فهم كثير من الألفاظ القرآنية وتأويل النصوص إلى الشعر الجاهلي، وأول من أحسن تنبه إلى هذا المسلك التفسيري الفاروق عمر بن الخطاب، ثم تلاه عبد الله بن عباس ﷺ وقد كان متوقد الذهن، نافذ الذكاء قوي الذاكرة ساحر الحديث ومُحبًا للدرس اللغوي. وقد شمل التفسير اللغوي في هذا العصر خصائص كثيرة، أهمها الاستشهاد بالعنصر الشعري على صحة المعاني اللغوية والأسلوبية المستنبطة من النص والرجوع إلى لغة الأعراب عند تفسير كل غريب قرآني، وتفسيراتهم امتازت بالاختصار، فجاءت بأقصر لفظ، ولم يشمل ذلك جميع مفردات القرآن بل ما صعب فهمه وغمض معناه، وحجم هذا الغموض كان يزداد كلما بعد الناس عن عصر النبوة. كما امتاز هذا الاتجاه

في هذا العصر بقلة الاختلاف في فهم المعاني اللغوية. كما سجلنا في البحث أن هذا المنهج هو أول المناهج التفسيرية ظهورا بجانب المنهج الأثري،وبذلك كان الصحابة أول من سم طريقة التفسير من جهة اللغة، فرسموا اتجاها لغويا فيه كل خصائص لغة عصرهم، وتبعهم في ذلك التابعون الذين هيأهم الصحابة للبحث اللغوي تهيئة حسنة. ففي عهدهم شكلت اللغة رصيدا معجميا كبيرا استغل كله في عملية التفسير فتعددت حينها التفسيرات اللغوية وكثرت، وظهر النشاط في التفسير وكأنه يرسم اتجاها لغويا مستقلا، وخاصة من أتباع المدرسة المكية، تلامذة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المبدع الحقيقي لهذا المنهج التفسيري، حيث اشركوا اللغة بقوة في عملية التفسير وأحيوا الطريقة اللغوية في التفسير وزادوها قوة ومتانة وأمدوها بأسباب النهوض.وكان تفسيرهم على اختصاره قد صيغ في لغة مؤثر عالية، ونسخ نسخا ممتعا تضمن أدبا رفيعا وكثيرا ما كانت أقوالهم لغتات لغوية تدل على مكانة رفيعة وتثبت واقتدار وشروحا مستفيضة لمفرادت القرآن حتى وصفت بأنها معاجم، فظهرت ميزة التمازج والتداخل الشديدين بين المنهجين، الأثري واللغوي في جميع أعمالهم التفسيرية ولم تعد هناك تفسيرات أثرية بالمعنى الإصطلاحي، إذ ما من مفسر إلا وأخذ بشيء من الرواية وشيء من النظر العقلي الخاص، وأقله استخدام العامل اللغوي للترجيح بين الرواية وأقوال العرب. ثم حمل أتباع التابعين هذا التراث العلمي الذي خلفه التابعون، وكانوا أكثرهم من القراء اللغويين، وزادوا عليه بمقدار ما زاد من الغموض وما جد من اختلاف وهكذا تناقل الخلف علم السلف. وحمل علماء كل جيل علم من سبقهم وزادوا عليه. إلا أن المنهج اللغوي في التفسير في مرحلته الثانية التي تبدأ من نهاية القرن الثاني إلى آخر القرن الثالث تمتاز بخصائص جديدة ومميزات مختلفة عن تلك التي عرفها هذا المنهج في مرحلته الأولى.

ثانيا: مرت الرغبة في حفظ القرآن بمراحل كثيرة ومن أهم تلك المراحل دخول العامل اللغوي في عملية التفسير، وقد كان وبالأخص النحو منه في بادئ الأمر وليد التفكير في القرآن، والعمل على صيانته من الأخطار التي كانت تهدده بسبب اختلاط العرب بالأجانب.ولقد كانت القراءات القرآنية منطلقا جديدا للتفسير اللغوي نحو التوسع واكتساب آليات جديدة في التعامل اللغوي مع القرآن بعدما جمد النقليون على النصوص، ومنعوا التفسير من غير طريق الأثر،كما كانت بداية تحول نحو مفهوم جديد وتدرج حقيقي نحو منهج لغوي متكامل في التفسير. وكانت بداية هذا التحول عندما اضطلع النحاة بمهمة الإقراء، فكان النحاة الأوائل كيحي بن يعمر وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء نحاة وقراء في الآن نفسه. وقد كانوا يلاحظون أساليب العرب

في التعبير ليضعوا أصولهم في الدرس اللغوي والنحوي بعد طول نظر ودراسة وقد أدركوا طبيعة العربية بقواعدها التي تحكم الكلام العربي، وعرفوا العلل الكامنة التي تربط النص اللغوي مما يسر لهم عملية تأويل النصوص القرآنية واختيار من وجوه القراءات ما يتلاءم والكلام العربي في شكله ومعناه.

ولقد تعرضنا إلى بعض ملامح قراءات النحاة الأوائل وانتهينا إلى أنهم استفادوا من فهمهم للدلالة النحوية والمعنوية وأمور أخرى كثيرة تتعلق بالحصيلة اللغوية لتبني قراءات معينة، وكانت الحصيلة حينها تمثل الجانب التفسيري للكتاب قبل أن يستقل بهذا الأمر رؤوس المنهج اللغوي في التفسير فيما بعد. وتقدم البحث اللغوي في القرآن تقدما حسنا بفعل العوامل السياسية والفكرية التي مرت بها الدولة الإسلامية، فلم تعد مدرسة الإقراء اللغوية التي كانت على عهد أبي عمرو بن العلاء على حالها، أو بمعزل عن تلك الظروف الجديدة، بل تبناهامجموعة من الأعلام اللغويين ممن كان لهم مجال في الدراسات التفسيرية حيث مزجوا بين العمل اللغوي والقرآني، وجمعوا بين منهجين التفسيري واللغوي، وتقدموا بالبحوث اللغوية خطوة عملاقة نحو العمل التفسيري.وبدأ التفسير اللغوي في عهد هؤلاء مرحلة جديدة وبدأ معها التزاوج بين التيارات التقليدية والجديدة وتداخلت الحركة اللغوية مع التفسير الأثري تدخلا كبيرا، واقتبس هؤلاء وهؤلاء من أصحاب الرأي من المتكلمين والمعتزلة حرية التفكير، ونشأت في هذه المرحلة أول مدرسة لغوية ذات أسس علمية تجعل من التفسير ميدانا لبحوثها. فتحول المنهج اللغوي في التفسير إلى حقيقة واقعة في تاريخ مناهج التفسير وتحقق له هذا الوجود وصار ذا سطوة على سائر المناهج الأخرى، وكان يمثل هذا المنهج خلال هذه القرون أعلام لغويون كثر أظهرهم أبو عبيدة والفراء والأخفش الأوسط، وكانوا مشهورين بالذكاء الحاد والتفوق الظاهر والنبوغ الممتاز وبتعمقهم لألوان من العلم،وقاموا يعرضون منهجهم التفسيري عرضا واضحا مستقيما في نسق منسجم ولفظ رصين وأسلوب جزل ونظم شائق راتق غير هيابين ولا وجلين من المحافظين الأثريين،وقدموا لنا في مؤلفاتهم معالم واضحة وأسس بينة لمنهج تفسيري قائم على الجانب اللغوي، وقد تمحض لاشتقاق مفردات القرآن وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها، فجاء مزيجا بين اللغة والنحو والصرف والقراءات، وكان مضماره في الكشف والإبانة استعمالات العرب وشواهد أبياتهم، وقد سخر هؤلاء طاقات العربية، واستشهدوا بها على تقرير قاعدة أو تقعيد نظرية أو بناء أصل لغوي أو صرفي خدمة للتفسير وحفظا للقرآن الحكيم،فكونوا الحركة الأولى للتفسير بهذا المنهج بعد التفسير بالمأثور. وهذه الطائفة من اللغويين والنحاة الباحثين في القرآن قد اتخذت سمتا خاصا لها، فسمت كتبها «معاني القرآن» وعرف علماؤها بأصحاب المعاني لأنهم اتجهوا إلى استخلاص المعاني

أو التعبير عنها بدقائق لغوية وأساليب أدبية ترتفع من المستوى اللغوي العام، وكان رائدهم في ذلك أن النص القرآني ليس نصًا دينيا فحسب بل إلى ذلك نص أدبي معجز، ومن ثم اتجهوا إلى فهمه اتجاها لغويا بعيدا عن التأثر بدينيات لا تعطيها الدلالة اللغوية.ثم ما لبثت أن تحولت تفسيرات أبي عبيدة والفراء والأخفش خاصة قطب الرحى في هذا المنهج، وعملهم ركيزة علم التفسير اللغوي، وكتبهم آثار باقية لهذا اللون من التفسير إلى اليوم، وقد حمدهم التاريخ لأجل ما أهدوا إلى الناس من خير عظيم ومعروف جزيل خاصة جهودهم لبعث روح التجديد والابتكار في البحوث القرآنية واللغوية عامة دفعا لحركة تفسيرية جديدة قوامها العربية التي أخذت حينها في اكتساب خصائص جديدة ساهمت رأسا في عملية تحليل النص القرآني بعدما كونوا اتجاها لغويا متميزا في التفسير له منزعه الخاص وأسلوبه المتفرد وقدرته البالغة على التحليل.وربما كان هذا الاتجاه من أهم الإتجاهات التي طورت معنى التفسير، ودرجت مفهومه ووسعت دائرته وبسطت أكنافه، لأنه المنهج الذي تجرد من كل المؤثرات، وكان النص يعطي بعض ما عنده دون أن يسوقه صاحبه لخدمة غرض من الأغراض أو قضية من القضايا.

وأشد ما حرص عليه أصحاب هذا المنهج أن لا تفقد كتبهم إطارها التفسيري، وتتحول إلى مؤلفات في علم اللغة وحسب، فالتزموا ترتيب آيات القرآن الكريم، وساقوا المبدأ اللغوي وسيلة تفسير وتحليل للنص تماما كما فعل أصحاب الأثر الذين استشهدوا بالروايات الأثرية في عملية التأويل.

ولكن منهج اللغويين هذا لم يكن مجرد أفكار أو تطبيقات فرضتها ظروف العصر الثقافية حين كان العصر عصر لغة كانت النشاطات الفكرية تابعا له. بل لأن عمل هؤلاء قد ارتقى إلى مستوى المناهج العلمية الكاملة يحكمها أسس وقواعد، ولها مؤسسون وأتباع ونشاط كثيف، ومن الطبيعي أن يرسم أصحاب هذا المنهج الطريق السليم في التفسير بهذا المنهج كي لا يستغله المدعون ويوجهونه في غير وجهته الصحيحة كما فعلت الفرق المبتدعة حينما وظفت العامل اللغوي وغلت في ذلك لتأييد معتقداتها الباطلة دون الارتباط الكامل بقواعد هذا التفسير إلا بالمبدأ اللغوي المجرد الذي سخرته انقد القرآن نقد مرا ممضا وإفساد نظام هذا المنهج التفسيري،فوقعت في الانحراف الشديد وذهبت في تصوراتها للقرآن مذاهب لا تحصى، جانبوا فيها الصواب والحق وأغرقوها بالتحليلات المنطقية حتى صارين معانيها الأصلية وما انتهت إليه من تلك المعاني المستحدثة بعدا شاسعا وغرابة حقيقية نتيجة لذلك التأويل المنكر والتفسير المنحول.وتحول المسلمون يدافعون عن القرآن ضد الطاعنين ،

وهو دفاع سار في خط كبير كانت اللغة العربية بجميع فنونها أداة ضخمة لتبرئة ساحة العبارة القرآنية من تلك المطاعن،والعودة بالنص إلى مفهومه الصحيح.واضطلع بهذه المهمة أصحاب اللغة الذين لم يكونوا بمعزل عن التيارات العقدية السائدة حينها ووضعوا شروطا وضوابط ألزموها كل متعرض للتفسير من طريق العربية، استخلصها دارسوا القرآن من طبيعة علاقة النص بلغته، ومن واقع التفاسير اللغوية المعتمدة التي جسدت التفسير اللغوي بكل ضوابطه وشروطه. ولم يعد العلماء بعد هذا يحفلون بعبث هذه الفرق. ومن هنا نذهب إلى أن التفسير اللغوي ليس مجردا عن باقي شروط التفسير، بل هو الالتزام بها، والحرص عليها.

ثالثا: كان النحاة واللغويون من أوائل الدارسين الذين لفتوا إلى ضرورة الاعتماد على اللغة في التفسير ما دام القرآن الكريم نزل بهذه اللغة، وقد أدرك هؤلاء أن بمعرفة اللغة يعقل عن الله عز وجل كتابه وما ستوعاه من حكمته، واستودعه من آياته المبينة، وبه يفهم عن النبيﷺ آثاره المؤدية لأمره ونهيه وشرائعه وسننه. لقد اتجهت طائفة النحاة إلى دراسة القرآن وفقه منهجه اتجاها نحويا، فأخذت تعنى بإعراب القرآن، ثم توسعت في ذلك بالدراسة علل التأليف أوعلل الإعراب، وكان الباحثون في النحو من النحاة القدماء هم المعنيين بالقرآن ويؤيد هذا أن أوئل الدارسين من النحاة هم من القراء أو ممن عنوا بالدراسة القرآنية. وقد شارك هؤلاء النحاة بجهدهم في تيسير قراءة القرآن ودفع ما كان يلتبس على بعض القراء من مروي القراءات.

وللنحو دوره في ضبط النص القرآني، والتعليل لهذا الضبط ومقابلته بما قدمه من جهد دقيق عميق في تيسير قراءة القرآن، ورفع الالتباس عن بعض القراءات من خلال تدارسهم للغة القراءة والكشف عن العلل الكامنة وراء النظم القرآني، وتفسيره بما يلائم هذا النظم فأمسوا قد أسهموا في توثيق النص بعد صحة الرواية، ومن الواضح الجلي أن النحاة حرصون على جانب المعنى لكتاب الله بقدر ما كانوا يحرصون على جانب الصناعة، بمعنى أن يتم تصوير المعنى في عبارة تستوفي شرائط الصحة اللغوية والنحوية. واللغويون المفسرون عدوا ضبط القراءة من جميع جهاتها أصل من أصول التفسير النحوي للقرآن، وجانب مهم من جوانب التفسير اللغوي.فباختلاف حركة اللفظ في القرآن قد يتغير معنى السياق جذريا، وقد يعطي دلالات لا يريدها الشارع، لهذا السبب كان ذلك النزاع الحاد بين النحويين والقراء والمفسرين حول بعض القراءات. فالنحو مادة أساسية للتفسير يعتمد عليها في تحليل التركيب القرآني، وفي ضبط مواقع الألفاظ بقوانين الإعراب.

واختلاف اللفظ الواحد في الإعراب أو الحركات كان دافعا لكثير من العلماء إلى الاجتهاد في الحصول على مخرج سليم يتفق والقراءة، ويتماشى مع سياق الآية. فكان من الطبيعي أن تساهم القراءات على هذا النحو في زيادة عدد المشكلات المحيطة بدراسة النص القرآني نظرا بما لها من أبعاد لغوية ونحوية، وأهم من ذلك كله أبعادها في مجال التشريع. ومناقشة النحاة للقراءات لم يكن الهدف منها تخطئة القراء كما يحلو لبعض الكتاب وصف النحاة بذلك، وإنما وقفوا عند بعض الحروف في قراءات القرآن رغبة منهم في التحري الدقيق للفظ الذكر الحكيم ونطقه. وإعراب القرآن هو بيان ما تحتمله الآيات من أوجه إعرابية. وقد تكثر الأوجه الإعرابية للآية الواحدة تبعا لاختلاف فهم التراكيب وأيضا للاختلاف في تطبيق قواعد النحو على حسب مقتضيات كل مذهب،وهو يسمى أيضا التفسير النحوي للقرآن الكريم، فالإعراب يوضح المعنى ويبين الغرض ويشير إلى البلاغة، ويومئ إلى جمال التركيب، وحسب الصياغة وهذه كلها مواطن الإعجاز في القرآن الكريم ومن ثم أصبح القرآن ميدانا واسعا لعلماء العربية، وتعرض له كثير من النابغين في علم العربية استجلاء لحقائقه وفهم معانيه. وبذلك صار الإعراب القرآني هو ثمرة البحوث النحوية في القرآن الكريم، وعمدة التفسير اللغوي، لأن آثاره حسنة عديدة، وهو أقوم طريق يسلك في الوقوف على معنى القرآن الحكيم، ويتبين إلى معرفة أغراضه ومغزاه، ومن هنا كانت ضرورة الرجوع فيه إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض فيه بالظن، ووجوب الالتزام بالمنهج السليم لإعراب القرآن الكريم لأن أصحاب الأهواء من الفرق الدينية وجدوا غايتهم لتثبيت معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الضالة، فعمدوا إلى علم النحو وذهبوا به بعيدا كما ذهبوا بالإعراب بعيدا أيضا، الأمر الذي دفع علماء اللغة إلى التنبيه لهذه الأغراض عن طريق التأليف في إعراب القرآن مظهرين أسلم الطرق وأصحها وأليقها بكتاب الله الجليل.

وبدخول المدارس النحوية إلى مجال التفسير اللغوي دخل إليه اختلاف النحويين وذلك لارتباط موضوع التفسير اللغوي بموضوعات النحو ارتباطا وثيقا، فالقرآن الكريم بما احتواه من قراءات كان المادة الأولى للعمل النحوي فنجد الاختلاف في توجيه قراءة ما أو ضبط أواخرها بالإعراب، مختلف فيه بين المدارس النحوية حتى بين المدرسة النحوية الواحدة. مما أدى إلى اختلاف التوجيه الإعرابي للآيات التي قرئت بأكثر من وجه وتثبيت المعنى المناسب على حسب هذا التوجيه.على أن هذا التباين في مسائل الإعراب قد لا يؤثر دوما على المعنى المستخلص من الآية، ويبقى اختلاف معاني الآيات بين المدارس النحوية عند تناولها لتفسير القرآن الكريم وتوجيه آياته أكبر آثار التفسير اللغوي للقرآن الكريم.

أما عن البحوث اللغوية واختلاطها بقضايا التفسير خلال القرون الأولى فذلك أكثر ما ميز الدرس التفسيري في هذه المرحلة، حيث ظهرت بحوث لغوية كثيرة ذات الصلة بالدراسات التفسيرية وكانت بالغة الأثر في القرآن الكريم، والسبب الأول الذي دعا العلماء إلى العناية بهذه الموضوعات اللغوية كان فهم القرآن، والدفاع عنه، وهو دفاع سار في خطين متوازيين يتصل أحدهما بالاحتجاج لسلامة العبارة القرآنية من الوجهة النوحية واللغوية ويتصل الأخر بالاحتجاج لبلاغة هذه العبارة وارتفاعها في مدارج الاستخدام الفني للغة إلى مستوى الإعجاز. على أن أحد الخطين كان سابقا على الآخر وهو الخط المتصل بسلامة النص وصحته لغويا ونحويا وتفسير فهمه، وتذليل المواضع الصعبة فيه، ومن هنا كانت كثرة المؤلفات في غريب القرآن ومشكله ومتشابهه ومشتركه ومبهماته ومجازاته ولغاته ومنطوقه ومفهومه. كما ألفوا في أساليبه الخاصة نحو: مقدم القرآن ومؤخره، وجواباته، وأسرار التكرار فيه، وفي مصادره وبعض ألفاظه، ومن هنا نرى أن التفسير اللغوي قد اتصل بكل ما وصل إليه علم اللغة والأدب من بحوث سخرها لفهم ألفاظ القرآن وتراكيبه.فكان اختلاط البحوث اللغوية بقضايا التفسير من أكثر ما ميز الدرس القرآني في هذه المرحلة، حيث وجدت تلك البحوث اللغوية الكثيرة ذات الصلة بالدراسات القرآنية فشكلته بدورها روافد هامة لعملية التفسير اللغوي،ثم ما لبثت أن تحولت إلى وجوه كاملة في عملية هذا التفسير إذ أصبحت تهتم بجانب من جوانبه.وعلى رأس هذه السلسلة الجديدة في هذا الإتجاه اللغوي التفسيري كتب مشكل القرآن، ومنه الغريب والمشترك والأضداد وما شاكل ذلك. والهدف من هذه الوجوه جميعا المحافظة على سلامة النص اللغوي، وتيسير فهمه وتذليل المواضع الصعبة فيه. إن هذه الوجوه هي أشد الوجوه تأثيرا في تفسير النصوص وأكثر ما يتوقف عليها فهم المعنى المراد من الآية الكريمة، ولا سيما والقرآن تحكم معانيه قوالب عربية شديدة الارتباط بلهجات القبائل قبل نزوله لذلك أضحت البحوث اللغوية في اللفظ والسياق العربيين وعلاقات الربط بينهما من أكثر البحوث أهمية بالنسبة للمفسرين إذ يتعذر عليه الخوض في القرآن أو الوصول إلى إيضاح المعنى منه إذا جهل جزءا يسيرا من هذه المسائل اللغوية.

ومن هذه الوجوه التفسيرية المذكورة من أدوات التفسير من جانب ووجوه تفسيرية مقصودة في ذاتها من جانب آخر. وهي في جملتها تقدم نموذجا منفوقا في باب التفسير، لذلك كان التفسير اللغوي بهذه الصفة خليقا أن يقال عنه أنه أحسن مناهج التفسير وأسلمها لشدة مجانبة صاحبه للخطأ أثناء التأويل وأنه من غير شك ولا ريب يعد ضمن المناهج التفسيرية الكبرى وتاريخ تفسير القرآن

الحكيم. وأما ما يخص الدلالة اللغوية في العمل التفسيري اللغوي فقد تقرر أن للقرآن الحكيم أثر في اللغة العربية وما اكتسبته مفرداتها من معاني جديدة، وما عرفته من تطبيق وتحديد أديا إلى تخصيص دلالات كثير منها في دائرة المفاهيم الإسلامية الجديدة حيث تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة والقديمة، وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر والشؤون السياسية والإدارة والحرب. ويدخل في هذا المجال ما جاء عن علماء العربية المفسرين من عرضوا للألفاظ الواردة في القرآن لتعرف جذور تلك الحروف فيستدل بأصولها في اللغة على معانيها، وما طرأ عليها من تبدل وتغير وانتقال ومحاولاتهم غايتها تيسير الفهم وذلك بالإحاطة بمعاني اللفظة الصريحة والمحتملة والأصيلة والمكتسبة، وهي الغاية التي تخرج من سياق هذا فهم العام المتمثل في التفسير اللغوي لكل غريب من الألفاظ. ولم ينس القدامى مسألة التطور الدلالي وإن لم يصرحوا بلفظة التطور. وبالنسبة لدلالات الألفاظ القرآنية فقد تعامل معها مفسروا القرون ثلاثة الأولى كما استعملها العرب وقت نزول القرآن، بل نشطت حركة التأليف اللغوي لأجل الحفاظ على تلك الدلالة الأولى التي كانت عليها المفردات حينها. أما ظهور تلك الدلالات اللغوية الجديدة في العمل التفسير فهي باطلة بإجماع الباحثين اللغويين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريف

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

المصادر والمراجع

الفهرس التحليلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(الفاتحة)		
﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾	1	264، 294
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾	3	203
﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾	4	318
﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾	7	110، 134
(البقرة)		
﴿ الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾	1	125، 259
﴿ وَأُولَئِكَ هُمْ المُفْلِحُونَ ﴾	5	315
﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَمَا يُخَادِعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ ﴾	9	198، 294
﴿قَالُوا : آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾	13	294
﴿ اشْتَرُوا الضَّلاَلَةَ ﴾	15	171
﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	15–14	198، 199، 294
﴿ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾	16	172
﴿ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾	20	296
﴿ سَلْ بَنِي اسْرَائِيلَ ﴾	21	153
﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا﴾	22	204، 326
﴿ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾	25	113، 133، 164، 325
﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾	25	5
﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾	27	164
﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾	27	295

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ استَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾	28	55، 164، 185
﴿ إِنِي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾	29	114
﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾	30	167
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا ﴾	33	133
﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾	36	309
﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾	37	177
﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾	40	171
﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾	45	319، 320
﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ ﴾	56	294
﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ، وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	59	294، 313
﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا ﴾	61	66، 158، 179، 299
﴿ قُلْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾	68	160
﴿ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾	69	85، 88، 172
﴿ لاَ شِيَةَ فِيهَا ﴾	70	55، 66، 296
﴿ إِدَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾	71	297، 308
﴿ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	73	177، 182
﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	80	155
﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾	89	51
﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾	92	149
﴿ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	93	144
﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾	115	200
﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	116	266

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾	123	254
﴿ الرُّكَّعِ السُّجُود﴾	125	122
﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾	125	306
﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾	125	179
﴿ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ ﴾	127	122
﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾	128	122
﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ ﴾	132	85، 118
﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾	142	39
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾	145	66
﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾	149	131، 181، 272
﴿ ...كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾	151	2
﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾	158	15، 190
﴿ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب ﴾	165	66
﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ ﴾	170	116
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾	173	173
﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾	174	113
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴾	176	88، 89، 113
﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَاكِين ﴾	183	178
﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾	185	88
﴿ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	192	198

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾	193	198، 199
﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ ﴾	196	172
﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾	205	167، 300
﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَى يَقُولَ الرَّسُول ﴾	212	265
﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	213	330
﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ العَفْو ﴾	219	54
﴿ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَى يَطْهُرْنَ ﴾	220	300
﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾	221	132
﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾	221	132
﴿ وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ ﴾	226	121، 300
﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾	226	161
﴿ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾	228	320
﴿ إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾	229	144
﴿ وَلَكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾	233	157
﴿ لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾	233	177
﴿ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾	235	260
﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى ﴾	238	5
﴿ المَلإِ مِنْ بَنِي اسْرَائِيلَ ﴾	244	117
﴿ وَمَا لَنَا لاَ نُقَاتِلُ ﴾	244	153
﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ ﴾	247	319، 320
﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾	254	30
﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾	254	215

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾	255	301
﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُومِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾	255	121
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوت﴾	256	19
﴿ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾	258	49
﴿ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	258	49
﴿ لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي ﴾	263	260
﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾	264	48
﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾	265	23
﴿ وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾	270	180
﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ ﴾	279	195
﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾	281	12
﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالعَدْلِ ﴾	282	306
﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾	282	280
﴿ وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا ﴾	285	263
(آل عمران)		
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ ﴾	7	10، 276
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾	7	64
﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ ﴾	13	276
﴿ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ ﴾	13	294
﴿ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾	38	160
﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾	39	48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قَدْ بَلَغَنِي الكِبَرُ ﴾	40	95
﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾	49	265
﴿ مَنْ انْصَارِي إِلَى اللهِ ﴾	51	272
﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ ﴾	53	198، 199
﴿ ثُمَّ يَقُولُ النَّاسُ ﴾	78	176
﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ ﴾	79	176
﴿ لَمَّا أَتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾	80	175
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾	96	58
﴿ وَحَجُّ البَيْتِ ﴾	97	306
﴿ فَأَمَّا الذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾	106	124
﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾	113	117
﴿ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُسَوَّمِينَ ﴾	125	179، 309
﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾	144	98
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾	146	101
﴿ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾	154	178
﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ ﴾	161	178
﴿ الذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾	173	117، 219
﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾	178	118
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي ﴾	195	92
(النساء)		
﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾	01	244
﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾	03	128

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ فَإِنْ طِبْنَا لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾	04	172
﴿ وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى ﴾	08	254
﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾	11	255
﴿ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾	18	259
﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ ﴾	43	157
﴿ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾	50	19، 48
﴿ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾	80	311
﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴾	84	311
﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾	85	291، 316
﴿ فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ ﴾	87	307
﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾	89	175، 271، 272
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً ﴾	91	131
﴿ وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾	94	300
﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾	102	306
﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾	127	174
﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾	140	327
﴿ لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ ﴾	148	273
﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾	156	273
﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالمُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾	161	130، 264

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(المائدة)		
﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾	3	123، 156
﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ ﴾	7	132
﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾	7	132
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ ﴾	7	129، 255، 258، 272
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾	14	133
﴿ قَالَ رَجُلاَنِ ﴾	25	244
﴿ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾	29	38
﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾	31	38
﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾	37	31
﴿ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾	40	127، 182
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾	46	212
﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	48	31
﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾	48	212
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ، وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	48	290
﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ﴾	66	132
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	66	194
﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ ﴾	66	120
﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ ﴾	66	120
﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾	66	120
﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ ﴾	68	120
﴿ فَلاَ تَأْسَ ﴾	70	120
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى ﴾	71	129، 230، 273

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾	71	273، 274
﴿ فَعَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾	73	117، 132
﴿ وَحَسِبُوا أَلاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	73	168
﴿ وَمَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ﴾	105	106
﴿ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾	108	37
﴿ آخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾	109	244
﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي ﴾	118	123
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللهَ ﴾	119	259
(الأنعام)		
﴿ هُوَ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾	3	95
﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ﴾	9	37
﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾	15	21
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾	21	66
﴿ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾	25	169
﴿ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	28	91، 266، 271
﴿ أَتُحَاجُّونِي ﴾	80	246
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾	83	4، 282، 306
﴿ وَمُخْرِجَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾	95	259
﴿ خَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾	96	259
﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾	96	306
﴿ وَهُوَ الذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾	99	155
﴿ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾	100	31

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾	106	177
﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِبَلاً ﴾	111	307
﴿ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾	124	120
﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾	125	20
﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	128	290
﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾	138	240
﴿ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴾	142	120
﴿ حُمُولَةً وَفَرْشًا ﴾	143	120
﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَيَا ﴾	147	180
﴿ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	154	5
﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾	155	86، 153
﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	166	220
﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾	59	194
(الأعراف)		
﴿ لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾	09	241
﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾	11	229
﴿ مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾	19	55
﴿ وَرِيشًا ﴾	25	31
﴿ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾	39	120
﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾	43	155
﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾	52	90

جمعة تحرير عبد الغفار للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	55	229
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً ﴾	56	314
﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَبِّكُمْ ﴾	63	265
﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ ﴾	72	144
﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾	88	11
﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لاَ أَقُولَ ﴾	104	135
﴿ إِنَّ لَنَا لأَجْرً ﴾	113	133
﴿ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾	130	295
﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾	144	178
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾	154	177
﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾	164	46
﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَـــى ﴾	172	36
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾	186	178
﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾	201	179
(الأنفال)		
﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾	5	114، 258
﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾	9	92
﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ﴾	12	155
﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	13	125
﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	50	126
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾	61	5
﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾	62	124

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(التوبة)		
﴿ إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾	03	254
﴿ وَبَشِّرِ الذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	03	157
﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾	14	159
﴿ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾	15	159
﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾	30	146، 198
﴿ إِنَّمَا النَسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ ﴾	37	106
﴿ إِلاَّ خَبَالاً ﴾	47	120
﴿ وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ ﴾	47	120
﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾	47	120
﴿ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي ﴾	49	120
﴿ أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾	49	120
﴿ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾	67	212
﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾	67	324
﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾	74	313
﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾	103	327
﴿ أُسِّسَ عَلَى تَقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُ﴾	109	181
﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُم الَّذِي بَنَوا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	111	52
﴿ السَّائِحُونَ ﴾	112	4، 297
(يونس)		
﴿ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ ﴾	01	126
﴿ إِنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	02	123
﴿ أَنِ الحَمْدُ للهِ ﴾	10	168

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قُلْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾	16	150، 161
﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾	22	101
﴿ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ ﴾	25	290
﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾	26	5
﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾	58	144
﴿ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾	59	170
﴿ وَلاَ يُحْزِنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا ﴾	65	264
﴿ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾	67	117
﴿ فَلاَ يُحْزِنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	76	252
﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾	88	213
﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ مِنْ قَبْلُ ﴾	91	170
﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾	92	97
﴿ لَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ﴾	98	167
(هود)		
﴿ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾	05	133
﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾	08	120
﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	37	194
﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾	40	204
﴿ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾	43	258
﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ، وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	44	232
﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾	52	256

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَإِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾	54	310
﴿ أَلاَ إِنَّ عَاد كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴾	59	176
﴿ قَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ ﴾	68	267
﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾	68	309
﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾	70	327
﴿ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾	77	92، 94، 266
﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ ﴾	80	101، 130
﴿ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾	81	305، 314
﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾	87	257
﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾	92	318
﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾	116	167
(يوسف)		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	02	14، 190
﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾	04	133
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾	18	127
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾	24	215، 263
﴿ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾	29	264
﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾	30	94
﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾	31	121
﴿ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا ﴾	36	109
﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾	45	135
﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾	49	201
﴿ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ﴾	50	293

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾	66	264
﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ ﴾	70	143
﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾	72	169
﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾	82	148
﴿ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ ﴾	92	258
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ ﴾	100	120، 215
﴿ مِنَ البَدْوِ ﴾	100	121
﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ ﴾	100	121
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾	106	292، 308
﴿ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﴾	107	121
﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾	109	158
(الرعد)		
﴿ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ ﴾	4	58
﴿ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾	14	297
﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾	32	32، 40
﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾	36	98، 195
(إبراهيم)		
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾	5	14، 159، 220
﴿ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾	5	159
﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾	9	313
﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾	16	114
﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾	20	327
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيَاحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾	21	204

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾	24	93، 238، 246
﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾	33	144
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُومِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَاب ﴾	41	85
(الحجر)		
﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾	22	314
﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ ﴾	54	134، 247
﴿ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	75	121
﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيم ﴾	76	121
﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِين ﴾	79	121
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾	83	121
﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمِينَ ﴾	90	4
﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِين ﴾	90	4
(النحل)		
﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾	16	169
﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ ﴾	30	158
﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونْ ﴾	40	266
﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	44	3
﴿ أَوْ يَا خُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾	47	12، 19، 21 ، 29
﴿ بَنِينَ وَحَفَدَة ﴾	72	32،317
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِين ﴾	82	52
﴿ الأَنْكَاثُ ﴾	92	198
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ ﴾	98	115
﴿ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ ﴾	112	195
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا ﴾	120	330

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(الإسراء)		
﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾	13	295
﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾	13	295
﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾	14	154
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	16	93، 218، 278
﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ﴾	31	124
﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾	33	128
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾	36	118
﴿ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾	47	315
﴿ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	52	165
﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	53	144
﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾	59	218
﴿ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾	78	123، 124، 292، 316
﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾	85	26
﴿ وَتَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾	92	307
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾	101	37
﴿ مَثْبُورًا ﴾	102	33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(الكهف)

﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا ﴾	1	264
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾	9	11
﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾	12	260
﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾	17	195
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾	22	36
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾	23	195
﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾	25	50
﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	29	195
﴿ إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾	38	91
﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾	49	333
﴿ وَرَأَى المُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾	53	311
﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾	77	135
﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾	78	327
﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾	79	94
﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَىٰ ﴾	86	270، 158
﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾	94	229
﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾	101	299

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(مريم)		
﴿ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ من وَرَا ئِي ﴾	04	85، 327
﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًا ﴾	12	11، 32
﴿ يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾	44	176
﴿ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴾	74	303
﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا﴾	82	327
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾	97	14
(طه)		
﴿ طَهَ ﴾	1	49
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾	04	194
﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾	10	291
﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	12	209
﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾	14	205
﴿ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾	30-29	178
﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾	44	174
﴿ لأُولِي النُّهَى ﴾	53	311
﴿ مَكَانًا سِوًى ﴾	58	282
﴿ وَلاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾	60	101
﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾	62	237، 242
﴿ لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾	70	280
﴿ فَنَسِيَ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾	87-86	168
﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾	118	196

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(الأنبياء)		
﴿ وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينَ ظَلَمُوا ﴾	3	97
﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا ﴾	17	53
﴿ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَمَنْ قَبْلِي ﴾	24	86
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾	35	158
﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾	37	94
﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِنْ دُونِنَا لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلاَ هُمْ مِنَّا يُصْحَبُون﴾	43	39
﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾	58	51
﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾	87	215، 320
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤمِنِينَ ﴾	87	258
﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾	94	229، 307
﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ ﴾	95–96	51، 143
﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾	96	148
﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّم أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُون﴾	97	48، 220
﴿ إِنَّ الذِينَ سَبَقَتْ مِنَّا الحُسْنَى ﴾	100	220
(الحج)		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾	05	271
﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾	05	161
﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾	05	159
﴿ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ﴾	13	230
﴿ وَالمُقِيمِي الصَّلاَةَ ﴾	33	89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾	45	310
﴿ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ ﴾	46	148
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾	61	148، 165
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾	78	264
(المؤمنون)		
﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾	6	53
﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾	20	168
﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾	47	327
﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾	90	315
﴿ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾	115	181
(النور)		
﴿ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ﴾	02	182
﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ﴾	03	32
﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾	15	148
(الفرقان)		
﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء ﴾	18	160
﴿ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾	21	149
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾	31	214
﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	33	2
﴿ بَلْدَةً مَيْتًا ﴾	49	173
﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾	75	159
(الشعراء)		
﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾	19	280
﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾	153	315
﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾	195	190

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(النمل)		
﴿ إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيم ﴾	09	148
﴿ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثم بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾	10-11	40
﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾	22	150
﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين ﴾	22	97
﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكُمْ ﴾	47	171
﴿ آاللهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ ﴾	61	170
﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَسْتَعْجِلون ﴾	72	39
﴿ ويَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾	89	299، 312
(القصص)		
﴿ فَالْتَقَطَ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾	07	213
﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ ﴾	23	330
﴿ رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ﴾	24	263
﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ ﴾	76	95، 113، 116، 166، 301
﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾	81	244
﴿ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ ﴾	82	36
﴿ وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾	82	96
(الروم)		
﴿ للهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾	3	89
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَـــى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون﴾	55	52
(لقمان)		
﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	12	5، 263، 282، 306

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(السجدة)		
﴿ تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾	1	259
﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	4	26
﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾	10	135، 280
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾	24	40
(الأحزاب)		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ ﴾	01	220
﴿ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾	04	181
﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾	10	302
﴿ وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً أَشِحَّةً ﴾	19-18	159
﴿ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾	22	294
﴿ لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ ﴾	38	38
﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾	51	170
﴿ يُؤْذَنُونَ المُؤْمِنِينَ ﴾	58	58
﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴾	61	257
(سبأ)		
﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ ﴾	10	38، 95
﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾	11	298
﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾	12	95
﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾	24	331
﴿ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾	52	96
(فاطر)		
﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾	1	11
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾	10	52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	28	254
(يس)		
﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾	41	48
﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾	58	301
﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾	68	98
(الصافات)		
﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾	5	165
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾	5	158
﴿ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا ﴾	8	70
﴿ وَإِذَا رَأَوا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾	14	298
﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾	22	19، 71
﴿ لاَ فِيهَا غَوْلٌ ﴾	47	298
﴿ كَأَنَّهُنَّ بِيضٌ مَكْنُونٌ ﴾	49	4
﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾	55	282
﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾	64	112
﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	65	108، 112، 142
﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾	93	329
﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾	103	52، 143
﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾	145	147، 180، 331
﴿ فَسَاهَمَ ﴾	147	298
(ص)		
﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾	01	258
﴿ وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾	02	174
﴿ بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾	08	171
﴿ عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا ﴾	15	301

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾	28	178
﴿ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾	36	318
﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾	63	259
﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ ﴾	74	194
(الزمر)		
﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾	3	93
﴿ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾	53	194، 200
﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾	68	143، 175
(غافر)		
﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾	27	151
(فصلت)		
﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾	03	14
﴿ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ﴾	19	156
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾	39	91
﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	39	195
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾	42	91
﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾	47	181
(الشورى)		
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾	10	196
﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾	37	198، 199
﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾	42	96
(الزخرف)		
﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ ﴾	3	51
﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾	4	50، 155
﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾	5	51

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾	14	302
﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا ﴾	33	145
﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾	35	299
﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾	81	197، 278
(الدخان)		
﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾	10	51، 317
﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾	51	48
(الجاثية)		
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ ﴾	13	144
﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا ﴾	13	159
﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾	24	320
﴿ قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا، وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾	32	312، 320
(الأحقاف)		
﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾	25	145
(محمد)		
﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	25	187
﴿ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾	38	327
(الفتح)		
﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾	10	194
﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	12	320
﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾	26	5
﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾	29	157
(الحجرات)		
﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾	06	135
﴿ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾	11	308

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(ق)		
﴿ لَهَا طَلْعٌ نَضِيد ﴾	10	307
﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد ﴾	23	126
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾	37	146
﴿ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب ﴾	38	146
﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ ﴾	40	90
(الذاريات)		
﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾	13	47، 58
﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ ﴾	26	329
(الطور)		
﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾	1	51
﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾	6	50، 66
﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً ﴾	8	50
﴿ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾	16	329
﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾	21	311
﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾	38	311
(النجم)		
﴿ ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾	8–9	309
﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾	31	59، 131
﴿ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى ﴾	50	258
﴿ أَزِفَةِ الآزِفَةُ ﴾	56	146
﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾	60	47، 48
(القمر)		
﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾	10	92
﴿ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	49	117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(الرحمن)		
﴿ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	11	53
﴿ وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ ﴾	22	58
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾	45	302
﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾	48	303
﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾	75	49
(الواقعة)		
﴿ حُورٌ عِينٌ ﴾	22	4
﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾	31	304
﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾	56	329
﴿ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾	89	146
﴿ حَقُّ اليَقِينِ ﴾	98	158
(الحديد)		
﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ ﴾	14	311
﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ ﴾	28	229
(الحشر)		
﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ ﴾	2	241
﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾	7	248
﴿ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجًا ﴾	9	53
﴿ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ ﴾	23	289
(الطلاق)		
﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾	1	267
﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾	8	281
﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾	12	185

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(الملك)		
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلَى﴾	9-8	36، 155
﴿ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾	19	58
(القلم)		
﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾	1	51
﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾	13	47
﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾	25	51، 135
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾	42	200
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾	44	199
(الحاقة)		
﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾	6	255
﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾	20	117
﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ ﴾	20	319، 320
﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾	36-35	11
﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾	52	152
(المعارج)		
﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	03	26
﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾	37	31
(نوح)		
﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	13	149
(الجن)		
﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾	28	260
(المزمل)		
﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾	8-7	38
﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا ﴾	11	54
﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾	16	54، 196، 185

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(المدثر)

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	04	29، 47
﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	19	146
﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾	41	101

(القيامة)

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾	07	87
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾	16	115، 292
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	22-21	195، 213
﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾	28	320
﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾	35	133

(الإنسان)

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ﴾	1	40، 53
﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾	18	259
﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾	24	173، 180، 331
﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾	31	129

(المرسلات)

﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾	11	306
﴿ فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾	23	309
﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾	33	147، 170

(النبأ)

﴿ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾	23	147
﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾	34	48

(النازعات)

﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾	10	304، 318
﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾	30	113، 278
﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾	41	304

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
	(عبس)	
﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾	19	146
﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾	31	12، 21
	(التكوير)	
﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾	6	54
﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾	11	152
﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	17	328
	(المطففين)	
﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾	3	260
﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾	23	213
﴿ هَلْ ثُوِّبَ ﴾	63	171
	(الإنشقاق)	
﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾	17	54
﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾	18	47، 50، 54، 304
	(الطارق)	
﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾	9-8	219، 260
	(الأعلى)	
﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾	1	259
﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ﴾	16	171
	(الغاشية)	
﴿ لاَ تُسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً ﴾	11	202
	(الفجر)	
﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	01	13
﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾	4	303
﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾	9	50
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾	24	194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
(البلد)		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾	04	32، 47، 66
﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾	15-14	161
﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾	20	47، 51
(الشمس)		
﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾	5	114
﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾	12	154
(الليل)		
﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾	10	157
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾	20	273
(الأضحى)		
﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾	7	280
(البينة)		
﴿ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾	5	158
(القارعة)		
﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾	9	302
(النصر)		
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾	01	24
(المسد)		
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾	1	133
﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾	4	265
(الناس)		
﴿ مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ ﴾	3-2	259

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
« أحبُّوا العَرَبَ لِثَلاَث »	7
« إِذَا غُمَّ عَلَيكُمْ فَقَدِّرُوا لَهُ »	300
« أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ فَقَدْ ضَلَّ »	6
« أَعْرِبُوا القُرْآنَ وَالتَمِسُوا غَرَائِبَهُ »	6
« أَلاَ إِنِي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ »	2
« أَلاَ وَإِنَّ القُوَةَ الرَّمْيُ، أَلاَ وَإِنَّ القُوَةَ الرَّمْيُ، أَلاَ وَإِنَّ القُوَةَ الرَّمْيُ »	5
« أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خِفْتُ الأَدْرَدَنَّ »	144
« إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ وَعَادَ كَهَيْئَتِهِ، فَاحْفَظُوا العَدَدَ »	106
« إِنَّ رَبِّي عَلَّمَنِي فَتَعَلَّمْتُ وَأَدَّبَنِي فَتَأَدَّبْتُ »	11
« أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُف: حَلاَلٌ وَحَرَامٌ، لاَ يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالجَهَالَةِ بِـهِ، وَتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُهُ العَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُهُ العُلَمَاءُ، وَمُتَشَابِهٌ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ... »	14
« أُولَئِكَ المَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ لَوْ احْتَضَرْتَ فِعَالَهُمْ احْتَقَرْتَ فِعَالَكَ مَعَ فِعَالِهِمْ »	118
« اتَّقُوا الحَدِيثَ عَلَيَّ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »	186
« الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا وَالبِكْرُ رِضَاهَا صَمْتُهَا »	252
« السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ »	4
« العَيْنُ الضَّخْمَةُ العُيُونِ شُغْرُ الحُورَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ»	4
« اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ »	24
« اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ »	25
« اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ »	188
« المَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ لِلنَّجَاةِ مِنَ الفِتْنَةِ وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلْكَافِرِ لِئَلاَّ يَزْدَادَ إِثْمًا »	118
« اليَهُودُ وَالنَّصَارَى» « أَمَنُوا بِبَعْضِ الكِتَابِ وَكَفَرُوا بِبَعْض »	4
« بلى، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده »	330
« تَسَوَّمُوا فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ »	309
« تَقْعُدُ عَنِ الصَّلاَةِ أَيَّامَ أَقْرَائِهَا »	300
« رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ »	7
« رُدُّو عَلَيَّ أَبِي، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَقْتُلَ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنُ مَسْعُود »	118

الحديث	رقم الصفحة
« رِقَتُهُنَّ كَرِقَةِ الجِلْدَةِ التِي رَأَيتِهِ فِي دَاخِلِ البَيْضَةِ التِي تَلِي القِشْرَةَ وَهِيَ الغِرْقِيء »	4
« شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ...»	5
« عَرَبِيَّتُهُ فَالتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ »	7
« قَوْمٌ نَبْزُهُمْ الرَّافِضَةُ »	309
« كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدْ إِلْتَقَمَهُ وَحَنَى جَبْهَتَهُ »	299
« لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ »	245
« لاَ يَقْتُلُ قُرَيْشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ اليَوْمِ »	253
« لِتَأْخُذُوا مَصَافَّكُمْ »	145
« لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قِدِّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »	309
« لِكُلِّ آيَةٍ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ »	207، 208، 209
« لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، "لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لابْنِهِ ...»	5
« مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »	12
« مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِشْرُونَ حَسَنَةً »	7
« مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَلَمْ يُعْرِبْهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكٌ يَكْتُبُ لَهُ كَمَا أُنْزِلَ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ »	7
« نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بنُ كِنَانَةَ لاَ نَقْفُ أُمَّنَا وَلاَ نَقْفُو آبَاءَنَا »	118
« نَزَلَ القُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »	236
« هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ »	5
« هِيَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله »	5
« وَاللهِ لاَ يَقُولُهُ أَحَدٌ إِلاَّ خَصَّ بَرِيقَهُ »	144

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

(الهمزة)

أَتَـهْـجُـوهُ وَلَـسْـتَ لَهُ بِنِدٍ ... فَـشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُـمَـا الفِـدَاءُ

حسان بن ثابت 204، 327

أَجْـمَـعُـوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا ... أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَـاءُ

الحارث بن حلزة 311

طَـلَبُـوا صُلْـحَنَا وَلاَتَ أَوَانٍ ... فَـأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَـقَـاءِ

أبو زيد الطائي 174

لَـيْسَ مَنْ مَاتَ فَـاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّمَـا المَيْتُ مَيْتُ الأَحْيَـاءِ

عدي بن الرعلاء 173

(الباء)

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِـرَاعِ الكَتَـائِبِ

النابغة 313

وَأَفِـلْتُ حَـاجِبٌ فَوْتَ العَوَالِي ... عَلَى قَرْوَاءِ تَرْكَـعُ فِي الظِـرَابِ

بشر بن حازم الاسدي 122

صُـدَاعٌ وَتَوْصِيمُ العِظَامِ وَفَتْـرَةٌ ... وَغَثْيٌ مَعَ الإِشْرَاقِ فِي الجَوْفِ لاَيَبُ

لم يسم قائله 71

عَلَيَّ لَعَـمْرُو نِعْمَـةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... لِـوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَـارِبِ

النابغة 246

إِنَّ الرِّجَـالَ لَهُمْ إِلَـيْـكَ وَسِيلَـةٌ ... أَنْ يَأْخُذُوكَ تَكَحَّلِي وَتَـخَضَّـبِي

عنترة 31

وَلَـقَدْ طَـعَنْتُ أَبَـا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَمَعَتْ فُزَارَةَ بَعْدَمَا أَنْ يَغْضَبُوا

لم يسم قائله 123

مَـا نَـقَـمَ النَّـاسُ مِنْ أُمَيَّةَ إِلاَّ ... أَنَّـهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِـبُوا

عبيد الله بن قيس الرقيات 313

لَـعَمْـرُ أَبِيهَـا لاَ تَقُولُ ظَعِينَتِي ... أَلاَ فَرَّ عَنِّي مَالِكٌ بْنُ أَبِي كَعْبِ

لم يسم قائله 148

تَـــوَعَّدَنِي كَعْبٌ ثَـلاثًـا يَعُدُّهـَا ... وَلاَ شَكَّ أَنَّ القَوْلَ مَا قَالَ لِي كَعْبُ
وَمَا بِي خَوْفُ المَوْتِ إِنِّي لَمَـيِّـتٌ ... وَلَكِنْ خَوْفُ الذَّنْبِ يَتْبَعُهُ الذَّنْـــبُ

عمر بن الخطاب 18

كَـذِبْتُمْ وَبَيْتُ اللهِ لاَ تُـنْكِـحُـونَهَا ... بَنِيٌّ شَـــابَ قَرْنَاهَا تَصَرُّ وَتَحْلِبُ

الأسدي 125

فَـمَـنْ يَـكُ أَمْـسَى بِالمَدِينَةِ رِحْلُهُ ... فَـإِنِّي وَقَـيَّـــارٌ بِهَـا لَـغَرِيبُ

ظَالِبي بن الحارث 129، 274

وَدَاعٍ دَعَـــا مَنْ يُـجِيبُ إِلَى النَّدَى ... فَـلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِـنْدَ ذَاكَ مُـجِـيبُ

سعيد بن كعب الغنوي 172

بِـــهَـا جِيَفُ الحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا ... فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَـلِـيـبُ

علقمة بن عبيدة 172

أَفْـلِحْ بِمَا شِئْتَ، فَقَدْ يُبْلَغُ بِـالضَّـــ ... ـــعْفِ، وَقَـــدْ يُـخْدَعُ الأَرِيـبُ

عبيد 315

وَنَـسْـحَرُ بِالطَّعَـــامِ وَالشَّـرَابِ ... أَرَانَـا مُوضِـعِـينَ لأَمْـرِ غَيْبِ

امرؤ القيس 315

عَـسَى الكَـرْبَ الَّـذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ ... يَكُـونُ وَرَاءَهُ فَـرَجٌ قَـرِيبُ

هدبة بن خشرم 327

(التاء)

مَـنْ كَـانَ أَسْـرَعَ فِي تَفَرُّقِ فَالِجٍ ... فَـلَـحُوقَـهُ جَرِبَتْ مَعًا وَأَغَدَّتْ
إِلاَّ كَـنَـاشِرَةِ الَّذِي ضَـيَّـعْـتُـمْ ... كَـالْغُصْنِ فِي غُلَوَاتِهِ المُتَنَبِّتِ

عنز بن دجاجة المازني 131

نَـحْـنُ بَـنُو أُمِّ البَـنِينَ الأَرْبَـعَـة ... وَنَـحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةِ

لبيد 302

يُـطَـاعِـنُ قُبُلَ الخَيْلِ وَهُوَ أَمَامَهَا ... وَيَـطْعَنُ عِنْ أَدْبَارِهَا إِنْ تَوَلَّتْ

الفرزدق 90

وَمَـرٌّ بِـمَسْـفَافِ التُّرَابِ عَقِيمُهَا ... إِذَا مَـتَـنَـأَبَّتْ الرِّيَاحُ تَنَـاسَمَتْ

كُثَيِّر 314

وَذِي ضِـغْـنٍ كَـفَـفْتَ النَّفْسَ عَنْهُ ... وَكُـنْتُ عَـلَى إِسَـاءَتِـهِ مُـقِيتَا

الزبير بن عبد المطلب 311

إِلَـــى الفَـضْـلُ أَمْ صَـلَـيَّ إِذَا حُو ... سِـبْـتُ إِنِّـي عَلَى الحَسَابُ مُقِيتُ

لم يسم قائله 312

(الجيم)

حَتَّى رَعَيْنَ الشَّوَى مِنْهُنَّ فِي مَسَكٍ ... مِنْ نَسْلِ جَـوَّيَـةُ الأَفَاقِ مِهْدَاجِ

أبو وجزة 314

لَقَدْ نَطَقَ المَأْمُونُ بِالصِّدْقِ وَالهُدَى ... وَبَيَّنَ لَنَا لِلإِسْلاَمِ دِينًا مِنْـهَـاجًا

أبو سفيان بن الحارث 31

(الحاء)

قُلِ لِلْقَوَافِلِ وَالغُزَاةِ إِذَا غَـزَوْا ... وَالبَاكِرِينَ لِلْـمَجْدِ الـرَّائِـحِ

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالشَّجَاعَةَ ضُمِّنَـا ... قَبْرًا بِمَرْوَةَ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْـقِرْ بِـهِ ... كُومَ الجِلاَدِ وَكُلَّ طِرْفٍ سَـابِـحِ

وَانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِـدِمَـائِهَا ... فَلَقَدْ يَكُـونُ أَخَـا دَمٍ وَذَبَـائِـحِ

المغيرة المهلب 324

دَانٍ مُـسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ ... يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِـالـرَّاحِ

فَمَـنْ بِنَـجْـوَتِـهِ كَـمَنْ بَعَقْوَتِهِ ... وَالمِسْكِينُ كَمَنْ يَمْشِي بِفَـرْوَاحِ

أوس بن حجر 97

أَلَـسْتُمْ خَـيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ... وَأَنْـدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

جرير 114، 123

هَـذَا مُـقَـامُ قَدَمَيْ رَبَـاحِ ... ذُنُوَّةً حَـتَّى دَلَـكَتْ بِـرَاحِ

لم يسم قائله 123

كَـرِهْتُ الـعَقْرَ عَقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ ... إِذَا هَـبَّـتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ

مالك بن الحارث 301

خَيْرُ اللهِ الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِعِلْمِـهِ ... إِذَا عِيَّ العُلَمَاءُ بِالبَيَانِ الصَّحِيحِ

عبيد الله بن قيس الرقيات 23

(الدال)

يَـأَخْـبَثَ النَّاسِ كُلُّ النَّاسِ قَدْ عَلِمُوا ... لَـوْ تَسْتَـطِيعَانِ كُنَّا مِثْلَ مِعْضَادِ

لم يسم قائله 154

يَـا عَيْنُ هَلاَّ بَكَيْتِ أَرْبَـدَ إِذْ ... قُـمْنَا وَقَـامَ الخُصُـومُ فِي كَـبَدِ

لبيد بن ربيعة 32

لاَ تَـــرْتَـــجِـــي حِينَ تُلاَقِي الذَائِدَا أَمَـــبْعَةً لاَقَتْ مَعًا أَمْ وَاحِـــــدَا

لم يسم قائله 149

وَلَـكِـنَّـــمَـــا أَهْلِي بِـــوَادٍ أَنِيسَةٍ ذِئَابٌ تَبْغِـــي النَّاسُ مَثْلَى وَمَوْحِدًا

سعدة بن جؤية 128

فَـــقُـــلْتُ لَهُمْ : ظُنُّوا بِأَلْفِي مُدَجَّجٍ سَـــرَاتُهُم فِي الفَارِسِيِّ الـــمُسَرَّدِ

دريد 312

فَـــإِذَا وَذَلِـــكَ لاَ مَـــهَاةَ لِـــذِكْرِهِ وَالـــدَّهْرُ يَعْقُبُ صَالِحًا بِفَامِـــدِ

الأسود بن يغفر 133

ضَـنَّـــتْ بِـخَـدٍّ وَثَـنَتْ بِـخَـــدِّ وَإِنَّـــي مِنْ غَرَوِ الهَوَى أُصَـــدَّى

الراجز 312

شَـكَّ الفَـرِيصَـــةَ بِالمَدْرِي فَأَنْفَذَهَـــا شَـــكَّ المُبَيْطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ العَضَدِ

النابغة 290

قَـالَـــتْ أَلاَ لَـــيْتَ مَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا إِلاَّ حَـمَامَتُنَا وَنِـــصْفُـــهُ فَـقَـــد

النابغة الذبياني 133

فَـــإِنَّ الَّـــذِي حَـــانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُـــمُ القَوْمُ كُلُّ القَوْمِ يَا أُمَ خَالِـــدِ

لم يسم قائله 89

أَرِينِي جَـــوَادًا مَـــاتَ هَـــزْلاً لأَنَّنِي أَرَى مَـــا تَـــرِينَ أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا

حطائط بن يعفر 122

أَلاَ بَـكَـــرَ النَّـــاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدٍ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

فَـــإِنْ تَـسْـــأَلُـونِي بِـــالبَـيَانِ فَإِنَّهُ أَبُـــو مَـــعْقِلٍ لاَ حَيٌّ عَنْهُ وَلاَ حَدَدْ

أبو القمقام الأسدي 154

هَـبَـلَـتْـكَ أُمُّـكَ إِنْ قَـتَلْتَ لَمُسْلِمًا وَجَـبَتْ عَـــلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتَعَمِّدِ

عاتكة بنت زيد 181

وَلاَ سِـنَـــةٌ فِي طِـــوَالِ اللَّيْلِ تَأْخُذُهُ وَلاَ يَـــنَامُ وَمَا فِي أَمْـــرِهِ فَنَـــدُ

زهير بن أبي سلمى 30

وَمَـــا العَيْـــشُ إِلاَّ مَـــا تَلَذُّ وَتَشْـــتَهِي وَإِنْ لاَمَ فِـــيهِ ذُو الشَّـــنَانِ وَفَنَّدَا

الأخوص 123

إِلاَّ كَـــخَارِجَـــةِ المُـــكَلِّـــفِ نَفْسَهُ وَابْنِي قُبَيْصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَـــدَا

الأعشى 131

كَـمَـا تَـابَعَتْ سُرْدَ العِنَانِ الخَوَازِرَ ... شَـكَكْنَ بِأَحْقَاءِ الثَّنَابِي عَلَى هُدَى

القماخ 298

صَـادِيًـا يَـسْـتَـغِيثُ غَيْرَ مُغَاثِ ... وَلَـقَـدْ كَـانَ عَـصْـرَةَ مَنْجُودِ

أبو زبيدة الطائي 201

فَـمَـا أُجْـشِـمْـتُ مِنْ إِتْيَـانِ قَوْمٍ ... هُـمُ الأَعْـدَاءُ وَالأَكْـبَـادُ سُـودُ

الأعشى 297

أَتَـيْـمَـا تَـجْـعَـلُـونَ إِلَـيَّ نَـدًا ... وَمَـا تَـيْـمٌ لِـذِي حَـسَـبٍ نَدِيدُ

جرير 327

(الراء)

أَلَـمْ تَـسْـأَلْ فَـتُـخْـبِـرَكَ الدِّيَار ... عَـنِ الحَـيِّ المُـظَلِّلِ حَيْثُ سَارُ

لم يسم قائله 148

فَـمَـنْ يَـكُ سَائِـلاً عَـنِّي فَإِنِّي ... وَجَـزُوءَةَ لاَ تَـزُولُ وَلاَ تُـغَارُ

شداد بن معاوية 125

وَشَـارِبٍ مُـرْبِحٍ بِـالكَأْسِ نَازَعَنِي ... لاَ بِـالحَـصُورِ، وَلاَ فِـيهَا بِسَوَّارِ

الأخطل 311

وَيُـخْـبِـرُنِي عَنْ غَائِبِ المَرْءِ هَدْيُهُ ... كَفَى الهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِرًا

زيد بن زيد العدوي 154

وَلَـقَـدْ قَـتَـلْـتُكُمْ ثُـنَاءً وَمَـوْحِدًا ... وَتَـرَكْتُ مُـرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ المُدْبِرِ

صخر بن عمرو السلمي 128

أَلاَ إِنَّـمَا مَيٌّ -فَـصَبْرًا- بَـلِيَّةٌ ... وَقَـدْ يُـبْتَلَى الحُرُّ الكَرِيمُ فَيَصْبِرُ

ذو الرمة 127

يُـهِـنُـونَ مَـنْ حَقَّـرُوا شَـيْئَهُ ... وَإِنْ كَـانَ فِـيهِمْ بَغِي أَوْ يَـبَـرْ

النمر بن تولب 173، 180

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَ مَا قَدْ بَرَيْتَـنِي ... وَخَيْرُ المَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِي

سويد بن الصامت 31

فَـإِنْ تَـسْـأَلِـينَـا: فِيمَ نَحْنُ؟ فَإِنَّنَا ... عَـصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأَنَامِ المُسَحَّرِ

لبيد 315

نَـالَ الـخِـلاَفَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كَـمَا أَتَى رَبَّـهُ مُـوسَى عَلَى قَدَرِ

جرير 330

وَلاَ يُبْعِدْنَ قَوْمِيَ الَّذِينَ هُمُ ... سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الأُزُرِ

خرنق 130

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمَ آخِرَ لَيْلِهِمْ ... مَا كَانَ وَقَّافًا بِغَيْرِ مُعْصِرِ

لبيد 202

وَمَا تَجَافَى الْغَيْثُ عَنْهُ فَمَا بِهِ ... سَوَاءُ الْحَمَامِ الْحُضْنِ الْخُضْرِ حَاضِرُ

ذو الرمة 281

وَيْكَ أَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُحَـ ... ـبُبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرّ

يعقوب بن السكيت 96

لاَ تَحْرِمَنِّي هَدَاكَ اللهُ مَسْأَلَتِي ... وَلاَ أَكُونَنَّ كَمَنْ أَوْبَى بِهِ السَّفَرُ

لم يسم قائله 203

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا ... وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيْءٍ نُكُرْ

عبيدة بن حمام 311

فَلَمْ يَسْتُرْ يَتُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ ... فَوْقَ الرِّجَالِ خَصَالاً عِشَارَا

الكميت بن زيد 128

أَحْرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّـ ... ـكَ لابْنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرُ

الحطيئة 202

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لاَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّاطِرَةِ الْحُمْرُ

خداش بن زهير 166

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ دِينَهُمُ ... وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

لم يسم قائله 110

فَإِنْ حَرَامًا لاَ أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا ... عَلَى شَجْوِهِ إِلاَّ بَكَيْتُ عَلَى عَمْرُو

عبد الرحمن بن جمالة 307

إِذَا أَتَانِي الشَّيْطَانُ فِي سِنَةِ النَّوْ ... مِ وَمَنْ مَالَ مَيْلَتَهُ مَثْبُورُ

عبد الله بن الزبعري 33

فِرَاقٌ كَقَيْضِ السِّنِّ فَالصَّبْرُ إِنَّهُ ... لِكُلِّ أُنَاسٍ عَثْرَةٌ وَجُبُورُ

نويب الهذلي 135

وَعَادِيَةٍ مِنْ بِنَاءِ الْمُلُوكِ ... تَمَّتْ قَوَاعِدُ مِنْهَا وَسُورَا

الكميت بن زيد 122

وَبَيْتِ قَوْلِي عَبْدُ الْمَلِيـ ـكِ قَاتَلَكَ اللهُ عَبْدًا كَفُورًا

لم يسم قائله 311

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـ ـسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذَرَاهُ وُكُورُ

عدي بن زيد 310

مَجَّدُوا اللهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلُ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا

بِالْبِنَاءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا سَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا

شَوْجَعًا مَا يَنَالُهُ الْعَيْـ ـنُ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ سُورًا

أمية بن الصلت 215

(السين)

بِثَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ

لم يسم قائله 148

وَبِئْسَتْ مِمَّا كَانَ يَشْغَفُنِي وَمِنْهَا وَلَا يُعْلِيكَ كَالْيَأْسِ

الحارث بن حلزة 94

مُدْرِعَاتِ اللَّيْلِ لَمَّا عَسْعَسَا وَأُدْرِعَتْ مِنْهُ بِهِيمًا جَنْدَسَا

علقمة بن قرط التميمي 328

وَمَاءٍ قَدِيمٍ عَهْدُهُ مَا يُرَى بِهِ سِوَى الطَّيْرِ قَدْ بَاكَرْنَ وِرْدَ الْمُغَلَّسِ

وَرَدَتْ بِأَفْرَامٍ عِتَاقٍ وَفِتْيَةٍ فَوَارِطُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ مُعَسْعِسِ

الزبرقان 328

(الضاد)

يَا رُبَّ ذِي ضِغْنٍ عَلَيَّ فَارِضٍ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

ابن قتيبة 300

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

طرفة بن العبد 32

(العين)

وَنُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ: إِنْ كَانَ جَائِعًا وَنَحْسِبُهُ: إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ

نسوب لمرأة من بني قشير 291، 316

لا وَجْدُ ثَكْلَى كَمَا وَجَدْتُ ولا ثُكْلُ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ

وَلَا وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ يوم تَوَافَى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

لم يسم قائله 331

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَهُمْ صَلَبُو العَبْدِيِّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فَلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلاَّ بِأَجْدَعَا

لم يسم قائله 281

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ ... تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

النابغة 296

أَتَجْزَعُ أَنْ بَانَ الخَلِيطُ المُوَدِّعُ ... وَحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عِزَّةِ المُتَقَطِّعُ ؟

لم يسم قائله 155

أَخْبِرْ أَخْبَارَ القُرُونِ التِي مَضَتْ ... أَدِبَّ كَأَنِي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ

لبيد 122

فَإِنَّكُمَا إِنْ تُحْكِمَانِي وَتُرْسِلاَ ... عَلَيَّ هَوَاةُ النَّاسِ إِيبَ وَتَضْلَعَا

أبو ثروان العكلي 147

إِذَا مَا مَشَتْ وَسْطَ النِّسَاءِ تَأَوَّدَتْ ... كَمَا اهْتَزَّ غُصْنٌ نَاعِمُ النَّبْتِ يَانِعُ

لم يسم قائله 31

فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ ... لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي القَصَائِدِ مَصْنَعَا

لم يسم قائله 324

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ لاَ ثَوْبَ غَادِرٍ ... لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ سَوْءَةٍ أَتَقَنَّعُ

هيلان بن سلمة الثقفي 29، 47

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ

الزبيدي 316

(الفاء)

وَالثَّمْغُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَفَا ... أَدْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا

العجاج 123، 316

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ ... فَأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفَا

الهذلي 313

(القاف)

فَلَوْ كَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئًا ... بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقِ

عَلَى المَرْأَيْنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعًا ... لِشَأْنَيْهِمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقِ

لم يسم قائله 331

حَمِيتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي عِنَاقًا ... وَمَا هِيَ وَيْتَ غَيْرَكَ بِالعِنَاقِ

المفضل 149

إِنَّ هَـذَا اللَّيْـلَ قَـدْ عَـسَـعَـسَـا ... وَاشْـتَكَيْتُ الهَـمَّ وَالأَرَقَـا

ابن قيس الرقيات 124

قَـدْ تَـغِنَّتْ رِجْلِي إِلَى جَنْبِ عِرْزِهَا ... نَـسِيغًا كَأَفْـحُوصِ القَطَاةِ المُطَرَّقِ

الممزق العبدي 94

وَإِنْ امْـرُءًا أَهْـدَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ... مِـنَ الأَرْضِ مُـومَاةٌ وَيَهْمَاءُ خَيْفَقُ

لِـمَـحْـقُولَـةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي بِصَوْتِهِ ... وَأَنْ تَـعْـلَمِي أَنَّ المُـعَارَ مَـوَفَّقُ

الأعشى 125

مَـنِ لِي بِـالمِـزَرِّ اليَـلَامِـقِ ... صَـاحِـبِ إِهَـانٍ وَأَلْـقَ آلِـقِ

لم يسم قائله 149

لَـنَـا نَـعَـمٌ لاَ يَعْتَرِي الذَّمَّ أَهْلَهَا ... سَـوَاءٌ عَـلَيْنَا ذَاتُ زَوْجٍ وَطَالِقِ

ابن الأعرابي 71

إِنَّ الـجَـلِّيْذَ زَلِـقٌ وَزُمَّـلُـقٌ ... جَـاءَتْ بِـهِ عِنْسٌ مِنَ الشَّامِ تَلِقْ

مُـجَـوَّعُ البَـطْـنِ ... كِـلَابِـي الخُـلُـقِ

القماخ 148

وَذَاتُ حَـلِيلٍ أَنْـكَحَتْهَا رِمَـاحُـنَا ... حَـلَالاً لِـمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ

لم يسم قائله 53

أَلَـمْ تَـسْأَلِ الرَّبْـعَ القَدِيمَ فَـيَنْطِقُ ... فَـهَـلْ تُـخْبِرَنْكَ اليَوْمَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ

جميل 148

(الكاف)

وَفِـي كُـلِّ عَـامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةً ... تَـشُـدُّ لأَقْصَـاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

مُـوَرِّثَـةً مَـالاً وَفِي الأَصْلِ رِفْـعَةً ... لَمَّا ضَـاعَ فِيهَا مِنْ قُـرُوءِ نِسَائِكَا

الأعشى 121، 300

إِنْ تَـكُ عَـنْ أَحْـسَنِ الصَّـنِيعَةِ مَأْ ... فُـوكًا فَـفِي آخَـرِينَ قَدْ أُفِكُوا

عروة بن أذينة 306

مَـصَابِـيحُ لَـيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا ... نُـجُومٌ وَلاَ بِـالآفِـلَاتِ الدَّوَالِكُ

ذو الرمة 316

(اللام)

قَـلِقٌ لأَفْـنَـانِ الـرِّيَـا ... حِ لِلاقْـتِـحِ مِـنْهَا وَحَـائِـلْ

الطرماح 314

وَلاَ تَعْجَلِينَ هَدَاكِ المَلِيكُ ... فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالُ

لم يسم قائله 203

مَنَتْ لَكَ أَنْ تُلاَقِيلِي المَنَايَا ... أُحَادَ أُحَادَ فِي شَهْرٍ حَلاَلِ

صخر الغي الهذلي 128

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمِّيَ اللَّذَا ... قُتِلاَ المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلاَلَ

الأخطل 89

دَعِينِي إِنَّمَا خَطَئِي وَصَوَابِي ... عَلَيَّ وَإِنْ مَا أَهْلَكْتُ مَالَ

أوس بن غلفاء 114

حَفَدَ الوَلاَئِدِ حَوْلَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ ... بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ

أمية بن الصلت 32

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى ... وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ذَاكَ الكَمَالُ

لم يسم قائله 160

أَيَقْتُلُنِي وَالمُشْرِفِيُّ مَضَاجِعِي ... مَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

امرؤ القيس 108

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ ... إِلاَّ كَلِمَّةِ حَالِمٍ بِخَيَالِ

تميم بن مقبل 175

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى ... صَبْرًا جَمِيلٌ فَكِلاَنَا مُبْتَلَى

الراجز 127

زُوِّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مَجْزِئَةً ... لِلْعَوْسَجِ اللُّدْنِ فِي أَبْيَاتِهَا زَجَلُ

المفضل 302

وَبَيْضَةُ خِدْرٍ لاَ يُرَامُ خِبَاؤُهَا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ

امرؤ القيس 73

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلاَّ حِينَهُ ... وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

عامر بن طفيل 175

أَحْمَدُ اللهَ فَلاَ نِدَّ لَهُ ... بِيَدَيْهِ الخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ

لبيد 326

وَهِيَ تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلاَ ... نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَلاَ

لم يسم قائله 96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كَـبِكْرِ المُـقَـانَاتِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ ... غَـذَاهَا نَمِيْرُ الـمَّاءِ غَيْرُ مُحَلَّلِ

امرؤ القيس 73

إِذَا لَـعِـقَـتْهُ النَّـحْلُ لَمْ يَزْجِ لَسْعَهَا ... وَخَـالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبَ عَوَامِلِ

لم يسم قائله 149

وَنَـاعٍ يُـخَـبِـرُنَا بِـمَهْلَكِ سَيِّدٍ ... تُـقَطَّعُ مِنْ وُجْـدٍ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

لم يسم قائله 151

وَمَـا صَـرَمَتْكِي حَتَّى قُلْتِ مُعْلِنَةً ... لاَ نَـاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلاَ جَـمَلُ

الراعي النميري 172

(الميم)

تُـحَيِّيُ بِالسَّلاَمَـةِ أُمُّ بَـكْـرٍ ... فَـهَـلْ لَكِ -بَعْدَ قَوْمَكَ- مِنْ سَلاَمُ؟

لم يسم قائله 289

بَـطَـلٌ كَأَنَّ ثِـيَابَهُ فِي سَـرْحَـةٍ ... يُـحْذَى نِعَالَ السِّبْـتِ لَيْسَ بِـتَوْأَمِ

صنترة 281

وَكَـائِنْ أَرَيْنَا المَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ ... إِذَا مَـا ازْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لِـمَأْثَمِ

لم يسم قائله 281

زَلَّ بَـنُـو العَـوَامِ عَنْ آلِ الحَكَمْ ... وَشَـنَئُوا المُلْكَ لِـمَلِكٍ ذِي قِـدَمْ

العجاج 123

مَـالِي رَأَيْتُكَ بَـعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا ... خَـلِقًا كَحَوْضِ البَـاقِرِ المُتَهَدِّمِ

لم يسم قائله 172

شَـطَّتْ مَـزَارَ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ ... عَـسِيرًا عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

صنترة 126

إِذْ..... ... يَـبْنُـونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا

الجعدي 97

أَتَـجْزَعُ إِنْ أُذِنَا قُتَيْبَةُ حُـزْنَـا ... جِهَارًا، وَلَمْ تَجْزَعْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ؟

الفرزدق 155

لَـوْلاَ الـحَيَـاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَنَا ... فِيهِ المَـشِيـبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ

ابن الرقاع 313

وَأَرَى لَـهَـا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السِّيـ ... ـدَانِ لَـمْ يُـدْرَسْ لَهَا رَسْـمُ

إِلاَّ رَمَـادًا هَـامِـدًا دَفَعَتْ ... عَـنْـهُ الرِّيَـاحُ خَوَالِدَ سُحْمَةَ

المخبل السعدي 181

لِـيَـكْـلأَ يَـكُونَ الـنَّـذْرِي نَدِيدَتِي ... وَأَقْـتِعُ أَقْوَامًـا عُمُرَ مَّا عَمَا عِمَا

لبيد 327

إِذَا نَـظَـرْتَ إِلَيْكَ مِنْ مَـلَكٍ ... وَالْبَـحْرُ دُونَـكَ زِدْتَـنِي نِعَمَا

لم يسم قائله 213

إِنْ تَـغْـفِـرْ اللَّهُمَّ تَـغْفِـرْ جَـماً ... وأيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ مَـا أَلَـمَّـا

أمية بن الصلت 59

لِـعِرْفَـانِـهَا وَالـعَهْـدُ وَقْدُ بَدَا ... لِـذِي نُـهْيَةٍ إِلاَّ إِلَى أُمِّ سَـالِمِ

ذو الرمة 311

أَنَـا تَـلُ إِنَّـنِي سَـلْمٌ ... لأَهْـلِكِ فَـاقْـبَـلِي سِلْمِي

لم يسم قائله124

يَدْعُو إِلَى الحَقِّ لاَ يَبْغِي بِـهِ بَـدَلاً ... يَجْلُو بِضَوْءِ سَـنَاهُ دَاجِيَ الظُّلَمِ

أبو سفيان بن الحارث 32

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَـامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَـادَتُهُ أَوْ نَقْـصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

زهير بن أبي سلى 281

فَأَطْرَقَ إِطْـرَاقَ الشُّـجَاعِ وَلَوْ يَرَى ... مَـسَـاغًـا لِنَابَاه الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

يزيد بن الحارث 243

جَـعَلْنَا لَهُمْ نَهْجَ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا ... عَـلَى ثَبْتٍ مِنْ أَمْـرِهِمْ حِينَ يَمَّمُوا

لم يسم قائله214

إِذَا أَعْـوَجَجْنَ قُـلْتَ صَـاحِبُ قَوْمٍ ... بِـالدَّوِّ أَمْـتَالَ السَّـقِينِ الْعُوَّمِ

لم يسم قائله 151

أَوْ مِـنْـحَـلٍ عَمِلَ عُضَادَةَ سَمَّجٍ ... بِـمَـرَاتِهَا نَـدَبٌ لَـهُ وَكَلُومُ

لبيد 147

زَنَّـيِمٌ لَيْسَ يَـعْرِفُ مَنْ أَبُـوهُ ... بَـغِيُّ الأُمِّ ذُو حَـسَـبٍ لَـئِيمِ

لم يسم قائله47

لاَ تُـحْرِزُ الْمَرْءَ أَمْجَادُ الْبِلاَدِ وَلاَ ... تُـبْـنَى لَهُ فِي السَّمَوَاتِ السَّلاَلِيمُ

ابن مقبل 311

(النون)

ضَـحُّوا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُـقَطِّعُ اللَّيْلَ تَـسْبِيحًا وَقُرْآنَـا

لم يسم قائله 292

وَإِنْ أَجْـــزَأَتْ حُرَّةٌ يَومًا، فَلاَ عَجَبٌ قَـدْ تُجْزِئُ الـحُرَّةُ المِذْكَارَ أَحْيَانـاً

لم يسم قائله 302

يُسَاوِطُـهَـا تَـتْـرَى بِكُلِّ خَمِيلَةٍ كَبَزْغِ البَطِيرِ التَّفِّ رَهْصَ الكَوادِنِ

الطرماح 290

كَـــأَنَّكَ مِنْ كَـالِ بَنِي أُقَـيْشٍ يُـقَعْقِعُ خَلْفَ رِجْـلَيْهِ بِـشَنِ

النابغة الذبياني 125

بَـــانَتْ سُـعَادُ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدَنٌ وَغَـــلُقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَبْلِكَ الرُّهُنِ

قعنب بن أم صاحب 93

قِـــرَيْنَـــاكُـمْ فَجَـعَلْنَا قُـرَاكُمْ قُـبَيْلَ الصُّبْحِ مِـرْدَاةً طَحُونَـا

امرؤ القيس 76

أَتَـوَعَـدَنَـي وَرَاءَ بَـنِي رِيَـاحٍ كَـذِبَـتْ لَـتَقْصُرَنْ يَـدَاكَ دُونِي

لم يسم قائله 114

أَتَـيْتُـكَ عَـارِيـاً خَـلَـقًـا ثِيَابِي عَـلَى خَـوْفٍ تُـظَنُّ بِـيَ الظُّنُونُ

النابغة 310

وَمَـهْـمَهَيْنِ قَـذَفَيْنِ مَـرَتَـيْـنَ قَـطَعْتُهُ بِـالسَّمْتِ لاَ بِالسَّمْتَيْنِ

خطام المجاشعي 302

يَـسْـعَـى بِكَـبْدَاءَ وَخَـرْسَـيْـنِ قَـدْ جَـعَـلَ الأَرْطَاةَ جُنَّتَيْنِ

لم يسم قائله 302

وَرِجْلَةٌ يَضْرِبُونَ البِيضَ عَنْ عَرَضٍ ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّينَا

ابن مقبل 314

تَـقُـولُ إِذَا ذَرَأَتَ لَهَا وَضِينِي أَهَـذَا دِيْـنُهُ أَبَـدًا وَدِينِي

المنقب العبدي 216

فَـجَـاؤُوا يَهْـرَعُونَ إِلَيْهِ حَـتَّـى يَكُـونُـوا حَـوْلَ مِـنْبَرِهِ عِزِينَـا

عبيد بن الأبرص 31

نَـحْـنُ نَـطَحْنَاهُمْ غَدَاةَ الجَمْعَيْنِ نَطْحًا شَدِيدًا لاَ كَنَطْحِ الصُّورَيْنِ

بِـالضَّابِحَاتِ فِي غُبَارِ النَّقْعَيْنِ

لم يسم قائله299، 312

أَبِـالمَـوْتِ الَّـذِي لاَبُـدَّ أَنِي مُـلاَقٍ لاَ أَبَـاكَ تُـخَوِّفِينِي

أبو حية النميري 134

تـــــرَاهُ كَـالثَّـغَـامِ يُـعَلُّ مِسْكًا ... بِـمَسْـــوءِ الغَـــالِيَاتِ إِذَا فَلِيني

عمرو بن معد يكرب 134

أَلاَ لاَ يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنَا ... فَـنَـجْهَلَ فَـوْقَ جَـهْلِ الجَاهِلِينِ

لم يسم قائله 186

نِرَاعِي حُـــرَّةً أَنْبَـــاءَ بَـكْرٍ ... هِـــجَانُ اللَّـوْنِ لَـــمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

عمرو بن كلثوم 115

(الهاء)

وَبَـوَّعْتُ فِي صَـــمِيمِ مَـعْشَرِهَا ... فَـــتَمَّ فِي قَـــوْمِـــهَا مُبَوَّؤُهَا

لم يسم قائله 186

وَكَـــأْسٍ شَـــرِبْـــتُ عَـلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْـــرَى تَـــدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

الأعشى 72

وَلَـــوْ كَانَ فِي دِينٍ سِوَى ذَا شَنِئْتُمُ ... لَـنَا حَقَّنَا أَوْ غُصَّ بِالمَاءِ شَارِبُهُ

الفرزدق 123

أَقَـــارِضُ أَقْوَامًا فَأَوْفَى قُرُوضَهُمْ ... وَعَفَّ إِذَا أَرْدَى النُّـفُوسَ شَحِيحُهَا

تَـــنَفَّذُ مِنْهُمْ نَـافِذَاتٌ تَـسُوقُنِـي ... وَأُضْمِرَ أَضْـــغَانًا عَلَيَّ كُشُوحُهَا

النمر بن تولب 297

فِـــي ذِرْوَةٍ مِـنْ يَـــفَاعٍ أَوَّلُهُمْ ... زَانَـتْ عَـــوَالِـيهَا قَـــوَاعِدُهَا

الكميت بن زيد 122

فَـــإِنْ تَـكُ ذَا شَـاءٍ كَـــثِيرٍ فَإِنَّهُمْ ... نَوُوُ جَـــامِلٍ لاَ يَهْدَأُ اللَّيْلَ سَامِرُهُ

الحطيئة 172

وَقَـــدْ زَعَـمَتْ لَـيْلَى بِأَنِّي فَاجِـرٌ ... لِـــنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا

توبة بن الحمير 330

فَـإِنِّي وَإِيَّـــاكُمْ وَشَـــوْقًـــا إِلَيْكُمْ ... كَـــقَـــابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُهْ

ضابي بن الحارث 297

نَـــفَـرَتْ كِـلاَ الفَرْجَيْنِ يَحْسِبُ أَنَّهُ ... مَـــوْلَى الـمُخَافَةَ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا

لبيد 311

وَكُـــلُّ قَـوْمٍ أَطَـاعُوا أَمْرَ سَيِّدِهِمْ ... إِلاَّ نُـمَيْرًا أَطَـاعَـتْ أَمْرَ غَاوِيهَا

الـــظَّـاعِـنُونَ وَلَمَّا يَظْعَنُوا أَحَدًا ... وَالـــقَائِلِينَ لِـــمَنْ دَارٌ نُـخْلِيهَا

ابن خياط العكلي 129

(الياء)

لَقَدْ يَنْعَى الأَقْـوَامُ أَنِّـي أَنَا ابْـنُـهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيَا

مالك بن عوف 32

تَخَوَّفَنِـي مَـالِي أَخٌ لِـي ظَـالِمٌ ... فَلاَ تَخْذُلْنِي يَـا خَـيْرَ مَنْ بَـقِـيَ

لم يسم قائله 29

يَـقُـولُ الأَرْذَلُونَ بَـنُو قُشَيْـرٍ ... طَـوَالَ الدَّهْـرِ مَا تَنْمَى عَلِيًّا

بَـنُو عَـمِّ النَّبِيِّ وَأَقْـرَبُـوهُ ... أَحَـبُّ النَّـاسِ كُـلُّهُمُ إِلَيَّـا

فَـإِنْ يَـكُ حُـبُّهُمْ رُشْـدًا أُصِبْـهُ ... وَلَـيْسَ بِـمُـخْطِئٍ إِنْ كَـانَ غَيًّا

أبو الأسود 331

أنصاف الأبيات

أَمِـنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... عمر بن معد يكرب 290

إِنِّي غُدَاةَ وَإِنْ لَمْ أَشْعُرْ خَلِيفُ ... أبو ذؤيب 126

تَنُوءُ بِهَا فَتُثْقِلُهَا ... لم يسم قائله 166

سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ ... لم يسم قائله 299، 312

عَاوِدْ هَرَاةَ وَإِنْ مَعْمُورَهَا خَرِبَا ... لم يسم قائله 174

فِي بِئْرِ لاَ حَوْرَ سِوَى مَا شَعَرْ ... العجاج 110

هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا ... لم يسم قائله 292

وَآبَ مُـضِـلُّوهُ بِعَيْنٍ جَـلِـيَّـةٍ ... النابغة 280

وَأَنْبَتَتْ هَامَتُهُ المِرْعِزِّي ... لم يسم قائله 313

وَلاَ يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ ... النابغة 71

وَلاَ يُكَرْسِئُ عِلْمُ اللهِ مَخْلُوقُ ... لم يسم قائله 215

وَمَا فَهِمَ مِنْ أُمِّ الكِتَابِ أَمْ أَيِ الكِتَابِ ... لم يسم قائله 126

يُبَاعُو بِالبُعْرَانِ مَثْنَى وَمَوْحِدَا ... ابن غلمة الضبي 128

يَزِدْنَ فِي فِيهِ عَشْرَ الحَسُودِ ... لم يسم قائله 313

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

النبي ﷺ : 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 12، 15، 17، 22، 23، 24، 25، 26، 28، 42، 53، 66، 68، 101، 106، 118، 145، 186، 187، 188، 189، 190، 207، 208، 220، 225، 231، 243، 245، 248، 249، 253، 261، 279، 282، 298، 299، 300، 305، 308، 309، 330.

(الهمزة)

أبان بن تغلب : 283، 338.

ابراهيم ﷺ : 14، 204

ابراهيم بن اسماعيل الكاتب: 108

ابراهيم أنيس: 321، 333، 334.

ابراهيم بن أبي عبلة : 238.

ابراهيم النخعي: 244.

ابراهيم بن يحي اليزيدي: 340، 342.

أبي بن كعب: 09، 28، 54.

ابن الأثير : 57، 67، 285.

أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن=القرافي

أحمد بن حنبل : 03، 190، 207.

أحمد عبد الغفور : 283.

أحمد بن فارس : 231، 244، 254، 284، 322، 334.

أحمد بن محمد بن يزداد بن رستم: 339

أحمد بن يحي ثعلب=ثعلب

الأحوص: 123.

الأخطل: 89، 311.

الأخفش الأصغر: 162

الأخفش الأكبر: 107، 162

الأخفش الأوسط : 99، 102، 104، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 198، 206، 210، 213، 216، 220، 227، 229، 246، 266، 286، 287، 293، 305، 337.

أرسطو طاليس: 99.

اسحق ﷺ : 118

أبو اسحاق الأزدي : 337

أبو اسحاق ابراهيم السري=الزجاج

اسماعيل بن اسحاق: 245.

أبي الأسود الدؤلي : 83، 84، 331.

الأسود بن زيد: 49.

الأسود بن يغفر: 133

أمين الخولي: 112.

الأصمعي: 85، 94، 100، 101، 105، 106، 109، 256، 275، 318، 319، 322، 325، 334، 340، 342.

ابن الأعرابي: 190، 275.

الأعشى: 121، 125، 131، 297، 300.

الأعمش: 156، 242، 244.

امرؤ القيس: 108، 315.

أم سلمة : 04

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أمية بن الصلت : 215.
أبو أمية عبد الكريم : 318.
ابـن الأنبـــاري: 07، 15، 16، 27، 29، 96، 256، 268، 271، 272، 273، 278، 283، 322، 323، 324، 325، 326، 341.
الأنباري : 30، 187، 329، 332.
الأوزاعي: 02.
أوس بن حجر : 87.
أوس بن غلفان : 114.
أبو أيوب السخستاني=السخستاني

(الباء)

البخاري : 286.
أبو البركات كمال الدين الأنباري=الأنباري
برهان الدين الزركشي=الزركشي
البزار: 337.
البغوي : 50.
أبو بكر بن الأنباري= ابن الأنباري
أبو بكر بن الخياط : 338.
أبو بكر السجستاني: 110، 339.
أبو بكر الصديق: 15، 16، 21، 23، 25، 187.
أبو بكر بن مجاهد: 235، 236، 263، 272.
أبو بكر محمد بن دريد=دريد
أبو بكر محمد بن عثمان= الجعد
البيهقي: 15.

(التاء)

الترمذي : 188.
تقي الدين ابن الصلاح=ابن الصلاح
تميم بن مقبل: 311، 314.
توبة بن حمير: 330.
التوزي (أبو محمد): 525
ابن تيمية: 13، 45، 112، 188.

(الثاء)

ثابت بن نصر بن مالك
أبو ثروان العكلي: 147.
ثعلـب : 137، 139، 140، 141، 163، 255، 267، 326، 337، 339، 340، 341.
ثمامة بن الأشرس : 138.

(الجيم)

الجاحظ : 107، 213، 293.
الجحدي : 88، 97، 242.
الجرمي (أبو عمر): 96، 109، 254.
جرير: 123، 131، 330.
ابن جرير الطبري= الطبري
ابن الجزري: 263.
ابن جزري الكلبي : 93.
الجعد: 338، 339.
أبو جعفر المدني : 160.
أبو جعفر النحاس=النحاس
جلال الدين السيوطي=السيوطي
ابن جلـــي: 28، 36، 85، 86، 88، 89، 90، 92، 163، 200، 218، 231، 236، 245، 247، 250، 255، 261.
جولد تسيهر: 30.
الجوهري : 110، 229.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(الحاء)

ابن أبي حاتم (بشر): 13، 48، 64.

أبو حاتم السجستاني : 86، 109، 166، 195، 246، 267، 271، 319، 320، 322، 325، 326، 327، 328، 332، 340، 341، 342.

الحارث بن حلزة اليشكري: 94، 311.

الحاكم : 3.

أبو حامد الغزالي=الغزالي

ابن حجر العسقلاني : 25، 46.

حسان بن ثابت : 02، 204، 327.

أبو الحسن الأثرم: 127.

الحسن البصري: 38، 49، 53، 54، 73، 77، 78، 83، 89، 145، 161، 175، 191، 193، 207، 238، 242، 244، 266، 271، 295.

أبو الحسن سعيد بن مسعدة=الأخفش الأوسط

الحسن بن سهل : 140، 141.

أبو الحسن علي بن سليمان=الأخفش الأصغر

الحسن بن علي بن أبي طالب: 212.

حسين الجعفي: 246

أبو الحسن الخزاز: 338.

أبو الحسن اللحياني : 329.

أبو الحسين بن كيسان: 337، 341.

حطائط بن يعفر: 122.

الحطيئة: 202.

حفص : 89، 177، 271.

حماد بن زيد : 118.

حمزة بن حبيب الزيات: 82، 89، 159، 241، 242، 244، 246.

الحوفي: 39.

أبو حنيفة : 137، 255.

أبو حيان الأندلسي : 37، 38، 39، 52، 86، 88، 95، 192، 206، 217، 235، 244، 245، 246.

أبو حية النميري : 134.

(الخاء)

خالد بن الوليد: 309.

خداش بن زهير: 166.

أبو الخطاب خرنق: 130.

أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد=الأخفش الأكبر

الخطيب البغدادي : 102، 238.

ابن خلدون : 10.

ابن خلكان : 91، 138.

الخليل بن أحمد الفراهيدي : 87، 91، 99، 105، 139، 224، 230، 275، 308.

أبو خيرة الأعرابي: 275،

(الدال)

أبو داود : 02.

ابن دجاجة المازني(عنزة): 131.

درستويه: 239، 323.

ابن دريد : 110.

دريد : 283، 312.

دعامة السدوسي : 49.

الدهلوي (حجة الله): 285

الدوري (حفص بن عمر): 341، 342.

(الذال)

أبو ذؤيب الهذلي: 126.

ذو الرمة : 127، 281، 311، 316.

ابن ذهر : 154.

(الراء)

الرؤاسي : 100، 138، 336، 341.

الرازي (الفخر) : 214.

الراغب الأصفهاني : 193، 206، 284، 286.

ابن الراوند: 190.

أبو رجاء: 295

أبو رجزة: 314.

الرشيد: 226.

ابن رشيق : 18.

ابن الرقاع : 313.

(الزاي)

الزبرقان: 328.

الزبيدي: 283.

الزجـــاج : 99، 102، 110، 140، 163، 183، 193، 199، 210، 227، 229، 244، 246، 250، 267، 268، 270، 271، 302، 338.

الزجاجي: 94، 252.

الزركشـــي : 15، 16، 17، 21، 24، 57، 96، 255، 320.

الزمخشري : 21، 67، 253، 259.

الزهري : 98.

زهير بن أبي سلمى : 30.

ابن زيد(علي بن زيد بن جدعـــان): 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78.

زيد بن أسلم : 54.

أبو زيد الأنصاري: 100، 104، 105، 106.

زيد بن ثابت: 9.

أبو زيد الطائي :201.

(السين)

السخستاني: 238

السدي: 56، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78

ابن سعد : 56.

سعيد البكري: 283.

سعيد بن جبـــير : 27، 45، 46، 48، 56، 57، 72، 73، 83، 242.

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: 330.

سعيد بن سالم : 136.

سعيد بن المسيب : 45، 54، 55.

سفيان الثوري : 57.

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : 31، 32.

سفيان بن عيينة: 138، 318.

ابن السكيت : 96، 322، 325، 332.

ابن سلام (يحي التميمي العبدي الأفرقي): 207.

سلمة بن عاصم: 338.

أبو سليمان الخطابي : 02، 284.

سيبويه : 86، 91، 92، 97، 98، 162، 174، 230، 238، 274، 254، 264، 265، 274، 308.

السيد أحمد خليل : 194، 209، 225.

السيد أحمد صقر : 278.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السيوطي : 06، 07، 15، 24، 30، 34، 38، 39، 64، 87، 96، 163، 192، 226، 235، 239، 251، 252، 275، 260، 261، 277، 282، 285، 286، 320، 321، 322، 335.

(الشين)

الشاطبي : 12، 21، 22، 189، 192، 219.

الشافعي: 08، 11، 191، 255، 256.

أبو شامة: 235.

أبو شبل العقيلي : 276.

ابن الشجري (هبة الله بن علي) : 229، 258.

شداد بن معاوية العبسي: 125.

الشريف الرضي : 193

أبو الشعثاء: 45

الشماخ : 298.

شوقي ضيف: 238.

(الصاد)

الصاحب بن عباد : 195.

أبو صالح : 280.

صبيغ : 21.

صخر بن عمر بن الشريد : 128

صخر الغي الهذلي : 128

ابن الصلاح : 209.

الصلتان: 324.

أبو الصلت الثقفي : 20.

(الضاد)

ضابي بن الحارث البرجي : 274.

الضحاك بن مزاحم الهلالي : 56، 71، 72، 286.

(الطاء)

طاووس الأسدي : 45، 56.

الطبراني : 30.

الطبري: 14، 15، 17، 19، 20، 66، 140، 163، 191، 201، 202، 203، 204، 205، 206.

طرفة بن العبد: 32.

ابن أبي طلحة الطرماخ: 286، 290، 314.

(العين)

عائشة : 15، 148، 189، 190، 242، 282.

عاتكة بنت زيد: 181.

ابن عاشور (الطاهر): 70، 190، 274.

ابن عاشور (الفاضل) : 24، 26.

عاصم بن أبي النجود: 82.

أبو العالية : 54، 55، 71.

عامر الشعبي : 49.

عباس حسن: 252.

أبو العباس محمد بن يزيد بن المبرد=المبرد

عبد الجبار (أبو الحسن): 57، 213، 231.

أبو عبد الرحمن السلمي: 03، 82، 241.

عبد القاهر الجرجاني: 226، 232.

عبد الله بن أبي اسحاق: 87، 88، 89، 90، 99.

عبد الله بن بريدة : 15.

عبد الله بن الزبعري: 33.

عبد الله بن الزبير: 09، 13.

عبد الله بن عامر : 240، 242، 246.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الله بن عبـــاس: 7، 9، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 45، 46، 47، 49، 50، 53، 55، 56، 57، 65، 66، 67، 68، 69، 83، 84، 85، 103، 111، 144، 145، 187، 188، 189، 190، 191، 193، 201، 203، 222، 270، 282، 283، 286، 290، 291، 331.

عبد الله بن عمر : 07، 23، 84، 261، 267.

عبد الله بـــن مســـعود: 04، 08، 09، 38، 49، 147، 151، 152، 158، 160، 181، 187، 239، 307.

أبو عبد الله اليزيدي: 110.

عبد الملك بن مروان : 114.

عبد الواحد وافي : 324، 333.

عبيد بن الأبرص: 31، 315.

أبو عبيدة معمر بن المثنى : 11، 27، 48، 54، 67، 93، 94ن 95، 98، 99، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 116، 117، 118، 119، 121، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 140، 143، 145، 156، 157، 166، 167، 168، 183، 191، 193، 197، 198، 202، 203، 206، 207، 220، 221، 227، 229، 246، 258، 266، 268، 279، 280، 283، 292، 293، 295، 297، 299، 305، 314، 321، 322، 323، 325، 326، 328، 331، 337، 339، 340.

ابن عبيد القاسم بن ســلام: 103، 191، 242، 325، 332، 337، 339، 341.

عبيد الله بن الحسن: 196.

عبيد الله بن عتبة: 23، 24.

عبيد الله بن عمر : 54.

عبيد الله بن قيس الرقيات: 23، 124.

ابن عتمة الضبي: 128.

عثمان بن سعيد بن أسعد: 97.

عثمان بن عفان : 23، 187، 292.

العجاج : 123.

عدي بن حاتم: 282.

عدي بن زيد : 310.

عروة بن مسعود : 118.

العزيزي (محمد بن عزيز): 283.

عطاء بن أبي رباح : 45، 56، 72.

ابن عطاء الله السكندري: 207،

ابن عطية : 07، 52، 206،

عطية بن عفيف : 56.

ابن عقيل

العكبري : 98، 181، 253، 256، 270.

عكرمـــــة : 29، 45، 46، 47، 48، 56، 70، 71، 118، 139.

علقمة بن قرط التميمي: 328.

علقمة بن قيس: 49.

علي بن أبي طالب: 46.

أبو علي الجبائي : 214.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علي بن حمزة الكسائي=الكسائي
أبو علي الفارســـي : 163، 231، 256، 260، 267، 322.
علي بن علي بن الحسين : 283.
عمر بن بكير : 140.
عمر بن الخطاب : 11، 12، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 28، 29، 41، 136، 147، 187، 189، 219.
عمر بن عبيد : 91، 210، 212.
أبو عمرو الزاهد: 283.
أبو عمرو الشيباني: 275.
أبو عمر بن العـــلاء : 38، 67، 87، 89، 91، 92، 93، 94، 95، 97، 98، 104، 130، 134، 224، 237، 238، 242، 246، 247، 259، 270، 276.
أبو عمرو بن كركرة الأعرابي: 275، 276.
عمر بن كلثوم: 115.
عمرو بن مسعود: 154.
عمرو بن معد يكرب: 134، 290، 316.
أبو عمرو الهذلي: 132.
عنبسة الفيل : 84.
عنترة بن شداد : 31، 125، 126، 281.
عيسى بن عمر الثقفي: 87، 88، 90، 91، 92، 94، 99، 104، 127، 267.

(الغين)

الغزالي: 188، 208، 209.
غيلان الثقفي : 29

(الفاء)

أبو الفتح عثمان بن جني=ابن جني
الفراء: 67، 83، 96، 99، 100، 102، 103، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 183، 193، 198، 202، 203، 205، 205، 206، 216، 220، 224، 227، 228، 241، 243، 246، 247، 255، 265، 266، 268، 270، 273، 287، 293، 299، 302، 305، 308، 329، 331، 333، 336، 340، 341، 342.
الفرزدق : 88، 90، 123، 156.
الفضل بن الربيع : 107.
ابن الفلاح: 252.

(القاف)

القاسم بن معن : 246، 276.
القالي : 29.
قتـــادة : 19، 38، 40، 49، 50، 52، 53، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 145، 188، 244.
ابن قتيبـــة: 10، 16، 99، 104، 113، 140، 195، 196، 197، 99، 203، 206، 214، 215، 216، 236، 243، 253، 267، 278، 279، 280، 281، 282، 287، 288، 289، 291، 292، 293، 295، 296، 298، 299، 300، 301، 303، 304، 305، 307، 310، 315، 317، 318، 333، 334، 339، 340.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قدار بن سالف: 154
القرطبي : 192، 217، 244، 245، 255.
القرضي (صاحب الإعراب) : 267.
القشيري : 245.
قطـــرب : 95، 102، 127، 193، 210، 213، 255، 267، 278، 322، 325، 329، 336، 339، 340، 342.
قعنب بن أم صاحب: 93.
أبو القمامة الأسدي: 125، 154.
ابن القيم : 15، 66.

(الكاف)

الكافيجي: 191
ابن كثير : 14، 21، 57، 68، 130، 189.
كثيّر: 314.
الكسائي: 83، 96، 99، 102، 104، 137، 138، 139، 145، 146، 153، 159، 163، 164، 205، 206، 224، 226، 228، 230، 238، 239، 242، 271، 273، 308، 336، 341.
الكميت : 22، 128.

(اللام)

لبيد بن ربيعـــة: 32، 122، 147، 202، 311، 315، 326، 327.
لقمان الحكيم : 05.

(الميم)

مازن : 131.
المازني: 244.
ابن مالك: 130، 256، 308.
مالك بن أنس : 189، 190.
مالك بن عوف : 32.
مالك بن أبي كعب : 148.
المبرد: 162، 199، 255، 267، 332، 337، 340، 341.
المتقب العبدي : 211.
مجاهد بن جبر : 16، 44، 45، 46، 47، 56، 57، 58، 59، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 74، 75، 76، 78، 188، 236، 244، 278، 294، 295، 315.
محمد ابراهيم شريف: 335.
محمد بن اسحاق : 98.
محمد بن الجهم بن هارون السمري: 337
محمد بن الحسن الشيباني : 137، 226.
محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية : 339.
محمد بن الحسين بن أبي سارة=الرؤاسي
محمد خلف الله : 328.
محمد بن السائب الكلبي : 338.
محمد بن سلام الجمحي : 97، 393.
محمد عبد القادر أحمد: 319.
محمد فؤاد سزكين: 46.
محمد بن الفارسي: 231.
محمد بن كعب القرضي: 54.
محمد بن مروان السعدي: 94.
محمد بن المستنير=قطرب
أبو محمد اليزيدي: 283.
المخبل السعدي : 181.
مرة الهمذاني : 49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو مروان عبد الملك بن حبيب =القرضي
مسروق : 09، 49، 158.
المغيرة بن المهلب: 324.
المفضل : 149، 302.
المفضل بن سلمة بن عاصم : 272، 338.
مكحول : 16.
مكي بن أبي طالب القيسي: 88، 89، 256.
الممزق العبدي : 94.
ابن المناذر: 106.
ابن منظور : 112، 251.
مؤرج السدوسي: 283، 339.
موسى عليه السلام 37، 153، 209.
أبو موسى الأشعري : 09، 18، 97.
موسى بن يسار: 97.

(النون)

النابغة الذبياني : 125، 146، 280، 290، 296، 310، 313.
نافع: 242، 246، 283.
نافع بن الأزرق: 29، 30، 31، 33، 103.
نجدة بن عويمر : 30.
النحـــاس: 85، 102، 103، 110، 140، 245، 246، 268.
النخعي : 242، 244.
ابن نديم: 138، 140.
أبو نصر أحمد بن حاتم: 175.
نصر بن عاصم : 84.
النضر بن شميل: 275، 339.
نفطويه: 268، 339، 342.
النمر ابن تولب: 180.

(الهاء)

أبو هريرة : 06، 12، 46.
هشام بن عروة : 15، 189.
ابن هشام : 37، 91، 257.

(الواو)

واصل بن عطاء : 102، 210، 212.

(الياء)

ياقوت الحموي: 138.
يحي بن زياد الفراء=الفراء
يحي بن سعيد الأنصاري
يحي بن وثاب : 246.
يحي بن يعمر : 84، 85، 86، 283.
يزيد بن الحارث: 243.
يعقوب عليه السلام: 263.
يعقوب الحضرمي : 175، 272.
يعقوب بن السكيت=ابن السكيت
ابن يعيش : 91.
أبو يوسف القاضي: 137، 226.
يوسف بن مهران : 27.
يونس بن حبيب : 87، 93، 95، 96، 97، 98، 99، 101، 104، 107، 138، 167، 181، 206، 276، 336.
يوهان فوك : 250.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

(1) القرآن الكريم (رواية ورش).

(2) **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر.** محمد ابراهيم شريف. ط:1. القاهرة: مط دار التراث، 1402هـ.

(3) **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر.** فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط:3. مط مؤسسة الرسالة، (1418هـ-1997م).

(4) **الإتقان في علوم القرآن.** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. بيروت: مط دار المعارف.

(5) **أثر التطور الفكري في تفسير في العصر العباسي.** عبد الله آل جعفر مساعد مسلم مط مؤسسة الرسالة. طبعة مصورة بجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر.

(6) **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري.** محمد زغلول سلام. ط:3. القاهرة: دار المعارف.

(7) **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان.** ترتيب الأمير علاء الدين بن علي بلبان الفارسي تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط:1. بيروت: دار الفكر، (1407هـ-1987م).

(8) **أحكام القرآن.** أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي الجصاص. طبعة مصورة عن الطبعة الأولى. بيروت: مط دار الكتاب العربي.

(9) **إحياء علوم الدين.** أبو حامد الغزالي. وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأسفار. زين الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن الحسين العراقي. بيروت: دار المعرفة.

(10) **أخبار النحويين البصريين.** أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي. اعتنى بنشره فرينس كرنكوه. بيروت: مط الكاثوليكية، 1936م.

(11) **أساس البلاغة**. جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: عبد الرحيم محمد. بيروت: مط دار المعرفة للطباعة و النشر.

(12) **الاستغناء في الاستثناء**. شهاب الدين أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن القرافي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية، (1406هـ-1986م).

(13) **أسد الغابة في تمييز الصحابة**. ابن الأثير. مط انتشارات اسماعيليات.

(14) **أسرار البلاغة في علم البيان**. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق: محمد رشيد رضا. بيروت: دار المعارف.

(15) **الأشباه والنظائر في النحو**. جلال الدين السيوطي. تحقيق: ابراهيم محمد عبد الله. دمشق، (1407هـ-1987م).

(16) **الإصابة في تمييز الصحابة**. ابن حجر العسقلاني. بيروت: مط دار الفكر، (1398هـ-1978م)

(17) **أصول التفسير وقواعده**. خالد عبد الرحمن العك. ط:2. بيروت: مط دار النفائس، (1406هـ-1986م).

(18) **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**. مصطفى صادق الرافعي. ط:80. بيروت: مط دار الكتاب العربي.

(19) **إعراب القرآن**. أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج. تحقيق: ابراهيم الأبياري. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، 1965م.

(20) **إعراب القرآن**. أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس. تحقيق: زهير غازي زاهر. ط:3. بيروت: مط علم الكتب، (1409هـ 1988م).

(21) **الإعراب في القرآن الكريم جمع بيان الحديث**. سميح عطاف الزين. ط:1. بيروت: دار الكتاب اللبناني، (1405هـ-1985م).

(22) **أعلام الموقعين عن رب العالمين**. ابن القيم الجوزية. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل. مط دار الكتب الحديثة.

(23) **الأعلام، قاموس التراجم**. خير الدين الزركلي. ط:7. بيروت: مط دار العلم للملايين، 1986م.

(24) **أمالي ابن الشجري**. هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الشجري. تحقيق: محمود محمد طانجي. القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي.

(25) **أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد.** الشريف المرتضى. علي بن الحسين الموسوي العلوي. ط:2. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. الناشر دار الكتاب العربي، (1387هـ-1967م).

(26) **إنباه الرواة على إنباه النحاة.** الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، (1406هـ-1986م).

(27) **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين.** عبد الرحمن بن محمد الأنباري، ومعه كتاب الإنتصاف من الإنصاف. تأليف محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر.

(28) **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.** أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام. تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد. صيدا بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

(29) **الإيضاح في علل النحو.** ابن القاسم الزجاجي. مازن مبارك. مكتبة دار العروبة، (1378هـ-1959م).

(30) **الإيمان.** تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني. ط:1. مط السعادة. 1325هـ.

(31) **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر.** أحمد مختار عمر. ط:6. القاهرة: مط علم الكتب، 1988م.

(32) **البداية والنهاية.** أبو الفدا بن كثير. بيروت: مط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(33) **البرهان في علوم القرآن.** بدر الدين الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:2. بيروت: مط دار الفكر.

(34) **البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم.** محمد ابراهيم شريف. ط:1. مط المدينة، (1406هـ-1986م).

(35) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:2. بيروت: مط دار الفكر، (1399هـ-1979م).

(36) **البيان والتبيين.** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط:1. بيروت: مط دار الفكر.

(37) **التأويل النحوي في القرآن الكريم.** عبد الفتاح أحمد حموز. ط:1. الرياض: مط مكتبة الرشيد، (1404هـ-1984م).

(38) **تأويل مختلف الحديث.** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: محمد زهير البجار. بيروت: مط دار الجيل، (1411هـ-1991م).

(39) **تأويل مشكل القرآن.** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: أحمد صقر. ط:2. القاهرة: مط دار التراث.

(40) **تاريخ آداب العرب.** مصطفى صادق الرافعي. ط:4. بيروت: مط دار الكتاب العربي، (1394هـ-1974م).

(41) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط:1. بيروت: الناشر دار الكتاب العربي، (1410هـ-1990م).

(42) **تاريخ الطبري.** محمد بن جرير الطبري. ط:2. بيروت: مط عز الدين للطباعة. والنشر، (1407هـ-1987م).

(43) **تاريخ بغداد.** أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادي. المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

(44) **التبيان في إعراب القرآن.** أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. تحقيق: علي محمد بجاوي. ط:2. بيروت: مط دار الجيل، (1407هـ-1987م).

(45) **تذكرة الحفاظ.** شمس الدين محمد الذهبي. تصحيح عبد الرحمن بن يحي المعلمي. بيروت: مط دار الكتاب العلمية.

(46) **التعريف بالتفسير ومنهج رجاله.** محمد عبد القادر جمازي. مط التقدم، (1407هـ-1987م).

(47) **تفسير ابن كثير.** أبو الفدا اسماعيل ابن كثير. بيروت: مط دار الفكر، (1407هـ-1986م).

(48) **تفسير البحر المحيط.** أبو حيان الأندلسي محمد يوسف الغرناطي. ط:2. مط دار الفكر الطباعة والنشر، (1403هـ-1983م).

(49) **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل.** محمد الحسين الفراء البغوي. تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار. ط:4. بيروت: مط دار المعرفة، (1415هـ-1995م).

(50) **تفسير التحرير والتنوير.** محمد الطاهر بن عاشور. تونس: مط الدار التونسية للنشر، الجزائر: لمؤسسة الوطنية للكتاب.

(51) **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل.** محمد جمال الدين القاسمي. ط:1. بيروت: دار الفكر، (1398هـ-1978م).

(52) **تفسير القرآن الكريم جزء عم.** محمد عبده. الجزائر: دار الكتب، 1982م.

(53) **التفسير المأثور عن عمر بن الخطاب.** ابن الحسن ابراهيم. مط الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.

(54) **تفسير سفيان الثوري.** أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية، (1403هـ-1983م).

(55) **تفسير غريب القرآن.** أبو محمد عبد الله بن مسلم. تحقيق: السيد أحمد صقر. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1398هـ-1978م)

(56) **تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع التبيان الحديث.** سمح عاطف الزين. ط:2. بيروت: دار الكتاب اللبناني، (1404هـ-1984م).

(57) **التفسير والمفسرون.** محمد حسين الذهبي. ط:2. (1397هـ 1976م).

(58) **التفسير ورجاله.** محمد الفاضل ابن عاشور. سلسلة مطبعة من مجمع البحوث الإسلامية.

(59) **التقفية.** أبو بشر اليمام بن أبي اليمام البندنيجي. تحقيق: خليل إبراهيم العطية.

(60) **تنزيه القرآن عن المطاعن.** عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار. بيروت: مط دار النهضة الحديثة.

(61) **تنوير المقباس في تفسير ابن عباس.** بيروت: مط دار الكتب العلمية.

(62) **تهذيب التهذيب.** شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني. ط:1. الهند: مط مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بالهند، 1326هـ.

(63) **تهذيب اللغة.** أبو منصور محمد أحمد الأزهري. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964م.

(64) **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.** الرماني، الخطابي، الجرجاني. تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام. ط:2. مصر: دار المعارف، 1968م.

(65) **جامع البيان العلم وفضله.** أبو عمر يوسف القرطبي بن عبد البر. بيروت: مط دار الكتب العلمية.

(66) **جامع البيان في تأويل آي القرآن.** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. مط بيروت لبنان، (1405هـ-1984م).

(67) **الجامع الصحيح.** أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(68) **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. ط:1. بيروت: مط دار الفكر، (1401هـ-1981م).

(69) **الجامع لأحكام القرآن**. لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق: أبو اسحاق ابراهيم أطفيش، مصطفى السقا. ط:2. (1380هـ-1961م).

(70) **جمهرة الأمثال**. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. تحقيق: أحمد عبد السلام. ط:1. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1408هـ-1988م).

(71) **الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول النحو الإعراب وسائر الفنون**. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السيوطي. تحقيق محي الدين عبد الحميد. بيروت: مط المكتبة العصرية صيدا، (1411هـ-1990م).

(72) **الحجة في القراءات السبع**. ابن خلويه. تحقيق: عبد العال سالم مكرم. ط:2. بيروت القاهرة: مط دار الشروق، (1397هـ-1977م).

(73) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني. ط:3. بيروت: دار الكتاب العربي، (1400هـ-1980م).

(74) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. عبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:2. مصر: مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م).

(75) **الخصائص**. أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: محمد علي النجار. بيروت: مط دار الهدى للطباعة والنشر.

(76) **الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه**. محمدي المخزومي. ط:2. بيروت: مط دار الرائد العربي، (1406هـ-1986م).

(77) **دائرة المعارف الإسلامية**. إعداد مجموعة من المستشرقين. يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي، ابراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس. (الترجمة العربية) بيروت: دار المعارف.

(78) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. جلال الدين السيوطي. بيروت: مط دار المعرفة للطباعة والنشر.

(79) **دراسات في التفسير وأصوله**. محي الدين بلتاجي. ط:1. بيروت: مط دار مكتبة الهلال، 1987م.

(80) **دراسات في القرآن.** السيد أحمد خليل. بيروت: مط دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969م.

(81) **دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء.** أحمد ديرة المختار. ط:1. بيروت: مط دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م.

(82) **الدرس النحوي في بغداد.** مهدي المخزومي. ط:2. بيروت: دار الرائد العربي، (1407هـ-1987م).

(83) **الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين.** أحمد مكي الأنصاري. مصر: توزيع دار المعارف، (1393هـ-1973م).

(84) **دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني.** ط:2. تحقيق: محمد محمود شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي، (1410هـ-1989م).

(85) **دلالة الألفاظ.** ابراهيم أنيس. ط:6. الناشر: مكتبة الأنجلو المصرفية، 1991م.

(86) **ديوان الهذليين.** نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، (1385هـ-1965م).

(87) **ديوان امرؤ القيس.** تحقيق: حنا الفاخوري. ط:1. بيروت: دار الجيل، (1409هـ-1989م).

(88) **ديوان جرير.** بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (1398هـ-1978م).

(89) **ديوان جميل بثينة.** بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (1402هـ-1982م).

(90) **ديوان عنترة.** بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، (1398هـ-1978م).

(91) **الرسالة.** محمد بن ادريس الشافعي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مط دار الفكر، 1309هـ.

(92) **رواية اللغة.** عبد الحميد الشلقاني. مصر: مط دار المعارف، 1971م.

(93) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.** الألوسي البغدادي. بيروت: مط دار إحياء التراث العربي.

(94) **سر صناعة الإعراب.** أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق حسن هنداوي. ط:2. دمشق: مط دار العلم، (1413هـ-1993م).

(95) **سنن أبي داود.** أبو داود سليمان بن الأشعث. السجستاني الأزدي. مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(96) **سنن ابن ماجة.** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. مط دار الفكر.

(97) **سنن الترميذي.** محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. ط:2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1403هـ-1983م).

(98) **سنن الدارمي.** أبو محمد عبد الله بن مهران الدارمي. بيروت: مط دار الفكر.

(99) **السنن الكبرى.** أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي. مط دار الفكر.

(100) **سير أعلام النبلاء.** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مأمون الصاغرجي. ط:1. بيروت: مؤسسة الرسالة، (1401هـ-1981م).

(101) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.** ابن عقيل بهاء الدين عبد الله. تحقيق: هادي حسن حمودي. ط:1. بيروت: مط دار الكتاب العربي، (1411هـ-1991م).

(102) **شرح التسهيل لابن مالك.** جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي بن مالك. ط:1. تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي مختون. هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (1410هـ-1990م).

(103) **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات.** أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:2. مصر: دار المعارف.

(104) **شرح المفصل.** موفق الدين بن يعيش النحوي. بيروت: مط عالم الكتب.

(105) **الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها.** أبو الحسن أحمد بن زكرياء ابن فارس الرازي اللغوي. تحقيق: عمر فاروق الطباع. ط:1. بيروت: مط مكتبة دار الفكر العربي.

(106) **صحيح البخاري.** أبو عبد الله بن محمد اسماعيل البخاري. بيروت: مط دار الفكر للطباعة والتوزيع، (1401هـ-1981م).

(107) **ضحى الإسلام.** أحمد أمين. ط:10. بيروت: مط دار الكتاب العربي.

(108) **طبقات الحفاظ.** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. ط:2. القاهرة: مط مكتبة وهبة، (1415هـ-1994م).

(109) **طبقات الشعراء.** محمد بن سلام الجمحي. مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى عصر ابن سلام. إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

(110) **الطبقات الكبرى.** ابن سعد. بيروت: مط صادر للطباعة والنشر، (1376هـ-1957م).

(111) **طبقات المفسرين.** شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي. تحقيق: علي محمد عمر. ط:1. الناشر مكتبة وهبة، 1972م.

(112) **طبقات النحويين واللغويين.** أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي. ت: محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر: مط دار المعارف.

(113) **ظاهرة الإعراب في النحو العربي.** أحمد سليمان ياقوت. ط:1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

(114) **ظاهرة التنوين في اللغة العربية.** عوض المرسي جيهاوي. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1982م.

(115) **علم التفسير، كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر.** عبد المنعم النمر. ط:1. القاهرة: مط دار الكتاب المصري. بيروت: دار الكتاب اللبناني، (1405هـ-1985م).

(116) **علم اللغة بين القديم والحديث.** عبد الغفار حامد هلال. ط:2. مط الجبلاوي، (1406هـ-1986م).

(117) **العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده.** أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط:5. بيروت: مط الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.

(118) **غاية النهاية في طبقات القراء.** شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري. دار الكتب العلمية، 1982م.

(119) **غريب الحديث.** الخطابي. تحقيق: عبد الكريم ابراهيم العزباوي. جامعة أم القرى، 1983م.

(120) **غريب حديث.** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: عبد الله الجبوري. ط:1. بغداد: مط العاني، (1397هـ-1977م).

(121) **الفائق في غريب الحديث.** جار الله محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، علي محمد بجاوي. ط:2. بيروت: دار المعرفة.

(122) **فتح الباري في شرح صحيح البخاري.** ابن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: مط دار المعارف.

(123) **فجر الإسلام.** أحمد أمين. بيروت: دار الكتاب العربي.

(124) **الفرق بين الفرق.** عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت: مط الكتب العصرية، (1411هـ-1990م).

(125) **فقه اللغة.** علي عبد الواحد وافي. ط:5. مط لجنة البيان العربي، (1381هـ-1962م).

(126) **الفهرست.** ابن نديم. تحقيق: ابراهيم رمضان. ط:1. بيروت: مط دار المعرفة، (1415هـ-1994م).

(127) **الفوز الكبير في أصول التفسير.** حجة الله الدهلوي. بيروت دمشق: مط دار قتيبة، (1409هـ-1989م).

(128) **القاموس المحيط.** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. مط دار الكتاب العربي.

(129) **القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية.** عبد العالي سالم مكرم. القاهرة: دار المعارف بمصر.

(130) **كتاب الأضداد.** أبو حاتم السجستاني. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد. القاهرة، (1411هـ-1991م).

(131) **كتاب الأضداد.** محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. بيروت: المكتبة العصرية صيدا، (1407هـ-1987م).

(132) **كتاب الأمالي.** أبو علي القالي. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. ط:2. مط دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، (1407هـ-1987م).

(133) **كتاب الأمالي ابن حاجب.** أبو عمرو عثمان بن الحاجب. تحقيق: فخر صالح سليمان قدادة. بيروت: دار الجيل، عمان: دار عمار، (1409هـ-1989م).

(134) **كتاب الحيوان.** أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: مط دار الجيل، (1412هـ-1992م).

(135) **كتاب السبعة في القراءات.** ابن مجاهد. تحقيق: شوقي ضيف. ط:2. مط دار المعارف.

(136) **كتاب الشعر والشعراء وقيل طبقات الشعراء.** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. لندن: مط بريل، 1902م.

(137) **كتاب العقد الفريد.** أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي. تحقيق: أحمد أمين الزين، ابراهيم الأبياري. بيروت: مط دار الكتاب العربي، (1303هـ-1983م).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(138) **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين.** حسن حسني عبد الوهاب. مراجعة وإكمال. محمد العدوسي المطوي، بشير بكوش. ط:1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.

(139) **كتاب ذيل الأمالي والنوادر.** أبو علي سليمان بن القاسم البغدادي القالي. مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، (1400هـ-1980م).

(140) **كتاب معاني القرآن.** أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط. تحقيق: هدى محمود قراعة. ط:1. القاهرة: مكتبة الخانجي، (1411هـ-1990م).

(141) **الكتاب.** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:3. مط عالم الكتب، (1403هـ-1983م).

(142) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل.** جار الله الزمخشري. بيروت: مط دار الفكر

(143) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.** المولى مصطفى بن عبد الله القسنطيني حاجي خليفة الرومي الحنفي. مط دار الفكر، (1402هـ-1982م).

(144) **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها.** مكي بن أبي طالب. بيروت: دار الطباعة.

(145) **كلمات القرآن تفسير وبيان.** حسنين محمد مخلوف. مط دار المعارف.

(146) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.** علاء الدين علي المتقي. ابن حسام الدين الهندي البرهان فوري. تحقيق: بكري جباني، صفوة السقا. بيروت: مؤسسة الرسالة، (1413هـ-1993م).

(147) **لسان العرب.** ابن منظور. تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي. مط دار المعارف.

(148) **لطائف المنن ابن عطاء الله السكندري.** ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور عبد الحليم محمود. ط:1. مط دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصرية، (1411هـ-1991م).

(149) **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري.** أحمد جمال العمري. القاهرة: مط الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، (1410هـ-1990م).

(150) **المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، دراسة مقارنة.** محمد حسين علي الصغير. ط:1. بيروت: مط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983م.

(151) **مجاز القرآن.** أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. تحقيق: محمد فؤاد سزكين. القاهرة: مط مكتبة الخانجي.

(152) **مجالس العلماء.** أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط:2. القاهرة: مكتبة خانجي، الرياض: دار الرفاعي، (1403هـ-1983م).

(153) **مجالس ثعلب.** أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط:4. دار المعارف، (1400هـ-1980م).

(154) **مجاهد المفسر والتفسير.** أحمد سليمان نوفل. ط:1. القاهرة: مط دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، (1411هـ-1990م).

(155) **مجمل اللغة.** أبو الحسين أحمد بن فارس. ط:2. تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. بيروت: مؤسسة الرسالة، (1406هـ-1986م).

(156) **المحتسب في شواذ القراءات.** أبو الفتح عثمان بن جني. تحقيق: علي النجدي ناصف. مط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(157) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** ابن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط:1. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1413هـ-1993م).

(158) **مختار الصحاح.** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. تصحيح أحمد شمس الدين. ط:1. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1415هـ-1994م).

(159) **المدارس النحوية.** شوقي ضيف. دائرة المعارف، 1973م.

(160) **مدرسة التفسير في الأندلس.** المشني مصطفى ابراهيم. ط:1. مط الرسالة، (1406هـ-1986م).

(161) **مدرسة الكوفة ومنهجاها في دراسة اللغة والنحو.** مهدي المخزومي. ط:3. بيروت: مط دار الرائد العربي، (1406هـ-1986م).

(162) **مذاهب التفسير الإسلامي.** جولد اجنتس تسيهر. تعريب عبد الحليم النجار. ط:2. بيروت: مط دار اقرأ، (1403هـ-1983م).

(163) **المذكر والمؤنث.** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري. تحقيق: طارق الجنابي. ط:2. بيروت: دار الرائد العربي، (1406هـ-1986م).

(164) **مراتب النحويين.** عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم. ط:2. مصر: دار النهضة مصر، 1974م.

(165) **المزهر في علوم اللغة وانواعها.** جلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد جاد الله المولى بك، محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد البخاري. بيروت: مط المكتبة العصرية صيدا، (1408هـ-1987م).

(166) **المسند.** أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مكتبة التراث الإسلامي.

(167) **مشكاة الأنوار.** أبو حامد الغزالي. تحقيق وتقديم أبو العلا عفيف. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، (1383هـ-1964م).

(168) **مشكل إعراب القرآن.** مكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق حاتم صالح الضامن. ط:3. مؤسسة الرسالة، (1407هـ-1987م).

(169) **مع الأخفش الأوسط في معاني القرآن، قضايا نحوية بينه وبين الكوفيين.** جمال عبد المعطي محيمر. ط:1. القاهرة: مط أبناء وهبة حسان. (1410هـ-1989م).

(170) **معاني القرآن.** أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء. ط:3. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار. عالم الكتب، (1403هـ-1983م).

(171) **معاني القرآن.** سعيد بن مسعدة الأخفش. تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد. ط:1. بيروت: مط دار الكتب، (1405هـ-1985م).

(172) **المعاني الكبير.** ابن قتيبة. صححه الكرنكوي. بيروت: دار النهضة الحديثة، 1953م.

(173) **معترك الأقران في إعجاز القرآن.** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: علي محمد بجاوي. مط دار الفكر العربي.

(174) **المعجزة الكبرى.** محمد أبو زهرة. مط دار الكتاب العربي.

(175) **معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب.** أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي. ط:2. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1411هـ-1991م).

(176) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.** محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت. مطبعة دار الجيل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(177) **معجم الوسيط.** الإخراج: ابراهيم أنيس، عطية صوالحي عبد الحليم، محمد خلف الله أحمد. دار الفكر.

(178) **معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري.** محمد فؤاد عبد الباقي. مط دار الحديث.

(179) **معجم مقاييس اللغة.** أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء ابن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط:3. مصر: الناشر مكتبة الخانجي، (1402هـ-1981م).

(180) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.** جمال الدين بن هشام الأنصاري. تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط:2. مط دار الفكر.

(181) **المغني في أبواب التوحيد والعدل.** القاضي عبد الجبار أبي الحسن الأسا آبادي. تحقيق: محمد مصطفى حلمي، أبو الوفا الغنيمي التفتزاني. مط الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(182) **المغني والشرح الكبير.** موفق الدين بن قدامة وشمس الدين بن قدامة المقدسي. بيروت: مط دار الكتاب العربي. (1403هـ-1983م).

(183) **مفتاح السعادة في موضوعات السيادة.** طاش كبرى زادة بن مصطفى أحمد. تحقيق: كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور. القاهرة: مط دار الكتب الحديثة.

(184) **مفتاح العلوم.** أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي. تحقيق: نعيم زرزور. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية، (1407هـ-1987م).

(185) **المفردات في غريب القرآن.** الحسن بن محمد الراغب الأصبهاني. تحقيق: محمد خليل عيتاني. ط:1. بيروت: مط دار المعرفة، (1418هـ-1998م).

(186) **المفصل في علم اللغة.** أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق: محمد عز الدين السعيدي. ط:1. مط دار إحياء العلوم، (1410هـ-1990م).

(187) **مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية.** أحمد عبد السيد الصاوي. الاسكندرية: منشأة المعارف، 1988م.

(188) **مفهوم العدل في تفسير المعتزلة للقرآن الكريم.** محمود كامل أحمد. بيروت: مط دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983م.

(189) **مقدمة في أصول التفسير.** ابن تيمية. تحقيق: عدنان زرزور. ط:3. بيروت: مط دار القرآن الكريم، (1399هـ-1979م).

(190) **المقدمة.** ابن خلدون. ط:5. بيروت: مط دار الرائد العربي، (1402هـ-1982م).

(191) **مقدمتان في علوم القرآن**، وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية نشرهما المستشرق آرثر جيفري. تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي. القاهرة: الناشر مكتبة الخانجي، (1392هـ-1972م).

(192) **من أسرار اللغة**. إبراهيم أنيس. ط:7. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرفية، 1994م.

(193) **مناهج في التفسير**. مصطفى الصاوي الجويني. الاسكندرية: منشأة المعارف، 1971م.

(194) **المنجد في اللغة والأعلام**. ط:25. بيروت: دار الشروق.

(195) **منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم**. فتحي عبد الفتاح الدجني. ط:1. الكويت مكتبة الفلاح، (1404هـ-1984م).

(196) **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**. مصطفى الصاوي الجويني. ط:3. القاهرة: مط دار المعارف.

(197) **المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر**. محسن سالم محيسن. ط:2. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (1399هـ-1979م).

(198) **الموافقات في أصول الشريعة**. أبو اسحاق الشاطبي. تحقيق: محمد عبد الله دراز. مط دار الفكر العربي.

(199) **النحو الوافي**. عباس حسن. ط:9. مط دار المعارف.

(200) **النشر في القراءات العشر**. شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري. ط:3. تحقيق: ج بريجستراير. بيروت: مط دار الكتب العلمية، (1402هـ-1982م).

(201) **نظرية اللغة في النقد العربي**. راضي عبد الحكيم. مصر: مكتبة الخانجي.

(202) **نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية**. أحمد مكي الأنصاري. ط:1. مط دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1405هـ.

(203) **النهاية في غريب الحديث والأثر**. مجد الدين أبي السعدات المبارك محمد الجزري بن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمد الطناحي. بيروت: الناشر المكتبة الإسلامية، دار إحياء التراث العربي.

(204) **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**. جلال الدين السيوطي. تصحيح محمد بدر نعمان. بيروت: دار المعارف للطباعة.

(205) **وفيات وإنباء أبناء الزمان**. ابن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مط دار صادر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(206) مجلة الثقافة الإسلامية. دراسة للدكتور محمد باقر حجتي بعنوان « **ابـــن عبـاس وأسـتاذه ومصادره التفسيرية** ». العدد: الثامن عشر، رمضان/شوال 1408هـ.

(207) مجلة جامعة الملك سعود. دراسة للدكتور محمود حسني محمود « **ملامح من قراءات النحـاة الأوائل** ». المجلد الثاني، الآداب(2). (1410هـ-1990م).

(208) مجلة مجمع اللغة العربية. بحث الأستاذ علي نجدي ناصف « **بين القراء والنحاة** ». الجـزء السابع عشر. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1964م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس التحليلي

المقدمة : ..... أ

الفصل الأول: نشأة التفسير اللغوي

المبحث الأول : التفسير اللغوي في عهد النبوة والصحابة 02

أولا: التفسير اللغوي في العهد النبوي 02

ثانيا: التفسير اللغوي في عهد الصحابة 08

- اللغة واختلاف الصحابة في فهم معاني القرآن 10

- المسلك اللغوي في تفاسير الصحابة 14

- نماذج من التفسير اللغوي في عهد الصحابة 17

1 – الاتجاه اللغوي في تفسيرات عمر بن الخطاب 18

2 – الاتجاه اللغوي في تفسيرات عبد الله بن عباس 22

3 – بين منهج ابن عباس والصحابة في تفسيراتهم اللغوية..... 41

خصائص التفسير اللغوي في هذه المرحلة 42

المبحث الثاني: التفسير اللغوي في عهد التابعين 44

- مدارس التفسير في عصر التابعين 45

- مدرسة مكة ومنهجها في التفسير اللغوي 55

أ- جهود مجاهد بن جبر المكي في التفسير اللغوي..... 56

ب- نماذج من تفسيرات مجاهد اللغوية 58

ج- بين مجاهد وابن عباس في شروحاتهما اللغوية 65

د- مجاهد والمعتزلة 67

- قيمة وخصائص التفسير اللغوي عند التابعين 69

الفصل الثاني: التفسير اللغوي من عصر التدوين إلى نهاية القرن الثالث الهجري

المبحث الأول: حركة التفسير اللغوي وأعلامه في عصور التدوين..... 82

– تدرج التفسير اللغوي 82

– أعلام التفسير اللغوي 104

أولا: جهود أبي عبيدة في التفسير اللغوي 105

1 – مفهوم المجاز عند أبي عبيدة 111

2 – منهج صاحب المجاز في تفسيره اللغوي 115

أ – غريب القرآن في تفسير أبي عبيدة 119

ب – السياق اللغوي في تفسير أبي عبيدة 124

ج – النحو ووجوه الإعراب في تفسير أبي عبيدة 126

د – القراءات القرآنية في تفسير أبي عبيدة 134

ثانيا: جهود الفراء في التفسير اللغوي 137

1 – التفسير اللغوي عند الفراء من خلال كتابه المعاني 140

2 – منهج الفراء في تفسيراته اللغوية 143

أ – أثر الدلالة اللغوية في تفسير الفراء 146

– الغريب 146

– الشاهد الشعري في تفسير الفراء 147

ب – أثر الدراسات اللغوية في التفسير اللغوي عند الفراء 150

– دراسة الأصوات 150

– تعاقب الحروف وتقارب الأصوات 152

– حذف الحرف 152

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج – التفسير اللغوي والدراسة النحوية عند الفراء 153
د – الظواهر اللغوية من خلال كتاب المعاني 156
هـ– القراءات والتفسير اللغوي عند الفراء..... 157
ثالثا: جهود الأخفش الأوسط في التفسير اللغوي 162
1 – بين معاني الفراء ومعاني الأخفش 164
2 – صور التماثل بين مجاز أبي عبيدة ومعاني الأخفش 166
3 – أثر القضايا اللغوية في التفسير اللغوي عند الأخفش 168
أ – كلام العرب 168
ب – الشاهد الشعري في تفسير معاني الأخفش 171
ج – العامل النحوي في تفسير الأخفش 173
د – القراءات في تفسيرات الأخفش 176
4 – نماذج من تفسيرات الأخفش 179
5 – خصائص التفسير اللغوي عند الأخفش..... 183
المبحث الثاني : أثر حركة التفسير اللغوي في بيئة المفسرين 186
– انحسار موجة التحرج 186
– شيوع المبدأ اللغوي في التفاسير 194
أولا: المبدأ اللغوي في تفسير أهل السنة 201
ثانيا: المبدأ اللغوي في تفاسير المعتزلة 210
ثالثا: المبدأ اللغوي بين أهل السنة والمعتزلة 214
– ضوابط التفسير اللغوي 217
– خصائص التفسير اللغوي..... 220

الفصل الثالث: مقومات التفسير اللغوي

المبحث الأول: الدراسات النحوية وأثرها في التفسير اللغوي 224

- النحو والتفسير اللغوي 224

- النحو والقراءات 234

- إعراب القرآن (التفسير النحوي للقرآن) 249

1 – منهج إعراب القرآن 257

2 – الوقف والإعراب 261

3 – التتبع التاريخي لدراسة الإعراب في القرآن الكريم 264

4 – الإعراب القرآني والمدارس النحوية 270

المبحث الثاني: البحوث اللغوية ووجوه التفسير اللغوي 275

1 – المشكل 277

2 – الغريب 282

- كتاب غريب القرآن لابن قتيبة ومنهجه في التفسير 287

أولا: المنهج العام للكتاب 288

ثانيا: منهجه في شرح الألفاظ الغريب وتوثيق معانيها 296

3 – المشترك اللفظي والأضداد 319

4 – الدلالة اللغوية في العمل التفسيري 332

5 – قائمة البحوث القرآنية والتفسيرية عند اللغويين حتى نهاية القرن الثالث الهجري 336

الخاتمة 344

- فهرس الآيات القرآنية 353

- فهرس الأحاديث الشريفة 385

- فهرس الأشعار 387

- فهرس الأعلام 402

- المصادر والمراجع 411

- الفهرس التحليلي 427